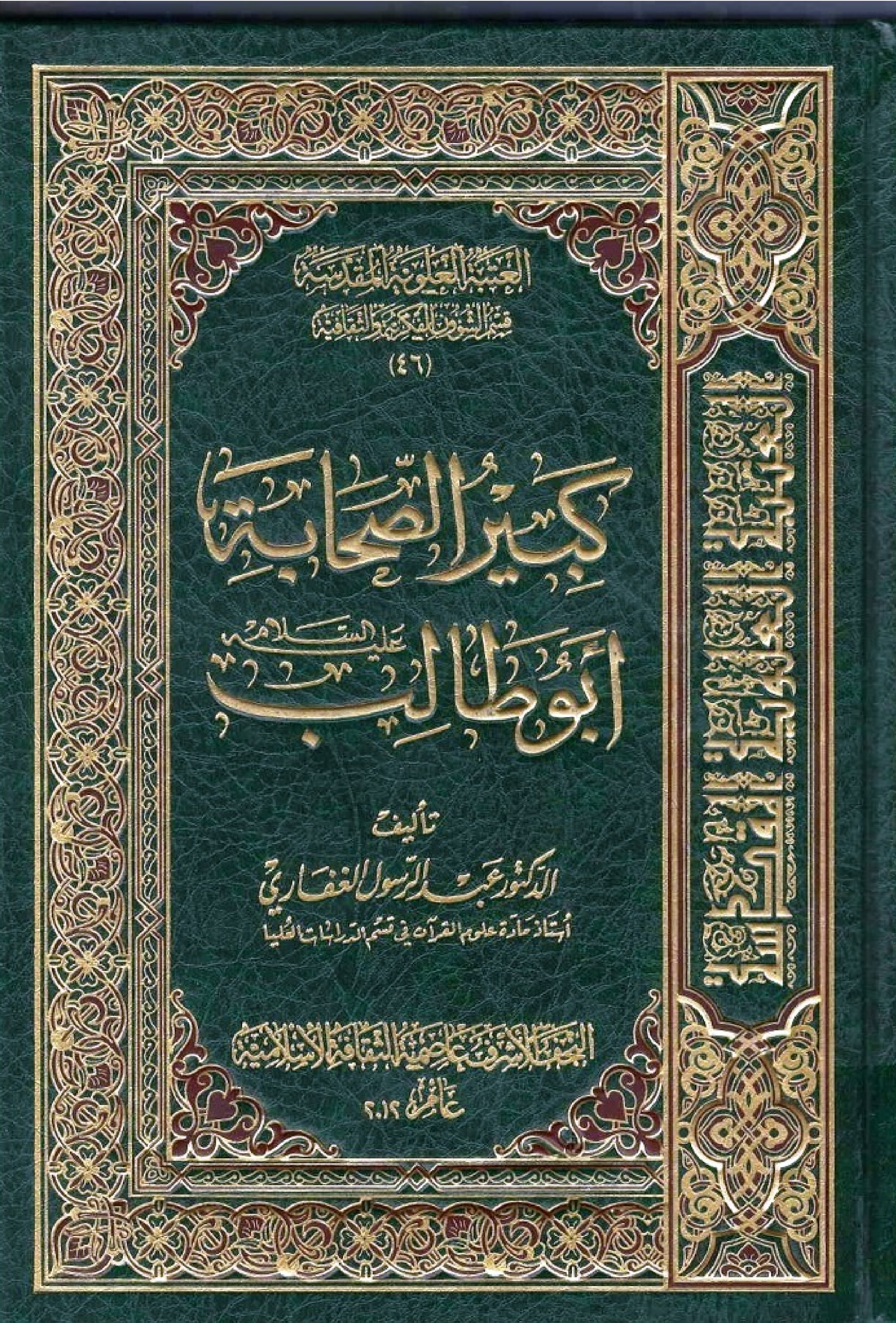

العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
(٤٦)
كبير الصحابة
أبو طالب عليه السلام
تأليف
الدكتور عبد الرسول الغفاري
أستاذ مادة علوم القرآن في قسم الدراسات العليا
النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية
عام ٢٠١٢



كبير الصحابة

أبو طالب عليه السلام

بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ

﴿قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾

«القرآن الكريم»

العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

(٤٦)

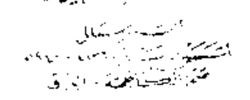
كبير الصحابة

أبو طالب عليه السلام

تأليف

الدكتور عبد الرسول الغفاري

أستاذ مادة علوم القرآن في قسم الدراسات العليا



كبير الصحابة ابو طالب (ع)

الدكتور عبد الرسول الغفاري

مراجعة: قسم الشؤون الفكرية والثقافية

كانون الثاني يناير 2012

القياس: 17 × 24

عدد الصفحات: 555

من اصدارات



www.imamali-a.com
info@imamali-a.com

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (**2201**) لسنة **2011**م

ISBN: 978-9953-374-24-0

توزيع

شركة العارف للأعمال ش.م.م

بيروت ـ لبنان 00961 1 452077

العراق ـ النجف الأشرف 00964 7801327828

Website: www.alaref.net

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله استتماما لنعمته واستسلاما لعزته، واستعصاما من معصيته، ونستعين به فاقة الى كفايته، إنه لا يضل من هواه، ولا يئل من عاداه ولا يفتقر من كفاه فإنه ارجح ما وزن وأفضل ما خزن وصلى الله على رسوله الذي بعثه رحمة للعالمين فأرسله بالدين المشهور والعلم المأثور والكتاب المسطور، والنور الساطع والضياء اللامع والأمر الصادع ازاحة للشبهات واحتجاجا بالبينات وتحذيرا بالآيات وتخويفا للمثلات، وعلى آله الأطهار موضع سره وملجأ أمره وعيبة علمه وموئل حكمته وكهوف كتبه وحبال دينه.

إن من يغور في سبر التاريخ الإسلامي يجد رجالا عظاما كانوا المثل الأعلى بالإيمان المطلق بالله تعالى بالتضحية في سبيل أعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولا شك أنّ في مقدمة هؤلاء الرجال يقف مؤمن قريش أبو طالب بن عبد المطلب (٨٥ - ٣ قبل الهجرة) (٤٥٠ - ٦٢٠م) عم النبي الأعظم الذي عاش في الجاهلية قبل انبعاث الإسلام لكنه موحدا حنيفيا نابذا لكل العادات والتقاليد الجاهلية الذميمة فكان رجلا شهما كريما بطلا فيه كل صفات الرجولة والشهامة والإباء.

بعدما بزغ فجر الإسلام كان (رضوان الله عليه) أول من ناصر الدعوة الإسلامية ونبيها المرسل (صلى الله عليه وآله) لا لأنه ابن أخيه وقد دفعته لذلك عصبيته وجاهليته حاشى لله ذلك لكنه آمن واستيقنتها نفسه فذاد ودافع واثبت دعائم الإسلام وغدا صوتاً مدويا في الذود عن الإسلام وعن رسول السماء ورغم هذا كله شكك بعضهم في إيمان أبي طالب وإسلامه مدفوعا بعصبية جاهلية وبغضا بأبي تراب، وهذا السفر الجليل لمؤلفه سماحه الشيخ الدكتور عبد الرسول الغفاري يثبت بالحجة الدامغة والدليل القاطع على أنّ

أبا طالب كبير الصحابة واول من نصر الإسلام وثبت اركانه وبقي مؤازرا ومدافعا حتى رمقه الأخير.

وفق الله تعالى المؤلف لخدمة الدين وجعل علمه هذا في ميزان حسناته، وبعد مراجعة اللجنة العلمية في العتبة العلوية المقدسة قام قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العلوية المقدسة بطباعة ونشر هذا الكتاب لإظهار الحق ومحق الباطل.

والله من رواء القصد.

قسم الشؤون الفكرية والثقافية
النجف الأشرف
٢٢ شوال ١٤٣٢

المقدمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على خاتم أنبيائه ومبلّغ رسالاته محمّد الصادق الأمين، وعلى آله الغرّ الميامين، والسلام عليه وعليهم أجمعين.

وبعد، إنّ الناس على قسمين رئيسيّن؛ قسم يقترن إسمه بالخير والمعروف فيكون مناراً للآخرين، ورمزاً خالداً على مدى الزمان والدهور، وهذا ما يمثّله العظماء في التاريخ، وهم الأنبياء عليهم السلام، وأصحاب الرسالات، والمصلحين، وقد اصطلح عليهم القرآن الكريم فقال: ﴿أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

والقسم الآخر يقترن إسمه بالشرّ والفساد والدمار، ليصبح رمزاً شاخصاً وعلامة سوداء ـ في جبين التاريخ ـ ومسبّة للأجيال، هذا ما يمثّله الطغاة المردة، والجناة بحقّ البشرية، وأهل البدع؛ وهم الفراعنة وأبالسة الكون، ومن نهب حياة الآخرين ليكون جبّاراً متكبّراً، ومجرماً متميّزاً؛ إنّهم زعماء الكفر والشرك والمنافقين في كلّ عصر، وقد اصطلح عليهم القرآن الكريم فقال: ﴿أُولٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾، وما بين هذا القسم وذاك عامة الناس، الذين ليس لهم خطر أو شأن يذكر، وهم الذين ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ وقد وصف القرآن الكريم عمل كلّ فريق فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾.[(١)]

وآيات كثيرة تصف كلا الفريقين، فليس هناك كبير عناءٍ في تشخيص أحد الصنفين؛ بل الأعمال الصادرة منهم ثبوتاً، وشهرتهم الضاربة في الأصقاع تكفي لأنّ تكون مقياساً مميّزاً لكلّ منهما.

---

(١) سورة الليل: ٩ و ١٠.

إذاً كلّ إمريء وما يحسنه، فإنْ كان صنيعه خيراً فهو إلى الخير ينسب، وإنْ كان صنيعه شرّاً فهو إلى الشرّ ينسب، وذاك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً...﴾.(١)

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾.(٢)

فالعمل هو المقياس المميّز، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا...﴾.(٣)

ويترتب على تلك الأعمال الجزاء الأوفى لكلّ صنف منهما.

قال تعالى يصف حال الأبرار وأعمالهم: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ، كِتَابٌ مَرْقُومٌ، يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ، إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ، تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾.(٤)

وقال تعالى يصف حال الجبابرة وأعمالهم: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ، كِتَابٌ مَرْقُومٌ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.(٥)

هذا ما وصفه سبحانه وتعالى، أنّه وصف الأبرار بأصدق الكلمات، كما وصف أهل الكفر والضلال بما يستحقّونه،... ومَنْ أصدق من الله حديثاً؟!

إذا عرفت ذلك فهلّم معي لننظر سويّة فيما يكتبه بعضهم بأسلوب ماكر، ليدافع عن أهل الزيغ والباطل، محاولاً أن يرسم للطغاة صورة ذات أبعاد ملفّقة تحكي سيرتهم فينسبهم إلى الصلاح، وما هم من الصلاح بشيء.

لا أدري هل أدرك هذا البعض أنّ ما يفعله إنّما هو خيانة لله ولرسوله؟! وإلّا كيف يجرأ فيغيّر ويبدّل صورة تلك النماذج التي عرفت بين الأوساط بجرمها وخبث

---

(١) سورة آل عمران: ٣٠.

(٢) سورة المدّثر: ٣٨.

(٣) سورة الإسراء: ٧.

(٤) سورة المطففين: ١٨ ـ ٢٤.

(٥) سورة المطففين: ٧ ـ ١٠.

سريرتها؟ فهل أراد لهم التزكية...؟ فلا يزكّي الأنفس إلّا الله، أم أراد لهم ترقيع وجوههم ونفوسهم الخبيثة...؟ وانّى له ذلك وقد اتسع الخرق على الراقع!!

إنّ هذا البعض يتحرك نحو جانبين؛ فهو من جانب يحاول جاهداً أن يشوّه صورة الأخيار الأبرار، وهذا محالٌ، لأنّه ينفخ في رماد.

ومن جانب آخر يحاول أن يصلح الخروق التي عليها المجرمون ـ لغايةٍ في نفسه ـ ولكن هذه هي المحاولة الفاشلة الأخرى، فلن يستطيع أن يغيّر من صور المجرمين والمكذّبين بالدين شيئاً أبداً.

إنّه يسعى بكلّ ما لديه من قدرة أن يلبس أولئك الطغاة أقنعة مصطنعة، أو يكسوها بريقاً من الرتوش الزائفة، كي يظهرها بشكل جديد، عليها سمات من الصلاح، وإن كان ليس لها ـ في الواقع ـ أيّ شيء من ذلك الخير أو من ذلك الصلاح.

حديثنا في هذا الكتاب ـ عزيزي القاريء ـ عن شخصيّة عظيمة قد عرفها التاريخ، بل عرفتها الشعوب والأمم والمذاهب على إختلاف مشاربها وعقائدها، إنّها شخصيّة متميّزة في تاريخ الأنبياء والرسالات السماوية، هي شخصيّة متمثّلة برجل التضيحة والفداء، أنّه وارث الأنبياء ووصيّهم، الذي حمل الأمانة بإخلاص حتى سلّمها إلى خاتم الأنبياء محمّد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتمّ التحيّات.

حديثنا عن كبير الصحابة والمدافع عن الرسول ﷺ، والكفيل الأوحد طيلة نصف قرن، والناصر الأوّل في وقت انعدم فيه الناصر، والمحامي المخلص بلا منازع مع خذلان العشيرة والأقربين، أنّه أبو طالب بن عبد المطلب عليهما السلام، الهاشمي القرشي، وصيّ الأنبياء، ولا عجب أن يكون كذلك، فالسيرة والتاريخ خير شاهد له ولأبيه؛

لقد ورد في الحديث بسند صحيح أنّ عبد المطلب كان حجّة، وأبو طالب كان وصيّه.

وفي حديث الإمام الكاظم عليه السلام لداود الرقّي، قال له: يا داود إنّ جدّنا أبا طالب كان قبل البعثة ينتظر رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله وأيّام نبوّته، حتى إذا تحقّق له ذلك آمن به وأقرّ بكلّ ما جاء به من ربّه، كما دفع إليه وصايا الأنبياء السالفين من آبائه؛ الوصايا التي انتقلت إليه بطريق الوراثة،... الخ.

وسُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن آخر أوصياء عيسىٰ فقال: أبي، فغيّره الناس فقالوا أُبيّ.

عزيزي القاريء: الكتاب الذي بين يديك هو بيان لجملة من الحقائق، حاول العديد من ذوي الإحن والأحقاد أن يطمسوها، ولكن ضوء الشمس ساطعة مهما بالغ المعاندون في طمس نورها الوهّاج....

فأبو طالب عليه السلام في دراستنا هذه: هو الوصي للأنبياء ووارثهم....

وهو علىٰ دين الحنيفية، دين عبد المطلب والأشياخ من آبائه وأجداده.

وهو الموحّد المؤمن الذي لا غبار على إيمانه فهو كمؤمن آل فرعون.

وهو رعىٰ شؤون إبن أخيه محمّد صلى الله عليه وآله منذ سنيّه الأولى فكان له كهفاً حصيناً، ومأوىٰ آمناً، وكفيلاً صالحاً طيلة أربعة عقود من حياة محمّد صلى الله عليه وآله.

وهو المحامي للرسالة، والناصر للرسول صلى الله عليه وآله، والمدافع والمضحّي بكلّ ما لديه لأجل هذا الدين الحنيف منذ بزوغ فجر الرسالة المحمديّة إلى أن لبّىٰ نداء ربّه في السنة العاشرة من عمر البعثة النبويّة.

فهذه خمسون سنة من حياة أبي طالب عليه السلام كلّها رعاية للنبيّ صلى الله عليه وآله، وفيها من الحراسة، والكفالة، والإيثار، والسهر، والجهاد المتواصل، والفداء، والتضحيّة.

ما يعجز القلم عن وصفه، ويكلّ اللسان عن ذكر مآثره....

نصف قرن كلّها صفحات مشرقة، فهو الشخص الوحيد الذي لعب دوراً مهمّاً في نصرة النبيّ محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وصدق إبن أبي الحديد المعتزلي حينما قال:

فلولا أبو طالب وإبنهُ لما مثّل الدين شخصاً فقاما

فـــذاك بـمكة آوى وحـامى ‌‌‌ وهــذا بـيثرب جسّ الحـماما
تكــفّل عــبد مـناف بأمـرٍ ‌‌‌ وأودىٰ فكــان عــلي تـماما
ومـا ضـرّ مـجدَ أبـي طـالب ‌‌‌ جـهول لغـا أو بـصير تـعامى

إذاً من الإنصاف والمروءة أن يشهد جميع المسلمين بفضل أبي طالب عليه السلام وأنّ إحترامه تعظيماً للرسول صلى الله عليه وآله، فالجميع مدينون له.

أجل، فهو الذي اتخذ قراراً حاسماً لنصرة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، وهو الذي أمـره بإعلان دعوته للناس حيث قال له: «أخرج إبن أبي فإنّك الرفيع كـعباً، والمـنيع حزباً...».

وهو الذي نصره على نشر هذا الدين الحنيف وتعاليم السماء يوم لم يكن له ناصر ولا معين، وهو الذي كلّف نفسه أقصى ما يتصوّر في الدفاع عنه صلى الله عليه وآله، ولا أدلّل على ما أقول بأكثر من إلقاء نظرة فأحصة في أي مصدر ترتضيه ـ عزيزي القاريء ـ من مصادر سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله، حتى يتبيّن لك ضوء الصبح أبلجاً وضّاءً.

فأبو طالب عليه السلام هو الشخص الأوّل في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله الذي ساهم في إرساء قواعد هذا الدين الحنيف....

وهو الشخص الأوّل الذي حامىٰ ودافع عن حريم الرسالة وقداسة النبيّ صلى الله عليه وآله.

وهو الشخص الأوّل الذي تحمّل عبء هذا الدفاع....

وهو الشخص الأوّل الذي آثر النبيّ صلى الله عليه وآله على نفسه وولده وأهل بيته عليهم السلام.

وهو الشخص الأوّل الذي وقف بوجه الشرك وزعماء الكفر من قريش والعرب كافة.

فحريّ بكلّ مـؤرّخ وكـاتب، وكـلّ غـيور عـلى الإسـلام أن يـمجّد أفـعال أبي طالب عليه السلام، وأن يعترف له بالفضل، ويكنّ له الإحترام والتقدير، وأن يجعله في مصاف العظماء والإبطال المجاهدين، والزعماء السياسيين، فهو الأنموذج الامثل للقدوة الصالحة المؤمنة بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله.

نعم، علىٰ تلك الزمرة من الكتاب والمؤرّخين ودعاة الفتنة والتفرقة الذين حملوا قلم السبّ والشتم ليسوّدوا صحائف أعمالهم ومقالاتهم، لا لشيء إلّا من أجل عرض هذه الدنيا ونعيمها الزائل، والعجيب أنّ بعضهم لم يصب من هذه الدنيا حتى هذا القليل، وإنّما كانوا ينعقون مع كلّ ناعق، ويقتفون أثر كلّ عنيد وناصب، فهم بذلك قد اشتروا رضى المخلوق بسخط الخالق، علىٰ أولئك أن يعودوا إلى رشدهم ويستغفروا ربّهم....

إنّ هذه الشرذمة من أصحاب الأقلام المسمومة تعمّدت أن تسيء لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من خلال التشكيك بإيمان أبي طالب عليه السلام، وما عملهم ذاك إلّا حقداً وبغضاً لفارس الإسلام وسيف الله المسلول ـ على رؤوس المشركين وزعماء الكفر من قريش وسائر العرب ـ أنّه حقد حملوه من أيّام بدر، وأحد، وحنين، وخيبر وغيرها من الأيّام التي كانت الغلبة فيها للمسلمين....

فلمّا لم يكن عندهم طريق في ذمّ أمير المؤمنين عليه السلام توجّهوا في الطعن والتشكيك نحو والده عليه السلام.

أقول: إنّ قضية التشكيك في إسلام أبي طالب عليه السلام لم تكن مطروحة حتى زمن تمرّد معاوية على عليّ عليه السلام.

وإلّا لإهتبل معاوية فرصتها، وكاد لعليّ عليه السلام مقابل الصاع صاعين، ولا أدلّ على ذلك بأكثر من قضية عقيل لمّا قدم الشام فقد صادف دخوله على معاوية في زمن خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فأراد معاوية أن يقلّل من شأن عقيل إسلامياً بما ينسحب أثره تبعاً إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال له: أين عمّك أبو لهب يا عقيل؟

فكان جوابه ـ على الفور ـ: «يا معاوية إذا دخلت النار فمِل عن يسارك قليلاً، تجده مفترشاً عمّتك أم جميل...».

فما الذي كان يحوج معاوية إلى أن يعدل في هذا الإحراج إلى أبي لهب، فيحيق به

مكره كما حدث له، ويترك أبا طالب عليه السلام؟

لو أنّ هناك أدنى شك في إسلامه لنبزه، حيث أنّ الفرصة كانت مواتية أن يشمت بعقيل من خلال أبيه (أبو طالب عليه السلام) ومن ذلك يشهّر بخصمه الّلدود عليّ عليه السلام دون أن يدع لعقيل فرصة الردّ عليه.

أفلا يدلّ هذا وحده دلالة قطعية على أن كلّ ما روي في شأن عدم إسلام أبي طالب عليه السلام إنّما هو من وضع خصوم عليّ عليه السلام، كمروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة و...؟!

ثمّ أنّك تجد هذا التشكيك له مبلّغون، وله دعاة، وله مروّجون محترفون...، والعجيب أنّ العديد من علماء الجمهور في البلدان الإسلامية ـ في ماليزيا وشرق آسيا ـ يجنّدون أنفسهم في هذا التبليغ في كلّ مناسبة وبالخصوص في شهر رجب من كلّ سنة، فيقومون بحملة منظّمة في مساجدهم؛ في خطب الجمعة وفي غيرها، ومن مرقاة المنابر يهتفون بكفر أبي طالب عليه السلام؛ يهتفون بكلّ حماس، وكأنّما الإسلام بُعث من جديد، وأنّ عليّاً عليه السلام سوف يقفز إلى سدّة الخلافة، لذا فهم يحذّرون العالم من اتباع عليّ عليه السلام والذي يطلقون عليه بالغزو الشيعي على حدّ تعبيرهم....

أقول: ما هو السرّ في هذا اللغط من أولئك المرتزقة، من علماء السوء الذين ما انفكّوا عن صرخاتهم حتى بُحّت لديهم الأصوات، فكلٌّ يرفع عقيرته ليسبّ عليّاً من جديد، ولكن من ستار كمن من ورائه، أنّه اتخذ من أبي طالب عليه السلام هدفاً ومرميً لينفذ بسهامه نحو طائفة كبيرة من المسلمين تربو على مئات الملايين...؟!

حتى أنّ بعضهم لم يتورّع من أن ينسب بعض الروايات المكذوبة إلى عليّ عليه السلام، وأخرى إلى إبن عباس في شأن أبي طالب عليه السلام والإساءة إليه حتى أُثير حوله الكلام والجدل الكثير، في الوقت لم نر مثل هذا الجدل أثير حول إسلام كثير من المنافقين، الذين كشفهم الله تعالى فقال مخاطباً لنبيّه: **﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ**

مَرَّتَيْنِ...﴾.(١)

وقوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً﴾.(٢)

فحريّ بهذا البعض من الباحثين أن يفصحوا عن أسماء أولئك المنافقين الذين مردوا على النفاق... وقد نزلت فيهم عشرات الآيات، بل سورة كاملة نزلت فيهم ـ المنافقون ـ فما بالهم لن يتفوّهوا ولو بكلمة أمام نفاق أبي سفيان، ومعاوية، وعمرو بن العاص واضرابهم الذين ما رسوا شتّى الوسائل والطرق للقضاء على الإسلام وصاحب الرسالة الغرّاء؟! إلّا أنّ مساعيهم قد خابت لمّا أظهر الله دينه على الدين كلّه، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده!

نعم، حريّ بهم أن يتناولوا رموز النفاق والشرك، ويكشفوا تلك الأقنعة الزائفة التي تستّروا بها قروناً من الزمان....

ثمّ ما تشكيكهم في إيمان أبي طالب عليه السلام إلّا خدمة لأسيادهم اليهود والمشركين في العالم....

فكما أنّ عليّاً عليه السلام وتر صناديد العرب وقتل ذؤبانهم، وجندل زعماءهم الوثنيين، فهو كذلك أباد المشركين من اليهود والنصارى وأذلّهم، فكان جهاده عليه السلام سبباً في خلق الضغائن والأحقاد في نفوس القوم، إلى أن أصبحت تلك الأحقاد تتوارثها الأبناء عن الآباء، جيلاً بعد جيل.

وهاؤم اليوم يطفح ذلك الحقد على ألسنة بعضهم، هنا وهناك، ومن منبر الجمعة والجماعة تسمع هتافاتهم وسمومهم....

ولمّا كانت وفاة أبي طالب عليه السلام في شهر رجب، فقد اتخذ القوم من هذا الشهر من كلّ عام الوقت المناسب لإثارة الفتن، والطعن والتشكيك في إيمان هذا العمّ المخلص

---

(١) سورة التوبة: ١٠١.

(٢) سورة الأحزاب: ٦٠.

لله ولرسوله ﷺ ....

لذا جاءت هذه الدراسة الموضوعية لتكشف النقاب عن شخصيّة فذّة من تاريخ صدر الإسلام، اقترنت بها جملة من الحقائق، وهي مشفوعة بأدلّة من الكتاب ـ القرآن ـ والسنّة والإجماع والعقل.

وما دراستنا هذه إلّا خطوة متواضعة لانارة طريق الحقّ أمام الباحثين، ولكشف الزيغ والباطل لمن يطلب الحقيقة، كي يحيى من حي عن بيّنة، ويهلك من هلك عن بيّنة، وما توفيقي إلّا بالله، فهو حسبي، عليه توكّلت وإليه أنيب، والحمد لله أوّلاً وآخراً.

المؤلف

عبد الرسول الغفاري

الفصل الأوّل

أديان العرب والصراع بين الأُسر

* أديان العرب قبل الإسلام
* بين هاشم وعبد شمس
* نسب وصراع
* جذور العداوة
* صراع بني أمية وهاشم
* تكتّل قريش ضد عبد المطلب عليه السلام
* نور محمّد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام

-١-

أديان العرب قبل الإسلام

كان العرب قبل ظهور الإسلام من زمن عدنان وقحطان يتعبّدون بشريعة إبراهيم الخليل عليه السلام، ومن بعده إسماعيل، فكان المعتقد السائد بينهم توحيد الله سبحانه، فهو أحدٌ، فردٌ، لا شريك له ولا وزير، ولا معين ولا ظهير، موصوف بصفات الكمال، من الحياة والقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر، وغيرها من الصفات التي جاءت على لسان رسله.

ثمّ أولئك كانوا على قدر من العلم والإيمان، فهم يؤمنون بالله ربّاً واحداً، وبالأنبياء، و الكتب، وبعدل الله، وبالمعاد، وهم يؤمنون بالقبر وعالم البرزخ، وأنّهم يوم القيامة سيحشرون، وأمام ربّ العزة سيسألون.

أمّا نظرتهم إلى الدنيا كمن لاكها فلفظها، فقد اذعنوا فيها لأوامر الله، وإنتظموا في سلوكهم، واخلصوا في عبادتهم من أصول وفروع وأحكام، فكانوا يصلّون ويصومون، ويحجّون، ويَصِلُون الأرحام... إلى غير ذلك من الأحكام وأصول التربية والأخلاق... فلمّا طال بهم الأمد وبعدوا عن زمن النبوة كثر فيهم الجهل، وقلّت معرفتهم بما جاءت به شريعتهم من الهدى، ونظراً لهذا الأمد الطويل برزت عقائد وآراء فاسدة، وراجت بينهم المذاهب المنحرفة، حتى افترقت كلمتهم وسقمت أفكارهم، فكانوا فريسة للأهواء والملذّات، إلى أن قادهم الإنحراف إلى الوثنية، وعبادة الأصنام التي جلبها عمرو بن لحي الخزاعي من الشام، ولكن لم تزل بقايا الحنيفية من دين إبراهيم وإسماعيل باقية بين بعض العرب، وبالخصوص في بيت الرفعة والقداسة، بيت هاشم وأبنائه الموحّدين، أنّهم كانوا على أصل فطرتهم،

فلم يغيّروا ولم يبدّلوا ما كان عليه الأباء والأجداد، من الإيمان بالله سبحانه، ومن تعظيم البيت، والطواف والحج والعمرة، والوقوف على عرفة، والهَدْي.

ثمّ هؤلاء الموحّدون، منهم من إلتزم بتلك المناسك، ومنهم من إتّبع شريعة موسى عليه السلام، وآخرون إتّبعوا شريعة عيسى بن مريم عليهما السلام، إلّا أنّ هاتين الشريعتين لم يكن أتباعها ممّا يشار إليهم من حيث الكم والكيف، بل سكنوا بعض مناطق الحجاز كاليهود في حمير وفي يثرب، والنصارىٰ في مناطق متفرّقة وفي عشائر كربيعة وغسّان وبعض قضاعة، بينما تجد غالبية العرب وقريش إنحرفت عن أصل التوحيد وارتمت في أحضان الشرك، ونصبت لها الأوثان والأصنام، وراحت تروّج لها الأخبار وتقدّم لها القرابين.

ثمّ هؤلاء لجهلهم انكروا الرسل والكتب والملائكة والوحي، وهزؤا من البعث والنشور والحساب والجزاء والجنة والنار، وهؤلاء هم الذين عبدوا الأصنام، وحجّوا إليها، ونحروا لها الهدايا، وقرّبوا القرابين إليها. على أنّ هؤلاء لو كشفت عن فطرتهم الأولى لكانوا ممّن اعتقدوا بوجود الله، ولكن زيّن لهم الشيطان فاتّبعوه، فنبذوا عبادة الله وتوجّهوا إلى عبادة الأصنام والأوثان، وجعلوها واسطة بينهم وبين خالقهم، وبعضهم اتخذ من الأصنام على هيئة الملائكة ـ حسب تصوّراتهم الخاطئة ـ وسائط لتقرّبهم إلى الله زلفى، وفرقة اعتقدت أنّ على كلّ صنم شيطاناً موكّلاً بأمر الله، فمن عبد الصنم قضى الشيطان حوائجه، ومن لم يعبد الصنم أصابه الشيطان بنكبة قاسية...، والعجيب أنّي في زيارتي الأولى إلى (ماليزيا) ذهبت أتجوّل في معابد الوثنية وأحاور أصحابها ومن يسرح في اخبيتها، وإذا بهم يعتقدون بكلّ جدية أنّهم يعبدون هذه الأصنام والتماثيل خوفاً منها، لكونها سوف تضرّهم إذا قصّروا في عبادتهم لها، بل كان أحدهم يخاف من تلك الأصنام حتى في فترة النوم، ناهيك عن زمن اليقظة، هذه المعابد التي رأيتها كانت قد جُلبت من الصين ـ مركز الوثنيّة ـ ولا يستبعد أنّ وثنية الشام كانت من تلك البلدان ـ أي من الصين ـ

وقد جلبت إليها في غابر الأزمان، ثمّ نقلها عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي ـ وهو أبو خزاعة ـ إلى الحجاز.

ولكي تستطلع أكثر على عبادة الأصنام، عليك بمراجعة كتاب (الأصنام) لابن الكلبي، فيه من التفصيل ما يغنيك، وكتاب (إغاثة اللهفان) لابن قيم الجوزية الجزء الثاني ص ١٥٢ طبعة المكتبة الثقافية بيروت ١٩٨٧م، وإلى جانب هذه الوثنية هناك عقائد منحرفة أخرى كانت في صفوف العرب، فمنهم كانوا عبّاداً للشمس، ومنهم اتخذ القمر معبوداً له، ومنهم من اعتقد بالنجوم والكواكب، ومنهم من ادّعى الصانع إثنين هما النور والظلمة، فالأوّل فاعل الخير والثاني الشرّ، ومنهم من عبد الجنّ، وآخرون عبدوا النار، وفريق عبد الملائكة، وفريق قال بالدهر وهم الزنادقة الملحدون....

من هذا العرض السريع لعقائد العرب الجاهليين تبيّن أنّ أبرز العبادات آنذاك كانت الوثنية، وقد اختصّت قريش والعرب جمعاء بها، إلّا بيوت من بني هاشم والمطلب، وهذه البيوت أصحابها هم الموحّدون، المؤمنون بالله، وهم الذين بقوا على ديانة إبراهيم وهي الحنيفية، ثمّ لا يخفى أنّ هناك فريقاً من العرب كانوا على (الفترة) وهم المؤمنون بالله سبحانه الموحّدون....

ـ٢ـ
ماذا تعني الفترة؟

ذكر القسطلاني تعريفها وبيانها فقال: هم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأوّل ولا أدركوا الثاني.. كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى ولا لحقوا النبي ﷺ ... ثمّ قال: والفترة بهذا التفسير تشمل ما بين كلّ رسولين كالفترة بين نوح وهود، لكنّ الفقهاء إذا تكلّموا في الفترة فإنّهم يعنون التي بين عيسى ونبيّنا عليهما الصلاة والسلام....

وقد ذكر القسطلاني تفصيلاً ليس هذا محلّه.[(١)]

وذكر البخاري عن سلمان أنّها ـ الفترة ـ كانت ستمائة سنة، ولمّا دلّت القواطع على أنّه لا تعذيب حتى تقوم الحجّة، علمنا أنّهم غير معذّبين....[(٢)]

ـ٣ـ
بين هاشم وعبد شمس

كان جدّ النبيّ ـ الأعلى ـ عبد مناف له من بين أولاده الذكور هاشم وعبد شمس، قيل عنهما توأمان، وإنّ أحدهما ولد قبل الاخر وأصبع له ملتصقة بجبهة صاحبه فنحّيت، فسال الدم....[(٣)]

وكان هاشم أكبر ولد عبد مناف، وإنّما قيل له هاشم لأنّه أوّل من هشم الثريد لقومه بمكّة وأطعمه ولعبد مناف نوفل، والمطلب؛ وهو أصغرهم، ولّي هاشم بعد أبيه عبد مناف ما كان إليه من السقاية والرفادة، فحسده أميّة بن ـ بالتبنّي ـ عبد شمس على رياسته وإطعامه، فتكلّف أن يصنع صنيع هاشم، فعجز عنه، فشمت به ناس من قريش، فغضب ونال من هاشم ودعاه إلى المنافرة ـ أي إلى التحكيم ـ فكره هاشم لسنّه وقدره، فلم تدعه قريش حتى نافره على خمسين ناقة والجلاء عن مكة عشر سنين، فكانت الغلبة لهاشم، فأخذ الابل ونحرها وأطعمها، ونفي أميّة من مكة إلى الشام، فمكث هناك عشر سنين.

فكانت هذه أوّل عداوة وقعت بين هاشم وأميّة اللقيط.

ثمّ مات هاشم وكان له من العمر عشرون سنة وقيل خمس وعشرون سنة.

---

(١) المواهب اللدنية، الخطيب القسطلاني: ١/ ٣٥، دارالكتب العلمية، بيروت ١٣٢٦هـ، والأصل المطبعة الشريفة في مصر.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الكامل في التاريخ: ١/ ٤٥٧، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت ١٩٨٩م.

وكانت السقاية والرفادة بعد هاشم إلى أخيه المطلب. جاء وصف هاشم عند الآلوسي فقال: كان يحمل إبن السبيل، ويؤدّي الحقوق، وكان نور رسول الله ﷺ يتلألأ في وجهه لا يراه أحد إلّا قبّل يده، ولا يمرّ بشيء إلّا سجد له، وكان يضرب بجوده المثل، وهو أوّل من سنّ الرحلتين لقريش؛ رحلة الشتاء ورحلة الصيف. وأراد أميّة الذي تبنّاه عبد الشمس أن يتشبّه بهاشم في صنيعه فعجز عنه فشمت به ناس كثير من قريش....

وهاشم هو الذي جلب الدقيق من فلسطين وقدم به إلى مكة، ونحر الجزر وجعلها ثريداً، عمّ به أهل مكة حتى استقلوا وفيه قال الشاعر:

يا أيّها الرجل المحول رحله ... هلّا نزلت بآل عبد مناف
الآخذون العهد من آفاقها ... الراحلون لرحلة الإيلاف

إلى آخر الأبيات.(١)

-٤-

مآثر هاشم وأبنائه

وفي وصف عبد المطلب قال الآلوسي: كان يتلألأ من وجهه النور، وتلوح في أساريره علامات الخير، وكان يأمر ولده بترك البغي والظلم، ويحثّهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن سفاسف الأمور، وكان يقول في وصاياه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة.

ثمّ قال: «والله إنّ وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن بإحسانه، ويعاقب فيها المسيء بإساءته ...»، وكان مجاب الدعوة، وقد حرّم الخمر على نفسه، وهو أوّل من تعبّد بحراء، وكان إذا رأى هلال رمضان صعد إلى حراء يطعم المساكين ويرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال، وكان يفوح منه رائحة المسك الأذفر،

---

(١) بلوغ الأدب: ٢ / ٢٨٤، وفي تاريخ الطبري: ٢ / ١٨٠، تجد تفصيلاً لهذه المآثر التي قدّمها هاشم.

وكانت قريش إذا أصابها قحط يستسقون به فيسقيهم الله تعالى غيثاً عظيماً. وانتقلت السقاية والرفادة والرئاسة إلى عبد المطلب، وأخذ عهداً من ملوك الشام واقبال حمير باليمن، وصارت رحلته إليها، وحفر عبد المطلب حين قوي واشتد بئر زمزم، وأخرج منها ما كان ألقاه فيها عامر بن الحرث الجرهمي من غزالي الكعبة وحجر الركن، فضرب الغزالين صفائح ذهب على باب الكعبة، ووضع الحجر في الركن، وصار عبد المطلب سيّداً عظيم القدر، مطاع الأمر، نجيب النسل.(١)

قال الغفاري: لو أردنا متابعة سيرة قصي وعبد مناف وهاشم وعبد المطلب لطال بنا المقام، ولكن استطيع أن أوجز الكلام فيهم:

أمّا قصي فكان عالم قريش وأقدمها للحقّ، وكان يجمع قومه يوم العروبة ويذكّرهم ويأمرهم بتعظيم الحرم، ويخبرهم بأنّه سيبعث فيه نبيّ، وكان ينهى عن عبادة الأصنام، وخلصت الرئاسة في مكة لقصي بعد أن أجلى خزاعة عنها.

وأمّا عبد مناف فقد كان موحّداً مؤمناً بالله، وقد أوصى قريشاً بتقوى الله وصلة الرحم، وكان يبغض الأصنام، وكان يلوح عليه نور النبيّ صلى الله عليه وآله.(٢)

وأمّا هاشم فقد عرفت وصفه قبل قليل، وكما ذكره الآلوسي.

وأمّا عبد المطلب، فكما تقدّم لك من سيرته؛ أنّه سنّ رحلتي الشتاء والصيف تبعاً لآبائه الكرام. وهو الذي طاف بالبلدان لتأمين القوافل التجارية التابعة لقريش. وهو الذي دعا فاستجاب ربّ العزّة دعوته في شأن مجاعة مكة، وإليه عنى القرآن الكريم: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.(٣)

وهو الذي عرف بين عشيرته في سلطانه وإيمانه، فكانت له الرؤيا الصادقة، بل

---

(١) بلوغ الأدب: ٢ / ٢٨٣.

(٢) بلوغ الأدب: ٢ / ٢٨٤، وفي السيرة النبوية لزيني دحلان بهامش السيرة النبوية للحلبي: أنّه وجد مكتوباً في بعض الأحجار أوصي قريشاً بتقوى الله جلّ جلاله وصلة الرحم: ج ١ / ١٧.

(٣) سورة قريش: ٤.

وكان يلهم الأمور؛ من ذلك ما ألهم في رؤياه في حفر بئر زمزم.[١]

وهو الذي كان يطعم الحجيج، وهو ساقي الحرم والحجّاج والمعتمرين، وهو الذي كانت له نبوءة في انهزام أبرهة الحبشي، ومن عظم قدره جرى له نبع الماء في الصحراء، ثمّ لا يخفى عليك في شأن إبنه لما نذر نذراً إن رزقه الله عشراً من الذكور ليذبحنّ أحدهم، وقد أصابت القرعة (عبد الله)، وهو العاشر من ولده، ولمّا تـهيّأ لذبح عبد الله (والد النبيّ ﷺ) أبت عليه عشيرته، وكان في مقدّمتها أبو طالب، لأنّه أخوه من أمّه وأبيه، فما كان من عبد المطلب إلّا أن يذعن للقوم، فاستعمل القرعة بين عبد الله وبين إبل وصل عددها مائة، فكان القداح عـلى الإبـل دون عبد الله، هكذا سلم والد النبيّ من الذبح، وله في جدّه إسماعيل تأسّياً به....

أقول: ومفاخر عبد المطلب كثيرة، قد عرفها القريب والبعيد، لا يسعني في هذا الكتاب ـ خوف الإطالة ـ أن اسرد كلّ مناقبه وسيرته، ولكن سوف اقتصر على السنن التي سنّها للناس فمنها:

* جعل الطواف حول الكعبة سبعاً.
* أوجب الوفاء بالنذر.
* عظّم الأشهر الحُرُم ومنع القتال فيها.
* حرّم الخمر وجعل على شاربه الحدّ.
* حرّم الزنا وأوجب العقوبة عليه.
* نفى البغايا ذوات الرايات إلى خارج مكة.
* حرّم نكاح المحارم.
* أوجب قطع يد السارق.

---

(١) وكان عبد المطلب موحّداً فهو على دين إبراهيم، والبعض قال: على الحنيفية، وبعضهم قال: إنّه من أهل الفترة. السيرة الحلبية: ٢ / ٥١، طبعة دار المعرفة، بيروت، والسيرة النبوية لأحمد زيني دحلان: ١ / ٦٤، على هامش الحلبية.

* شدّد على القتل وجعل ديته مائة من الإبل.

وألهم أموراً أخرى وكلّها قد اقرّها الإسلام.

وهذا يدّل على أنّه كان مؤمناً موحّداً مُلهماً من الله، كما أنّ إجراء تلك الأمور بين الناس تدلّ على أنّ له مقاماً عظيماً ونفوذاً وهيبة لا يتجاوزها أحد من العرب.

عن الإمام الرضا عليه السلام في حديث... قال: كان لعبد المطلب خمس سنن أجراها الله له في الإسلام:

١ ـ حرّم نساء الآباء على الأبناء.

٢ ـ سنّ الدية في القتل مائة من الإبل.

٣ ـ طاف بالبيت سبعة أشواط.

٤ ـ وجد كنزاً فاخرج منه الخمس.

٥ ـ سمّى زمزم حين حفرها سقاية الحاج.[١]

ومن السنن الأخرى:

* أنّه سنّ القرعة لكلّ أمر مشكل.

* وأمر أن تؤتى البيوت من أبوابها.

* وسنّ المباهلة، وجاءت بها سنّة الرسول، وفيها قرآن نزل.

* وكان يعلّم أولاده وأهله مكارم الأخلاق، والتحذير من مغبّة الظلم وسوء منقلبه، والنهي عن دنيّات الأمور.

* وأنّه كان يؤمن بالبعث والنشور.

* وسنّ الخضاب بالسواد خلافاً لليهود حين كان خضابهم بالأحمر والأصفر.

* ولتأمين طريق قوافل قريش التجارية عقد العهود والإتفاقيّات مع القبائل التي تمر القوافل في مناطقها، كما عقد إتفاق مع ملك اليمن.

* تزعّم حلف المطيّبين لردّ المظالم ونصرة الضعيف.

---

(١) الخصال للصدوق، باب الخمسة: ص ٣١٣، مكتبة الصدوق، طهران ١٣٨٩.

* مواصلته للإيلاف، وهي رحلتي الشتاء والصيف إلى الشام وفلسطين ومصر واليمن.(١)

ـ ٥ ـ

أبوطالب وارث العزّ والمنعة

عرفت قبل قليل أنّ زعامة قريش كانت بيد عبد المطلب، وقد ساد جميع العرب طيلة حياته، ثمّ انتقلت السيادة والعظمة والسؤدد من عبد المطلب إلى أبي طالب، فهو الوارث لجميع خصال الخير والعزّ والإباء والسؤدد، إنّه ورثها من أبيه عن جدّه عن آبائه الكرام، وأنّ السنن التي سنّها أبوه قد أجراها وأكّدها هو من بعده، وأضاف إليها سنناً أخر؛ أنّه أمر بإيفاء النذر، وأداء الحقّ، وأجارة الخائف، ونصرة المظلوم، كما حرّم الخمر والكبائر، ونهى عن وأد البنات، ومنع أن يطوف بالبيت عريان، وسنّ القسامة و....

أقول: بعض هذه السنن قد سبق إليها عبد المطلب وبعضها الأخر قد سنّها ولده أبو طالب، وقد سادا العرب بسننهما تلك، غير أنّ تلك السيادة كانت سبباً في ظهور مَنْ يطلب الزعامة من بعدهما، بل شغب عليهما بعض قريش إنطلاقاً من البغضاء والحسد.

فإذا عرفت الذي تقدّم، فهل يبقى عندك ريب فيما دار بين أميّة وبني هاشم من صراع ومنافسة وعداوة أودت بحياة المئات بل الالوف من بني هاشم؟! ألا تكون هذه السيرة النقيّة موضع حسد الآخرين، وعلى رأسهم اللقيط أميّة عبد ـ كان ـ لعبد شمس، غير أنّ آل حرب نسبوه إلى عبد شمس، وهكذا عجلة الأدعياء مستمرة إلى زماننا هذا، فلا تجد مبغض لآل البيت إلّا وهو أحد ثمار العهر

---

(١) وللمزيد من الإطلاع ينظر: السيرة الحلبية: ١ / ٤، ط مصر، وتاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٠، وبلوغ الأدب للألوسي: ١ / ٣٢٣، ط ٢.

والسفاح؟!

إنّ عبد المطلب ساد العرب ناهيك عن قريش، فحسده أولاد أميّة، وتربّصوا به و بأبنائه الدوائر، حتى نشبت بينهم العداوة والبغضاء، وقد عرفت ـ من قبل ـ حسد أميّة لهاشم على إطعامه، فكان ذلك الحسد هو أوّل عداوة وقعت بين هاشم وأميّة.

ـ٦ـ
نسب وصراع

لقد احتفظ لنا التاريخ بحقائق ناصعة لا يمكن ردّها أو النقاش فيها، من ذلك حقيقة نسب أميّة، حيث أطبق الجميع على التشكيك في نسبه، وصرّح عدّة من المؤرّخين أنّ (أميّة) كان عبداً ثمّ تبنّاه عبد شمس، وعلى هذا فهو ليس من أسرة عبد مناف، وبمثل ذلك تحدّثوا عن (ذكوان) وهو عبد كان لأميّة، وبمثل ذكوان كان (زياد) فادّعاه معاوية أخاً له.

إذاً أسرة أميّة لا تأبى التبنيّ، سواء كان المتبنّى من زنى أو من عهر وسفاح أو أنّه لقيط، وديدن بني أميّة ما قبل الإسلام هكذا، وما بعده إمتداداً لما سبق في عهودهم الجاهلية.

ذكر إبن أبي الحديد في شرحه، عن الأغاني: أنّ معاوية قال لدغفل ـ بن حنظلة ـ النسّابة: أ رأيت عبد المطلب؟

قال: نعم. قال كيف رأيته؟ قال: رأيته رجلاً نبيلاً جميلاً وضيئاً كان على وجهه نور النبوة.

قال معاوية: أ فرأيت أميّة؟

قال: نعم. قال: كيف رأيته؟ قال: رأيته رجلاً ضئيلاً منحنياً أعمى يقوده عبده ذكوان.

فقال معاوية: ذلك إبنه أبو عمرو.

قال دغفل: أنتم تقولون ذلك أمّا قريش فلم تكن تعرف إلّا أنّه عبده.[(١)]

ويذكر لنا إبن أبي الحديد حدثاً أخر في شأن نسب أميّة، قال أرسل عثمان بن عفان في زمن دولته على رجل من أهالي حضرموت ليقصّ عليه أخبار الملوك فجاءه وتحدّث عنهم ووصفهم ثمّ وصف أميّة كما وصفه دغفل لمعاوية....[(٢)]

قال عماد الدين الحسن بن علي بن محمّد الطبري في كتابه كامل السقيفة المشتهر بالكامل البهائي: إنّ بني أميّة ليسوا بصحيحي النسب إلى عبد مناف.[(٣)]

ونقل المجلسي عن كتاب إلزام النواصب: أميّة لم يكن من صلب عبد الشمس وإنّما هو من الروم فاستلحقه عبد الشمس فنسب إليه، فبنوا أميّة ليسوا من صميم قريش، وإنّما هم يلحقون بهم، ويصدق ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام إنّ بني أميّة لصاق وليسوا صحيحي النسب إلى عبد مناف، ولم يستطع معاوية إنكار ذلك.[(٤)]

وفي كنز جامع الفوائد للكراجكي عن إبن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بعثني الله نبيّاً فأتيت بني أميّة فقلت: يا بني أميّة إنّي رسول الله إليكم، قالوا: كذبت ما أنت برسول. ثمّ أتيت إلى بني هاشم فقلت: إنّي رسول الله إليكم، فآمن بي علي بن أبي طالب عليه السلام سرّاً وجهراً، وحماني أبو طالب جهراً وآمن بي سرّاً....[(٥)]

وقال ميرزا حبيب الخوئي الهاشمي نقلاً عن الكامل البهائي: إنّ أميّة كان غلاماً روميّاً لعبد الشمس فلمّا الفاه كيّساً فطناً أعتقه، وتبنّاه، فقيل أميّة بن عبد الشمس، وكان ذلك (دأب العرب في الجاهلية) وبمثل ذلك نسب العوّام أبو الزبير إلى خويلد،

---

(١) شرح النهج: ٥ / ٢٣١، تحقيق محمّد أبوالفضل، دار إحياء التراث العربي ط ٢، بيروت ١٩٦٧م. والأغاني لأبي الفرج: ١ / ١٢، طبعة دار إحياء التراث العربي.

(٢) شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد: ١٥ / ٢٣١.

(٣) الكامل البهائي، لعماد الدين الطبري، الفصل الأوّل من الباب الخامس والعشرين: ٢ / ١٦١، دار العلم، قم.

(٤) البحار للمجلسي: ٣١ / ٥٤٤ و٣٣ / ١٠٧.

(٥) سفينة البحار، عباس القمي: ١ / ١٧٥، دار الأسوة، قم ١٤١٤هـ.

فبنوا أميّة كافة ليسوا من قريش، وإنما لحقوا بهم....[١]

كما كانوا يقولون قبل نزول الآية زيد بن محمّد....[٢]

وفي البحار في قصّة زينب زوجة زيد بن حارثة قال: إنّ العرب كانت تدعوا الأدعياء أبناءها فأراد النبيّ صلى الله عليه وآله أن يبطل هذه السنّة الجاهلية، فلمّا طلّق زيد زوجته تزوّجها الرسول صلى الله عليه وآله.[٣]

نسب أبناء أميّة

أمّا نسب بني أميّة لأمّهم، قال أبو الفرج الإصبهاني: وكانت أمّ أبي معيط ـ اسمها ـ آمنة بنت أبان بن كليب... وفيها يقول نابغة بني جعدة:

وشاركنا قريشاً في تُقاها وفي أنسابها شرك العنان

بما ولدت نساء بني هلال وما ولدت نساء بني أبان

وكانت آمنة هذه تحت أميّة بن عبد شمس، فولدت له العاص، وأبا العاص، وأبا العيص، والعويص، وصفيّة، وتوبة، وأروى، بني أميّة، فلمّا مات أميّة تزوّجها بعده إبنه أبو عمرو، وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك، يتزوّج الرجل إمرأة أبيه بعده، فولدت له أبا معيط، فكان بنو أميّة من آمنة إخوة أبي معيط وعمومته رواه أبو الفرج عن الزبير بن بكار.[٤]

عليك أيها القاريء النبه أن تقرأ وتقارن فيما كتبه الطبري، وإبن الأثير، وإبن أبي الحديد، وغيرهم، ممّن تطرّق لنسب أميّة فسترى الحقائق والعجائب، حتى أنّك لتجزم بضرس قاطع أنّ أميّة ما هو إلّا عبد لمولاه عبد شمس، وبعض قال: أنّه لقيط

---

(١) سفينة البحار: ١ / ١٧٥.

(٢) منهاج البراعة لميرزا حبيب الله الخوئي: ١٨ / ٢٧٦، المكتبة الإسلامية، طهران.

(٣) البحار للمجلسي: ٢٢ / ١٨١، طبعة بيروت.

(٤) الأغاني، أبوالفرج الإصبهاني: ١ / ١٧، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

رومي، وخير ما نستند عليه في كونه ينأى في أصله عن عبد شمس قول أمير المؤمنين عليه السلام في أحد كتبه لمعاوية يقول فيه: «وليس المهاجر كالطليق ـأبو سفيان ـ ولا الصريح كاللصيق...» وعنى به أميّة إذ ألصق بعبد شمس.

هذا أمير المؤمنين عليه السلام صريح في كلامه، دقيق في عبارته، ولا عجب فهذا والده أبو طالب هو من قبل عرف تلك الحقيقة فأشار إليها:

تـــوالى عـــلينا مـــوليانا كـــلاهما
إذا ســـئلا قـــالا إلى غـــيرنا الأمـــر

بـــلى لهـــما أمـــر ولكـــن تـــراجـــما
كما ارتجمت من رأس ذي القـلع الصـخر

أخـــص خـــصوصاً عـــبد شـــمس ونـــوفلا
هـــما نـــبذانـــا مـــثل مـــانبذ الخـــمر

قـــديماً أبـــوهم كـــان عـــبداً لجـــدّنا
بـــني أمـــة شـــهلاء جـــاش بـــها البـــحر

أبيات أبي طالب التي ذكرناها تفصح لك عن عداء بني عبد شمس ونوفل لبني هاشم، وإنّهما وقفا بعنادهما بوجه الإسلام وصاحب الرسالة ومن ناصره في دعوته إلى الهدى، ثمّ لم يترك أبو طالب الموقف من دون أن يذكّر بني أميّة بما هم عليه من حسب لئيم، إذ كان أبوهم وجدّهم عبيداً لجدّه عبد مناف. وأمّا قوله: «بني أمة شهلاء جاش بها البحر»؛ أراد به أنّ أميّة هو غلام وعبد جلب من بلاد الروم، بني أمة شهلاء....

قـديماً أبـوهم كـان عـبداً لجـدّنا   بني أمـة شـهلاء جـاش بـها البـحر

لكي نفهم معنى البيت لا بدّ من توضيح بعض النكات اللغوية والإعرابية فيه.

قال أبو طالب قديماً أبوهم، أي أميّة، كان عبداً، ذلك أنّ أميّة كان غلاماً قدم به تجار الرقيق والعبيد من بلاد الروم إلى أرض الحجاز، وقد اشتهر عند العرب

الجاهليين شراء العبيد من مختلف الأقطار، فبعضهم كان يُجلب من بلاد الترك والديلم، والبعض الأخر من بلاد ماوراء النهر ـ بلاد السند والهند ـ وبعض كان يُجلب من أفريقيا، وبلاد الروم كانت إحدى تلك البلدان التي نشط فيها تجار الرقيق والذي يؤكّد هذا المعنى ذيل عجز البيت (جاش بها البحر) حيث كانت هذه التجارة تتخذ من السفن والبواخر واسطة لنقل العبيد والرقيق والبضائع في آن واحد.

وعبارة (أبي طالب) واضحة في كون أميّة كان عبداً (لعبد شمس) ثمّ عبداً لهاشم من حيث عبد الولد هو عبد الأب أيضاً، لأنّ العبد يخدم جميع أفراد الأسرة، والخدمة مفهوم عام، فإذا خدم أحد الأفراد صدق عليه خدمة الكلّ، وهذا هو الذي أشار إليه أبو طالب عليه السلام، فقال: كان (عبداً لجدّنا) أي عبداً لهاشم جدّ الطالبين.

قوله «بني أمة»

في العبارة فعل محذوف تقديره (أعني أوأخص).

لمّا كانت (أميّة) تصغير (أمة) وبما أن لفظة التصغير لا يستقيم معها وزن البيت ممّا اضطر أن يأتي بها مكبّرة. أضف إلى ما تقدّم أن لفظة (أمة) مؤنّثة فقد اتبع وصفها بمؤنث (شهلاء)، ثمّ الحقّ هذا الوصف بضمير مؤنث (بها) بإعتبار اللفظ السابق.

أقول: لا يخلو في هذا الإستعمال من إستصغار الموصوف وتحقيره، ويشمل هذا التحقير كلّ مَن ينتسب إليه من الأبناء. وقد أجاد عندما قال: «بني أمة شهلاء»، فكأنّه حين أراد المصغر ولم يسعفه الوزن جاء بمكبّره.

ثمّ هناك ملاحظة أخرى لا بّد من الأمعان فيها وهي:

أنّ كلمة (شهلاء) يراد بها زرقة يشاب بها سواد العين وهي صفة لا تعرف بها العين العربية، بل هي تعرف في عيون الروم، وسكّان اوربا واسيا الصغرى كما

يطالعنا ـ اليوم ـ في صفات عيونهم.

فقول أبي طالب صريح بأنّ أميّة شيء قذفه البحر إلى الحجاز مع هذه التجارة التي كانت ترد إلى مكّة من الروم وأفريقيا وبلاد ماوراء النهر، ثمّ هل يجيش البحر بشيء من السلع الأدمية غير الرقيق والاماء؟!

ممّا يؤكّد لنا أنّ أميّة رومي، وأنّه عبد قذفه البحر: أنّه كان يحمل من صفات الروم وعاداتهم الشيء الكثير كالعهر والدياثة، لذا كان أحرص خلعاء مكّة على إتيان المنكر والفحشاء والعهر الذي عرفته اندية مكّة وشبابها الخلعاء، حتى أنّ أخباره تدلّ على أنّ الإدمان والإستخفاف بلغا منه مبلغاً أدانه بالاباحية و الدياثة، وخير دليل نسوقه ما صدر منه تجاه زوجته فقد نزل عنها لإبنه أبي عمرو، الذي يقول عنه دغفل أنه (ذكوان) العبد.

فبنى أبو عمرو بزوجة أبيه، وأبوه (أميّة) حيّ لم يمت، أيّ عهر هذا! وأيّ دياثة تلك! حيث لم تكن هذه حتى في الحيوانات، أمّا العرب فيجهلون هذا النوع من الفسوق وينكرونه ويأنفون منه، وإذا عثرنا على هكذا أنموذج عند العرب إنما هو من بركات ذكوان؛ أبي عمر لقيط أميّة ودعيّها.

قال إبن أبي الحديد: ...ذكوان بن أميّة بن عبد شمس، وقد ذكر جماعة من النسّابين أنّ ذكوان كان مولى لأميّة بن عبد شمس، فتبنّاه وكنّاه أبا عمرو، فبنوه موالٍ، وليسوا من بني أميّة لصلبه[1] وقد أورد إبن أبي الحديد نقلاً عن أبي جعفر الطبري شعراً لعمارة بن عقبة بن أبي معيط وكان مقيماً بالكوفة بعد قتل عثمان، وكان يكتب إلى معاوية بالأخبار سرّاً، ومن شعر الوليد لأخيه عمارة يحرّضه:

إن يكُ ظنّي في عُمارة صادقاً ... يَنَم ثُمّ لا يطلب بذحلٍ ولا وتر
يبيتُ وأوتارُ إبن عفّانَ عندَهُ ... مُخيّمةٌ بين الخورنق فالقصر
تمشّى رخيّ البال مستشزِرَ القُوى ... كأنّك لم تسمع بقتلِ أبي عمرو

---

(١) شرح النهج: ٢/ ١١٦.

ألا إنّ خــير النــاسِ بــعد ثــلاثةٍ   قتيل التجيبيّ الذي جـاء مِـن مِـصر

فأجابه الفضل بن العباس بن عتبة:

أتــطلب ثــاراً لست مــنه ولا له   وما لإبن ذكـوان الصـفوريّ والوتـر

كـما افـتخرت بـنت الحـمار بأمّـها   وتنسى أبّاها إذ تسـامى أولو الفـخر

إلى آخر الأبيات.

لقد عرفت ـ من كلام إبن أبي الحديد ـ أن ذكوان كان مولى لأميّة فتبّناه وكنّاه أبا عمرو، والصفوري منسوب إلى صفورية؛ قرية من قرى الروم.[1]

وممّا يؤكّد هذا النسب المنحول، وذاك الإلتصاق، الخبر الذي رواه الواقدي، قال: إنّ عبد الله بن جعفر فاخر يزيد بن معاوية بين يدي معاوية، فقال له: بأيّ آبائك تفاخرني؟ أ بحرب الذي أجرناه، أم بأميّة الذي ملكناه، أم بعبد شمس الذي كفلناه!

فقال معاوية: لحرب بن أميّة يقال هذا!

ما كنت أحسب أنّ أحداً في عصر حرب يزعم أنّه أشرف من حرب!

فقال عبد الله: بلى أشرف منه من كفأ عليه إناءه وجلّله بردائه.

فقال معاوية ليزيد: رويدا يا بني، إنّ عبد الله يفخر عليك بك لأنّك منه وهـو منك....

ثمّ يسرد الواقدي وإبن أبي الحديد تفصيل الخبر إلى أن يقول: وأمّا معنى قول عبد الله بن جعفر: «أم بأميّة الذي ملكناه»!

قال: فإن عبد المطلب راهن أميّة بن عبد شمس على فرسين وجعل الخطر ممّن سبقت فرسه مائة من الإبل، وعشرة أعبد، وعشر إمـاء، وإسـتعباد سـنة، وجـزّ الناصية.

فسبق فرس عبد المطلب، فأخذ الخطر فقسّمه في قريش وأراد جزّ ناصيته، فقال: أو أفتدي منك بإستعباد عشر سنين، فـفعل فكـان أمـيّة بـعد فـي حشـم

---

(١) شرح النهج: ٢ / ١١٦.

عبد المطلب وعضاريطه[١] عشر سنين.[٢]

هكذا كان أميّة عبداً أجيراً، ولما تقدّمت به الأيّام ـكما عرفت ـ أصبح مبالغاً باباحيته وإستهتاره، حتى عرف في أوساط مكّة عاهراً ضعيف النفس.

وفي منافرة حرب لعبد المطلب يقول نفيل بن عدي[٣] لحرب: «أ تنافر رجلاً هو أطول منك قامة، وأعظم منك هامة، وأوسم منك وسامة، وأقل منك لامة، وأكثر منك ولداً، وأجزل منك صفداً، وأطول منك ذوداً» ثمّ قال:

أبـــوك مـــعاهر وأبـــوه عـــفّ ... وذاد الفـــيل عـن بـلد حـرام[٤]

ـ٧ـ

جذور العداوة والمنافرة

يروي لنا المقريزي جذور العداوة بين الأسرتين (أميّة وهاشم) فقال: وكانت المنافرة بين هاشم بن عبد مناف بن قصي وبين إبن أخيه أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف وسببهما أنّ هاشماً كانت إليه الرفادة[٥] مع السـقاية، وذلك أنّ أخـاه عبد شمس كان يسافر، وكان يـقيم بـمكّة، وكـان رجـلاً مـقلّاً، وله ولد كـثير، فاصطلحت قريش على أن ولّي هاشم السقاية والرفادة، وكان هاشم موسراً، وكان إذا حضر موسم الحجّ قام في قريش فقال: يا مـعشر قـريش أنّكـم جـيران الله وأهل بيته، وانّكم يأتيكم في هذا الموسم زوّار الله، يعظّمون حـرمة بـيته وهـم ضيف الله، وأحقّ الضيف بالكرامة ضيفه، وقد خصّكم الله بـذلك، وأكـرمكم بـه حفظه منكم أفضل ما حفظ جار من جاره، فأكرموا ضيفه وزوّاره، فإنّهم يأتون

---

(١) العضاريط: جمع عضرط، وهو الرجل الذي يخدم بطعام بطنه.

(٢) شرح النهج: ١٥ / ٢٢٩ ـ ٢٣١.

(٣) تاريخ الطبري: ٢م، وطبقات إبن سعد: ١ / ٥٢.

(٤) النزاع والتخاصم: ص ٢٢.

(٥) الرفادة من الرفد وهي الإعانة، يقال رفده يرفده رفداً: أعطاه.

شعثاً غبراً من كلّ بلد على ضوامر كالقداح[١] وقد ازحفوا وتفلوا وقملوا وأرملوا[٢] فاقروهم وأغنوهم وأعينوهم .

فكانت قريش ترافد على ذلك حتى أن كان أهل البيت ليرسلون بالشيء اليسير على قدرهم فيضمّه هاشم إلى ما أخرج من ماله، وما جمع ممّا يأتيه به الناس، فإن عجز كمّله، وكان هاشم يخرج في كلّ سنة مالاً كثيراً، وكان قوم من قريش يترافدون، فكانوا أهل يسار، فكان كلّ إنسان منهم ربّما أرسل بمائة مثقال هرقلية، وكان هاشم يأمر بحياض من أدم فتجعل في موضع زمزم من قبل أن تحفر زمزم، ثمّ يستقي فيها من الابار التي بمكّة، فيشرب الحاج، وكان أوّل ما يطعمهم قبل التروية بيوم بمكّة، ويطعمهم بمنى وبعرفة وبجمع، فكان يثرد لهم الخبز واللحم، والخبز والسمن، والسويق والتمر، ويحمل لهم الماء حتى يتفرّق الناس لبلادهم، وكان هاشم يسمّى عمرو العلى وإنّما قيل له هاشم لهشمه الثريد بمكّة.

وكان أميّة بن عبد شمس ذا مال فتكلّف أن يفعل كما فعل هاشم من إطعام قريش فعجز عن ذلك، فشمت به ناس من قريش وعابوه فغضب ونافر[٣] هاشماً على خمسين ناقة سود الحدقة تنحر بمكّة على جلاء عشر سنين، وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي جدّ عمرو بن الحمق الخزاعي، وكان منزله عسفان، وخرج مع أميّة أبو همهمة حبيب بن عامر الفهري، فقال الكاهن: والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجو من طائر، وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر، لقد سبق هاشم أميّة إلى المآثر أوّل منه وآخر، وأبو همهمة بذلك خابر.

---

(١) ضوامر مفردها ضامر: الجمل إذا هزل. القداح واحدها قدح وهي السهام.

(٢) ازحفوا، يقال ازحف الرجل إذا أعيت ابله. تفل الرجل: إذا ترك الطيب. قمل: إذا كثر قمله لشدّة الوسخ. أرمل: إذا احتاج، يقال رجل أرمل وإمرأة أرملة: أي محتاجة.

(٣) نافر الرجل منافرة و نفاراً: حاكم. قال أبو علي الفارسي: المنافرة المحاكمة. وكأنّ المنافرة كانت أوّلاً انّهم يسألون اينا أعزّ نفراً.

فأخذ هاشم الإبل فنحرها، وأطعم لحمها من حضر وخرج أميّة إلى الشام فأقام به عشر سنين، فكان هذا أوّل عداوة وقعت في بني هاشم وبني أميّة....[١]

-٨-
صراع بني أميّة وهاشم

روى الصدوق في معاني الأخبار بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

إنّا وآل أبي سفيان أهل بيتين تعادينا في الله!

قلنا صدق الله وقالوا كذب الله! قاتل أبوسفيان رسول الله صلى الله عليه وآله وقاتل معاوية علي بن أبي طالب عليه السلام، وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي عليهما السلام والسفياني يقاتل القائم عليه السلام.[٢]

وربّما تسأل متى كذّبت بنو أميّة قول الله سبحانه وقول رسوله؟

جواب السائل في صريح القرآن الكريم، قال تعالى في سورة الأنفال ـ لمّا رفضت قريش دعوة النبيّ صلى الله عليه وآله بعد ما رأت منه الآيات الباهرات والمعاجز تلو المعاجز والبراهين ـ قال قائلهم: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.[٣]

أنّهم قالوا ذلك بعد ما نصّب الرسول عليّاً عليه السلام خليفة من بعده بأمر من الله، وأمر المسلمين أن يسلّموا عليه بأمرة المؤمنين. فأبت نفوسهم ذلك، فقال قائلهم: اللّهم إنّا غير راضين فيما تأمرنا به، وما جاء من عندك على لسان محمّد صلى الله عليه وآله، سواء كان ذلك حقّاً أم باطلاً، بل فأهلكنا بعذاب من عندك....

---

(١) النزاع والتخاصم: ١٨ ـ ٢١، مكتبة الأهرام، مصر.

(٢) معاني الأخبار للشيخ الصدوق: ص ٣٤٦، طبعة جامعة المدرسين، قم ١٣٧٩.

(٣) الأنفال: ٣٢.

-٩-
من فضائح أميّة

روى المقريزي فقال: وصنع أميّة في الجاهلية شيئاً لم يصنعه أحد من العرب، زوّج إبنه -أبا عمرو بن أميّة- إمرأته في حياة منه. والمقتيّون في الإسلام هم الذين أولدوا نساء آبائهم واستنكحوهنّ من بعد موتهم، وأمّا أن يتزوّجها في حياته ويبني عليها وهو يراه فإنّ هذا لم يكن قطّ، وأميّة قد جاوز هذا المعنى ولم يرض بهذا المقدار حتى نزل عنها له وزوّجها منه.[1]

أنظر أي دنائة هذه وأي تسافل من هذا العهر الذي فعل ما لم تفعله حتى الحيوانات ناهيك عن حياة البشر....

وقد جرت العادة عند أحفاده كذلك، فلم يجدوا في الزنا والتبنيّ والإدعاء عيباً أو منقصة، بل ربّما تفاخروا وتكاثروا ولو بطريق قبيح أو تسافل إلى حدّ الدنائة....

أمّا في شأن زياد، فلا نريد تكثير النصوص والشواهد، بل حسبنا أن تقرأ في صفحات كتب القوم: أنّه زياد إبن أبيه...؟ فأي صراحة أكثر من هذا النعت على كونه لقيط بني سفيان!

قال البلاذري في الجزء الرابع من كتابه الأنساب: إنّ يزيد بن معاوية أرسل كتاباً إلى إبن عباس يستميله إليه بعد ما رآه قد امتنع من بيعة إبن الزبير، فأجابه إبن عباس بكتاب فضح فيه سيرته وسيرة أجداده اللقطاء فجاء فيه: (... ومهما أنس من الأشياء فلن أنسى تسليطك عليهم إبن مرجانة -إبن زياد- الدعيّ إبن الدعيّ، العاهر الفاجر اللئيم أُمّا وأبا...)[2] وفي ذلك يقول يزيد بن مفرّغ الشاعر جدّ السيّد الحميري:

---

(١) النزاع والتخاصم: ص ٢٢.

(٢) أنساب الأشراف: ٤/ ٣٠٦.

ألا أبلغ معاوية بن حرب / مغلغلة من الرجل اليماني
أتغضب أن يقال أبوك عفّ / وترضى أن يقال أبوك زاني
فاقسم أن رحمك من زياد / كرحم الفيل من ولد الأتان[1]

وقال إبن مفرّغ في عبيد الله بن زياد:

شهدت بأنّ أمّك لم تباشر / أبا سفيان واضعة القناع
ولكن كان أمرٌ فيه لبس / على وجل شديد وإرتياع[2]

–١٠–

تكتّل قريش ضد عبد المطلب

اتّحدت بطون قريش وافخاذها للوقوف بوجه عبد المطلب حسداً منها له، وحقداً عليه، لكون عبد المطلب ساد بإيمانه ومحتده كلّ العرب.

وجاء هذا الإتحاد عندما عقدوا حلفاً أطلق عليه حلف (لعقة الدم).

روى لنا اليعقوبي قصّته فقال: لمّا رأت قريش أنّ عبد المطلب قد حاز الفخر طلبت أن يحالف بعضها بعضاً ليعزّوا، وكان أوّل من طلب ذلك بنو عبد الدار لما رأت حال عبد المطلب، فمشت بنو عبد الدار إلى بني سهم فقالوا: إمنعونا من بني عبد مناف، ثمّ يستطرد اليعقوبي فيقول: فتطيّب بنو عبد مناف وأسد وزهرة وبنو تميم وبنو الحارث بن فهر، فسمّوا حلف المطيّبين. فلمّا سمعت بذلك بنو سهم ذبحوا بقرة وقالوا: من أدخل يده في دمها ولعق منه فهو منّا، فادخلت أيديها بنو سهم وبنو عبد الدار وبنو جمح وبنو عدي وبنو مخزوم، فسمّوا اللعقة.[3]

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري: ٤ / ٣٧٥، تحقيق إحسان عباس، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٧٩م.
(٢) أنساب الأشراف للبلاذري: ٤ / ٣٧٦.
(٣) تاريخ اليعقوبي: ١ / ٢٤٨، طبعة دار صادر بيروت ١٩٦٠م.

-١١-

بنو هاشم وحلف الفضول

وحلف آخر ضمّ بني هاشم وبني عبد المطلب هو حلف الفضول، سمّي هذا الحلف كذلك لأنّهم تحالفوا أن تردّ الفضول على أهلها، وألّا يغزو ظالم مظلوماً.

وكان حلف الفضول هذا قبل البعثة بعشرين سنة، وكان أكرم حلف وأشرفه، وأوّل من تكلّم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب (عمّ الرسول ﷺ) وكان سببه أنّ رجلاً من زبيد قدم مكّة ببضاعة، فاشتراها منه العاص بن وائل، وكان ذا قدر بمكّة وشرف، فحبس عنه حقّه، فاستعدى عليه الزبيدي الاحلاف: عبد الدار، ومخزوما، وجمح، وسهما، وعدي بن كعب، فأبوا أن يعينوه على العاص وزبروه (انتهروه). فلمّا رأى الزبيدي الشرّ، أوفى على أبي قبيس عند طلوع الشمس، وقريش في انديتهم حول الكعبة، فصاح بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكّة نائي الدار والنفر

ومحرم أشعث لم يقض عمرته ... يا للرجال وبين الحجر والحجر

إنّ الحرام لمن تمت كرامته ... ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب، وقال: ما لهذا مترك.

فاجتمعت هاشم، وزهرة، وتيم بن مرّة في دار إبن جدعان، فصنع لهم طعاماً وتعاقدوا، وكان حلف الفضول، وكان بعدها أن انصفوا الزبيدي من العاص بن وائل.[1]

---

(١) هامش السيرة لابن هشام: ١ / ١٤٠، طبعة مصطفى الحلبي، مصر ١٩٣٦م.

-١٢-
النبيّ ﷺ يشهد حلف الفضول

روى اليعقوبي في تاريخه وابن هشام في سيرته: أنّ رسول الله ﷺ قد حضر حلف الفضول وقد جاوز العشرين من عمره الشريف، ولمّا بعث بالرسالة قال ﷺ: حضرت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما يسرّني به حمر النعم، ولو دعيت إليه اليوم لأجبت. وكان سبب حلف الفضول أنّ قريشاً تحالفت أحلافاً كثيرة على الحمية والمنعة، فتحالف المطيّبون وهم بنو عبد مناف، وبنو أسد، وبنو زهرة، وبنو تميم، وبنو الحارث بن فهر، على أن لا يسلموا الكعبة ما أقام حراء وثبير وما بلّ بحر صوفة. وصنعت عاتكة بنت عبد المطلب طيباً فغمسوا أيديهم فيه....[١]

قال الغفاري: وهذا الحلف ـ الفضول ـ الذي حضره النبيّ ﷺ كان بعد وفاة عبد المطلب. وأمّا حلف المطيّبين فقد سبق هذا الحلف بقرن من الزمان تقريباً.

-١٣-
تكتل قريش ضد أبي طالب عليه السلام

الوفد الأوّل

لما صدع الرسول ﷺ بالرسالة والدعوة إلى الله جهاراً أجمعت قريش على خلافه وعداوته وعداوة عمّه أبي طالب، غير أنّ الذي حدب على رسول الله ﷺ وناصره ودافع عنه هو عمّه أبو طالب عليه السلام فحسب، فلمّا رأت قريش أنّ أبا طالب قام دونه ولم يسلمه لهم مشى رجال من زعماء ـ قريش ـ المشركين إلى أبي طالب عليه السلام، من بينهم:

١ ـ عتبة وشيبة إبنا ربيعة بن عبد شمس.

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٧، طبعة دار صادر، بيروت. وقريب منه سيرة إبن هشام: ١ / ١٣٤.

٢ ـ أبو سفيان (صخر) بن حرب بن أميّة بن عبد شمس.
٣ ـ أبو البختري (العاص) بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى.
٤ ـ الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى.
٥ ـ أبو جهل (عمرو) وهو نفسه أبو الحكم بن هشام بن المغيرة.
٦ ـ الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.
٧ ـ نبيه ومنبّه إبنا الحجاج بن عامر.

هؤلاء وآخرون وفدوا علىٰ أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب إنّ إبن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلّل آباءنا، فإمّا أن تكفّه عنّا وإمّا أن تخلّي بيننا وبينه ـ إنّه تهديد بالقتل ـ ....، فقال لهم أبو طالب عليه السلام قولاً رقيقاً، وردّهم ردّاً جميلاً فانصرفوا.[1]

الوفد الثاني

مضى رسول الله صلى الله عليه وآله على ما هو عليه يظهر دين الله سبحانه ويدعو إليه، فتذمّرت قريش أكثر من سابق، وحميت عندها العصبية الجاهلية، وثارت لأصنامها، فجاءت وفودها ثانية إلى أبي طالب عليه السلام وقد استعملت معه التهديد والوعيد، فقالوا له: يا أبا طالب، إنّ لك سنّاً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنّا قد استنهيناك من إبن أخيك فلم تنه عنّا، وإنّا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفّه عنّا، أو ننازله وإيّاك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين، (وهذا هو التهديد الثاني وقد اغلظوا في القول)، ثمّ انصرفوا.

ولكن أبا طالب عليه السلام اصرّ على أن يدافع عن إبن أخيه حتى آخر لحظة من حياته حيث قال للنبيّ صلى الله عليه وآله: إذهب يا إبن أخي، فقل ما أحببت، فو الله لا اسلمك

---

(١) السيرة النبوية لإبن هشام: ١ / ٢٦٥، ط دار المعرفة، بيروت.

لشيء أبداً.[(١)]

الوفد الثالث

إنّ قريشاً حينما عرفت أنّ أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ فجاؤوا بعمارة بن الوليد ـ أنهد فتى في قريش وأجمله ـ إلى أبي طالب عليه السلام وقالوا له: فخذه فلك عقله ونصره وأتخذه ولداً فهو لك، وأسلم إلينا إبن أخيك هذا فنقتله، فإنّما هو رجل برجل، فقال: والله لبئس ما تسومونني اتعطونني إبنكم أغذوه لكم، وأعطيكم إبني تقتلونه! هذا والله ما لايكون أبداً....[(٢)]

ثمّ تنافر القوم وبدأت العداوة والبغضاء بين قريش وبين أبي طالب حتى ألجؤوهم إلى الشعب وكتبوا صحيفتهم الظالمة، سيأتيك خبرها عمّا قريب إن شاء الله.

ثمّ فرّج الله سبحانه عن الرسول ﷺ وأبي طالب عليه السلام والمسلمين حيث سلّط على الصحيفة الظالمة دويبة الأرض فأكلتها إلّا كلمة (إسم الله)، وقد أخبر أبو طالب قريشاً بهذا الحدث، وأنّه خبر من السماء، وكادت تصدّق قريش لكن عنادهم وكفرهم أبوا أن يدخلوا في الإسلام، وقد خرج المسلمون من الشعب ولكن لم تمض إلّا أيّام معدودة حتى تُوفّي أبو طالب وخديجة عليهما السلام، فكانت المصيبة كبيرة على الرسول ﷺ وقد أطلق على هذا العام بعام الحزن لفقده أعزّ شخصين هما خديجة وأبو طالب عليهما السلام.

هنا استضعفت قريش النبيّ ﷺ وكادت له المكائد حتى اجتمعوا في دار الندوة وكان فيهم من بني عبد شمس:

١ ـ عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ١ / ٢٨٤، طبعة مصطفى الحلبي، مصر ١٩٣٦م.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ١ / ٢٨٥، طبعة الحلبي، مصر.

٢ ـ جبير بن مطعم.
٣ ـ الحارث بن عامر بن نوفل.
٤ ـ ومن بني عبد الدار: النضر بن الحارث بن كلدة.
٥ ـ ومن بني أسد بن عبد العزى: أبو البختري بن هشام.
٦ ـ زمعة بن الأسود بن المطلب.
٧ ـ حكيم بن حزام.
٨ ـ ومن بني مخزوم: أبو جهل بن هشام.
٩ و ١٠ ـ ومن بني سهم: نبيه ومنبّه إبنا الحجاج.
١١ ـ ومن بني جمح: أميّة بن خلف.
وهناك جمع غفير ممّن لا يعدّ من قريش.

اجتمع هؤلاء وقرروا قتل النبيّ صلى الله عليه وآله غيلة أو بتدبير خاص، وكان هـذا رأي (أبي جهل بن هشام) ثمّ استقر رأيهم أن يؤخذ من كلّ قبيلة فتى شاباً جلداً ويعطى له سيفاً صارماً ثم يعمد من هؤلاء أربعين شخصاً يهجمون على النبيّ صلى الله عليه وآله ليـلاً فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فإنّهم إذا فعلوا ذلك تفرّق دمه بين القبائل المتآمرة، فلم يقدر حينئذٍ بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً....

وقد نزل الوحي على النبيّ صلى الله عليه وآله يخبره بمؤامرة قريش وما بيّتوه في شأن قتله. وأمره جبرئيل عليه السلام أن يغادر البيت وقال: لا تبيت هذه الليلة على فراشك، وأمر عليّاً عليه السلام أن ينام على فراشه في تلك الليلة، ثمّ أمره بالهجرة إلى المدينة وقد تمّ كلّ ذلك برعاية الله وعنايته الكاملة.(١)

(١) أنظر تفاصيل هذه الهجرة في كتاب السيرة النبوية لابن هشام: ٢/١٢٧، وما بعدها، طبعة الحلبي، مصر ١٩٣٦م.

-١٤-

ميثاق غليظ يتزعّمه أبو سفيان واليهود

لما توالى النصر للنبيّ محمّد ﷺ والمسلمين في غزوة بدر وأحد عجزت قريش عن مواجهة النبيّ ﷺ لوحدها، كما أنّ اليهود ضاقوا ذرعاً من الإنتصارات التي أحرزها الرسول محمّد ﷺ، فما كان منهم إلّا أن يعقدوا التحالفات والمعاهدات لحرب النبيّ ﷺ، وإستئصاله، فقدم رئيس اليهود كعب بن الأشرف مع سبعين راكباً فطافوا على وجوه قريش ودعوهم إلى حرب النبيّ ﷺ.

قال أبو سفيان: مرحباً وأهلاً، أحبّ الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمّد ﷺ!

ولكن لا نأمنكم إلّا إن سجدتم لآلهتنا حتى نطمئن إليكم! ففعلوا.[1]

ثمّ حشدت قريش جيشاً كبيراً بلغ بضعة عشر ألفاً بمؤازرة اليهود وجعلوا قيادة الجيش إلى أبي سفيان، وغزوا المدينة وحاصروها في معركة الخندق[2] والتي سمّيت بمعركة الأحزاب فيما بعد.

-١٥-

قاتلوا أئمّة الكفر

جاء في تفسير الطبري عن مجاهد عن إبن عمر في قوله: «فقاتلوا أئمّة الكفر»، قال: هم أبو جهل بن هشام، وأميّة بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، وهم الذين نكثوا عهد الله وهمّوا بإخراج الرسول ﷺ

---

(١) أسباب النزول للواحدي: ص١٠٣ و١٠٤، وفيه تفصيل، فراجع تفسير آيات من سورة النساء. طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٥م.

(٢) الصحيح من السيرة للعاملي: ٨/ ٤١، ط ٤، دار الهادي، بيروت ١٤١٥هـ.

من مكة.[١]

وعن مجاهد: أبو سفيان منهم[٢] وعن الضحاك، قال: يعني رؤوس المشركين، أهل مكة.[٣]

قال الغفاري: وليس الطبري وحده ذكر أئمّة الكفر وعلى رأسهم (أبو سفيان) بل ذكرهم الحاكم النيسابوري وآخرون[٤] والآية من سورة التوبة: ﴿**فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ**﴾.[٥]

وأئمّة الكفر كما تقدّم:

أبو سفيان بن حرب.

سهيل بن عمرو.

عتبة بن ربيعة.

أميّة بن خلف.

أبو جهل بن هشام.

-١٦-

أبو سفيان يتزعّم أئمة الكفر

قال المقريزي الشافعي وهو يذكر زعماء الشرك والكفر الذين عادوا الله والرسول ﷺ، ومنهم: أبو سفيان صخر بن حرب بن أميّة قائد الأحزاب الذي قاتل رسول الله ﷺ يوم أحد، وقتل من خيار أصحابه سبعين ما بين مهاجريّ وأنصاريّ؛ منهم أسد الله حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، وقاتل رسول الله ﷺ في

---

(١) تفسير الطبري (جامع البيان): ٦/ ٣٢٩، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٩م.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المستدرك للحاكم النيسابوري: ٢/ ٣٣٢، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.

(٥) سورة التوبة: ١٢.

يوم الخندق أيضاً، وكتب إليه: (بإسمك اللّهم أحلف باللآت والعزّى وأساف ونائلة وهبل، لقد سرت إليك أريد استئصالكم، فأراك قد اعتصمت بالخندق فكرهت لقائي، ولك منيّ كيوم أحد).

وبعث بالكتاب مع أبي أسامة الجشمي فقرأه على النبيّ ﷺ أبي بن كعب ، فكتب إليه رسول الله ﷺ: (لقد أتاني كتابك، وقديماً غرّك يا أحمق بني غالب وسفيههم بالله الغرور، وسيحول الله بينك وبين ما تريد، ويجعل لنا العاقبة، وليأتين عليك يوم اكسّر فيه اللآت والعزّى واساف ونائلة، وهبل يا سفيه بني غالب).[١]

ـ١٧ـ
هل أسلم أبو سفيان؟

إنّ إسلام أبي سفيان ـكما ترويه مصادر القوم ـ جاء[٢] كُرهاً، ولولا العباس بن عبد المطلب ـوكان رفيقه في الجاهلية ـ لما كان أبو سفيان ينجو من سيف النبيّ ﷺ. ولمّا عرض عليه الإسلام بشهادة (لا إله إلّا الله) قال مخاطباً النبيّ ﷺ: بأبي أنت وأمّي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى شيئاً بعد!

قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنّي رسول الله؟

قال: أمّا هذه فإنّ في النفس منها حتى الآن شيئاً!

فقال العباس: ويحك! أسلم، وأشهد أنّ لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، قبل أن تضرب عنقك....[٣]

هذا موقف أبي سفيان من النبوة والرسالة. وهو لم يزل على كفره ولطالما قاد

---

(١) النزاع والتخاصم: ص ٢٩.

(٢) أسلم في السنة الثامنة للهجرة كرهاً وهكذا أسلم إبنه معاوية.

(٣) سيرة إبن هشام: مجلد ٢ /٤٠٣، طبعة دار المعرفة.

جيوش الكفر لصدّ الناس عن التوحيد، فهو قائد قريش وزعيمها في كلّ حروبها مع النبيّ خلال أكثر من عقدين من عمر الدعوة إلى الله والإسلام....

فهل من دليل على إسلام أبي سفيان؟ كلّا بل إنّه استسلم... وإبنه معاوية مثله، هذا التاريخ خير شاهد.

قال نصر بن مزاحم المنقري: أخبرني عبد العزيز بن سياه، عن حبيب بن أبي ثابت قال: لمّا كان قتال صفين قال رجل لعمّار: يا أبا اليقظان: ألم يقل رسول الله ﷺ: قاتلوا الناس حتى يسلموا، فإذا أسلموا عصموا منّي دماءهم وأموالهم؟

قال: بلى، ولكن والله ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر حتى وجدوا عليه أعواناً.(١)

وروى نصر عن عبد العزيز قال حبيب بن أبي ثابت قال: حدّثني منذر الثوري، قال: قال محمّد بن الحنفية لمّا أتاهم رسول الله ﷺ من أعلى الوادي ومن أسفله، وملأ الاودية كتائب استسلموا حتى وجدوا أعواناً.

وروى نصر عن فطر بن خليفة عن منذر الثوري قال عمّار بن ياسر: والله ما أسلم القوم ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر حتّى وجدوا عليه أعواناً.(٢)

---

(١) وقعة صفّين، نصر بن مزاحم: ص ٢١٥، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٢، المؤسسة العربية الحديثة، ١٣٨٢هـ.

(٢) المصدر السابق.

-١٨-

الشجرة الملعونة في القرآن[١]

ذكرت لنا كتب التفاسير والأحاديث وكتب الأخبار روايات بأسانيد صحيحة ومعتبرة تفسّر لنا الشجرة الملعونة، فقد جاء على لسان النبيّ الأكرم ﷺ أنّها بنو أميّة، وقد لعنهم الله في كتابه المجيد في سورة الأسراء، كما لعنهم النبيّ ﷺ.

جاء في تفسير الألوسي في صدد الآية ٦٠ من الأسراء، قالت عائشة لمروان بن الحكم: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبيك وجدّك أبي العاص بن أميّة: إنّكم الشجرة الملعونة في القرآن.[٢]

وفي تفسير القرطبي، أنّ عائشة قالت لمروان: لعن الله أباك وأنت في صلبه، وأنت بعض من لعنه الله، ثمّ أردفت قائلة: والشجرة الملعونة في القرآن.[٣]

قال الغفاري: والحكم بن أبي العاص بن أميّة هو عمّ عثمان بن عفّان، وفيه قال النبيّ ﷺ: «من عذيري من هذا الوزغ اللعين»، ونفاه النبيّ ﷺ مع ولده جميعاً إلى الطائف.[٤]

مِن هذه الشجرة الملعونة:

معاوية بن أبي سفيان بن أميّة بن عبد شمس، أمّه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، عرفت بآكلة الأكباد، أغرّت وحشياً على قتل حمزة ثمّ جاءت وبقرت بطنه عليه السلام وأخرجت كبده فلاكته... والحادثة مشهورة.

---

(١) جاء وصف هذه الشجرة في القرآن، قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ...﴾، سورة الأسراء: ٦٠.

(٢) تفسير الألوسي: ١٥/١٠٧، وتفسير الشوكاني: ٢/٢٣١، والدر المنثور للسيوطي: ٤/١٩١.

(٣) تفسير القرطبي: ١٠/٢٨٦.

(٤) أسد الغابة لابن الأثير: ٢/٣٤، والمستدرك للحاكم النيسابوري: ٤/٤٨١، وكنز العمال للمتقي الهندي: ٦/٩٠، وتفسير القرطبي: ١٦/١٩٧، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ٢/٥٥.

وهند أم ـ أخيه ـ عتبة بن أبي سفيان، أمّا يزيد ومحمّد وعنبسه وعمرو فمن أمهات شتى (أخوة معاوية من أبيه).

عن نصر بن مزاحم، عن عمرو بن ثابت، عن إسماعيل، عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقتلوه.

قال: فحدّثني بعضهم قال: قال أبو سعيد الخدري: فلم نفعل ولم نفلح.[١]

وعنه، عن يحيى بن يعلى، عن الأعمش، عن خيثمة قال: قال عبد الله بن عمر: إنّ معاوية في تابوت في الدرك الأسفل من النار ولولا كلمةُ فرعون: «أنا ربّكم الأعلىٰ» ما كان أحدٌ أسفل من معاوية.[٢]

وعنه، عن جعفر الأحمر، عن ليث، عن مجاهد، عن عبد الله بن عُمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يموت معاوية على غير الإسلام.[٣]

وعنه، عن جعفر الأحمر، عن ليث، عن محارب بن زياد، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يموت معاوية على غير ملّتي.[٤]

وعنه، عن عبد الغفار بن القاسم، عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللّهم العن التابع والمتبوع. اللّهم عليك بالأقيعس.

فقال إبن البراء لأبيه: من الأقيعس؟

قال: معاوية.[٥]

وعن نصر، عن بَليد بن سُليمان، حدّثني الأعمش، عن علي بن الأقمر قال: وفدنا على معاوية وقضينا حوائجنا، ثمّ قلنا: لو مررنا برجل قد شهد رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) وقعة صفين: ص ٢١٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٢١٧.

(٣) المصدر السابق: ٢١٧.

(٤) المصدر السابق: ٢١٨.

(٥) المصدر السابق: ٢١٨.

وعاينه. فأتينا عبد الله بن عمر فقلنا: يا صاحب رسول الله ﷺ حدّثنا ما شهدت ورأيت.

قال: إنّ هذا أرسل إليّ -يعني معاوية- فقال: لئن بلغني أنّك تحدّث لأضربَنَّ عنقك. فجثوت على ركبتي بين يديه ثمّ قلت: وددت أنّ أحد سيفٍ في جندك على عنقي. فقال: والله ما كنت لأقاتلك ولا أقتلك. و أيم الله ما يمنعني أن أحدّثكم ما سمعتُ رسول الله ﷺ قال فيه.

رأيت رسول الله ﷺ أرسل إليه يدعوه -وكان يكتب بين يديه- فجاء الرسول ﷺ فقال: هو يأكل. فقال: لا أشبع الله بطنه، فهل ترونه يشبع؟

قال: وخرج من فجٍّ فنظر رسول الله إلى أبي سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه، أحدهما قائد والآخر سائق، فلما نظر إليهم رسول الله ﷺ قال: اللّهم العن القائد والسائق والراكب. قلنا: أنت سمعت رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، وإلّا فصمَّتا أُذناي كما عميتا عيناي.(١)

هذه بعض الروايات التي ذكرها علماء الجمهور في لعن أبي سفيان ومعاوية، وفي بعض تلك الروايات أنّ النبيّ ﷺ أمر بقتل معاوية إذا رأوه يخطب على منبره.

ومزيداً من الإطلاع يراجع: تاريخ الطبري ١٢ / ١٨١ و١١ / ٣٥٧، وتهذيب التهذيب ٢ / ٤٢٨، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٣٤٨، وكنوز الدقائق للمناوي على هامش الصغير ١ / ١٨، وميزان الإعتدال للذهبي ١ / ٢٦٨، في ترجمة الحكم بن ظهير، وسير أعلام النبلاء ٣ / ٩٩، وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص ١١٥.

قال محمود أبو ريّة: ومعاوية مطعون في دينه، وقد كان في الجاهلية زنديقاً، وأصبح بعد الإسلام طليقاً.(٢)

---

(١) وقعة صفين: ص ٢٢٠.

(٢) أبوهريرة ـ محمود أبو ريّة: ص ٢٠٧.

وقال فيه د.طه حسين المصري: وقد ورث عن أبيه قوّته وقسوته وكيده ودهاءه ومرونته كذلك، ولم تكن أم معاوية بأقلّ من أبيه تنكّراً للإسلام وبغضاً لأهله وحفيظة عليهم، وهم قد وتروها يوم بدر فثأر لها المشركون يوم أحد، ولكن ضغنها لم يهدأ وحفيظتها لم تسكن حتى فتحت مكّة فاسلمت كارهة كما أسلم زوّجها كارهاً.[1]

فوقف معاوية زعيم الفئة الباغية من عليّ عليه السلام موقف أبي سفيان من النبيّ صلى الله عليه وآله، وجاء يزيد فوقف من الحسين موقف جدّه من النبي صلى الله عليه وآله، وموقف أبيه من علي عليه السلام.

وقد كان أوّل عمل لمعاوية بعد أن استولى على الحكم أن كتب إلى عمّاله في جميع الأفاق بأن يلعنوا علياً عليه السلام في صلواتهم وعلى منابرهم، ولم يقف الأمر عند ذلك بل كانت مجالس الوعاظ في الشام تختم بشتم عليّ عليه السلام[2] وأن لا يجيزوا لأحد من شيعته وأهل بيته شهادة، وأن يمحوا من الديوان كلّ من يظهر حبّه لعليّ وأولاده، وأن يسقطوا عطاءهم ورزقهم.

وفي يزيد بن معاوية يقول عبد الملك بن مروان من خطبة له:

«إنّي والله ما أنا بالخليفة المستضعف، يعني عثمان، ولا أنا بالخليفة المداهن، يعني معاوية، ولا الخليفة المأبون، يعني يزيد بن معاوية).[3]

ومِن الشجرة الملعونة:

معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية.

هو الذي جدع أنف حمزة، ومثّل به فيمن مثّل، فلمّا انهزم يوم أحد دخل على

---

(١) علي وبنوه، طه حسين: ص ٦١.

(٢) أبو هريرة، محمود أبوريّة: ص ٢١٥، طبعة دار المعارف، بمصر.

(٣) المصدر السابق.

عثمان بن عفان ليجيره، وكان رسول الله ﷺ قد أمر بطلبه فأخرج من دار عثمان، وأتى به رسول الله ﷺ فوهبه لعثمان، وأقسم لئن وجده بعد ثلاث بالمدينة وما حولها ليقتلنّه، فجهّزه عثمان وسار في اليوم الرابع، فقال رسول الله ﷺ إن معاوية أصبح قريباً لم ينفذ فاطلبوه واقتلوه، فأصلبوه، فأخذه زيد بن حارثه وعمّار بن ياسر فقتلاه، وقيل بل قتله علي بن أبي طالب عليه السلام.[١]

ومعاوية بن المغيرة هذا؛ هو أبو عائشة أم عبد الملك بن مروان، فعبد الملك بن مروان أعرق الناس في الكفر لأنّ أحد أبويه الحكم بن أبي العاص لعين رسول الله ﷺ وطريده، والأخر معاوية بن المغيرة جدّه لأمّه.

ومِن الشجرة الملعونة:

حمّالة الحطب، أم جميل بنت حرب بن أميّة.

كانت تحمل أغصان العضاة (كلّ شجر له شوك) فتطرحها على طريق رسول الله ﷺ.

قال مجاهد حمّالة النميمة تحطب على ظهرها وإيّاها عنى الله تعالى بقوله في سورة: ﴿تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، ما أَغْنىٰ عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ، سَيَصْلىٰ ناراً ذاتَ لَهَبٍ، وَامْرَأَتُهُ حَمّالَةَ الْحَطَبِ، فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾.

عنى أن في جيدها سلسلة من نار أي من سلاسل جهنم.

ولمّا نزلت السورة، قالت إمرأة أبي لهب قد هجاني محمّد والله لأهجونّه، فقالت: مذمّماً قلينا، ودينه أبينا، وأمره عصينا، وأخذت حجراً لتضربه به فأعشى الله عينها عنه وردّها بغيظها، ولم تزل على كفرها حتى هلكت.[٢]

---

(١) النزاع والتخاصم: ص ٣١.

(٢) النزاع والتخاصم: ص ٣٢.

ومِن الشجرة الملعونة:

شيبة بن ربيعة بن عبد شمس، عمّ هند أم معاوية، كان يجتمع مع قريش فيما تكيد رسول الله صلى الله عليه وآله من الأذى، قتله الله يوم بدر فيمن قتل من أعدائه.(١)

ومِن الشجرة الملعونة:

الوليد بن عتبة بن ربيعة، قتل يوم بدر وكان ممّن حارب النبيّ صلى الله عليه وآله، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام. والوليد هذا هو خال معاوية.(٢)

ومِن الشجرة الملعونة:

عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن أميّة. عادى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن قتل ببدر كافراً. قتله حمزة بن عبد المطلب عليه السلام، وعتبة هذا هو أبو هند التي لاكت كبد حمزة بن عبد المطلب عليه السلام واتخذت ممّا قطعت منه مسكين ومعضدين وخدمتين، وأعطت وحشياً قاتل حمزة حلياً كان عليها من ورق وجزع وخواتيم ورق كانت في أصابع رجليها، كلّ ذلك تنكيلاً بحمزة عليه السلام حيث أنّه قتل أباها عتبة رأس الكفر في يوم بدر.

وهند هذه أمر رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة بقتلها، فأسلمت، وهي أم معاوية بن أبي سفيان.(٣)

---

(١) النزاع والتخاصم: ص ٢٨.

(٢) النزاع والتخاصم: ص ٢٨.

(٣) النزاع والتخاصم: ص ٢٦.

ومِن الشجرة الملعونة:

الحكم بن أبي العاص بن أميّة. كان عاراً في الإسلام، وكان مؤذياً لرسول الله ﷺ بمكّة، يشتمه ويسمعه ما يكره، فلمّا كان فتح مكة أظهر الإسلام خوفاً من القتل، فلم يحسن إسلامه، وكان مغموصاً عليه في دينه، ثمّ قدم المدينة فنزل على عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أميّة، وكان يطالع الأعراب والكفّار بأخبار رسول الله ﷺ وبينا رسول الله ﷺ يمشي ذات يوم مشى الحكم خلفه فجعل يختلج بأنفه وفمه كأنّه يحاكى رسول الله ﷺ ويتفكك ويتمايل، فالتفت رسول الله ﷺ فرآه فقال له: كن كذلك، فما زال بقيّة عمره على ذلك، وأطلع يوماً على رسول الله ﷺ وهو في حجرة نسائه فخرج إليه بعنزه، فقال من عذيرى من هذا الوزغة لو أدركته لفقأت عينه.

وروى المقريزي الشافعي بسنده عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: كنّا مع النبيّ ﷺ فمرّ الحكم بن أبي العاص فقال النبيّ ﷺ: «ويلٌ لأمّتي ممّا في صلب هذا»، ثمّ أنّ النبيّ ﷺ لعنه وما ولد، وغرّبه عن المدينة، فلم يزل خارجاً عنها بقيّة حياة رسول الله ﷺ وخلافة أبي بكر وعمر، فلمّا استخلف عثمان ردّه إلى المدينة وولده، فكان ذلك ممّا أنكره الناس على عثمان، وكان أعظم الناس شؤماً على عثمان فإنّهم جعلوا أدخاله المدينة بعد إطراد النبيّ ﷺ إيّاه، وبعد إمتناع أبي بكر وعمر من ذلك أكبر الحجج على عثمان، ومات في خلافته، وقد قالت عائشة لمروان بن الحكم: أشهد أنّ رسول الله ﷺ لعن أباك وأنت في صلبه. وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت لمروان بن الحكم:

إنّ اللعين أباك فارم عظامه ... إن تَرْم تَرم مخلّجا مجنوناً

يضحى خميص البطن من عمل التقى ... ويظلّ من عمل الخبيث بطيناً

وكان الحكم هذا يقال له طريد رسول الله ولعينه، وهو والد مروان بن الحكم الذي صارت الخلافة إليه بالغلبة وتوارثها بنوه من بعده، وفيه قال محمّد بن الحنفية

لمّا كتب إليه عبد الملك بن مروان:

تسلّط الطلقاء ولعناء رسول الله صلى الله عليه وآله على سائر الناس....[١]

ومِن الشجرة الملعونة:

عقبة بن أبي معيط؛ أبان بن عمرو بن أميّة. كان أشدّ الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله وأذىً، إلى أن قاتل يوم بدر فأتي به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أسر، فأمر بضرب عنقه فجعل يقول يا ويلتي علام أقتل يا معشر قريش، أأقتل من بين هؤلاء؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعداوتك لله ولرسوله!

فقال: يا محمّد منّك أفضل، فاجعلني كرجل من هؤلاء من قومي وقومك، يا محمّد من للصبيّة؟ قال النار، وضرب عنقه، وقيل أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر به فصلب، فكان أوّل مصلوب في الإسلام.

وقال عطاء عن الشعبي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعقبة بن أبي معيط يوم بدر: والله لأقتلنّك.

فقيل أ تقتله من بين قريش؟!

قال: نعم، أنّه وطى على عنقي وأنا ساجدٌ، فما رفعت حتى ظننت أن عيني قد سقطتا، وجاء يوماً وأنا ساجد بسلا شاة فألقاه على رأسي، فأنا قاتله.[٢]

أشار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في العهد الذي كتبه لمحمّد بن أبي بكر رضي الله عنه حين قلّده مصر، فقال فيه:

«فإنّه لا سواء إمام الهدىٰ وإمام الرّدى، وولّي النبيّ وعدوّ النبيّ، ولقد قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله إنّي لا أخاف على أمّتي مؤمناً ولا مشركاً أمّا المؤمن فيمنعه الله بإيمانه، وأمّا المشرك فيقمعه الله بشركه، ولكنّي أخاف عليكم كلّ منافق الجنان، عالم

---

(١) النزاع والتخاصم: ص ٢٦.

(٢) النزاع والتخاصم: ص ٢٣.

اللّسان، يقول ما تعرفون، ويفعل ما تنكرون...».

الإمام عليه السلام يشير في قوله إلى معاوية (إمام الردى) وسمّاه إماماً كما سمّى الله تعالى أهل الضلالة أئمة فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾[1] ثمّ وصفه بصفة أخرى وهو أنّ معاوية كان عدوّا للنبيّ صلى الله عليه وآله وذلك لمحاربته لمن وجبت بيعته على كافة المسلمين فهو الآن عدوّ للنبيّ لقوله صلى الله عليه وآله مخاطباً عليّاً عليه السلام: «وعدوّك عدوّي، وعدوّي عدوّ الله...» والحديث مشهور روته العامة والخاصة.

ولهذا القول الصريح في حديث النبيّ صلى الله عليه وآله ألزمَ (المعتضد بالله) نفسه بلعن معاوية، وكتب كتاباً يقرأ على الملأ في جميع الأمصار والبلدان والأصقاع، وفي المساجد ومن على المنابر، وفي خطب الجمعة وفي الجماعات. وهذا الكتاب ينقله أبو جعفر الطبري قال: وفي سنة ٢٨٤ هـ عزم المعتضد على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر وأمر بإنشاء كتاب يقرأ على الناس....[2]

وذكر إبن إبي الحديد هذا الكتاب في شرح النهج ونحن نقتطف جزءاً منه، الذي يؤكّد فيه المعتضد بن الموفق طلحة بن المتوكل العبّاسي على سيرة بني أميّة الذين ناصبوا العداء للنبيّ وآله الأطهار عليهم السلام.

(...وكان ممّن عانده وكذّبه وحاربه من عشيرته العدد الكثير والسواد الأعظم، يتلقّونه بالضرر والتثريب ويقصدونه بالأذى والتخويف، وينابذونه بالعدواة وينصبونه له المحاربة ويصدّون من قصده، وينالون بالتعذيب من اتبعه، وكان أشدّهم في ذلك عداوة وأعظمهم له مخالفة أوّلهم في كلّ حرب، ومناصبة ورأسهم في كلّ أجلاب وفتنة لا يرفع على الإسلام راية إلّا كان صاحبها وقائدها ورئيسها

---

(١) القصص: ٤١.

(٢) تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر الطبري: ١٠ / ٥٤، (تحقيق أبو الفضل محمّد)، بيروت.

قال الغفاري: ولكتاب المعتضد كتاب قد سبق إليه المأمون في لعن معاوية وبني أميّة. وقد ذكر أنّ المعتضد أمر بإخراج الكتاب الذي كان المأمون أمر بإنشائه بلعن معاوية....

أبا سفيان بن حرب، صاحب أحد والخندق وغيرهما، وأشياعه من بني أميّة الملعونين في كتاب الله، ثمّ الملعونين على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله في مواطن عديدة لسابق علم الله فيهم، وما مضى حكمه في أمرهم وكفرهم ونفاقهم، فلم يزل لعنه الله يحارب مجاهداً، ويدفع مكايداً، ويجلب منابذاً، حتى قهره السيف، وعلا أمر الله وهم كارهون، فتعوّذ بالإسلام غير منطو عليه، وأسرّ الكفر غير مقلع عنه، فقبله، وقبل ولده على علم منه بحاله وحالهم، ثمّ أنزل الله تعالى كتاباً فيما أنزله على رسوله يذكر فيه شأنهم، وهو قوله تعالى: ﴿**وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ**﴾، ولا خلاف بين أحد من أنّه تعالى وتبارك أراد بها بني أميّة.

وممّا ورد في شأن أبي سفيان قول رسول الله صلى الله عليه وآله فيه وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوية يقوده، ويزيد[1] يسوقه؛ لعن الله الراكب والقائد والسائق.

أمّا مواقفه والمأثور عنه

فمنها: ما روته الرواة عنه من قوله يوم بيعة عثمان: تلقفوها يا بني عبد شمس تلقف الكرة، فوالله ما من جنّة ولا نار. وهذا كفر صراح يلحقه اللعنة من الله، كما لحقت الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم، ﴿**ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾.

ومنها: ما يروى من وقوفه على ثنية أحد من بعد ذهاب بصره وقوله لقائده: هٰهنا رمينا محمّداً، وقتلنا أصحابه.

ومنها: الكلمة التي قالها للعباس قبل الفتح وقد عرضت عليه الجنود: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً. فقال له العباس: انّه ليس بملك انّها النبوة.

ومنها: قوله يوم الفتح وقد رأى بلالاً على ظهر الكعبة يؤذّن ويقول: أشهد أنّ محمّداً رسول الله، لقد أسعد الله عتبة بن ربيعة إذ لم يشهد هذا المشهد.

---

(١) يزيد بن أبي سفيان، أخ لمعاوية.

ومنها: الرؤيا التي رآها رسول الله ﷺ فوجم لها، قالوا فما رؤي بعدها ضاحكاً، رأى نفراً من بني أميّة ينزون على منبره، نزو القردة.

ومنها: طرد رسول الله ﷺ الحكم بن أبي العاص لمحاكاته إيّاه في مشيته، وألحقه الله بدعوة رسول الله ﷺ آفة باقيّة حين التفت إليه فرآه يتخلج يحكيه، فقال: كن كما أنت، فبقى على ذلك سائر عمره....

ومنها: أنّ رسول الله ﷺ قال: يطلع من هذا الفج رجل من أمّتي يحشر على غير ملّتي، فطلع معاوية.

ومنها: أنّ رسول الله ﷺ قال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه.

ومنها: الحديث المشهور المرفوع أنّه ﷺ قال: إنّ معاوية في تابوت من نار أسفل درك من جهنم ينادي يا حنان يا منان، فيقال له: ﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.[1]

وإلى غير ذلك من الموارد الكثيرة التي أوردها المعتضد في كتابه التي تفضح رؤوس الشرك والنفاق، وتكشف الوجه الذي تستر به معاوية وآل بني أميّة.

ومِن الشجرة الملعونة:

أبو معيط بن أبي عمرو بن أميّة وعقبه بن أبي معيط (أبان بن عمرو بن أميّة) وأبو أحيحة سعيد بن العاص بن أميّة.

ومِن الشجرة الملعونة عدّة من نساء بني أميّة:

منهنّ: أم جميل بنت حرب بن أميّة والتي نزلت فيها الآية: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾.

---

(١) سورة يونس: ٩١. شرح النهج، إبن أبي الحديد: ١٥/ ١٧١ و١٧٦، تحقيق محمّد أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، بيروت ١٩٦٧م.

ومنهنّ: هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس (زوج أبي سفيان)، تقدّم ذكرها.

-١٩-
عناد قريش في ذروته

كان أبو سفيان يمثّل ذروة طغيان بني أميّة، ومثله كان أبو جهل يمثّل رأس الهرم في بني مخزوم، ومثلهما كان النضر بن الحارث بن كلدة رائد الشرك في بني عبد الدار....

عندما رجع النبيّ صلى الله عليه وآله من أداء مناسك الحجّ في السنة التي كان أجله فيها -وهي سنة حجة الوداع- نزل عليه الوحي بالآية الكريمة: ﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾.

فأوقف الناس عند غدير خم ثمّ قام فيهم خطيباً وأمر الناس أن يطيعوا عليّاً عليه السلام من بعده، فهو أخوه ووزيره وخليفته من بعده، وأمر جميع من حضر أن يدخلوا على الإمام عليّ عليه السلام ويسلّموا عليه بإمرة المؤمنين.

فقال قائلهم من قريش: ﴿اللّهُمَّ إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾.[١]

قال البخاري: وقائل ذلك أبو جهل.[٢]

وإليك تفصيل الحادثة من كتب الجمهور:

جاء في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ...﴾.[٣]

روى الحفّاظ وأئمة الحديث والرواة من علماء الجمهور أنّها نزلت -بعد حادثة الغدير- في جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري، وفي رواية الثعلبي أنّها

---

(١) الأنفال: ٣٢.

(٢) صحيح البخاري: ٥/ ٢٣٨، طبعة دار الفكر، بيروت ١٤١٤هـ.

(٣) المعارج: ١-٣.

نزلت في الحارث بن النعمان الفهري.

وفي جابر بن النضر آكد لأنّ والد جابر وهو النضر قتله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أسر يوم بدر الكبرىٰ.

قال الحافظ أبو عبيد الهروي في تفسيره غريب القرآن قال: لمّا بلّغ رسول الله صلى الله عليه وآله في غدير خم ما بلّغ، وشاع ذلك في البلاد أتى جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري فقال: يا محمّد أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّك رسول الله وبالصلاة والصوم والحجّ والزكاة فقبلنا منك، ثمّ لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع إبن عمّك ففضّلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعليّ مولاه.

فهذا شيء منك أم من الله؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي لا إله إلّا هو أنّ هذا من الله.

فولّى جابر يريد راحلته وهو يقول: اللّهم إن كان ما يقول محمّد حقّاً فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم. فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره، وقتله، وأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ...﴾ الآية.

قال الغفاري: من تصفّح كتب التفاسير والأحاديث والأخبار والتاريخ سوف يعثر على مرويّات الجمهور ما يناهز الثلاثين رواية من الروايات الصحاح والمعتبرة سنداً ومتناً، كلّها تؤكّد على أنّ الآيات المار ذكرها قد نزلت بعد حادثة الغدير، والسائل هو جابر بن النضر أو الحارث بن النعمان.

وأنا اذكر مصادر هذا الحديث الذي تقدّم ذكره على وجه الإختصار، رواه:

١ ـ أبو بكر النقّاش الموصلي البغدادي، المتوفّى سنة ٣٥١هـ، في تفسيره شفاء الصدور.

٢ ـ أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري، المتوفّى سنة ٤٢٧هـ، في تفسيره الكشف والبيان.

٣ ـ الحاكم الحسكاني، المتوفّى (بعد) سنة ٤٩٠ هـ، جاء تفصيل الخبر في كتاب دعاء الهداة إلى أداء حقّ الموالاة.

٤ ـ أبو بكر يحيى القرطبي، المتوفّى سنة ٥٦٧ هـ، رواه في تفسيره المشهور، ينظر تفسير سورة المعارج.

٥ ـ أبو المظفر سبط إبن الجوزي الحنفي، المتوفّى سنة ٦٥٤ هـ، رواه في تذكرته ص ١٩.

٦ ـ إبراهيم بن عبد الله اليميني الوصابي الشافعي، رواه في كتابه الإكتفاء في فضل الأربعة الخلفاء.

٧ ـ شيخ الإسلام الحمويني، المتوفّى سنة ٧٢٢هـ، رواه في فرائد السمطين في الباب الثالث عشر.

٨ ـ محمّد الزرندي الحنفي، رواه في كتابه (معارج الوصول) وكذلك في كتابه (درر السمطين).

٩ ـ شهاب الدين أحمد دولت آبادي، المتوفّى سنة ٨٤٩هـ، رواه في كتابه (هداية السعداء)، في الجلوة الثانية من الهداية الثامنة.

١٠ ـ نور الدين إبن الصباغ المالكي المكي، المتوفّى سنة ٨٥٥هـ، رواه في كتابه الفصول المهمّة، ص ٢٦.

١١ ـ نور الدين الحسني السمهودي الشافعي، المتوفّى سنة ٩١١هـ، رواه في جواهر العقدين.

١٢ ـ أبو السعود العمادي، المتوفّى سنة ٩٨٢هـ، رواه في تفسيره ٨/ ٢٩٢.

١٣ ـ شمس الدين الشربيني القاهري الشافعي، المتوفّى سنة ٩٧٧هـ، رواه في تفسيره السراج المنير ٤/ ٣٦٤.

١٤ ـ السيد جمال الدين الشيرازي، المتوفّى سنة ١٠٠٠هـ، رواه في كتابه الأربعين في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، الحديث الثالث عشر.

١٥ ـ الشيخ زين الدين المناوي الشافعي، المتوفّى سنة ١٠٣١ هـ، رواه في كتابه (فيض القدير في شرح الجامع الصغير) ٦ / ٢١٨.

١٦ ـ السيد بن العيدروس الحسيني اليمني، المتوفّى سنة ١٠٤١ هـ، رواه في (العقد النبوي والسرّ المصطفوي).

١٧ ـ الشيخ أحمد بن باكثير المكي الشافعي، المتوفّى سنة ١٠٤٧ هـ، رواه في كتابه (وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل).

١٨ ـ الشيخ عبد الرحمن الصفوري، رواه في كتابه النزهة ٢ / ٢٤٢.

١٩ ـ الشيخ برهان الدين علي الحلبي الشافعي، المتوفّى سنة ١٠٤٤ هـ، رواه في السيرة الحلبية ٣ / ٣٠٢.

٢٠ ـ السيد محمود بن محمّد القادري المدني، رواه في كتابه (الصراط السوي في مناقب النبيّ صلى الله عليه وآله).

٢١ ـ شمس الدين الحفني الشافعي، المتوفّى سنة ١١٨١ هـ، جاء الخبر في شرح (الجامع الصغير) للسيوطي ٢ / ٣٨٧.

٢٢ ـ الشيخ محمّد صدر العالم سبط الشيخ أبي الرضا، رواه في كتابه (معارج العلى في مناقب المرتضى عليه السلام).

٢٣ ـ الشيخ محمّد محبوب العالم، رواه في (تفسير شاهي).

٢٤ ـ أبو عبد الله الزرقاني المالكي، المتوفّى سنة ١١٢٢ هـ، حكاه في (شرح المواهب اللدنية) ٧ / ١٣.

٢٥ ـ الشيخ أحمد بن عبد القادر الحفظي الشافعي، رواه في كتابه (ذخيرة المآل في شرح عقد جواهر اللآل).

٢٦ ـ السيد محمّد بن إسماعيل اليماني، المتوفّى سنة ١١٨٢ هـ، رواه في كتابه (الروضة الندية في شرح التحفة العلوية).

٢٧ ـ السيد مؤمن الشبلنجي الشافعي المدني، رواه في كتابه (نور الأبصار في

مناقب آل بيت النبيّ المختار عليهم السلام) ص ٧٨.

٢٨ ـ محمّد عبده المصري، المتوفّى سنة ١٣٢٣ هـ، رواه في (تفسير المنار).[١]

أقول: هذه جملة من مصادر القوم وإعترافهم بأنّ الآية نزلت في ذلك السائل بعد واقعة الغدير، وهذا إعتراف صريح منهم بخلافة أمير المؤمنين عليه السلام وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد نصّبه في حياته.

قال الحاكم النيسابوري في سبب نزول الآيات من سورة المعارج: القائل هو النضر بن الحارث بن كلدة من بني عبد الدار[٢] ولكن لم يذكر موردها في غدير خم.

وعليك بتفصيل سبب نزولها في تفسير الآية الكريمة: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ...﴾.

قال الابشيهي: إنّ معاوية قال لرجل من اليمن: ما كان أجهل قومك حين ملّكوا عليهم امرأة! فقال الرجل: أجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الآية.

ولم يقولوا: اللّهم إن كان هذا هو الحقّ من عندك فاهدنا إليه.[٣]

قال الغفاري: هل تجد تصريحاً أكثر من هذا في إبراز حقدهم الدفين نحو النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام؟! فهؤلاء الذين اعتنقوا الإسلام يطلبون من الله أن لا يريهم ذلك اليوم الذي يكون فيه علي بن أبي طالب عليهما السلام خليفة وإلّا فليمطر عليهم بحجارة من السماء فتهلكهم.

---

(١) ينظر كتاب الغدير: ١/ ٢٦٠ ـ ٢٦٨، مؤسسة الأعلمي.

(٢) المستدرك للحاكم: ٢/ ٥٤٥، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.

(٣) المستطرف من كلّ فن مستظرف محمّد بن أحمد الاشبيهي: ١/ ٥٨، دار إحياء التراث العربي. وتفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧، طبعة سيد طيب الجزائري، النجف.

-٢٠-

الحيّة لا تلد إلاّ حيّة

بعد هذا العرض السريع لعداوة أميّة لبني هاشم، وكما عرفت أنّ الأبناء ورثوا من آبائهم كلّ تلك الصفات حذو النعل بالنعل، حتى وصل الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان، فقد ورث جميع الأحقاد والضغائن من آبائه، بل وزاد عليها من بغضه ولؤمه ما لا حدّ له ولا عدّ....

روى المسعودي وإبن أبي الحديد وآخرون أن مطرف بن المغيرة بن شعبة قال: وفدت مع أبي المغيرة إلى معاوية، فكان أبي يأتيه، فيتحدّث معه، ثمّ ينصرف إليّ فيذكر معاوية، ويذكر عقله، ويعجب ممّا يرى منه. إذ جاء ذات ليلة، فأمسك عن العشاء، فرأيته مغتماً، فانتظرته ساعة، وظننت أنهّ لشيء حدث فينا، أو في عملنا، فقلت له: ما لي أراك مغتماً، منذ الليلة؟

فقال يا بني: إنّي جئت من أخبث الناس وأكفرهم!

قلت له: وما ذاك؟

قال: قلت له وقد خلوت به: إنّك قد بلغت مناك يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً؟ فإنّك قد كبرت! ولو نظرت إلى أخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه!

فقال لي: هيهات! هيهات! ملك أخو تيم فعدل، وفعل ما فعل، فوالله ما عدا أن هلك، فهلك ذكره، إلاّ أن يقول القائل: (أبو بكر).

ثمّ ملك أخو عدي، فاجتهد، وشمّر عشر سنين، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، إلاّ أن يقول قائل: (عمر).

ثمّ ملك أخونا عثمان، فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه، فعمل ما عمل وعُمل به، فوالله ما عدا أن هلك، فهلك ذكره، وذكر ما فعل به.

وإن إبن أبي كبشة[١] يصرخ به في كلّ يوم خمس مرّات (أشهد أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله). فأي عمل يبقى بعد هذا، لا أمّ لك، إلّا دفناً دفناً.[٢]

من هنا جنّد معاوية عدّة رجال من الصحابة الذين عرفوا بإنحرافهم عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فأكثروا من الإفتراء عليه، ووضعوا الأحاديث على لسان النبي صلى الله عليه وآله كلّها كانت في مدح عثمان وبني أميّة، ثمّ وضعوا أحاديث أخر في ذمّ أمير المؤمنين عليه السلام والإنتقام منه، بل سنّ معاوية سبّ أمير المؤمنين عليه السلام على منابر المسلمين في كلّ الأمصار والبلدان. حتى نصحه بعض من ينتسب إلى بني أميّة فقال له: إنّك قد بلغت ما أمّلت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل، فقال: لا والله! حتى يربو عليها الصغير، ويهرم الكبير، ولا يذكر له ذاكر فضلاً.[٣]

إذن صدق المثل القائل: «أنّ الحية لا تلد إلّا حيّة» والكلّ يعلم أنّ بني أميّة من شجرة واحدة، وما معاوية إلّا من تلك الشجرة الملعونة، فهو كجدّه (أميّة) لقيط، وهو كأبيه من الطلقاء.

ولكي تعرف حقيقة هذا الرجل فإليك نبذة من أصله ونسبه:

نسب معاوية

روى أبو المنذر هشام بن محمّد بن السائب في كتاب (المثالب) قال: كان معاوية لأربعة[٤]: لعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي، ولمسافر بن عمرو، ولأبي سفيان، ولرجل آخر سمّاه، قال: وكانت هند أمّه من المعلمات[٥]، وكان أحبّ الرجال إليها السودان، وكانت إذا ولدت أسود قتلته، وأما حمامة، فهي بعض جدّات معاوية، كان

---

(١) في شرح النهج للمعتزلي إنّ أخا هاشم بدل إبن أبي كبشة.

(٢) شرح النهج: ٢/٣٥٧، ١/٤٦٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت (رحلي).

(٣) لقد مرّ كلام المغيرة بن شعبة لمعاوية.

(٤) أي تنازع فيه أربعة من الرجال كلّ يدعيه لنفسه.

(٥) أي من ذوي الرايات، فهي صاحبة علم في الزنا.

لها راية بذي المجاز يعني من ذوات الغايات في الزنا، وادّعى معاوية أخوّة زياد، وكان مدعٍ يقال له: أبو عبيد، عبد بني علاج من ثقيف، فأقدم معاوية علىٰ تكذيب ذلك الرجل، مع أنّ زياداً ولد على فراشه، وادّعى معاوية أنّ أبا سفيان زنى بوالدة زياد، وهي عند زوجها المذكور، وأنّ زياداً من أبي سفيان.

وروى الحافظ أبو سعيد إسماعيل بن علي السمّان الحنفي في كتاب (مثالب بني أميّة)، والشيخ أبو الفتوح محمّد بن جعفر بن محمّد الهمداني في كتاب (بهجة المستفيد) أنّ مسافر بن عمرو بن أميّة بن عبد شمس كان ذا جمال وسخاء، عشق هنداً وجامعها سفاحاً، فاشتهر ذلك في قريش، وحملت هند منه، فلمّا ظهر السفاح هرب مسافر من أبيها عتبة إلى الحيرة، وكان فيها سلطانِ العرب: عمرو بن هند، وطلب عتبة أبو هند أبا سفيان، ووعده بمال كثير وزوّجه إبنته هنداً، فوضعت بعد ثلاثة أشهر معاوية، ثمّ ورد أبو سفيان على عمرو بن هند أمير العرب، فسأله مسافر عن حال هند، فقال: إنّي تزوجتها، فمرض مسافر ومات.

أقول: حقيقة معاوية غير خافية على أرباب العلم والمؤرخين، ومن له باع في التحقيق العلمي، ونحن لا نريد أن نسرد المصادر التي قالت بنسب معاوية الوضيع، لكن أوردنا هذه الأخبار حتى لا يعظّمه أرباب المصالح، وأهل الزيغ والباطل، وكي لا يعظّمه هؤلاء الجهلاء فيتخذونه إماماً وخليفة وينسبونه إلى الحلم والكرم، وما ذكر هذه الأخبار إلّا للكشف عن هذا القناع الذي يتستر به معاوية ومريدوه، ومن قبل فضحه شاعر النبيّ ﷺ حسان بن ثابت فقال يهجو هنداً لمّا أخبره عمر بشعرها في أحد:

أشرت لكاع وكان عادتها ... لؤماً إذا أشرت مع الكفر
لعن الإله وزوجها معها ... هند الهنود عظيمة البظر

وفيها يقول:

ونسيتِ فاحشةً أتيتِ بها ... يا هند ويحك سبة الدهر

زعـــم الولائـــد أنّـــها ولدت ولداً صــغيراً كـــان مــن عــهر[1]

ولابن أبي الحديد تفصيل غير هذا حيث نقل عن محمّد بن إسحاق الأبيات الدّالية التي هجا بها حسان هنداً[2]، وكذلك نقل إبن أبي الحديد عن الزمخشري في (ربيع الأبرار) قال: كان معاوية يعزىٰ إلى أربعة: إلى مسافر بن أبي عمرو، وإلى عمارة بن الوليد بن المغيرة، وإلى العباس بن عبد المطلب، وإلى الصباح مغنٍّ كان لعمارة بن الوليد، قال: وكان أبو سفيان ذميماً قصيراً وكان الصباح عسيفاً[3] لأبي سفيان، شاباً وسيماً، فدعته هند إلى نفسها فغشيها، وقالوا: إنّ عتبة إبن أبي سفيان من الصباح أيضاً، وقالوا: إنّها كرهت أن تدعه في منزلها، فخرجت إلى أجـياد فوضعته، وفي هذا المعنى يقول حسان أيّام المهاجاة بين المسلمين والمشركين في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله قبل عام الفتح:

لمـــن الصـــبي بـجانب البـطحاء في التـرب مـلقى غـير ذي مـهد
نـــجلت بـــه بـيضاء آنســـة من عـبد شـمس صـلبة الخـد[4]

وقال إبن الأثير: رأى معاوية أن يستميل زياداً ويستصفي موّدته بـاستلحاقه، فاتفقا على ذلك، وأحضر الناس وحضر من يشهد لزيـاد، وكـان فـيمن حـضر: أبو مريم السلولي، فقال معاوية: بم تشهد يا أبا مريم؟ فقال: أنا أشهد أنّ أبا سفيان حضر عندي وطلب منّي بغياً، فقلت له: ليس عندي إلّا سميّة.

فقال: ائتني بها على قذرها ووضرها[5]، فأتيته بها فخلا معها، ثمّ خرجت من عنده، وإن اسكتيها ليقطران منيّاً.

فقال له زياد: مهلاً أبا مريم، إنّما بعثت شاهداً ولم تبعث شـاتماً، فـاستلحقه معاوية....[6]

---

(١) روى الأبيات الطبري في تاريخه: ٣ / ٢٣.

(٢) شرح النهج: ٣ / ٣٨٧، ط ١.

(٣) العسيف: الأجير.

(٤) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ١ / ١١١، ط ١.

(٥) الوضر: الوسخ.

(٦) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣ / ٢٢٥. وفي طبعة أخرىٰ: ص ١٧٧. وشرح النهج: ٤ / ٧٠.

ـ٢١ـ

هاشم من أهل الإيمان

قال السيوطي، وإبن جرير في تفسيره، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾.(١)

قال: فاستجاب الله لإبراهيم عليه السلام دعوته في ولده فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته.(٢)

وعلى هذا فهاشم لم يعبد الصنم قطّ، وسيرته خالية من الإشارة إلى عبادة الأوثان.

وقد استدلّ مجاهد وسفيان بن عيينه على إستمرار التوحيد في ذرية إبراهيم بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً...﴾.

وفي تفسير إبن المنذر عن إبن جريح في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ قال: فلن يزال من ذرية إبراهيم عليه السلام ناس على الفترة(٣) يعبدون الله.

وهؤلاء الموحّدون ـ كما أكّد العلماء وأهل التفسير والتاريخ ـ هم أجداد النبيّ صلى الله عليه وآله وآباؤه الساجدون لله على دين الحنيفية بدليل قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾.(٤) وبذلك فهاشم وآباؤه إلى إبراهيم عليه السلام مشمولون ببركة هذه الآية

---

(١) إبراهيم: ٣٥.

(٢) الرسائل التسع للسيوطي: ١٨٣.

(٣) الفترة: قيل هي ما بين عيسى والنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله تقدّم شرحها.

(٤) قال السيوطي في تفسير الآية: عن إبن عباس، قال: من نبيّ إلى نبيّ حتى اخرجتك نبيّاً. ينظر كتاب الشفاء للقاضي عياض: ١ / ٥٥، ومناهل الصفا للسيوطي: ص ٣١، طبعة دار الجنان، بيروت ١٩٨٨م.

وفي السيرة النبوية للسيد أحمد زيني دحلان ذكر حديث النبيّ صلى الله عليه وآله حيث قال: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح»، م ١ / ٤٢، طبعة دار القلم العربي، سورية، حلب ١٩٩٦م. وقال صلى الله عليه وآله: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات»، السيرة النبوية لزين دحلان: ١ / ٧٠.

الكريمة، وهكذا من هاشم إلى عبد الله هم أيضاً مشمولون ببركة هذه الآية، وسوف نوافيك أنّ نور عبد المطلب وهو نور التوحيد والإيمان بالله، انقسم إلى نصفين؛ نصف صار في عبد الله والد النبيّ صلى الله عليه وآله وهو نور النبوة، والنصف الأخر صار في أبي طالب عليه السلام فكانت فيه الوصاية، ومن أبي طالب انتقل هذا النور إلى ولده عليّ عليه السلام، فكان وصيّ النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله.

-٢٢-

ملة عبد المطلب: التوحيد

قال المسعودي فممّن كان مقرّاً بالتوحيد، مثبتاً للوعيد تاركاً للتقليد عبد المطلب، وقد كان حفر بئر زمزم، وكانت مطوية، وذلك في ملك كسرى بن قباد، فاستخرج منها غزالتي ذهب عليهما الدر والجوهر، وغير ذلك من الحلي، وسبعة أسياف قلعية، وسبعة أدرع سوابغ، فضرب من الأسياف باباً للكعبة... وكان عبد المطلب أوّل من أقام الرّفادة والسقاية للحاج، وكان أوّل من سقى الماء بمكّة عذباً وجعل باب الكعبة مذهّباً.[١]

قال العلامة الماوردي في أعلام النبوة: لمّا كان أنبياء الله صفوة عباده، وخير خلقه؛ لما كلّفهم من القيام بحقّه استخلصهم من أكرم العناصر، وامدّهم بأوكد الأواصر، حفظاً لنسبهم من قدح، ولمنصبهم من جرح، لتكون النفوس لهم أوطأ، والقلوب لهم أصغى فيكون الناس إلى إجابتهم أسرع، ولأوامرهم أطوع.[٢]

---

(١) مروج الذهب، للمسعودي: ٢/ ١٢٧، طبعة دار المعرفة، بيروت ١٩٨٢م.

(٢) بلوغ الأدب، للآلوسي: ج ٢/ ٢٨٢، ط ٣، دار الكتب الحديثة، مصر.

-٢٣-

نور محمّد ﷺ وعلي عليه السلام من مصادر الجمهور

روى الحمويني والقندوزي بطريقهما إلى زيد بن المنذر عن الإمام الباقر عليه السلام عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام عن الرسول ﷺ أنّه قال: قال لي رسول الله ﷺ: يا عليّ خلقت أنا وأنت من نور واحد، كان ذلك بين يدي الله عزّ وجلّ من قبل أن يخلق آدم بألفي عامّ، ولمّا خلق الله آدم سلك ذلك النور في صلبه، ولم يزل ينقله الله من صلب إلى صلب حتى أقرّه في صلب عبد المطلب، ثمّ قسمه نصفين، فصار قسم في صلب أبي (عبد الله)، و صار القسم الثاني في صلب عمّي (أبي طالب)، فأنت منّي وأنا منك، لحمك لحمي ودمك دمي.[١]

ولهذا الحديث طرق عديدة وصحيحة تجاوزت حدّ التواتر في عشرات المصادر من الفريقين.

وفي أمالي المفيد، ذيل الحديث هكذا: ثمّ نقلنا من صلب إلى صلب، في أصلاب الطاهرين وأرحام المطهّرات حتى انتهينا إلى صلب عبد المطلب، فقسمنا قسمين، فجعل في عبد الله نصفاً، وفي أبي طالب نصفاً، وجعل النبوة والرسالة فيّ، وجعل الوصية والقضية فيه، ثمّ اختار لنا إسمين اشتقّهما من أسمائه فالله محمود وأنا محمّد، والله العليّ وهذا عليّ، فأنا للنبوة والرسالة، وعليّ للوصية والقضية.[٢]

وفي بحار الأنوار مثله.[٣]

قال الغفاري: والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدّاً، وطرقها متعددة، وهي

---

(١) فرائد السمطين: ١/ ٤١ـ٤٤، ط بيروت ١٩٧٨م. ومواهب الواهب: ص ٥٣، وما بعدها حيث ذكر الخبر مفصّلاً عن جابر الأنصاري. وينابيع المودّة، للقندوزي: ص ١٠، ط إعتماد ١٩٦٦م.

(٢) أمالي، الشيخ الطوسي: ص ٥٠٠، حديث ١٠٩٥/ ٢، تحقيق مؤسسة البعثة، قم ١٤١٤هـ.

(٣) البحار، للمجلسي: ٣٥/ ٢٦، حديث ٢٢ و١٥/ ١٣، حديث ١٥ و١٦ طبعة ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٣م.

صحاح معتبرة سنداً ومتناً، ويمكن أن نستخلص منها عدّة نتائج:

أوّلاً: اللازم من طهارة الصلب أن يكون موحّداً مؤمناً، معتقداً بوحدانية الله تبارك وتعالى.

ثانياً: ما ينطبق على أجداد النبيّ صلى الله عليه وآله ينطبق على أجداد أبي طالب عليه السلام فهما في النسب من عمود واحد.

ثالثاً: أن نعتقد بإيمان كلّ من أجداد النبيّ صلى الله عليه وآله وأبي طالب، فلو كان آباؤهما كفّاراً لما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما زلنا ننقل من أصلاب طاهرة إلى أرحام مطهرة....

رابعاً: أنّ صلب المشرك ورحم الكافر لا يكونا طاهرين بحكم الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ...﴾.

وقد ذكر القسطلاني في المواهب اللدنية حديث النور والأصلاب الطاهرة، وفصّل في نسب النبيّ صلى الله عليه وآله من لدن آدم وحواء إلى عبد الله وآمنة، وأكّد على أن نسبه الشريف مبتني، على النكاح الصحيح.

وعن إبن عباس فيما رواه البيهقي في سننه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء؛ ما ولدني إلّا نكاح الإسلام. ثمّ قال: وروى إبن سعد وإبن عساكر عن هشام بن محمّد بن السائب الكلبي عن أبيه قال: كتبت للنبيّ صلى الله عليه وآله خمسمائة أمّ فما وجدت فيهنّ سفاحاً ولا شيئاً ممّا كان في أمر الجاهلية.

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمّي، لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء.

رواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم، وإبن عساكر.

وروى أبو نعيم عن إبن عباس عن النبيّ صلى الله عليه وآله مرفوعاً ـ لم يلتق أبواي قطّ على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيّبة إلى الأرحام الطاهرة، مصفّى مهذّباً لا تتشعب شعبتان إلّا كنت في خيرهما.

وعنه في قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ قال: من نبيّ إلى نبيّ حتى

أخرجتك نبيّاً، رواه البزار.

وعنه أيضاً في الآية قال: ما زال النبيّ ﷺ يتقلّب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمّه، رواه أبو نعيم.[١]

وفي دلائل النبوة لأبي نعيم عن عائشة عنه ﷺ عن جبرئيل قال: قال تعالى: قلّبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلاً أفضل من محمّد ﷺ، ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم. وكذا أخرجه الطبراني في الأوسط.

قال الحافظ شيخ الإسلام إبن حجر لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن.[٢]

قال الغفاري: والأحاديث المرويّة في هذا الباب كثيرة فاقتصرنا على هذا المقدار خوف الإطالة.

ثمّ ينبغي الإشارة إلى حديث روته عائشة، قالت: حجّ بنا رسول الله ﷺ حجة الوداع، فمرّ بي على عقبة الحجون فمكث مليّاً وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكائه، ثمّ انّه نزل فقال: يا حميراء استمسكي فاستندت إلى جنب البعير فمكثت مليّاً ثمّ عاد إليّ وهو فرح متبسّم، فقال: ذهبت لقبر أمّي فسألت ربّي أن يحييها فأحياها، فآمنت بي، وكذا روي من حديث عائشة أيضاً إحياء أبويه ﷺ حتى آمنا به، أورده السهيلي وآخرون.[٣]

قال الغفاري: وليس إحياء أبوي النبيّ ﷺ على الله بعسير، فقد ورد في الكتاب العزيز إحياء قتيل بني اسرائيل وإخباره بقاتله. وكان عيسىٰ عليه السلام يحيى الموتى، وكذلك نبيّنا ﷺ أحى الله تعالى على يده جماعة من الموتى، فإذا ثبت هذا

---

(١) السيرة النبوية، على هامش السيرة الحلبية لزيني دحلان: ص ٥٩.

(٢) المواهب اللدنيّة، للقسطلاني: ١/ ١٣، ط دار الكتب العلمية.

(٣) المواهب اللدنيّة بالمنح المحمّدية، للعلامة الخطيب القسطلاني: ١/ ٣٣، طبعة دار الكتب العلمية. والسيرة النبوية على السيرة الحلبية: ص ٥٩.

فلا يمتنع إيمانهما بعد احيائهما... ونحن كما بيّنا أنّ إيمان أبوي النبيّ صلى الله عليه وآله وأبي طالب عليه السلام هو من المسلّمات في عقائدنا، وهذا الإيمان الذي حصل بعد احيائهما إنّما هو للإقرار أيضاً بولاية أمير المؤمنين عليه السلام، فلا تغفل.

ثمّ لا يخفى عليك إنّ الروايات في إحياء أبوي النبيّ صلى الله عليه وآله هي كثيرة وقد مرّت عليك الرواية عن عائشة، أنّ الله سبحانه احيا آمنه فآمنت بالرسول، وأما إحياء عبد الله فكذلك هناك عدّة روايات، وقد ذكر العلامة المرحوم زيني دحلان روايات احياء أبوي النبيّ من طرق كثيرة، كما رواها السيوطي والزرقاني وإبن حجر وصححه التلمساني.

بل ذكر زيني دحلان عدّة افراد احياهم الله وقد ذكر هذه الروايات أيضاً العلامة القسطلاني في المواهب اللدنية.

وممّا يعزّز تلك الروايات، ما نقله الزرقاني حيث قال: إنّ آباء النبيّ صلى الله عليه وآله على الحنيفية، وأنّ عبد المطلب على دين الحنيفية.[١]

إذاً إقرار أبي طالب عليه السلام أمام الرسول صلى الله عليه وآله عند الساعات الأخيرة وأنّه على دين عبد المطلب أي أنّه على دين الحنيفية قد أكّدته الروايات المار ذكرها.

روى المجلسي عن صاحب الأمالي... فلمّا أن خلق آدم نقل ذلك الماء من اللؤلؤ فاجراه في صلب آدم إلى أن قبضه الله، ثمّ نقله إلى شيث، فلم يزل ذلك الماء ينتقل من ظهر إلى ظهر حين صار في عبد المطلب، ثمّ شقّه الله عزّ وجلّ نصفين، فصار نصفه في أبي؛ عبد الله بن عبد المطلب، ونصف في أبي طالب، وأنا من نصف الماء، وعلي من النصف الآخر. فعليّ عليه السلام أخي في الدنيا والآخرة ثمّ قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

(١) السيرة النبوية، على هامش السيرة الحلبية للسيد أحمد زيني دحلان: ص ٥٩ ـ ٦٤، وقد جاء في أخبار عديدة وأحاديث صحيحة أنّ الرسول قال صلى الله عليه وآله: يبعث جدي عبد المطلب في زي الملوك وابهة الأشراف. ص ٦٤ من السيرة النبوية المتقدّم.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً﴾.(١)

وفي البحار أيضاً عن معاني الأخبار بسنده عن رسول الله ﷺ ... لمّا أن خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه، ولقد سكن الجنّة ونحن في صلبه، ولقد همّ بالخطيئة ونحن في صلبه، ولقد ركب نوح في السفينة ونحن في صلبه، وقد قذف إبراهيم في النار ونحن في صلبه، فلم يزل ينقلنا الله عزّ وجلّ من صلب طاهر إلى أرحام طاهرة، حتى انتهى بنا إلى عبد المطلب فقسمنا بنصفين فجعلني في صلب عبد الله، وعليّاً في صلب أبي طالب عليه السلام.(٢)

روى الكليني في الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: يا محمّد إنّي خلقتك وعليّاً نوراً، يعني روحاً بلا بدن قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري، فلم تزل تهلّلني وتمجّدني، ثمّ جمعت روحيكما فجعلتهما واحدة، فكانت تمجّدني وتقدّسني وتهلّلني، ثمّ قسمتها ثنتين وقسمت الثنتين ثنتين فصارت أربعة؛ محمّد واحد، وعليّ واحد، والحسن والحسين ثنتان....(٣)

وروى الكليني بسنده، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان، وخلق نور الأنوار الذي نوّرت منه الأنوار، وأجرى فيه من نوره الذي نوّرت، وهو النور الذي خلق منه محمّداً وعليّاً، فلم يزالا نورين، أوّلين إذ لا شيء كوّن قبلهما، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهّرين في الأصلاب الطاهرة، حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب عليهما السلام.(٤)

هذه الروايات وغيرها تؤكّدها الزيارة الواردة عن المعصوم في زيارة الإمام الشهيد الحسين بن علي عليهما السلام، جاء فيها:

---

(١) الفرقان: ٥٤، والحديث في البحار: ١٥/ ١٣.

(٢) البحار: ١٥/ ٢١.

(٣) الكافي، للشيخ الثقة الكليني: ١/ ٤٤٠، باب مولد النبيّ ﷺ، حديث ٣، طبعة دار الكتب الإسلامية، طهران.

(٤) الكافي، للشيخ الثقة الكليني: ١/ ٤٤٢، باب مولد النبيّ ﷺ، حديث ٩.

﴿أشهد أنّك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهّرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مد لهمّات ثيابها ...﴾.[(١)]

فالإمام الحسين عليه السلام ينتمي إلى إبراهيم وإسماعيل وعبد المطلب وأبي طالب وهو جدّه لأبيه، فاللازم من طهارة الصلب أن يكون الجميع موحّدين مؤمنين؛ لم تنجّسهم الجاهلية بأصنامها، فلم يرد في سيرتهم ولا في عقيدتهم ذكر للأصنام والأوثان بل كانوا على ملّة عبد المطلب وهي الحنيفية.[(٢)]

عن الأصبغ بن نباته قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: والله ما عبد أبي ولا جدّي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً.

قيل: فما كانوا يعبدون؟

قال عليه السلام: كانوا يصلّون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام.

قال الغفاري: إنّ روايات النور والأصلاب التي احتضنت ذلك النور كثيرة، رواها المخالف والمؤالف، منها خبر المثرم الراهب ينقله جابر بن عبد الله الأنصاري عن الرسول صلى الله عليه وآله الذي جاء فيه أنّ نوره خلقه الله قبل أن يخلق آدم، قبل خمسمائة ألف عام.[(٣)]

جاء في البحار أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: إنّ عبد المطلب كان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل ما ذبح على النصب، ويقول: أنا على دين إبراهيم عليه السلام.[(٤)]

قال السيد أحمد زيني دحلان: قال أبو طالب عليه السلام، أنا على ملّة عبد المطلب ثمّ

---

(١) الزيارة الخامسة للإمام الحسين عليه السلام، كما في مفاتيح الجنان وهي زيارة وارث وذكرها الشيخ الكفعمي في المصباح.

(٢) ينظر: كمال الدين وتمام النعمة: ص ١٧٥.

(٣) مواهب الواهب: ص ٥٣، طبعة حجرية، وإكمال الدين: ص ١٧٥.

(٤) البحار، للمجلسي: ١٥/ ١٢٧، حديث ٦٧، رواه عن الخصال للشيخ الصدوق.

قال: وانّه كان وصيّاً من أوصياء إبراهيم عليه السلام.(١)

هذه الروايات الصحيحة المتظافرة التي جاوزت حدّ التواتر تقودنا إلى أمر واحد هو الإذعان لقول النبيّ صلى الله عليه وآله في حقّ آبائه وأجداده وأنّ النور الذي كان في آدم عليه السلام تناقلته الأصلاب والأرحام حتى وصل إلى عبد المطلب، ثمّ انقسم إلى نصفين، نصفه في عبد الله عليه السلام والنصف الآخر في أبي طالب عليه السلام.

إذاً من الواجب ـ المفروغ عنه ـ هو أن نعتقد بإيمان كلّ واحد من أجداد النبيّ صلى الله عليه وآله. وما يصدق على أجداد النبيّ صلى الله عليه وآله يصدق على أجداد الوصيّ علي عليه السلام لأنّهما من صلب واحد، ومن شجرة واحدة.

فلو كان آباء النبيّ صلى الله عليه وآله كفّاراً ـ كما يزعم المخالف ـ لما قال رسول الله صلى الله عليه وآله عنه وعن علي عليه السلام: «ما زلنا ننقل من أصلاب طاهرة إلى أرحام مطهّرة»، فكلامه صلى الله عليه وآله دليل قاطع على أنّ آبائهما إلى آدم كانوا جميعاً مؤمنين موحّدين، لأنّ صلب المشرك ورحم الكافر لا يكونا طاهرين بحكم الآية الشريفة: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾.

ـ ٢٤ ـ

تعريف الإسلام

في اللغة: أسلم: انقاد، والإسلام هو الإنقياد لأمر الآمر والخضوع له.

وفي الإصطلاح: يراد به الدين الحنيف، وكلّ من نطق الشهادتين سمّي مسلماً.

وهذا التعريف يصدق على المعنى الأعمّ. حيث به تحقن الدماء وتجري عليه المناكح والمواريث.

وأمّا المعنى الأخصّ هو العمل والإنقياد لأوامر الشريعة الغرّاء وقد جاء في الحديث: بني الإسلام على خمس؛ على الصلاة والزكاة والصوم والحجّ والولاية،

---

(١) أسنى المطالب: ص ٢٠.

ولم يناد بشيء مثل ما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه (الولاية).

-٢٥-

تعريف الإيمان

الإيمان لغة: التصديق، وسمّي المؤمن مؤمناً لأنّه مصدّق لله تعالى ولرسله.

وفي الإصطلاح: إعتقاد بالقلب وتصديق باللسان وعمل بالجوارح. ولمعرفة إيمان الرجل، فهناك طريقان:

الأوّل: أن نشاهد المكلّف عن قرب أنّه مصدق لله تعالى ورسله عليهم السلام، وأنّه مقرّ بجيمع المعارف، والواجبات، عاملاً بها....

الطريق الثاني: خبر المخبر الثقة الصادق كالأنبياء والمعصومين، ومن دونهم من العلماء الثقاة.

وفي تقريب معنى الإسلام والإيمان نذكر رواية أبي الجارود، قال: قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام هل تعرف مودّتي لكم وإنقطاعي إليكم، وموالاتي إيّاكم؟ قال: فقال: نعم.

قال: فقلت فإنّي أسألك أن تجيبني فيها فإنّي مكفوف البصر، قليل المشي ولا استطيع زيارتكم كلّ حين.

قال: هات حاجتك.

فقلت أخبرني بدينك الذي تدين الله عزّ وجلّ به أنت وأهل بيتك لأدين الله عزّ وجلّ به. قال عليه السلام: إن اقصرت الخطبة فقد أعظمت المسألة، والله لأعطينك ديني ودين آبائي الذي تدين الله عزّ وجلّ به:

شهادة أن لا إله إلّا الله.

وأنّ محمّداً رسول الله.

والإقرار بما جاء به من عند الله.

والولاية لوليّنا والبراءة من عدوّنا.

والتسليم لأمرنا.

وإنتظار قائمنا.

والإجتهاد والورع.

فكلّ من الإيمان.

فالإنسان تارة يوافق ظاهره الباطن فهو مؤمن حقّاً، وتارة لا يوافق ظاهره باطنه فهو منافق، وهو معنى قوله تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

وقد يكون ظاهره غير باطنه لأنّ الظاهر ربّما يقتضي المصلحة بأن يظهر ما يكون موافقاً للمشركين ولكن باطنه مملوّ من الإيمان، فهذا أيضاً مؤمن حقّاً كما في أصحاب الكهف فإنّهم أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك خوفاً من سلطان زمانهم، ومثل آسية بنت مزاحم إمرأة فرعون، ومثل سيد البطحاء أبي طالب فإنّه عليه السلام كان يظهر الشرك حفظاً لمحمّد صلى الله عليه وآله، ولولا ذلك لم يتمكن رسول الله صلى الله عليه وآله من دعوة الناس إلى التوحيد.

ملخّص الكلام:

إنّ إيمان الشخص يثبت إمّا بلسانه كأن يقول: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله.

وإمّا بأفعاله وأقواله الدالة على أنّه مؤمن بالله وبرسوله كأبي طالب عليه السلام، فإنّ كلّ ما صدر من أقواله وأشعاره وحمايته للنبيّ صلى الله عليه وآله دالّة على أنّه كان موحّداً ومعترفاً بنبوة محمّد صلى الله عليه وآله، وأمّا يثبت بتصديق النبيّ والأئمة له، مثل أبي ذر وإبن عباس وأبي طالب عليه السلام....

وفي إثبات إيمان أبي طالب عليه السلام قال العلامة البرزنجي: ثبت إيمانه بالحجج والبراهين، وفي ذلك يعقّب المرحوم السيد أحمد بن زيني دحلان الشافعي فيقول: أمّا إثبات الايمان فإنّه يتوقّف أوّلاً على معرفة معنى الايمان ومعناه شرعاً هو

التصديق القلبي بوحدانية الله تعالى ورسالة النبيّ صلى الله عليه وآله، والتصديق بكلّ ما جاء به عن الله تعالى، وأمّا الإسلام شرعاً فهو الإنقياد بالأفعال الظاهرة الشرعية، ويدلّ علىٰ هذا قوله صلى الله عليه وآله الإسلام علانية والإيمان في القلب، فقد يجتمعان، وذلك في المصدّق بقلبه بالشهادتين.

وينفرد الإسلام عن الإيمان في المنافق الذي ينطق بالشهادتين وينقاد لأحكام الإسلام ظاهراً، وهو بقلبه مكذّب غير مصدق.

وينفرد الإيمان عن الإسلام فيمن يصدّق بقلبه ولا ينطق بالشهادتين وهو على قسمين، فقسم لا ينطق بالشهادتين ـ عناداً ـ ولا ينقاد للأفعال الظاهرة الشرعية، وذلك ككثير من علماء اليهود الذين عرفوا أن سيدنا محمّداً صلى الله عليه وآله رسول صادق، ومع ذلك لم ينطقوا بالشهادتين، ولم يتبعوه، ولم ينقادوا لما جاء به وقد قال الله تعالى فيهم: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾. فهم لم يقرّوا برسالته عناداً ويعتقدون في قلوبهم صدقه في دعوى الرسالة، فهؤلاء مؤمنون به في الباطن، مكذّبون به في الظاهر عناداً فلا ينفعهم الإيمان الباطني حيث كان تكذيبهم الظاهري عناداً.

وأمّا إذا كان عدم الإنقياد الظاهري وعدم النطق بالشهادتين لعذرٍ لا لعناد، وهذا هو القسم الثاني، فإنّ الإيمان الباطني ينفع صاحبه، باطناً عند الله في الدار الأخرة، ولكنّه في الظاهر يعامل معاملة الكفار، فيقال أنّه كافر بحسب أحكام الدنيا.

والعذر الذي يمنع من الإنقياد في الظاهر له أسباب، منها: الخوف من ظالم بأنّ خاف إن أظهر إسلامه وإنقياده أن يقتله أو يؤذيه أذى لا يحتمل، أو يؤذي أحداً من أولاده أو أقاربه، فهذا يجوز اخفاء إسلامه. بل لو أكرهه الظالم على التلفظ بالكفر فأنّه يجوز له أن يتلفظ به، وقد أشار سبحانه وتعالى إلى هذا بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ...﴾.

ومن هذا القبيل إمتناع أبي طالب من الإنقياد في الظاهر خوفاً على إبن أخيه، وهو سيدنا محمّد صلى الله عليه وآله، فإنّه كان يحميه وينصره، ويدفع عنه كلّ أذى ليبلّغ رسالة

ربّه، وكان كفّار قريش يمتنعون من إيذاء النبيّ ﷺ رعاية لأبي طالب عليه السلام ولحمايته. وكانت رياسة قريش بعد عبد المطلب لأبي طالب عليه السلام، فكان أمره عليهم نافذاً، وحمايته عندهم مقبولة، لعلمهم بأنّ أبا طالب على ملّتهم ودينهم، ولو علموا أنّه اسلم وتبع النبيّ ﷺ فإنّهم لا يقبلون حمايته ونصره، بل كانوا يقاتلونه ويؤذونه، ويفعلون معه من الأذى أكثر ممّا يفعلونه بالنبيّ ﷺ. ولا شك هذا عذر قويّ لأبي طالب عليه السلام، مانع من إظهار الإنقياد الظاهر، والإتباع للنبيّ ﷺ، فلهذا كان يظهر لهم أنّه على دينهم وملّتهم، وأنّه إنّما يدفع عن النبيّ ﷺ لأجل القرابة التي بينه وبينه، وكانوا يعتقدون أنّه إنّما يحميه وينصره للحمية، لا للإتباع في الدين، بل للحمية التي كانت مشهورة بين العرب، وقد كان في الباطن قلبه مملوءاً بتصديقه ﷺ لما شاهده من المعجزات....

وكان يأتي في الظاهر بألفاظ تدلّ على ذلك، وبألفاظ أخرى يوهم بها على الكفّار أنّه على دينهم، وليس متابعاً للنبيّ ﷺ، ليدفع بها عن نفسه الشبهة والتهمة من أنّه متّبع للنبيّ ﷺ لينفذوا حمايته ونصره.

ثمّ ذكر البرزنجي أقوال العلماء عند المذاهب الإسلامية في النطق بالشهادتين هل هو شرط، أي جزء من مسمّى الإيمان، أو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية...؟

ذكر قول أبي حنيفة، وقول العلامة العيني في شرح البخاري، وقول حافظ الدين النسفي، وقول أبي الحسن الأشعري، وعضد الدين في المواقف، والغزالي وإمام الحرمين، والقاضي الباقلاني، وأبي إسحاق الأسفرايني، والتفتازاني، وآخرين، وفي ذلك نقل ما رووه عن النبيّ ﷺ أنّه قال: من علم أنّ الله ربّه، وأنّي نبيّه صادقاً عن قلبه حرّم الله لحمه على النار.[1]

وروى البخاري ومسلم عن عثمان بن عفّان أنّ رسول الله ﷺ قال: من مات وهو يعلم أنّ لا إله إلّا الله، دخل الجنة.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير عن عمران بن حصين.

وروى الطبراني عن سلمة بن نعيم الأشجعي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لقي الله لا يشرك به شيئاً، دخل الجنة. قال: قلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله: وإن زنى، وإن سرق؟ قال: وإن زنى، وإن سرق.(١)

وقد استخلص المرحوم البرزنجي من أقوال العلماء التي ذكرها هو إتفاقهم على أنّ الإيمان هو التصديق فقطّ.

قال إبن حجر في شرح الأربعين: إنّ لكلّ من الائمة الأربعة قولاً بأنّه مؤمن عاص بترك التلفظ، بل الذي عليه جمهور الأشاعرة وبعض محققي الحنفية، كما قال المحقق الكمال بن الهمام وغيره: إنّ الإقرار باللسان إنّما هو شرط لإجراء أحكام الدنيا فحسب.

ثمّ ذكر إختلاف العلماء في أنّه يشترط لفظ الشهادتين بلفظهما المعروف، أو يكفي الإتيان بغير المعروف ممّا يدلّ على الإيمان.

ذكر فيه قولين.

والراجح كما يقول: أنّه لا يشترط خصوص اللفظ المعروف، وأنّ الإيمان ينعقد بغير اللفظ المعروف.

ثمّ قال: إذا علمت ذلك، فنقول: تواترت الأخبار أنّ أبا طالب عليه السلام كان يحبّ النبيّ صلى الله عليه وآله، ويحوطه، وينصره، ويعينه على تبليغ دينه، ويصدّقه فيما يقوله، ويأمر أولاده كجعفر وعليّ بإتباعه ونصره، وكان يمدحه في أشعاره بما يدلّ على تصديقه.(٢)

---

(١) أسنى المطالب، سيد أحمد بن زيني دحلان: ط ٢، ص ٨، ومطبعة ذات التحرير لمحمّد أفندي، مصر ١٣٠٥هـ.

(٢) أسنى المطالب: ص ١٠.

الفصل الثاني

لماذا أخفىٰ أبو طالب (عليه السلام) إيمانه؟

* ما قيل في إيمان أبي طالب من أقوال
* نسب أبي طالب (عليه السلام)
* لماذا أخفى أبو طالب إيمانه؟
* مَنْ كتم إيمانه في الأمم السالفة؟
* أبو طالب (عليه السلام) مثله كمثل مؤمن آل فرعون وإبراهيم وأصحاب الكهف
* نصرة أبي طالب للنبيّ (صلى الله عليه وآله) منذ أوّل البعثة
* متى ظهر التشكيك في إيمان أبي طالب (عليه السلام)؟
* بماذا تمسّك المشكّكون؟
* حديث الضحضاح
* سند الحديث
* رجال في الميزان
* المغيرة بن شعبة
* عداوة المغيرة لبني هاشم
* من جرائم المغيرة
* تعقيبات خمس

ما قيل في إيمان أبي طالب عليه السلام

لو تصفّحت جميع كتب الحديث والتاريخ والأخبار والأنساب سوف تجد في إيمان أبي طالب أقوالاً أربعة وهي:

القول الأوّل: أنّه ما مات إلّا مسلماً مؤمناً بالله وبالنبيّ صلى الله عليه وآله، وهذا ما ذهبت إليه الإمامية وأكثر الزيدية وطائفة من المعتزلة وشيوخها، منهم أبو القاسم البلخي وأبو جعفر الاسكافي وآخرون، وسيأتي التفصيل فيه إن شاء الله.

القول الثاني: ورد في مصادر عديدة أنّه قال عند موته: «أنا علىٰ دين عبد المطلب».

القول الثالث: روى بعضهم ـ مصادر الجمهور ـ أنّه قال عند موته: «أنا علىٰ دين الأشياخ».

القول الرابع: قال شيوخ البصريين ـ وهم عثمانيو الهوى ـ إنّه مات على دين قومه، وزعم هؤلاء الشيوخ أن قريش كانت تشرك بالله وتعبد الأصنام، فإنّ أبا طالب عليه السلام كان على شاكلتهم أيضاً.

إنّك ترى من بين هذه الأقوال قول واحد وهو الرابع، حيث يذهب إلى كفر أبي طالب عليه السلام، وبغض النظر عن عقيدة اولئك البصريين حيث عرفهم التاريخ بعداوتهم ونصبهم للإمام عليّ عليه السلام، فقد تمسّكوا بعدّة أدلّة للبرهنة على رأيهم، من ذلك أنّهم قالوا:

١ ـ إنّ عليّاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بعد موت أبي طالب عليه السلام، فقال له: إنّ عمّك الضال قد قضى، فما الذي تأمرني فيه؟

٢ ـ قالوا لم ينقل أحد عنه أنّه رآه يصلّي.

٣ ـ إنّ عليّاً وجعفراً لم يأخذا من تركته شيئاً.

٤ ـ رووا عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ الله قد وعدني بتخفيف عذابه لما صنع في حقّي، وأنّه في ضحضاح من نار.

٥ ـ رووا عن النبيّ صلى الله عليه وآله، أنّه قيل له: لو استغفرت لأبيك وأمّك.

فقال صلى الله عليه وآله: لو استغفرت لهما لأستغفرت لأبي طالب عليه السلام، فإنّه صنع إليّ، ما لم يصنع، وإنّ عبد الله وآمنة وأبا طالب عليه السلام جمرات من جمرات جهنم.(١)

أقول: جميع هذه الأدلّة مخدوشة وباطلة وسوف نتطرّق إليها بشيء من التفصيل.

وذلك من خلال: الكتاب والسنّة والإجماع والدليل العقلي وما قاله ونطق به ـ أبو طالب ـ صراحة في نثر وشعر.

أمّا القول الثاني والثالث، فلا يغرب عن البال أنّ أبا طالب عليه السلام استعمل في كلامه التورية، وما دين عبد المطلب والأشياخ من بني هاشم إلّا التوحيد وقد تقدّم الكلام فيه وسيأتي تفصيله فيما بعد إن شاء الله.

ولم يبق من بين الأقوال الأربعة إلّا قول العثمانية وهم شيوخ البصريين، ومن تبعهم من المعاندين، وسوف يأتيك الكلام مفصّلاً عمّا قريب في البحوث من هذا الكتاب بعون الله العزيز القهار.

نسب أبي طالب عليه السلام

هو عبد مناف، وقيل عمران(٢) وقيل شيبة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب وينتهي نسبه إلى إسماعيل النبيّ عليه السلام.

له ألقاب كثيرة منها: شيخ الأبطح، سيّد البطحاء، رئيس مكة،....

أمّا كنيته: أبو طالب وبها اشتهر.

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٤ / ٦٥ـ٦٧.

(٢) لم يشتهر هذا الإسم من بين الأسماء، بل عُرف أبو طالب أنّ إسمه عبد مناف فهو سميّ جدّه.

ولد بمكة قبل ولادة النبيّ صلى الله عليه وآله بخمس وثلاثين سنة، الموافق لسنة ٥٣٥م.

وتوفّي بمكة[١] في السنة العاشرة من البعثة، أي قبل الهجرة بثلاث سنين وبعد خروج النبيّ والمسلمين من الشعب، وكان عمره بضع وثمانون سنة.

هناك شواهد عديدة تؤكّد إيمان أبي طالب قبل البعثة، سوف نذكر بعضها في طيّات هذا الكتاب، وما يناسب هذا التمهيد سنقتصر على واحدة من تلك الشواهد.

أخرج إبن عساكر في تاريخه عن جلهمة بن عرفطة، قال: قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش: يا أبا طالب أقحط الوادي، وأجدب العيال، فهلمّ واستسق، فخرج أبو طالب عليه السلام ومعه غلام كأنّه شمس دجى تجلّت عنه سحابة قتماء وحوله أغيلمة، فأخذه أبو طالب عليه السلام فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ بأصبعه الغلام وما في السماء قزعة[٢] فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا، وأغرق وأغدودق، وانفجر له الوادي، واخصب البادي والنادي، ففي ذلك يقول أبو طالب عليه السلام ويمدح به النبيّ صلى الله عليه وآله أكثر من ثمانين بيتاً:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة الأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل

وميزان عدل لا يخيس شعيرة ... ووزان صدق وزنه غير هائل[٣]

لماذا أخفى أبو طالب إيمانه؟

كانت زعامة قريش، بل ورئاسة العرب متمثّلة بـ(عبد المطلب) بن هاشم بن عبد مناف، ويسمّى شيبة ويلقّب بشيخ البطحاء، منحه الله سبحانه الشرف والسؤدد

---

(١) كانت وفاته في السادس والعشرين من شهر رجب على أصحّ الروايات، وقيل غير ذلك.

(٢) قزعة: قطعة من السحاب.

(٣) السيرة الحلبية: ١ / ١١٦، دار إحياء التراث العربي بيروت (رحلي)، وفتح الباري: ٢ / ٤٩٤، وسيرة إبن هشام: ١ / ٣٠٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

و العزّة ما لم يعط أحداً مثله، حكّمته قريش في أحوالها وجميع شؤونها، منها الرفادة والسقاية، وكانت قريش تقول: عبد المطلب، إبراهيم الثاني، أي إبراهيم الخليل، لأنّه رفض عبادة الأصنام، ووحّد الله، ووفى بالنذر، وسنّ سنناً أقرّها القرآن.

ولد عبد المطلب في سنة ١١٧ قبل عام الفيل وتوفّي بمكة سنة تسع من عامّ الفيل المصادف لسنة ٥٧٨م، وكان لرسول الله صلى الله عليه وآله من العمر ثمان سنين، وكان لوفاة عبد المطلب يوماً مشهوداً عند العرب، وقد اعظمت قريش موته، واقيمت له مراسم الغسل والتكفين والتشيع ما لم يحصل له مثيل.

وليس عجيباً أن ينال عبد المطلب ذلك التعظيم في تَشيعه ودفنه، ولا يخلو الأمر من الرعاية الإلهية، لكونه موحّداً مؤمناً.

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ الله يبعث جدّي عبد المطلب أمّة واحدة في هيئة الأنبياء وزيّ الملوك.[1]

وعن إسماعيل السراج عن بعض رجاله: أنّه سمع أبا عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام يقول: يبعث الله عبد المطلب يوم القيامة وعليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك[2] وفي السيرة النبويّة للسيّد أحمد زيني دحلان على هامش السيرة الحلبية: إنّ عبد المطلب علىٰ دين الحنيفية، يأتي يوم القيامة (يبعثه الله) في زي الملوك وأبهة الأشراف.[3]

بعد موت عبد المطلب انتقلت رئاسة العرب وزعامة قريش إلى ولده الرشيد ذي الحلم والسؤدد والنباهة ألا وهو أبو طالب عليه السلام، وكانت العرب تجلّه منذ حياة

---

(١) هامش الحجّة على الذاهب: ص ٦٤ وص ٥٦، وراجع سيرة إبن هشام: ١/ ١٦٩، وتاريخ اليعقوبي: ٢/ ٧ـ ١٠، وعيون الأثر: ١/ ٤٠.

(٢) شرح إبن أبي الحديد: ١٤/ ٦٧.

(٣) السيرة النبويّة: ص ٦٤.

والده، ولم يَسُد أحداً من العرب مع قلّة ذات اليد إلّا أبو طالب عليه السلام، فهو شيخها وعميدها والمنيع من بينها، لا يردّ له طلب، ولا يتقدّم عليه أحد، فهو سيّد قريش بلا مدافع، ورئيسها بلا منازع.

وقد كانت تجلّه القبائل العربية وتهابه لحكمته وحلمه وفضله، بل لما كان مطّلعاً عليه من التاريخ والأخبار ورسائل السماء، فهو كأبيه لم يسجد لصنم، وقد حفظ وصيّة أبيه عبد المطلب حيث انبأه بما يؤول إليه هذا المولود الجديد من الشرف والسيادة، وقد عرف أبو طالب كلّ هذه الانباء من خلال الكتب المقدسة التي اطّلع عليها بواسطة أوصياء عيسىٰ ومنهم بَحيرا الراهب.

هذه المكانة، وتلك الرفعة ادّخرها أبو طالب عليه السلام للذبّ عن حمىٰ الإسلام وصاحب الرسالة الغرّاء النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله.

إنّ أبا طالب في زعامته لقريش يعتبر أمّة؛ له الكلمة الفصل في كلّ الأمور، فهو المطاع في كلّ الأحوال والظروف.

وهو المنيع من بين زعماء قريش، يخضعون له بالسمع والطاعة، على أنّ القوم ـ زعماء قريش ومن والاها ـ مشركون، يعبدون آلهة، فعبادتهم لله من غير تنزيه ولا توحيد، حيث يسجدون لأصنام أوجدوها بأيديهم، ولمّا بُعث النبيّ صلى الله عليه وآله بالرسالة وجد أبو طالب نفسه مكلّفاً بالدفاع عن محمّد صلى الله عليه وآله، لكن ما هو السبيل إلى ذلك؟

فأمام أبي طالب عليه السلام طريقان:

الطريق الأوّل: التخلّي عن هذه الرئاسة وإعلان إسلامه لقريش، وهذا طريق يحول بين أبي طالب وبين نصرته للنبيّ صلى الله عليه وآله، بل سوف تجهز قريش جميعاً على منازلة بني هاشم فوراً ويتمّ القضاء عليهم.

الطريق الثاني: هو الإبقاء على هذه الرئاسة وزعامته لقريش حتى يكون عوناً لابن أخيه النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، صاحب الرسالة، والمبعوث من السماء للهداية، ولمّا كان

أبو طالب على يقين من صدق دعوة النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنّه بمنزلة الأب الحنون، الرؤوف، بل أكثر من هذا، أنّه وديعة أبيه عبد المطلب، واليتيم الذي لم يحظ بحنو الأب ولا بعطف الأمّ، حيث فقدهما الرسول وهو في أمسّ الحاجة إليهما، فما كان من أبي طالب إلّا أن يسدّ هذا الفراغ فيعوّضه حناناً ورأفة وشفقة، بل كان يفديه بكلّ ما لديه من وجوده وكيانه، حتى كان يفديه بولده عليّ عليه السلام، بل بسائر وِلْدِه.

إذاً الإستجابة لأمر السماء إنّما تتحقق بنصرة النبيّ صلى الله عليه وآله حتى يتمكّن من نشر الدعوة الإسلاميّة وإعتناق الناس لهذا الدين الحنيف.

فطالما زعيم قريش، أبو طالب عليه السلام، لم يظهر عقيدة تخالف عقيدة جمهور العرب، ولم يتعرّض لأصنامهم وعقائدهم فهو في عزّة ومنعة، من هنا كان السند الكبير لابن أخيه محمّد صلى الله عليه وآله. وعليه أنّ أبا طالب عليه السلام هو الستّار الواقي لكلّ ما يقوم به النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنّ قريش لم تزل في خوف شديد من زعيمها وشيخها الذي طالماً هدّد أخوته وعمومته وابناء عشيرته إزاء أيّ تحرك يقومون به ضدّ النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله.

وفعلاً أصاب هذا التهديد موقعه، ونكست زعماء قريش رؤوسها أمام هذا الهزبري لمّا زأر بهم في قضية عبد الله بن الزبعرى والسلا. سيأتيك تفصيلها في الفصل الثالث إن شاء الله.

مَنْ الذي كتم إيمانه؟

هناك شخصيات رساليّة كتمت إيمانها، وقد أشاد بها القرآن الكريم، فمن تلك الشخصيات:

إبراهيم الخليل عليه السلام

قصّة إبراهيم عليه السلام مع قومه قد ذكرتها كتب التفاسير والتاريخ بأوضح البيان.

كان قومه يعبدون الأصنام، وقد شاع فيما بينهم الكفر واستحكم الجهل في

نفوسهم، فما كان من إبراهيم عليه السلام إلّا أن يستعمل معهم الأسلوب الحسّي في تبليغه، فكان يخادع قومه على الايمان ويدخل معهم في أمورهم، حتى نفذ إلى قلوبهم، بعدها صار يعظهم بما هو أسلم في التبليغ والنصيحة، فإنّه كان من مخادعته لهم أنّه كان يعمد إلى طعام طيّب فيجعله في طبق ويضعه قدّام الأصنام و يقول: **﴿أَلا تَأْكُلُونَ، ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ﴾**.[1]

مع علمه أنّ الأصنام لا تنطق ولا تأكل، ولكنّه قصد إعلام قومه بوجه لطيف أنّ هذه الأصنام لا تنفع ولا تضرّ، ولا ترىٰ ولا تسمع، ولو كان قال لهم إبتداءً أنّ هذه الأصنام لا تنفع ولا تضرّ لما سمعوا كلامه، ولما قبلوا نصائحه وإرشاداته، ولسوف يعرّض نفسه إلى الهلاك قبل أن تثمر جهوده في تبليغ رسالة السماء، ولعرّض نفسه لما لا قبل له به من أذاهم.

هذا أسلوب اتّخذه إبراهيم الخليل عليه السلام لتنبيه الحسّ والوجدان، وإيقاظهم من الغفلة، حتى إذا خلا بالأصنام أخذ معولاً وأطاح بها فجعلها جذاذاً. كما قال الكتاب العزيز: **﴿فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إِلاَّ كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾**[2] وهذا النوع من التبليغ أوقع في النفس من مخاطبة العقل لأنّ الجاهل لا يؤوب إلى عقله بقدر ما يلتفت إلى ما حواليه من الأمور المحسوسة.

فلمّا رأى القوم ما صنع بالأصنام أنكروا ذلك وأكبروه وقالوا: **﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هٰذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ﴾**؟

قال: **﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ﴾**[3] أنظر إلى أسلوب التوعية، وكيفية الخطاب: **﴿فَسْأَلُوهُم﴾**، **﴿إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ﴾** مع علمه أنّ المشار إليه صنم جامد، لا يضرّ ولا ينفع، أنّه لا يفعل شيئاً من ذلك، وإنّما أراد أن يعلم

---

(١) الصافات: ٩١.

(٢) الأنبياء: ٥٨.

(٣) الأنبياء: ٦٢ و٦٣.

قومه أنّ هذه الأصنام لا أثر لها، بل هي أحجار صمّاء فرجعوا يتدبّرون قول إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿فَرَجَعُوا إِلىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظّالِمُونَ﴾.[1] يعقّب القرآن الكريم على ما دار في خلجهم فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلىٰ رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ ما هٰؤُلاءِ يَنْطِقُونَ﴾.[2]

قال الغفاري: أنظر إلى سيرة هذا النبيّ عليه السلام وأسلوبه وحكمته، وكيف جارى قومه وتلطّف بهم في مدّة مديدة حتى وصل إلى إيقاظ ضمائرهم وتحريك حواسهم وخواطرهم، مع كونه نبيّ ومن أُولي العزم ولكن ما كان يقدر على قومه في بلوغ الغرض منهم إلّا بدخوله معهم.

وشأن أبي طالب مع قريش كإبراهيم الخليل عليه السلام، كلّ منهما كتما إيمانهما وأخفيا إسلامهما تلطّفا بقومهما حتى يستحكم أمر الرسالة ويتمكّن النبيّ صلى الله عليه وآله من بلوغ الغرض.

مَنْ كتم إيمانه لإقتضاء المصلحة: مؤمن آل فرعون

جاءت قصّة مؤمن آل فرعون في الكتاب العزيز، قال تعالى: ﴿وَقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللّٰهُ وَقَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللّٰهَ لايَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذّابٌ﴾.[3]

هذا مؤمن آل فرعون كان يخفي عنهم حاله، ويدخل معهم بيوت متعبداتهم، ويقسم بمعبودهم، ويأكل من مأكولهم، ويشرب من مشروبهم، حتى تمّ له ما كان يسرّه من التوحيد بالله، ولم يعلموا بحاله حتى جاءهم موسى عليه السلام فقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ

---

(١) الأنبياء: ٦٤.

(٢) الأنبياء: ٦٥.

(٣) غافر: ٢٨.

رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ثمّ حدّ لهم: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ حتى كان عليهم موضع عنايته به ولم يقل (وهو صادق)، وإنّما قال: ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقاً﴾ تلطّفاً بهم، وكان فرعون قد عزم على قتل موسى عليه السلام، وشايعه قومه على ذلك، وكان الرجل المؤمن مرضياً عندهم، يرجعون إلى رأيه، ويسمعون قوله، فدفع عن موسى عليه السلام القتل بوجهٍ لطيف، ولو كان مظهراً الايمان لما أطاعوه، ولا قبلوا منه، بل كانوا يعادونه، ويقتلونه.

إذا عرفت هذه سيرة رجل مؤمن أراد أن ينقذ موسى عليه السلام من كيد فرعون، فما أشبه هذه السيرة بسيرة أبي طالب عليه السلام فهو كان يتلطّف بقومه حِفاظاً على النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، فقد كان يستجيب لدعواتهم ويحضر مجامعهم وكان سيّدهم الذي يصمدون إليه، وعميدهم الذي يعوّلون عليه، ويرجعون إلى قوله ويستمعون إلى حديثه، وكان أوفى مرتبة من مؤمن آل فرعون، لأنّه صدّق النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله في أشعاره وخطبه، وكشف أمره وأعلن بصحّة نبوّته، وخاصم قومه وناظرهم، حتى إنتهى المقام بهم أن كتبوا الصحيفة التي بموجبها قاطعت قريش آل المطلب من بني هاشم ومن تابعهم.

فإن كان أبو طالب عليه السلام بكتمان إيمانه وإخفاء إسلامه كفر، فكذلك هذا الذي قد سمّاه الله في كتابه مؤمناً، ثمّ شهد عليه أنّه يكتم إيمانه قد كفر بكتمان إيمانه ... بينما الأمر ليس كذلك، فإذا قلنا بصدق المقدمات صدقت النتيجة ... وقد عرفت فيما سبق من البيان الذي ساقه علماء المذاهب حيث أكّدوا أنّ كفر اللسان لا يقدح بصدق إيمان القلب طالماً هناك ضرورة أو عذر مشروع، كالحفاظ على النفس، ودرء الخطر أو القتل وما شابه ذلك.

ممّن كتم إيمانه: أصحاب الكهف

ممّن كتم إيمانه أصحاب الكهف، وقد نزلت فيهم سورة كاملة، وهي السورة الثامنة عشر من ترتيب المصحف الكريم قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً، إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً﴾.[١]

وأمّا قومهم فكانوا مشركين يعبدون آلهة لا تسمع ولا تعي، قال تعالى في معرض شركهم: ﴿هٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِباً﴾.[٢]

قال الغفاري: هؤلاء فتية آمنوا بالله وقد نبذهم القوم، بل سعوا إلى قتلهم فكتموا إيمانهم حتى ينجووا بأنفسهم، وقصّتهم مشهورة معلومة في التفاسير وكتب التاريخ، والذي كان يتلطّف بقومه هؤلاء الفتية، ورد الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عن جدّه رسول الله ﷺ أنّ جبرئيل أتىٰ النبيّ ﷺ فقال: يا محمّد إنّ ربّك يقرئك السلام، ويقول لك: إنّ أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان، وأظهروا الشرك، فآتاهم الله أجرهم مرتين، وإنّ أبا طالب أسرّ الإيمان، وأظهر الشرك فآتاه الله أجره مرتين.[٣]

نصرة أبي طالب للنبيّ ﷺ منذ بدء إعلان الدعوة

بعد هذا العرض السريع عرفنا أنّ سبب كتمان أبي طالب إيمانه هو لنصرة النبيّ ﷺ، وهذا ما لا نقاش فيه، وأنّ جميع المصادر التاريخية أكّدت هذا الأمر.

نقل أبو جعفر السروي عن الطبري والبلاذري أنّه لمّا نزل قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ

---

(١) الكهف: ٩ ـ ١٠.

(٢) الكهف: ١٥.

(٣) أمالي الصدوق: ٣٦٦، والغدير: ٧ / ٣٩٠.

بِمَا تُؤْمَرُ﴾[١]، صدع النبيّ صلى الله عليه وآله ونادى قومه بالإسلام، فلمّا نزل قوله تعالى: **﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾**[٢]، أجمعوا على خلافه، فحدب عليه أبو طالب ومنعه، فقام عتبة، والوليد، وأبو جهل، والعاص إلى أبي طالب فقالوا إنّ إبن أخيك قد سبّ آلهتنا وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلّل آباءنا، فإمّا أن تكفّه عنّا، وإمّا أن تخلّي بيننا وبينه، فقال لهم أبو طالب عليه السلام قولاً رقيقاً وردّهم ردّاً جميلاً، فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله على ما هو عليه يظهر دين الله، ويدعو إليه، وأسلم بعض الناس، فانهمشوا إلى أبي طالب مرة أخرىٰ فقالوا: إنّ لك سنّاً وشرفاً ومنزلةً وإنّا قد استنهيناك أن تنهي إبن أخيك فلم ينته، وإنّا والله لا نصبر علىٰ هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا حتى تكفّه عنّا أو ننازله في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين، فقال أبو طالب عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله: ما بال أقوامك يشكونك؟

فقال صلى الله عليه وآله: «إنّي أريدهم على كلمة واحدة يقولونها، تدين لهم العرب، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية».

فقالوا: كلمة واحدة، نعم وأبيك عشراً.

قال أبو طالب عليه السلام: وأيّ كلمة هي يا إبن أخي؟

قال صلى الله عليه وآله: **﴿لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾**. فقاموا ينفضون ثيابهم ويقولون: **﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهاً وَاحِداً إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ، وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ، مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هٰذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ، أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾**.[٣]

قال إبن إسحاق: إنّ أبا طالب قال للنبيّ صلى الله عليه وآله في السرّ: لا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق، فظنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قد بدا لعمّه وأنّه خاذله، وأنّه قد ضعف عن

---

(١) سورة الحجر: ٩٤.

(٢) سورة الأنبياء: ٩٨.

(٣) سورة ص: ٥ ـ ٨.

نصرته، فقال: «يا عمّاه ولو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا القول حتّى أنفذه أو أقتل دونه»، ثمّ استعبر فبكى، ثمّ قام يولي، فقال أبو طالب عليه السلام: إمض لأمرك فوالله ما أخذلك أبداً، ثمّ أنشأ يقول:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم   حتّى أوسّد في التراب دفينا

الأبيات.[١]

وروى إبن شهر آشوب السروي، عن مقاتل: لمّا رأت قريش محمّداً يعلو أمره قالوا: لا نرى محمّداً يزداد إلّا كبراً وتكبّراً، وإن هو إلّا ساحر أو مجنون، وتوعّدوه وتعاقدوا لئن مات أبو طالب عليه السلام ليجمعنّ قبائل قريش كلّها على قتله. وبلغ ذلك أبا طالب، فجمع بني هاشم وأحلافهم من قريش، فوصّاهم برسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: إنّ إبن أخي كما يقول، أخبرنا بذلك آباؤنا وعلماؤنا، أنّ محمّداً نبيّ صادق وأمين ناطق، وأنّ شأنه أعظم شأن، ومكانه من ربّه أعلى مكان، فأجيبوا دعوته، واجتمعوا على نصرته، وراموا عدوّه من وراء حوزته، فإنّه الشرف الباقي لكم الدهر.[٢]

متى ظهر التشكيك في إيمان أبي طالب عليه السلام؟

لقد مضت أربعة عقود من عصر البعثة النبوية والناس في إيمان أبي طالب لا يختلف فيه إثنان، بل الكلّ يشهد له مواقفه ونصرته للنبيّ صلى الله عليه وآله، والكلّ يشهد بإيمانه الذي لا غبار عليه، إلى أن استشهد الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ثمّ من بعد ذلك كانت خلافة الإمام الحسن عليه السلام والصلح الذي جرى بينه وبين معاوية، في كلّ تلك العقود الغابرة لم يشك أحد في إيمان أبي طالب عليه السلام. غير أنّ معاوية قد سعى جاهداً وبكلّ ما أتاه من حيلة أن يصيّر الأمور من بعده إلى بني أميّة فيخصّهم

---

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ١/ ٨٨، طبعة دار الأضواء، بيروت ١٩٩١م.

(٢) المصدر نفسه.

بعرش الرئاسة والسيادة، وإن كانت العرب تمقتهم، وتتحاشى سطوتهم، وهذا الأمر لا يتمّ لبني أميّة ما لم يشوّهوا صورة أهل البيت عند الناس، ويزرعوا البغض والنفور في نفوس الأمّة، كي يبتعدوا عن بني هاشم وأسرة النبيّ صلى الله عليه وآله، صاحبة الإيمان والسيادة.

وقد تلقّى الأمويون هذه النظرية من معاوية ومروان، وقد صرّح بذلك إبن الحكم ـ كما أخرجه الدارقطني ـ فقال: ما كان أحد أدفع عن عثمان من عليّ عليه السلام. فقيل لمروان ما لكم تسبّونه على المنابر؟

فقال: إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلّا بذلك.

وقد تسنّى لمعاوية أن يجعل من السُنّة شتم عليّ عليه السلام على المنابر أكثر من ستين سنة. ثمّ كتب معاوية نسخة إلى عمّاله بعد عام الجماعة أن برئت الذمّة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته عليهم السلام، فقامت الخطباء في كلّ كور، وعلى كلّ منبر يلعنون عليّا عليه السلام، ويبرؤن منه....، وكان أشدّ الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة عليّ عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن أبيه (إبن سمية الزانية) وضمّ إليه البصرة، فكان يتتبّع الشيعة وهو بهم عارف، لأنّه كان منهم أيّام خلافة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فقتلهم وتتبّعهم تحت كلّ حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق....

وتوالت كتب معاوية على عمّاله في الأمصار يشدّد ـ فيما كتب ـ على شيعة عليّ عليه السلام والتنكيل بهم، وحذفهم من ديوان العطاء، ثمّ حثّ المرتزقة من أصحابه ـ وإستمال بعض النفوس المريضة ممّن له صحبة، كما يدّعون ـ على أن يكثروا من وضع الأحاديث في فضائل عثمان وبني أميّة، وأن يضعوا أحاديث في ذمّ عليّ عليه السلام وأهل بيته وبني هاشم، حتى رويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة، مفتعلة لا حقيقة لها، وأذاعوا هذه الأخبار على المنابر فشاب عليها الصغير وهرم عليها

الكبير.

واستمرت هذه الحملات ضدّ أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم فترة الحكم الأموي، وكان أشدّ الناس بلاء هم أهل الكوفة، ويحدّثنا التاريخ عن شناعة وفضاعة المغيرة بن شعبة لمّا ولّاه معاوية الكوفة، وهكذا جنّد سمرة بن جندب ليختلق الأحاديث لصالح معاوية وبني أميّة.

ثمّ يأتي دور مروان بن الحكم ومن بعده إبنه عبد الملك، وكان لهم عميل مرتزق، ومجرم سفّاك، وهو الحجاج بن يوسف الثقفي، وأنّ جرائمه بحقّ أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم ما يندى له الجبين.

يقول إبن أبي الحديد: قال عروة المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدّثين: إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيّام بني أميّة تقرّباً إليهم بما يظنون أنّهم يرغمون به انوف بني هاشم.[١]

فمن لا يتحرّج في الكذب على الله وعلى رسوله، ولا يتورّع في هذه الأكاذيب فهو خليق بأن لا يتحرّز عن وضع الأخبار في تكفير أبي طالب عليه السلام إيذاء لعليّ عليه السلام ولبني هاشم وشيعتهم.

بما ذا تمسّك المشكّكون؟

ذهب جمهور السنّة إلى التشكيك في إيمان أبي طالب عليه السلام لما يروونه عن سعيد ابن المسيّب عن أبيه أنّه قال: لمّا حضرت أبا طالب عليه السلام الوفاة قال له رسول الله صلى الله عليه وآله في كلام لأستغفرنّ لك، فانزل الله تعالى: **﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾**.[٢]

---

(١) شرح النهج: ٣/ ١٦.

(٢) التوبة: ١١٤.

أقول: وحديثهم هذا المنقول عن سعيد بن المسيّب مردود من وجوه:

أوّلاً: هذه الرواية مخدوشة بسعيد بن المسيّب، فقد اشتهر عنه بالإنحراف عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وأبنائه الأطهار وقصّته مع عمر بن عليّ بن أبي طالب معروفة ذكرها إبن أبي الحديد.[1]

وقد روى الواقدي من أنّ سعيد بن المسيّب مرّ بجنازة السجّاد؛ عليّ بن الحسين عليه السلام ولم يصلّ عليها، فقيل له ألّا تصلي على هذا الرجل الصالح من أهل البيت الصالحين؟

فقال صلاة ركعتين أحبّ إليّ من الصلاة على الرجل الصالح.[2]

ثانياً: في شأن نزول الآية التي تمسّكوا بها وإستغفار النبيّ لعمّه... إنّ إستغفار النبيّ لعمّه كان قُبيل وفاته وهو قبل الهجرة بثلاث سنين. والآية التي تمسّك بها القوم هي الآية الرابعة عشر بعد المائة من سورة التوبة. وجميع المفسّرين يذهبون إلى أنّ هذه السورة نزلت في المدينة في السنة التاسعة بعد الهجرة، فكيف ساغ لتلك الزمرة الشاكّة أن تستند في قولها علىٰ آية قد نزلت بعد وفاة أبي طالب بإثني عشر سنة؟! نعم، إنّ حبل الكذب قصير، ولا يفلح الكاذب الأثيم....

ثالثاً: ما أورده سعيد، وما سطّره أهل الضلال والنفاق أنّه معارض لطائفة كبيرة من الروايات.

ففي شأن نزول الأية ١١٤ من سورة التوبة روى جمع من أصحاب السنن والصحاح كأحمد بن حنبل، والترمذي، والطيالسي، والنسائي، وإبن جرير، والحاكم النيسابوري، والبيهقي روى هؤلاء ـ وغيرهم كثير ـ أنّ السبب في نزول الآية هو إستغفار ناس لآبائهم المشركين.

---

(١) شرح النهج للمعتزلي: ٤/ ١٠١، ط ٢، فيه تفصيل ملاقاة عمر بن عليّ بن أبي طالب لسعيد بن المسيّب.

(٢) شيخ الأبطح، للسيّد محمّد علي شرف الدين: ص ٦٦، دار السلام، بغداد ١٣٤٩هـ.

قال عليّ عليه السلام سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت: أ تستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال: أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه؟

فذكرت ذلك للنبيّ صلى الله عليه وآله فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾ فهذه الرواية صحيحة سنداً ومتناً، والعمل بها أرجح ممّا زعم المخالف، فانتبه.[١]

أقول: وسيأتي تفصيل آخر نبيّن فيه رواة هذه الأسانيد وأسباب نزول الآية المتقدّمة.

وممّا تمسّك به الشاك:

زعم المخالف أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله حضر عند عمّه أبي طالب عليه السلام في ساعات الإحتضار وطلب منه أن يقول الشهادة، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أميّة وقد حضراه: أ ترغب عن ملّة عبد المطلب...؟

أقول: وهل ملّة عبد المطلب إلّا التوحيد، وقد تقدّم الكلام في ذلك فراجع.

ثمّ إنّ في سند هذه الرواية من ضعّفه الذهبي في الميزان كإسحاق بن إبراهيم بن راهويه، وهكذا معمر بن راشد، فكُتب الجرح تصرّح في كون الأوّل خلط ولم يرو عنه. والثاني ليس بأقلّ سوء من صاحبه، ففي مرويّاته أغاليط عجيبة.

ولو سلّمنا بهذه الرواية فما كان جواب أبي طالب عليه السلام إلّا تأكيداً لمعتقد أبيه حيث قال: إنّي على ملّة عبد المطلب، فهو أراد أن يحفظ على الرسول صلى الله عليه وآله بعد موته، وأن لا تداهمه قريش بالمنافرة والمنابذة... كلّ هذا كان منه عندما حضره من زعماء قريش ما يخاف منهم على الرسول صلى الله عليه وآله، ولكن لمّا انفضّ المجلس وقام عنه المشركون فقد نطق لِما أراد النبيّ صلى الله عليه وآله، وسمعها العباس لمّا رآه يحرّك شفتيه، فاصغى إليه بأذنه فسمع منه الشهادة، فقال للنبيّ صلى الله عليه وآله: يا إبن أخي والله لقد قال

---

(١) ينظر: الكشّاف للزمخشري عند كلامه عن هذه الآية، وأسنى المطالب: ص ١٧.

الكلمة التي امرته بها.[١]

ومما تمسّك به الشاك:

أنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلاَ تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾.[٢]

قال فيها المخالف: إنّها نزلت في أبي طالب عليه السلام.

وهذا القول باطل لكون الآيات السابقة لها واللاحقة إنّما هي نزلت في اليهود، وهذا عليه عامة المفسّرين، كالرازي والزمخشري والبيضاوي، فراجع.

ومما تمسّك به الشاك:

قولهم: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله طلب من عمّه أن يُؤمن فأبى، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لاَتَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.[٣]

جاءت الشبهة من إدّعاء الزجّاج، فقد حكى إجماع المسلمين على نزولها في أبي طالب عليه السلام....

وليته فحص الزجّاج عن أسباب النزول وتابع المنقول والمعقول، وعمل فيهما وجدانه، ولكن من اين له ذلك وقد أعمى الله قلبه، إنّما تعمى القلوب التي هي في الصدور.

وهذا الإستدلال باطل لما يرويه فريق السنة منهم:

إبن رشادة الواعظ الواسطي في كتابه أسباب النزول عن الحسن بن الفضل من أنّها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف، وكان يحبّه النبيّ ويحبّ

---

(١) شيخ الأبطح: ٧٣.

(٢) سورة البقرة: ١١٩.

(٣) سورة القصص: ٥٦.

إسلامه، ويؤكّد هذا المعنى، ما يروى عن الحسن بن الفضل إجماع المسلمين ـ بدون إستثناء ـ على نزول الآية التي بعد هذه في الحارث نفسه....

وهذا الإجماع الذي قال به الحسن بن الفضل يردّ قول الزجّاج وبه تتم الحجة.

أقول: لا ضير على الشمس من تعامي إزاءها ليحجب عن عينيه نورها الممتد في السماء، لكن سفه عقله حينما رأى الناس مثله في العمىٰ.

وممّا تمسّك به الشاك:

ادعى المخالف أنّ أبا طالب عليه السلام لمّا توفي لم يصلِّ عليه النبيّ صلى الله عليه وآله ولا أحد من المسلمين!

ليت هذا النبه الفطن الذي يدّعي العلم، لو عاد إلى تشريع الأحكام ولو بنظرة عابرة لعرف بطلان ما يدّعيه.

إعلم ـ هداك الله ـ أنّ الصلاة على الميّت في ذلك الحين لم تشرع، بل كان الدعاء المأثور هو السائد، ولم تفرض الصلاة إلّا بالمدينة. تأمّل رعاك الله....

اخرج أبو الفرج الإصبهاني بالإسناد عن محمّد بن حميد قال: حدّثني أبي قال: سئل أبو الجهم بن حذيفة: أصلّى النبيّ صلى الله عليه وآله على أبي طالب؟

فقال: وأين الصلاة يومئذ؟

إنّما فرضت الصلاة بعد موته، ولقد حزن عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وأمر عليّاً بالقيام بأمره، وحضر جنازته، وشهد له العباس وأبو بكر بالإيمان، وأشهد على صدقهما لأنّه كان يكتم إيمانه.

وممّا تمسّك به المخالف هو: (حديث الضحضاح)

حديث الضحضاح[١] تجده في صحيح مسلم والبخاري[٢] ومسند أحمد وطبقات إبن سعد.

تمسّك به المخالف دليلاً على كفر أبي طالب ﷺ ـ والعياذ بالله ـ وأنّك تجد ثلاث روايات نسبت إلى العباس بن عبد المطلب أو إلى إبنه، ورواية واحدة نسبت إلى أبي سعيد الخدري. وإليك هذه الروايات:

الرواية الأولى:

روى مسلم عن عبيد الله بن عمر القواريري، ومحمّد بن أبي بكر المقدمي، ومحمّد بن عبد الملك الأموي، قالوا: حدّثنا أبو عوانة عن عبد المطلب بن عمير، عن عبد الله بن الحارث قال: سمعت العباس يقول: قلت يا رسول الله إنّ أبا طالب ﷺ كان يحوطك وينصرك، فهل نفعه ذلك؟

قال: نعم وجدته في غمرات النار، فاخرجته إلى ضحضاح.[٣]

الرواية الثانية:

عن مسدد حدّثنا يحيى عن سفيان، حدّثنا عبد الملك حدّثنا عبد الله بن الحرث عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت يا رسول الله: هل نفعت أبا طالب بشيء فإنّه كان يحوطك ويغضب لك؟

قال: هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار.

---

(١) الضحضاح بفتح الضاء المعجمة والحاء المهملة: هو ما رقّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين.

(٢) صحيح مسلم: ١/ ٧٧، ط بولاق. وصحيح البخاري: ٦/ ٣٣. وطبقات إبن سعد: ١/ ١٢٤. ومسند أحمد بن حنبل: ١/ ٢٠٦. وتاريخ إبن كثير: ٣/ ١٢٥.

(٣) المصادر السابقة.

الرواية الثالثة:

عن أبي بكر بن أبي شيبة، حدّثنا عفان، حدّثنا حماد بن سلمة، عن أبي عثمان النهدي عن إبن عباس، قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أهون أهل النار عذاباً أبـو طالب عليه السلام، وهو منتعل بنعلين، يغلي منهما دماغه.

الرواية الرابعة:

عن قتيبة بن سعيد، حدّثنا ليث، عن إبن الهاد عن عبد بن خباب عن أبي سعيد الخدري: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر عنده عمّه أبو طالب عليه السلام فقال: لعلّه تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه.

هذه الروايات الأربع تكاد تكون هي مصدر لبقيّة الروايات مع إختلاف يسير في بعض الألفاظ، اشترك في ذكر هذه الروايات كلّ من البخاري في صحيحه: ٦ / ٣٣، ومسلم في صحيحه: ١ / ٧٧، وإبن سعد في طبقاته: ١ / ١٢٤، وأحمد بن حنبل في مسنده: ١ / ٢٠٦، وإبن كثير في تاريخه: ٣ / ١٢٥.

قال الغفاري: وممّا يلفت النظر: أنّ باب إيمان أبي طالب عليه السلام لا يوجد في صحيح البخاري في الطبعة الأولى منه؛ طبعة بولاق، وهذا أمر غريب أن يستحدث باب في الطبعات الأخرى، والأمر الآخر أنّ سند الروايات الأربع ـ وهكذا بقيّة أسانيد الروايات الأخرى ـ كلّها مخدوشة وساقطة عن الإعتبار، لأنّ رواة هـذه الأحاديث جميعاً بين كذّاب مشهود عليه بالكذب، وبين مدلّس مشهور، أو وضّاع أثيم، أو نكرة غير معروف، أو مجهول لا يؤخذ بحديثه.

ولكي نقف على حقيقة أمر هذه الأحاديث ـ وما فـيها مـن الزور والبـهتان والأكاذيب الصريحة ـ سوف نتعرض إلى رواتها بما يسنح لنا الوقت، سالكين منهج الإختصار، حتى لا نخرج عن صلب الموضوع.

مصدر حديث الضحضاح

- ١ -

المغيرة بن شعبة

قال شمس الدين أبي علي؛ فخار بن معد الموسوي، المتوفّى سنة (٦٣٠هـ): إنّ هذه الأحاديث المتضمّنة أنّ أبا طالب عليه السلام في ضحضاح من نار مختلقة، أصلها واحد، وراويها منفرد بها، لأنّها جميعها تستند إلى المغيرة بن شعبة الثقفي لا يروي أحد منها شيئاً سواه، وهو رجل ضنين في حقّ بني هاشم، متّهم فيما يرويه فيهم، لأنّه معروف بعداوته، ومشهور ببغضه لهم والإنحراف عنهم.[١]

وقد أيّد ذلك إبن أبي الحديد في شرح النهج فقال: وأمّا حديث (الضحضاح من النار) فإنّما يرويه الناس كلّهم عن رجل واحد، وهو المغيرة بن شعبة، وبغضه لبني هاشم وعلى الخصوص لعليّ عليه السلام مشهور معلوم، وقصّته وفسقه غير خافٍ[٢] وبمثل ذلك قاله السيد علي خان في كتابه القيّم الدرجات الرفيعة.[٣]

وبمثل ذلك تجده في البحار، للمجلسي: ٣٥ / ١١٢ و١٥٨.

ومستدرك سفينة البحار، علي النمازي الشاهرودي: ٦ / ٤٤٧.

والمناظرات في الإمامة، شيخ عبد الله الحسن، هامش: ص ٨٧.

وزهرة الأدباء في شرح لامية شيخ البطحاء، قال المصنّف العلامة الشيخ جعفر نقدي: «وإنّ طرق الضحضاح منحصرة في المغيرة بن شعبة».[٤]

دعنا نتابع رجال سند حديث الضحضاح، والفحص عن رواته....

---

(١) الحجة على الذاهب لإبن معد الموسوي: ص ١١١، طبعة ٣، دار الزهراء ﷺ، بيروت ١٩٨٧م.

(٢) شرح النهج: ١٤ / ٧٠، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) الدرجات الرفيعة للسيد علي خان: ص ٥٥٥.

(٤) زهرة الأدباء في شرح لامية شيخ البطحاء: ص ٤٣، طبعة طهران، ناصر خسرو مروي.

- ٢ -

أمّا عبيد الله القواريري:

لم يذكره صاحب ميزان الإعتدال، نعم روى عنه البخاري خمسة أحاديث فقطّ، ومسلم أربعين حديثاً، وقد سمع منه أحمد بن يحيى مائة ألف حديث.(١)

ولا أدري كيف ضرب عنه صفحاً البخاري، مع هذه الكثرة في مرويّاته؟!

فلا يلام الرجل طالماً بضاعة الحديث والاتجار به لم تزل رائجة عند الأمويين، والمال الذي جعلوه لأمثال القواريري مما يُسال له اللعاب، وتفتح له شهية الجيوب والاكياس.

ويحتمل أن يكون عبيد الله هذا هو: إبن عمر القواريري، جاء ذكره في حديث رواه البستي في كتابه المجروحين، والقواريري هذا، يروي عن بشر بن المفضل عن عمر بن عبد الله مولى غُفرة بنت رباح، أخت بلال بن رباح.

قال عنه البستي: كان ـ عمر بن عبد الله ـ ممّن يقلّب الأخبار ويروي عن الثقات ما لا يُشبه حديث الإثبات. ثمّ قال: لا يجوز الإحتجاج به، ولا ذكره في الكتب إلّا على سبيل الإعتبار.(٢)

عرفت ممّا تقدّم أنّ القواريري هذا، يروي عن الضعفاء والمتروكين، وهذا الجرح يكفي أن تحجب مرويّاته، فلا يجوز الإحتجاج به.

- ٣ -

محمّد بن أبي بكر المقدمي

ذكره الذهبي في ترجمة محمّد بن عبد الله، فهو بصري.

قال عنه: يروي عن المجاهيل، ومن لا يحتجّ بحديثه.

---

(١) تهذيب الكمال: ١٩ / ١٣٤، ط ١، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٩٢م.

(٢) كتاب المجروحين للبستي (ت ٣٥٤هـ): ٢ / ٨١، تحقيق محمود إبراهيم زايد، طبعة عباس أحمد الباز، مكة المكرمة.

عن ثابت البناني، وعنه إبن أبي بكر المقدمي. قال إبن حبان لا يجوز الإحتجاج به.[(١)]

ذكره البستي في ترجمة محمّد بن عبد الله العصري قال: من أهل البصرة، يروي عن ثابت البناني، روى عنه محمّد بن أبي بكر المقدمي، منكر الحديث جدّاً، يروي عن ثابت ما لا يتابع عليه، كأنّه ثابت آخر، لا يجوز الإحتجاج به، ولا الإعتبار بما يرويه.[(٢)]

إذاً محمّد بن أبي بكر المقدمي، راوٍ بين راويين لا يحتجّ بمرويّاتهما، فهما منكرين، لا يجوز الإحتجاج بهما وهكذا الوسيط بينهما حيث يروي عن منكر، و من يأخذ عنه كذلك منكر، فتكون هذه الوسائط الثلاثة تشترك في تعمّد الكذب و تروي المناكير.

- ٤ -

محمّد بن عبد الملك الأموي

يكفي الرجل نسبته إلى البيت الأموي، فهو ناصب العداء لأهل البيت عليهم السلام، وأنّ الأمويين عادوا أهل بيت الرسالة منذ بدء الدعوة الإسلامية، حتّى أفول دولتهم الأموية الغاشمة.

وإذا كان المعني من هذا الإسم هو إبن حفيد مروان بن الحكم، الوزغ بن الوزغ ـ الذي عبّر عنه الرسول الأكرم ﷺ ـ فإنّ إبنهم هذا وأبوه عبد الملك وجدّه مروان كانوا ملعونين على لسان النبيّ ﷺ، فالحكم وإبنه مروان كانا طريدين، طردهما النبيّ ﷺ من المدينة ولعنهما. وقد اشتهر ذلك بين جميع الصحابة والمسلمين. لهذا حديث محمّد بن عبد الملك مردود، لم يحتجّ به.

---

(١) ميزان الإعتدال: ٣ / ٥٩٧، ط ١، دار المعرفة.

(٢) كتاب المجروحين: ٢ / ١٨٢.

- ٥ -

أبو عوانة

مجهول، لايعرف من هو.

- ٦ -

إبن أبي عمير

مجهول، لا يعرف .

- ٧ -

سفيان الثوري

قال إبن معين: مرسلات سفيان شبه الريح.[١]

وقال عنه الذهبي: يدلّس، ويكتب عن الكذّابين.[٢]

وقال السيوطي: يروي عن الضعفاء.[٣]

ونقل عن الذهبي في التذكرة: أنّ الغرباني قال: سمعت سفيان يقول: لو أردنا أن نحدّثكم بالحديث كما سمعناه ما حدّثناكم بحديث واحد.[٤]

وسفيان الثوري يحدّث عن الصلت بن دينار الأزدي، والصلت هذا كان ممّن ينال عليّاً، وينتقصه.[٥]

كان سفيان كثير الإعتراض على الإمام جعفر الصادق﵇، وممّا عرف بمخالفته[٦] وقيل عنه: كان زيدياً.[٧]

---

(١) دلائل الصدق: ١/ ١٣٢، مؤسسة آل البيت ﵇، قم ١٤٢٢هـ.

(٢) ميزان الإعتدال: ٢/ ١٦٩. وينظر: الجرح الذي ساقه محسن الأمين في الأعيان: ٣٥/ ١٣٨.

(٣) اسعاف المبطاء: ص ٢.

(٤) دلائل الصدق: ١/ ١٣٢. وتذكرة الحفاظ: ١/ ١٥١/ ١٩٨.

(٥) ميزان الإعتدال ترجمة الصلت.

(٦) أعيان الشيعة: ٣٥/ ١٤٢.

(٧) الفهرست: ٢٥٣.

وقيل كان شيعياً ثمّ عدل عن ذلك.[١]

من التدليس عند سفيان، أنّه إذا حدّث يقول: حدّثنا أبو شعيب، ولا يسمّيه، وفي هذا قال شعبة: إذا حدّثكم سفيان عن رجل لا تعرفونه، فلا تقبلوا منه، فإنّما يحدّثكم عن مثل أبي شعيب المجنون[٢] فلا تقبلوا منه، وأبو شعيب هذا كان ينتقص عليّاً وينال منه على كثرة المناكير في روايته. تركه أحمد ويحيى.

قال إبن المبارك: حدّث سفيان بحديث فجئته وهو يدلّسه، فلمّا رآني استحيى، قال: نرويه عنك.[٣]

وقال يحيى بن سعيد: لم يلق أبا بكر بن حفص، ولا حيان بن إياس، ولم يسمع من سعيد بن أبي بردة.[٤]

وقال البغوي: لم يسمع من يزيد الرقاشي.[٥]

وقال أحمد: لم يسمع من سلمة بن كهيل حديث السائبة، ولم يسمع من خالد بن سلمة إلفافاً إلّا حديثاً واحداً، ولا من إبن عون إلّا حديثاً واحداً.[٦]

- ٨ -

عبد الملك بن عمير (اللخمي، الكوفي)

طال عمره وساء حفظه، قال أبو حاتم: ليس بحافظ، تغيّر حفظه.[٧]

وقال أحمد بن حنبل: ضعيف يغلط.[٨]

---

(١) أعيان: ١٣٧/٣٥.

(٢) إسمه: الصلت بن دينار الأزدي.

(٣) تهذيب: ٤/ ١١٥، رقم ١٩٩، طبعة دار صادر.

(٤) رواه مغلطاي في إكمال تهذيب الكمال: ٥/ ٣٨٧/ ٢٠٧٧.

(٥) العلل ومعرفة الرجال: ١/ ٣٨٧/ ٧٦١ و٢/ ٢٦/ ١٤٤٣.

(٦) تهذيب الكمال: ١١/ ١٥٤/ ٢٤٠٧. وتاريخ بغداد للخطيب: ٩/ ١٥١/ ٤٧٦٣.

(٧) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ٥/ ٣٦٠/ ١٧٠٠. وتهذيب الكمال للمزي: ١٨/ ٣٧٠/ ٣٥٤٦.

(٨) المصدرين السابقين.

وقال إبن معين: مخلّط.

وقال إبن خراش: كان شعبة لا يرضاه.[(١)]

وذكر الكوسج عن أحمد: أنّه ضعيف جدّاً.

وقال إبن حبان: كان مدلّساً.[(٢)]

وأمّا إبن الجوزي، فذكره فحكي الجرح.[(٣)]

عُرف عبد الملك بن عمير بالقبطي، وكان قاضياً، ولي قضاء الكوفة بعد الشعبي. ممّا يكشف عن سوء مذهبه وإنحرافه عن أهل البيت عليهم السلام، وحبّه لبني أميّة، أنّه مرّ بعبد الله بن يقطر؛ أخو الحسين عليه السلام من الرضاعة، لمّا أمر الطاغية عبيد الله بن زياد بقتل إبن يقطر، أنّه بعد القتل ألقاه إبن زياد من عالي سطح قصر الإمارة، وكان به نفس وحياة، فاجهز عليه هذا القاضي ـ عبد الملك بن عمير ـ بسكين فذبحه. يا للشهامة والغيرة لقاضي السوء... ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾.

ـ ٩ ـ

عبد الله بن الحارث

هو إبن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، روى عنه جمع. لقّبه أهل البصرة بـ(بَبّة).

قال الزبير بن بكار: حدّثني حمزة بن عتبه بن إبراهيم اللهيّ قال: قالت هند بنت أبي سفيان بن حرب وهي تنقّز ـ ترقص ـ إبنها بَبّة، عبد الله بن الحارث.

مـا أبّـة مـا أبّـة	لأنكِـحَنّ بَـبّة
جـارية بـنقْبَة	تسـودُ أهـل الكـعبة

---

(١) ميزان الإعتدال: ٤/٤٠٥/٥٢٤٠. وتهذيب التهذيب: ٦/٣٦٤/٧٦٥.

(٢) ميزان الإعتدال: ٤/٤٠٥. ودلائل الصدق: ١/٤٥. والغدير: ٨/٤٤، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٤م.

(٣) المصادر السابقة.

دُفن عبد الله بن الحارث بالأبواء، وصلّى عليه سليمان بن عبدالملك.[١]

ليس عجيباً أن يكون مدلّساً ظالماً أمّه هند بنت أبي سفيان، وخاله معاوية بن أبي سفيان، وقد صلّى عليه سليمان بن عبد الملك، فهو أمويّ الهوى....

عزيزي القاريّ إلى هنا كشفنا لك عن بعض سلسلة الأسانيد التي اعتمدها القوم في حديث الضحضاح فقد بلغ في مرويّات كتبهم الصحاح ـكما يقولون ـ سبعة أحاديث في أحد عشر سنداً بثلاث طرق وكلّها تنتهي بالمغيرة بن شعبة.

وقد بان الصبح لذي عينين، حيث في كلّ الأسانيد ترى المجاهيل والضعفاء والمدلّسين، والكذّابين، ومن هو في قائمة العتوه أو الجنون، أو خلط أو طال عمره فساء حفظه، أو ممّن كان ينتمي إلى بيت النصب والعداء، فلا تجد حديثاً ـ واحداً ـ ممّا رووه قد سلم من مغمز أو عيب. والذي أشرنا إليه في الجرح إنّما استقيناه من كتب علماء الجمهور، ولو أردنا التفصيل لكان المقام أوسع من هذا، لرأيت كلامنا يربو علىٰ عشرات الصفحات إن لم نقل يستقل في مجلد كامل.

بعد هذا العرض السريع لرجال السند لحديث الضحضاح قد عرفت أنّ الحديث مردود وفق أصولهم، حيث لم يقم أيّ دليل على نزاهة أحد من رواته، بل عرفت كلّ ما ورد في أسانيدهم وطرقهم قد ذرته الرياح، فما من راوٍ إلّا وتجد عندهم الطعن فيه وفق مبانيهم، ومن مصادرهم التي هي مورد إعتماد مذاهبهم وعلمائهم... ننتقل إلى متن الحديث الذي تبجّحوا به، وهم على يقين أنّه من صنيع تجّار الحديث، وزبائن معاوية، ومروّجي الأكاذيب على لسان حفنة ممّن يدّعي الصحبة، ورسول الله ﷺ منهم براء، لكونهم تعمّدوا عليه الكذب، فليتبوّؤا مقعدهم من النار....

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ يوسف المزي (ت ٧٤٢هـ): ١٤/ ٣٩٩، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م.

لفظ حديث الضحضاح في مصادر الجمهور

جاء في مصادر المخالف، أنّه سئل النبيّ ﷺ عن عمّه، فقال: هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل، وفي حديث آخر، وجدته في غمرات النار، فأخرجته إلى ضحضاح.

وفي حديث ثالث: أنّه أهون أهل النار عذاباً، وهو منتعل بنعلين، يغلي منهما دماغه.

وفي حديث رابع، أضيف إلى ما سبق عبارة: (حتى يسيل دماغه على قدميه).

ما معنىٰ الضحضاح؟

الضحضاح، لغة: من الضح: الشمس، وقيل هو ضوؤها، وقيل هو ضوؤها إذا استمكن من الأرض. قال أبو الهيثم: الضّحّ نقيض الظل، وهو نور الشمس الذي في السماء على وجه الأرض، والشمس هو النور الذي في السماء يطلُعُ ويغرُبُ، وأمّا ضوؤه على الأرض فضحّ، وضحضح الأمر إذا تبيّن، قال الأصمعي: هو مثل الضحضاح ينتشر على وجه الأرض.

وروى الأزهري عن أبي الهيثم أنّه قال: الضحّ كان في الأصل الوِضحُ وهو نور النهار وضوء الشمس، فحذفت الواو وزيدت حاء مع الحاء الأصلية، فقيل الضحّ.

وجاء فلان بالضحّ و الريح إذا جاء بالمال الكثير، يعنون إنّما جاء بما طلعت عليه الشمس وجرت عليه الريح، يعني من الكثرة.

وفي الحديث لو مات كعب عن الضحّ والريح لورثه الزبير، أراد: لو مات عمّا طلعت عليه الشمس وجرت عليه الريح كنّى بهما عن كثرة المال، وكان النبيّ ﷺ قد آخا بين الزبير وبين كعب بن مالك.

قال خالد بن كلثوم: ضَحْضَاحٌ في لغة هذيل كثير، لا يعرفها غيرهم.

يقال: عنده ابل ضَحْضَاح، قال الأصمعي: غنم ضَحْضَاح وابل ضَحْضَاح كثيرة،

وقال الأصمعي هي المنتشرة على وجه الأرض. هذا بعض ما قيل كما في لسان العرب.[١]

تعال معي لنكشف لك معنى الضحضاح في مصادر الحديث:

لقد عرفت أنّ الضحّ: الشمس، ضوء الشمس، ما أصابته الشمس.

ضحضح وتضحضح السراب: ترقرق وتضحضح الأمر: تبيّن والضحضح: الماء اليسير أو القريب القعر.

إذاً الضحضاح: الضوء أو ما أصابته الشمس، وقد يطلق على الماء اليسير. فلو أخذ بمعنى الماء لكان أقرب إلى ما يريده الخصم حيث كونه يسيراً فلا يتجاوز الكعبين ـ مثلاً ـ فيما لو وقف فيه الإنسان. أمّا كون الضحضاح ناراً، فلا ينفع الخصم، لأنّ النار ليس كالماء، حيث قليل من النار يكفي لإحتراق كلّ البدن، فالجميع يعلم أنّ ذات النار محرقة فالكثير والقليل منها سواء، يستهلك فيها الجسم المحترق ولو بعد زمان....

أقول: عجباً للضحضاح الذي اختلقه المغيرة بن شعبة لا يحرق أبا طالب ﷺ طيلة هذه القرون المديدة؟!

نتابع آثار الضحضاح:

إذا قلنا إنّ لجهنّم طبقات ـ ولا تردد في ذلك ـ والنار تكون ملازمة لجهنّم فأيّ طبقاتها تكون خارجة عن لوازمها وهي النار؟ ثمّ أيّ نار تفقد خاصية الإحتراق؟ لو أرشدنا الخصم إلى الجواب نكون له شاكرين ولعلمه ناهلين....

ثمّ يحدّثنا القرآن الكريم أنّ الرسول ﷺ كان على منتهى الكرم، فما باله يمنّ على عمّه فيخرجه من الدرك الأسفل ليعلو به إلى سطح جهنّم فحسب.

---

(١) لسان العرب، إبن منظور المصري: ج ٤ / ٢٥، مادّة ضحح، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م. وتاج العروس، مرتضى الزبيدي: ٤ / ١٣٣، دار الفكر، بيروت ١٩٩٤م.

إذا كان النبيّ ﷺ صاحب شفاعة فلماذا يبتر هذا الكرم فيجعله ناقصاً معيباً؟

ولماذا لم ينتفع من هذه القوّة التي منحها الله له إيّاه فيخرجه من غمرات النار إلى شاطيء الخلاص؟، ألا يكون ذلك خلافاً لمفهوم الشفاعة؟ بل ما هو معنى الشفاعة الذي تحدّثنا فيها الآيات الكريمة والأحاديث النبويّة الشريفة...؟

ألا تكون هي مدّخرة لأهل الكبائر؟ وهل جزاء ذلك الإحسان الذي قدّمه أبو طالب لابن أخيه محمّد ﷺ طيلة نصف قرن أن يبخل عليه محمّد ﷺ فيدعه في هذا الضحضاح...؟! فأيّ عقل بعد هذا يعتقد بما يلوكه تجار الزور والأكاذيب ليصنعوا من مفهوم الماء القليل ناراً تتراوح في عمقها بضع سانتمرات، وأنّ أبا طالب واقف في وسطها، كأنّما يتمازح معها وتمازحه...؟!

فإذا كان النبيّ ﷺ بعث ليتمّ مكارم الأخلاق، وهو الذي أدّبه ربّه فأحسن تأديبه، فلا يدع عمّه ـ كما يريد الزاعم ـ يتلضّىٰ في الضحضاح، وكما قيل الإكرام بالإتمام، وليس من شأن النبيّ ﷺ الكريم أن يبخل على عمّه إلى هذا الحدّ....

ثمّ كيف يشفع الرسول لعمّه وهو الذي لم يلفظ الشهادتين ولم يقرّ في قلبه الإيمان ـ كما تزعمون ـ وقد نهى الرسول عن. أقلّ من ذلك.

ثمّ ما الداعي لهذه الشفاعة؟ هل لشفقة أبي طالب عليه السلام للنبيّ ﷺ؟

أو لمؤازرته له؟ أو للدفاع عنه وعن اتباعه؟ أو حمايته حتّى يبلّغ رسالة السماء؟ أو...أو....

ثمّ ما الذي دعا الرسول لقبول هذه المواقف المشرّفة من أبي طالب إن كان كافراً؟ والنبيّ يسأل الله سبحانه فيقول: «اللّهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي نعمة...».

فكيف تجمع بين هذا النصّ من كلام النبيّ ﷺ وبين قبول ذلك السخاء من عمّه؟

إنّ من أسدى إلى النبيّ ﷺ يد المعروف، ومدّ إليه يد النصرة والحماية والتأييد

والذب عنه كانت له عليه النعمة الفضلى، والجميل الذي لا ينسى، وحينذاك وجب على النبيّ الشكر والمكافأة، وما مكافأة النبيّ لهكذا شخص إلّا أن ينقذه من أهوال العذاب فيخرجه إلى حيث يشاء من صور التكريم والإحسان....

وهذا كلّه يخالف وما جاءت به الآيات التي فيها شدّة في النهي، و فيها إنذار، وفيها زجر....

إذاً مفتعل الحديث هو بين محضورين، بين أن يسلّم بالآيات الزاجرة للنبيّ كقوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وَإِخْوانَكُمْ أَوْلِياءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ...﴾.[1]

وقوله تعالى: ﴿...مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلَى الْكُفّارِ...﴾.[2]

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ لاٰ يُقْضىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاٰ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها كَذٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾.[3]

وبين أن يذهب إلى أن فعل الرسول وشفاعته لعمّه الكافر ـ كما يزعم ـ كان خلافاً للآيات التي ذكرنا شطراً منها، وما هذا الخلاف إلّا عناداً من النبيّ في مقابل ذلك النهي والزجر ـ نعوذ بالله أن يقول به أحد ـ ومحاباة لعمّه!!

وعليه فالنتيجة تكون هكذا: لا بدّ من التسليم بالآيات الزاجرة والناهية من محاباة الكافر، حتّى يكون قول الطائفة المحقّة هي المحصلة النهائية، وهو أنّ أبا طالب عليه السلام كان مؤمناً حقّاً ـ مَثَلَه كمثل مؤمن آل فرعون ـ كتم إيمانه نصرة لابن أخيه محمّد صلى الله عليه وآله، وحفاظاً عليه من زعماء قريش المشركين، الذين كانوا يتربّصون به الدوائر في قتله، ولولا أبو طالب عليه السلام لأجهزوا عليه من اليوم الأوّل.

وعليه فلا حاجة أن يشفع النبيّ صلى الله عليه وآله لعمّه، وإنّما الشفاعة مدّخرة لأهل

---

(١) سورة التوبة: ٢٣.

(٢) الفتح: ٢.

(٣) فاطر: ٣٦.

العصيان، لا أنّها للكافرين، لأنّ قول الله سبحانه صريح: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها﴾.[١]

و هكذا قوله تعالى يصف المجرمين: ﴿...وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ، حَتَّى أَتانَا الْيَقِينُ، فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشّافِعِينَ﴾.[٢]

فإذا عرفت أنّ حديث الإحتضار المتضمّن شفاعة النبيّ صلى الله عليه وآله يناقض جميع الآيات التي لا تجيز الشفاعة للكافر، فكيف نقبل هذا التناقض؟ ثمّ إنّ هذا الحديث المفتعل والمكذوب يناقضه حديث الضحضاح أيضاً، ولا ندري أ نأخذ بهذا الحديث المفتضح سنداً ومتناً والذي ينصّ على بخل النبيّ صلى الله عليه وآله اتجاة خلاص عمّه، أم نأخذ بحديث الشفاعة وهو الأخر المكذوب على النبيّ صلى الله عليه وآله، وبالتالي كلا الحديثين متناقضان، كما أنّهما يتعارضان مع تلك الآيات التي تقدّم ذكرها، وهي تؤكّد على خلود الكافرين في النار ولا تنفعهم شفاعة الشافعين.

هكذا حبل الكذب قصير، لم يستطع هؤلاء أن يسندوا أحاديثهم ـ الموضوعة ـ إلى رواة ثقات عدول، كما لم يستطيعوا أن يصيغوا أحاديثم وِفْقَ الموازين اللغوية الصحيحة، والأسس العقائدية التي نطق بها القرآن المجيد.

ثمّ إنّ الشفاعة مشروطة بالنطق بالشهادتين، فهل نطق بها عمّه أم لا؟

والناظر إلى الحديث الذي نطق به الرسول صلى الله عليه وآله وهو لمّا مات أبو طالب عليه السلام قال: رحمك الله وغفر لك لا أزال استغفر لك حتى ينهاني الله. فأخذ المسلمون يستغفرون لموتاهم الذين ماتوا وهم مشركون فأنزل الله ﴿ما كانَ لِلنَّبِيِّ...﴾.

لو رجعت إلى كتب التفسير ترى أنّ هذه الآية نزلت بعد وفاة أبي طالب عليه السلام بعشر سنوات، عجباً استمر النبيّ صلى الله عليه وآله في الإستغفار لعمّه وهناك العديد من الآيات تنهى النبيّ صلى الله عليه وآله عن الترحم على الكافرين حتّى لو كانوا أولى القربى، بل أنّ

---

(١) سورة فاطر: ٥٦.

(٢) سورة المدثر: ٤٨.

الكافرين في الدرك الأسفل من النار، فهل غاب عن النبيّ صلى الله عليه وآله تلك الآيات طيلة عقد من الزمان...؟!

أم أنّ هذه الآية إنّما لها سبب في نزولها غير الذي زعمه الخصم، أنّها نزلت في شخص غير أبي طالب عليه السلام....

ويجدر بنا أن نبيّن موضع الشفاعة حتّى يلتفت الخصم ما ذا يقول، وكيف ذهب إلى كلّ ذاك التخبط...؟!

روى البزار عن أبي ذر عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «أُعطيت الشفاعة وهي نائلة من أمّتي من لا يشرك بالله شيئاً».[1]

وروى عوف بن مالك الأشجعي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّ شفاعتي لكلّ مسلم».[2]

فالشفاعة لأهل الايمان، وهذه الأحاديث تتّحد مع الحديث الذي قدّمناه في صدر الكتاب وهو قوله صلى الله عليه وآله: «إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمّي وعمّي ـ أبي طالب ـ وأخ لي كان في الجاهلية».[3]

فضيحة سافرة

أخبار القوم، وحديث (ضحضاح من نار) أنّها من مختلقات أهل الضلال، ومن موضوعات بني أميّة وأشياعهم الناصبين العداوة لأهل البيت عليهم السلام، وهي في نفسها تدلّ على أنّ مفتعلها والمجتريء على الله أنّه متحامل فاسق، سفه، تتجاذبه الحماقة والعداوة في آن واحد، كما أنّه قليل المعرفة باللغة العربية وفنونها و بلاغتها، تلك اللغة التي خاطب الله بها عباده، وأنزل بها كتابه، لأنّ الضحضاح لا يعرف في اللغة

---

(١) الغدير: ٨ / ٢٤، عن الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) نهج البلاغة: ٣ / ٣١١. والغدير: ٧ / ٣٧٩ و٣٨٦.

إلّا لقليل الماء أو لضوء الشمس، فحيث عدل به إلى النار كانت فيه فضيحته، واستبان قلّة علمه وجهله باللغة وبلاغتها....

ثمّ إنّ في الآخرة لا يوجد تفاوت فيما بين كافر وآخر، أو بين مشرك وآخر، فالجميع يتلضّون من عذاب جهنم، فلا يخفّف عنهم العذاب، ولا تنفعهم شفاعة الشافعين، وواضع تلك الأخبار ومزور تلك الأحاديث غابت عنه تلك الآيات الصريحة في خلود أهل النار في النار، وهم الكافرون، وخلود أهل الجنّة في الجنّة وهم المؤمنون، فما بال أبو طالب عليه السلام يكون في ضحضاح من نار من بين الكافرين؟!

ولِمَ تجعل له نار خفيفة لم تصب منه سوى الكعبين...؟!

ثمّ ما بال تلك النار التي أصابت نعلي أبي طالب عليه السلام قد اصبحت بمثابة المرجل يغلي منها دماغه؟ وفي حديث أخر ـ زعموا ـ يسيل دماغه على قدميه...) ألا ينضب هذا الدماغ؟ أم هو نبع يسيل على مدى الدهور...؟

إذا عرفنا كلّ ما تقدّم فعليك أن تسأل عزيزي القاريء ما هو المصدر لحديث الضحضاح، أو قلّ ما هي حقيقة الأمر...؟

نعم، عليك أن تسأل عن السرّ الدفين، الذي أخفاه القوم، أخفوه بغضاً وعناداً منهم، وكم من الحقائق قد أخفوها ولكن قد أبى الله سبحانه إلّا أن يظهرها ولو كره المشركون.

عزيزي أيّها المسلم الفطن، أنّ الأصل في حديث الضحضاح هو حديث (نور النبيّ صلى الله عليه وآله) و أهل بيته الكرام، وأنّه حديث متعلّق بالإمام الثاني عشر عليه السلام فهو ـ كما عبّرت عنه الروايات العديدة ـ أنّه في ضحضاح من نور ولكن القوم حرّفوا لفظه وقلبوا النور إلى نار لغاية في أنفسهم، وإليك أصل الحديث مع مصادره الصحيحة المعتبرة:

ضحضحاح من نور

روى موفق بن أحمد بسنده عن أبي سلمىٰ راعي إبل رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ليلة أسرى بي إلى السماء: قال لي الجليل جلّ جلاله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ فقلت والمؤمنون، قال: صدقت يا محمّد. من خلّفت في أمتك؟

قلت: خيّرها، قال: عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟ قلت: نعم يا ربّ... إلى أن يقول: يا محمّد إنّي خلقتك وخلقت عليّاً وفاطمة والحسن والحسين والائمة من ولده من نوري وعرضت ولايتكم على أهل السماوات والأرض فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدها كان عندي من الكافرين، يا محمّد لو أن عبداً من عبيدي عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي ثمّ أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتّى يقرّ بولايتكم. يا محمّد أ تحبّ أن تراهم؟

قلت: نعم يا ربّ، فقال: إلتفت عن يمين العرش فالتفت فإذا بعليّ وفاطمة والحسن والحسين، وعليّ بن الحسين ومحمّد بن عليّ، وجعفر بن محمّد، وموسى بن جعفر، وعليّ بن موسى، ومحمّد بن عليّ، وعليّ بن محمّد، والحسن بن عليّ والمهدي عليهم السلام في ضحضاح من نور قياماً يصلّون، وهو في وسطهم، يعني المهدي عليه السلام كأنّه كوكب دريّ. قال سبحانه: يا محمّد هؤلاء الحجج، والمهدي هو الثائر من عترتك، وعزّتي وجلالي إنّه الحجة الواجبة لأوليائي والمنتقم من أعدائي.

قال الغفاري: روى هذا الحديث جمع كبير من المحدّثين والأعلام منهم:

١ ـ صاحب كتاب غاية المرام ذكره في الجزء الأوّل منه حديث ٢١.

٢ ـ وأخرجه الحمويني في فرائده: ٢ / ٥٧١، الطبعة الأولى.

٣ ـ ورواه صاحب المقتضب كما في البرهان بأسانيدهم إلى أبي سلمىٰ.

٤ ـ ورواه كاشف الغطاء في الكشف: ص ٨.

٥ ـ وفي الصراط المستقيم: ٢ / ١٤٣.

٦ ـ والمجلسي في البحار: ٣٧ / ٢٠١ و١٥ / ٢٤٧ و١٨ / ٢٩٧ و٢٦ / ٣٠١ و٢٧ / ٢٠٠ و٣٦ / ٢١٦ و٢٦٢.

٧ ـ والطوسي في كتاب الغيبة: ١٤٧، وقد نصّ على الأئمة في حديث (ضحضاح من نور).

ولا يبعد أن يكون تعبير (الضحضاح) قد أخذ من حديث (ضحضاح النور) الذي ورد في حقّ أهل البيت عليهم السلام فقلبه المخالف ثم صيّره إلى ضحضاح من نار لأبي طالب عليه السلام.

٨ ـ وأخرجه أبو جعفر الكوفي في المناقب: ح ١٣٠.

٩ ـ ورواه إبن شاذان في المنقبة ١٧ من مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

١٠ ـ والرازي في الفوائد: ٢ / ١٥٢.

١١ ـ وأحمد بن عياش الجوهري في منتخب الأثر: ص ٣٨.

١٢ ـ ومحمّد بن أحمد القمي في مائة منقبة: ص ٣٩.

١٣ ـ وأبو الفتح الكراجكي في كنز الفوائد: ص ٢٥٨.

١٤ ـ ومنتجب الدين إبن بابويه في (أربعون حديث): ص ٤.

١٥ ـ وإبن طاووس في الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ص ١٧٣.

١٦ ـ وحسن بن سليمان الحلي في المحتضر: ص ٢٦٦.

١٧ ـ ومحمّد طاهر القمي الشيرازي في كتاب الأربعين: ص ٢١٢.

١٨ ـ والشيخ الماحوزي في كتاب الأربعين: ص ٢١٢.

١٩ ـ وكاظم آل نوح في طرق حديث الائمة الإثنا عشر عليهم السلام: ص ٩.

٢٠ ـ وفرات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره: ص ٧٥.

٢١ ـ والحرّ العاملي في الجواهر السنية: ص ٣١٣.

٢٢ ـ وهاشم البحراني في مدينة المعاجز: ٢ / ٣١١.

٢٣ ـ والخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام ١ / ٩٥، ط النجف.

دعنا نتابع بقيّة الأسانيد الأخرى لحديث الضحضاح.

أقول: ولحديث الضحضاح الذي رواه مسلم في باب شفاعة النبيّ[1] سند آخر:

* وهو عن محمّد بن حاتم، حدّثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان. وعن أبي بكر بن أبي شيبة، حدّثنا وكيع عن سفيان، الحديث المتقدّم وإليك أقوال علماء السنة فيما قالوه في حقّ رجال هذا السند:

ـ ١٠ ـ

أمّا محمّد بن حاتم

وهو إبن ميمون القطيعي، المعروف بالسمين قال إبن معين في معرفة الرجال ٢ / ١٧٥ / ٥٧١ وإبن المديني: كذّاب. وتهذيب الكمال ٢٥ / ٢٠ / ٥١٢٦.

وقال الفلّاس: ليس بشيء.[2]

ـ ١١ ـ

يحيى بن سعيد (التميمي المدني) القاضي الأنصاري

قال عنه البخاري وأبو حاتم: منكر الحديث.

وقال النسائي: يروي عن الزهري أحاديث موضوعة.

وقال إبن عدي: يروي عن الثقاة البواطيل.

وقال إبن حبّان: كان ممّن يخطيء كثيراً.[3]

وقال يحيى بن سعيد القطان: يدلّس ومثله قال الدمياطي.[4]

---

(١) صحيح مسلم: ١ / ١٣٥.

(٢) ميزان الإعتدال: ٣ / ٥٠٣. ودلائل الصدق: ١ / ٥٩.

(٣) ميزان الإعتدال: ٤ / ٣٧٨.

(٤) دلائل الصدق: ١ / ٦٨. وينظر: تهذيب التهذيب: ١١ / ١٩٤ / ٣٦١.

- ١٢ -

أبو بكر بن أبي شيبة

وإسمه عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبه أبو بكر الحزامي المدني عدّه الذهبي من مجاهيل الإسم.

قال أبو أحمد الحاكم: ليس بالمتين عندهم. وقال أبو بكر بن أبي داود: ضعيف، وقال إبن حبّان: ربّما أخطأ.[١]

- ١٣ -

و كيع ...؟

أنّه ملتبس، وربّما هو وكيع بن الجرّاح، رأى فيه الذهبي قدحاً لتشيّعه، وإذا كان كذلك أنّه يتشيّع، فليس من عقائد الشيعة القدح بأبي طالب ﷺ، بل أنّ من متبنّيات عقائدهم الحقّة هو إيمان أبي طالب ﷺ. وعليه فإنّ الحديث مفتعل على الرجل، كما لم يثبت عندنا أنّ ابن الجرّاح روىٰ عن سفيان فتدبّر.

أمّا أبوه ـ الجراح بن مليح ـ عن قيس بن مسلم وسماك وعدّة... كان فيه ضعف وعسر الحديث.

قال الدارقطني: ليس بشيء، كثير الوهم.

وقال البرقاني: قلت للدارقطني: يُعتبر به؟

قال: لا.[٢]

* وأورد مسلم سنداً آخر عن قتيبة بن سعيد قال: حدّثنا ليث، عن إبن الهاد، عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري[٣] كما تقدّم الحديث.

---

(١) ميزان الإعتدال: ٢ / ٥٧٨، ط ١. وطبعة ١٤١٦هـ، بيروت ٤ / ٣٠٢ / ٤٩١٩.

(٢) ميزان الإعتدال: ٢ / ٣٨٩، ط ١، دار المعرفة، بيروت ١٩٦٣م.

(٣) صحيح مسلم: ١ / ١٣٥.

- ١٤ -

أمّا قتيبة بن سعيد

قال عنه الذهبي: لا يدرى من هو.[١]

- ١٥ -

الليث، فمن هو؟

ورد هذا الإسم مشتركاً بين عشرة رجال، وليس فيهم إلّا مضطرب الحديث، والمتروك والمجهول والمنكر وغير ذلك من إمارات الضعف، وإن كان هو الليث بن سعد، فقد قال عنه يحيى بن معين: إنّه كان يتساهل في الشيوخ والسماع. وذكره النباتي في كتابه، تذييل على الكامل وهو كتاب في الضعفاء.[٢]

* وفي صحيح مسلم، عن أبي بكر بن أبي شيبة، حدّثنا عفّان، حدّثنا حماد بن سلمة، حدّثنا ثابت، عن أبي عثمان النهدي، عن إبن عباس: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أهون أهل النار عذاباً أبو طالب عليه السلام، وهو منتعل بنعلين، يغلي منهما دماغه.[٣]

أمّا أبو بكر بن أبي شيبة فقد تقدّم ذكره أنّه مجهول لا شيء.

- ١٦ -

وأمّا عفان

فيبدو هو إبن مسلم حيث أُسند عنه لحماد بن سلمة لثابت، كما هو في حديث أسنده الذهبي عنه.

قال الذهبي: كان بطيئاً رديء الحفظ، بطيء الفهم.[٤]

وقال أبو خيثمه: أنكرنا عفّان قبل موته بأيّام.[٥]

---

(١) ميزان الإعتدال: ٣/ ٣٨٥.

(٢) ميزان الإعتدال: ٣/ ٤٢٠ـ٤٢٣، ط ١، دار المعرفة.

(٣) مسلم: ١/ ١٣٥.

(٤) ميزان الإعتدال: ٣/ ٨١، ط ١، دار المعرفة.

(٥) ميزان الإعتدال: ٣/ ٨١.

وقال سليمان بن حرب: والله لو جهد جهده أن يضبط عن شعبة حديثاً واحداً ما قدر....[١]

- ١٧ -
وأمّا حماد بن سلمة

قال إبن المديني كان عند يحيى بن الضرير، عن حماد، عشرة الآف حديث، وقال عمرو بن سلمة كتبت عن حماد بن سلمة، بضعة عشر ألف حديث.[٢]

أقول: إذا كان حماد بن سلمة لوحده يحفظ بضعة عشر ألف حديث وأمثاله كثر، فلا أحسب إلّا أنّهم قد فاقوا عصرنا الحاضر وما فيه من عقول ألكترونية وتكنولوجيا الحديثة، وقد يتراءى للباحث النبه أنّ النبيّ ﷺ كان همّه فقط لتوليد الأحاديث وصياغة رجال رواة فحسب، يا مرحباً بسوق الكذب والدجل، ولا نقل في هؤلاء إلّا التأمين على قول النبيّ ﷺ حين قال: «من تعمّد عليّ الكذب فليتبوّء مقعده من النار».

قال إبن الثلجي: سمعت عباد بن صهيب يقول: إنّ حماداً كان لا يحفظ، وكانوا يقولون: إنّها دست في كتبه، وقد قيل إنّ إبن أبي العوجاء -الزنديق- كان ربيبته فكان يدسّ في كتبه.[٣]

ومن المعروف أنّ حماد بن سلمة هو الذي نقل أحاديث الصفات، والتجسيم، فجاء بأبشع وأقبح ما يكون التجسيم.

روى حماد عن ثابت عن أنس: أنّ النبيّ ﷺ قرأ: فلمّا تجلّى ربّه للجبل قال: أخرج طرف خنصره، وضرب على أبهامه فساخ الجبل. فقال حميد الطويل لثابت:

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال: ٧ / ٠٤ / ٥٨٢.

(٢) ميزان الإعتدال: ١ / ٢٧٧.

(٣) ميزان الإعتدال: ١ / ٤٧٨. وفي طبعة بيروت ٢ / ٣٦٠ / ٢٢٥٤. وينظر تهذيب التهذيب: ٣ / ١١ / ١٤. والكامل في الضعفاء: ٣ / ٣٥ / ٦٢.

تحدّث بمثل هذا؟

قال: فضرب في صدر حميد، وقال: يقول أنس، ويقوله رسول الله ﷺ، واكتمه أنا...؟ صحّحه الترمذي.[١]

وروى حماد ـ مرفوعاً ـ قال: رأيت ربّي ـ تعالى الله عمّا يصفون ـ جعدا أمرد، عليه حلّة خضراء... أي رآه في صورة شاب أمرد دونه ستر من لؤلؤ، قدميه ورجليه في خضرة.[٢]

ذكر إبن عدي أنّ البخاري امتنع أن يروي عنه شيئاً.[٣]

- ١٨ -

ثابت، من هو؟

إن كان هو ثابت بن أبي ثابت، فقد عدّه الذهبي مجهولاً وتتحقّق جهالته لما يرويه عنه حماد من أحاديث تجسيم الخالق.

ثمّ هناك من يشترك في هذا الإسم، وقد جاء البيان عنهم في كتب الجرح ففيهم: الجهول، والضعيف، والكذوب، ومنكر الحديث.[٤]

- ١٩ -

أبو عثمان النهدي

مجهول، لا يُعرف من هو.[٥]

* وفي صحيح البخاري[٦] ورد حديث الضحضاح، باب (قصّة أبي طالب ﷺ) وفي سنده: مسدد، قال: حدّثنا يحيى، عن سفيان... الخ وسند آخر فيه عبد الله بن

---

(١) ميزان الإعتدال: ١ / ٢٧٨.
(٢) ميزان الإعتدال: ١ / ٢٢٨.
(٣) ميزان الإعتدال: ١ / ٢٧٩.
(٤) ميزان الإعتدال: ١ / ١٦٨.
(٥) ميزان الإعتدال: ٣ / ٣٧٠.
(٦) صحيح البخاري: ٢ / ٢٠١.

يوسف عن الليث.

* وفيه بسند ثالث عن إبراهيم بن حمزة، حدّثنا إبن أبي حازم والدراوردي عن يزيد.

- ٢٠ -

أمّا مسدد

فهو مجهول، وإذاكان المسدد بن عليّ فقد قال عنه الذهبي: فيه تساهل[1] أي أنّه يروي عن الضعفاء ومن هو مجهول الحال و....

ويحيى، تقدّم أنّه كان منكر الحديث، ويدلّس.

- ٢١ -

وعبد الله بن يوسف

عدّه إبن عدي في الكامل: في الضعفاء.[2]

- ٢٢ -

وإبراهيم بن حمزة

ليس بشيء لكونه مجهول.

- ٢٣ -

وإبن أبي حازم

قال الفلّاس: ما رأيت إبن مهدي حدّث عن إبن أبي حازم بحديث.

وقال أحمد: لم يكن يعرف بطلب الحديث.

وقيل: إنّه ضعيف إلّا في حديث أبيه.

وقال إبن المديني: كان حاتم بن إسماعيل يطعن عليه في أحاديث رواها عن أبيه،

---

(١) ميزان الأعتدال: ٣ / ١٦٢.

(٢) ميزان الإعتدال: ٢ / ٨٩.

قال لي حاتم: نهيته عنها فلم ينته.[١]

ذكره العقيلي في كتابه الضعفاء.

إنّ إبن أبي حازم إسمه عبد العزير (المدني)، قال عنه إبن سيّد النـاس: ليّـن الحديث.

قيل إنّ كتب سليمان بن بلال صارت إليه، فقال بعضهم كان يدلّسها.

- ٢٤ -

الداروردي

هو عبد العزير بن محمّد. قال عنه أحمد بن حنبل ليس هو بشيء، وإذا حدّث جاء ببواطل.

وقال أبو حاتم: لا يحتج به.

وقال أبو زرعة: سيّء الحفظ.[٢]

- ٢٥ -

يزيد

مجهول، لا يُعرف من هو.

* وفي رواية أخرى (لحديث الضحضاح) ينتهي سندها إلى سفيان بن عيينة عن أبي إسحاق ـ السبيعي ـ عن ناجية.

- ٢٦ -

أمّا سفيان بن عيينة

فهو مدلّس، قاله في الميزان.

روى محمّد بن عبد الله بن عامر الموصلي، عن يحيى بن سعيد القطان قال: أشهد أنّ سفيان بن عيينة اختلط سنة سبع وتسعين ومائة فمن سمع منه فيها فسماعه لا شيء؟[٣]

---

(١) ميزان الأعتدال: ٢ / ٦٢٦، ط ١، دار المعرفة بيروت.

(٢) ميزان الإعتدال: ٢ / ٦٣٤. والغدير: ٨ / ٤٥.

(٣) ميزان الإعتدال: م ٢ / ١٧١.

- ٢٧ -

وأمّا عمرو بن عبد الله

أبو إسحاق السبيعي، فهو من محدّثي السوء، وشيوخ الرشوة، كان يـتقاضى، وجمع من شيوخ السوء راتباً شهرياً على إختلاق الأحاديث، تأييداً لسطان معاوية وتكريماً لبني أميّة، وأرغاماً لآل عليّ وفاطمة عليهما السلام.

قال الذهبي: كان يتقاضى أبو إسحاق السبيعي من معاوية في الشهر ثلاثمائة دينار.

وقال: روى إبن جرير عن المغيرة أنّه ما أفسد حديث أهل الكوفة غير أبي إسحاق، وقالوا عنه أنّه اختلط في أواخر عمره.

في الوقت الذي كانت ولادة سفيان بن عيينه سنة ١٠٨هـ أمّا وفاة أبي إسحاق فكانت سنة ١٢٩هـ وهذا يعني أنّ سفيان لم يدرك أبا إسحاق إلّا في أيّام إختلاطه.

وروى جرير، عن المغيرة قال: ما أفسد حديث أهل الكوفة غير أبي إسحاق.

وقال الفسوي: قال إبن عيينة: حدّثنا أبو إسحاق في المسجد ليس معنا ثالث.

وقال الفسوي: فقال بعض أهل العلم: كان قد اختلط، وإنّما تركوه مع إبن عيينة لإختلاطه.

قال إبن حزم: السبيعي لا يدرىٰ من هو، ومرسل مع ذلك.[1]

أقول: وإرساله في حديث رواه في قصّة عمر بن الخطاب، وطأ جارية له فإذا هي حائض، وفيه أنّ النبيّ ﷺ قال له: تصدّق بنصف دينار.[2]

---

(١) ميزان الإعتدال، للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ): م ٣/ ٢٧٠، ط ١، دار المعرفة بيروت، ١٩٦٣م.

(٢) ذيل على ميزان الأعتدال، للحافظ العراقي (ت ٨٠٤هـ): ص ٣٨١، حقّقه صبحي السامرائي، مكتبة النهضة العربية، بيروت ١٩٨٧م.

- ٢٨ -

أمّا ناجية بن كعب

قال فيه الذهبي: توقّف إبن حبّان في توثيقه.

وقال الجوزجاني في كتابه الضعفاء: هو مذموم.

وقال إبن المديني: لا أعلم أنّ أحداً حدّث عن ناجية بن كعب سوى أبي إسحاق، وقد تقدّم في أبي إسحاق أنّه كان يختلق الأحاديث لمعاوية بما يقابله من المرتب الشهري.(١)

إلى هنا عرفنا جميعاً مَنْ هم رواة حديث الضحضاح، فلم يسلم واحد منهم من الجرح.

أقول: وتنتهي كلّ هذه المرويّات من بعد كلّ ذلك إلى راوي حديث الضحضاح الأوّل وهو: المغيرة بن شعبة الثقفي.

فمن هو المغيرة بن شعبة؟

هو إبن أبي عامر بن مسعود بن متعب الثقفي، أسلم عام الخندق، وكان موصوفاً بالدهاء، ولّاه عمر بن الخطاب البصرة، ولم يزل عليها حتى شهد عليه بالزنا فعزله.(٢)

ثمّ ولّاه الكوفة، فلم يزل عليها حتى عزله عثمان. وولّاه معاوية الكوفة حتى مات عام ٥ هـ.

كان المغيرة يكره عليّاً وآله، يسبّهم أشدّ السبّ. يقول إبن أبي الحديد: إنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ عليه السلام تقتضي الطعن فيه، والبرائة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله،

---

(١) ميزان الإعتدال: ٣/ ٢٣٩، ط ١، دار المعرفة.

(٢) الكامل إبن الأثير حوادث سنة: ٤١هـ، وحوادث سنة: ٥١هـ.

فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير.(١)

وقال إبن أبي الحديد: وكان المغيرة بن شعبة يلعن علياً عليه السلام لعناً صريحاً على منبر الكوفة، وكان بلغه عن عليّ عليه السلام في أيّام عمر أنّه قال: لئـن رأيت المـغيرة لأرجمنّه بأحجاره، يعني واقعة الزنا بالمرأة التي شهد عليه فيها أبو بكرة، ونكل زياد عن الشهادة، فكان يبغضه لذاك، ولغيره من أحوال اجتمعت في نفسه.(٢) وروى إبن الأثير في حوادث سنة ٤١ هـ أنّ المغيرة لم يترك سبّ الإمام عليّ عليه السلام على منابر العراق في البصرة، والكوفة، ومطاردة شيعة عليّ عليه السلام.

وروى في حوادث سنة ٥١ هـ في ذكر مقتل حجر بن عدي قال: إنّ معاوية استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة، فلمّا ولّاه عليها دعاه إليه، وقال له: أمّا بعد، فإنّ لذي الحلم قبل اليوم تقرع العصا، وقد يجزي عنك الحكيم بغير التعليم، وقد اردت ايصاءك بأشياء كثيرة أنا تاركها إعتماداً عليك، ولست تاركاً ايصاءك بخصلة: لا تترك شتم عليّ وذمّه، والترحّم على عثمان والإستغفار له، والعيب لأصحاب عليّ والإقصاء لهم، والإطراء لشيعة عثمان والادناء لهم.

قال له المغيرة: قد جرّبت وجرّبت وعملت قبلك لغيرك فلم يذممني، وستبلو فتحمد أو تذمّ.

فقال له معاوية: بل نحمد إن شاء الله.

فأقام المغيرة على الكوفة لا يدع شتم عليّ عليه السلام والوقوع فيه والترحّم على عثمان والإستغفار له.(٣)

---

(١) شرح النهج لإبن أبي الحديد: ٤/ ٦٣، ط ٢، ١٩٦٥م.

(٢) شرح النهج لإبن أبي الحديد: ٤/ ٦٩، ط ٢.

(٣) الكامل في التاريخ لإبن الأثير، حوادث سنة: ٥١ هـ.

كيف أسلم المغيرة؟

ذكر إبن أبي الحديد عن جندب بن عبدالله، قال: ذُكر المغيرة بن شعبة عند عليّ ﷺ، قال: وأمّا المغيرة إنّما كان إسلامه لفجرة وغدرة غدرها بنفر من قومه فتك بهم وركبها منهم، فهرب منهم فأتى النبيّ ﷺ كالعائذ بالإسلام، والله ما رأى أحد عليه منذ ادعى الإسلام خضوعاً ولا خشوعاً.[١]

قال الغفاري: إذاً لم يكن إسلام المغيرة عن عقيدة وإيمان بل الجأه الخوف من قومه فلاذ بالرسول وتمنع بالإسلام، ولكن هل ينفعه ذلك وهو المعروف عنه بالفسق، المتجاهر بالمحرمات وإرتكاب المعاصي والآثام؟! وقد عرفته العرب بأنّه أزنى الناس.

جاء في الأغاني: أنّه كان أزنى الناس في الجاهلية، فلمّا دخل الإسلام قيّده الإسلام، وبقيت عنده منه بقيّة ظهرت في أيّام ولايته بالبصرة.[٢]

ولقد اعترف هو مرّة فقال: دخلت بتسعين امرأة[٣].

وقد التفت الخليفة عمر إلى هذه الناحية فوبّخه وقال له: إنّك لفارغ القلب، شديد الشبق، طويل الفرمول.[٤]

روى إبن معد الموسوي أنّ المغيرة لمّا مات وخرج به قومه إلى الجبّانة فحين دفنوه، وسوّوا عليه قبره، أقبل راكب من ناحية البرّ على ناقة حتى وقف على قبر المغيرة، وانشأ يقول:

أمن رسم قبر للمغيرة يعرف ... عليه زواني الجنّ والإنس تعزف
لعمري لقد لاقيت فرعون بعدنا ... وهامان فاعلم أنّ ذا العرش منصف

---

(١) شرح النهج للمعتزلي: ٤/ ٨٥.

(٢) شرح النهج: ٢/ ٢٣٩.

(٣) الأغاني: ١٤/١٤٣ و١٦/٩٠. قال إبن أبي الحديد: كانت عنده أربع نسوة وستون ٢٤١/١٢.

(٤) شرح النهج للمعتزلي: ١٢/ ٢٣٩.

من سنن المغيرة و معاوية سبّ علي بن أبي طالب ﵇

كتب معاوية إلى عمّاله بعد عام الجماعة: أن برأت الذمّة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب، وأهل بيته.

فقامت الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ منبر يلعنون علياً ﵇ ويبرؤن منه ويقعون فيه وفي أهل بيته.

وكتب إلى عمّاله: إنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلّ مصر وفي كلّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب ـ عليّ بن أبي طالب ﵇ ـ إلّا وأتوني بمناقض له في الصحابة مفتعلة، فإنّ هذا أحبّ إليّ، وأقرّ لعيني وادحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشدّ إليهم في مناقب عثمان وفضله، فقرأت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتّى أشادوا بذكره في ذلك على المنابر وألقى معلمي الكتاتيب فعلّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتّى رووه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن، وحتّى علّموه بناتهم ونسائهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله.(١)

قال ياقوت الرومي الحموي: لُعن عليّ بن أبي طالب(﵇) على منابر الشرق والغرب، ولم يلعن على منبر سجستان إلّا مرّة وامتنعوا على بني أميّة، حتّى زادوا في عهدهم وأن لا يلعن على منبرهم أحد. وأيّ شرف أعظم من إمتناعهم من لعن أخي رسول الله ﷺ على منبرهم، وهو يلعن على منابر الحرمين بمكة والمدينة.(٢)

وممّن ذكر سيرة معاوية في اللعن إبن عبد ربّه فقال: حجّ معاوية بعد موت

(١) شرح النهج للمعتزلي: ٣/١٦.
(٢) معجم البلدان: ٥/٣٨.

الحسن عليه السلام فدخل المدينة وأراد أن يلعن عليّاً عليه السلام على منبر رسول الله ﷺ فقيل له إنّ ههنا سعد بن أبي وقاص ولا نراه يرضى بهذا فابعث إليه، وخذ رأيه. فأرسل إليه وذكر له ذلك فقال: إن فعلت لأخرجنّ من المسجد، ثمّ لا أعود إليه. فامسك معاوية عن لعنه حتّى مات سعد فلمّا مات لعنه على المنبر، وكتب إلى عمّاله أن يلعنوه على المنابر ففعلوا.

فكتبت أم سلمة زوج النبيّ ﷺ إلى معاوية: إنّكم تلعنون الله ورسوله على منابركم وذلك أنّكم تلعنون عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومن أحبّه، وأنا أشهد أنّ الله أحبّه ورسوله، فلم يلتفت إلى كلامها.(١)

ذكر الزمخشري والسيوطي: أنّه كان في أيّام بني أميّة أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها عليّ بن أبي طالب عليه السلام بما سنّه لهم معاوية من ذلك، وقد أشار الحافظ الشيخ أحمد الحفظي الشافعي في أرجوزته:

وقد حكى الشيخ السيوطي إنّه	قد كان فيما جعلوه سنّه
سبعون ألف منبر وعشره	من فوقهن يلعنون حيدره
وهذه في جنبها العظائم	تصغر بل توجه اللوائم
فهل ترى من سنّها يعادي	أم لا وهل يستر أو يهادي
أو عالم يقول: عنه نسكت	أجب فإنّي للجواب منصتُ
وليت شعري هل يقال اجتهدا	كقولهم في بغية أم الحدا
أليس ذا يؤذيه أم لا؟ فاسمعن	إن الذي يؤذيه مَنْ، مَنْ، ومَنْ؟
بل جاء في حديث أم سلمة	هل فيكم الله يسبّ مه لمه
عاون أخا العرفان بالجواب	وعاد من عادى أبا تراب

ولم يمتنع القوم من سبّ الإمام عليّ عليه السلام إلّا في خلافة عمر بن عبد العزيز فكان هو السبب في منع بني أميّة ومجاميع المسلمين في الأمصار، وقصّته معروفة، وهو

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي: ٢ / ٣٠٠.

الذي جعل مكان السبّ أن يقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.(١)

وكتب إلى الأفاق فصار سنة.

وإلى هذا أشار الشريف الرضي بأبياته فقال:

يا إبن عبد العزيز لو بكت	العين فتى من أميّة لبكيتك
غير أني أقول أنك قد طبت	وإنْ لم يطب ولم يزك بيتك
أنت نزّهتنا عن السبّ والقذف	فلو أمكن الجزاء جزيتك
ولو أنّي رأيت قبرك لا ستحييت	من أرى وما حييتك(٢)

جاء في شرح النهج عن أبي غسان البصري، قال: بنى عبيد الله بن زياد أربعة مساجد بالبصرة تقوم على بغض عليّ بن أبي طالب عليه السلام والوقيعة فيه: مسجد بني عدي، ومسجد بني مجاشع، ومسجد كان في العلافين على فُرضَة البصرة، ومسجد في الأزد.(٣)

وذكر إبن أبي الحديد أنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ عليه السلام تقتضي الطعن فيه، والبرائة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم: أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير.(٤)

---

(١) سورة النحل: ٩٠.

(٢) ينظر: العقد الفريد: ٢/ ٣٠٠. وشرح النهج: ٣/ ٣٥٦. والغدير: ٢/ ١٠٢.

(٣) شرح النهج للمعتزلي: ٤/ ٩٤، ط ٢، ١٩٦٥م.

(٤) المصدر نفسه: ١/ ٣٥٨.

عداوة المغيرة بن شعبة لعليّ عليه السلام خاصة ولبني هاشم عامة

عرف المغيرة بعداوته لبني هاشم وبغضه الشديد للإمام أمير المومنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام والإنحراف عنه، قال إبن أبي الحديد: قالوا: وأمّا حديث الضحضاح من النار فإنّما يرويه الناس كلّهم عن رجل واحد، وهو المغيرة بن شعبة، وبغضه لبني هاشم وعلى الخصوص لعليّ عليه السلام مشهور معلوم، وقصّته وفسقه غير خاف.[(١)]

جرائم المغيرة

روي عنه أنّه شرب في بعض الأيّام، فلمّا سكر، قيل ما تقول في بني هاشم؟ فقال: والله ما أردت لهاشمي قطّ خيراً.[(٢)]

من جرائم المغيرة

كان يعتمد معاوية على رجال باعوا دينهم له بدنيا زائلة، منهم المغيرة بن شعبة، فهو بطل في كلّ فتنة، وزعيم في كلّ منقصة، وفي كلّ ختل وغدر، وهو الذي تصدّى لجعل ولاية العهد ليزيد بن معاوية بعد هلاك معاوية، وأنّ إبن أبي سفيان لم تخف عليه روحية المغيرة وإنحرافه عن بني هاشم، من أجل ذلك أغدق عليه بـالمال والجاه وكلّ ما ينفعه في شبقه وتمرّده، في جرائمه ومعاصيه، و قد أرسل المغيرة وفداً إلى الشام يؤكّد له رغبة أهل العراق بيزيد ـ أنّه كذب وزور وبهتان ـ وهذا الوفد هو الذي زيّن لمعاوية بيعة يزيد، فقال معاوية لموسى بن المغيرة الذي كان يرأس الوفد: بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟

قال: بثلاثين ألف درهم يا أمير المومنين.

---

(١) شرح النهج: ١٤/ ٧٠.

(٢) الحجة على الذاهب: ١١٢.

قال معاوية: لقد هان عليهم دينهم.[1]

ومن جرائم المغيرة

أنّه حسّن لعائشة الخروج على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، حتّى كان من الأمر أن حدثت واقعة الجمل في البصرة، وذهب ضحيتها عشرات الآلاف، وما هذا التشويق منه لعائشة إلّا بغضاً لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

ومن جرائم المغيرة

أنّه كان أحد الأشقياء الذي أعان الطغمة من العتاة في تسخير الخلافة إلى صالح أبي بكر وعمر، وكان إلى جنبهما في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله.

ومن جرائم المغيرة

أنّه أشار على معاوية بإستعطاف زياد بن أبيه (إبن سمية الزانية) لمّا كان في عمله من قبل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على ولاية من أعمال فارس. فكتب إليه معاوية كتاباً يستعطفه فيه وذهب المغيرة بالكتاب إليه فلمّا أتاه أرضاه، وأخذ منه كتاباً يظهر فيه الطاعة بشروط فأعطاه معاوية جميع ما سأله.

المغيرة بن شعبة من زناة العرب في الجاهلية والإسلام

اشتهر المغيرة في مصادر التاريخ أنّه من اشهر زناة العرب في الجاهلية، وهكذا عرف بين المسلمين بزناه في البصرة والكوفة، وقصّته مع أم جميل زوجة الحجاج بن عبيد أشهر من أن تذكر، وتستراً على هذه الجريمة النكراء حاول الخليفة عمر بن

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٩٦/٤٠، ط دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ. والكامل في التاريخ لابن الأثير: ٣/٥٠٣، طبعة دار صادر، بيروت ١٣٨٥هـ.

الخطاب أن يدرأ عنه الحدّ....

أمّا المصادر التي ذكرت هذه الجريمة النكراء فهي تربو على العشرات وإليك بعضها:

١ ـ فتوح البلدان للبلاذري: ص ٣٥٣، ط مصر، ١٣١٩هـ.

٢ ـ الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري: ص ١١٨، ط مصر، ١٣٣٠هـ.

٣ ـ إبطال الباطل لفضل بن روز بهان الحنفي، عقّب إبن روز بهان على القصّة فقال: روى البخاري ذلك في تاريخه، وإبن خلكان، وإبن كثير، وسائر المحدّثين وأرباب التاريخ في كتبهم.

٤ ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ٣/ ٤٤٨، ط حيدر آباد الدكن، ١٣٤١هـ.

٥ ـ تاريخ الأمم والملوك للطبري، حوادث سنة ١٧هـ.

٦ ـ الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني: ١٤/ ١٤٠، ط مصر، ١٣٢٣هـ.

٧ ـ الإستيعاب لإبن عبد البر، ترجمة المغيرة، وزياد بن أبيه، ونافع بن الحارث، وأبي بكرة.

٨ ـ المختصر في أحوال البشر لأبي الفداء، حوادث سنة: ١٧هـ.

٩ ـ تلخيص المستدرك للذهبي، بذيله: ٣/ ٤٤٨.

١٠ ـ الكامل في التاريخ لإبن الأثير، حوادث سنة: ١٧هـ.

١١ ـ منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد بن حنبل، للمتقي الهندي: ٢/ ٤١٣، ط مصر، سنة ١٣١٣هـ.

١٢ ـ أسد الغابة لإبن الأثير الجزري، ينظر ترجمة زياد بن أبيه وأبي بكرة ونافع.

١٣ ـ الإصابة لإبن حجر العسقلاني، ينظر ترجمة المغيرة بن شعبة.

١٤ ـ شرح النهج لإبن أبي الحديد: ٣/ ١٥٩، ط مصر.

قال إبن أبي الحديد: إنّ الرجل زنى بالمرأة لا محالة، وكلّ كتب التواريخ والسير تشهد بذلك.

١٥ ـ طبقات الشافعية لعبد الوهاب بن تقي السبكي: ٢ / ٢٠٩، ط مصر، سنة ١٣٢٤ هـ.

١٦ ـ وفيات الأعيان لإبن خلكان، ينظر ترجمة يزيد بن زياد بن أبي ربيعة بن مفرغ.

١٧ ـ السنن الكبرى للبيهقي: ٨ / ٢٣٥، ط حيدر آباد.

١٨ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي: ١ / ٤٣١، ط بيروت.

١٩ ـ البداية والنهاية لإبن كثير: ٧ / ٨١، ط القاهرة.

٢٠ ـ عمدة القاري في شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني: ٦ / ٣٤٠، ط الاستانة.

قصّة المغيرة مع أم جميل بنت سبيعة

روى أبو الفرج إبن الجوزي بسنده عن أبي بكر قال: لمّا عزل عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان عن البصرة، وبعث بالمغيرة بن شعبة غزا ميسان ففتحها، وبعث أبا بكرة بشيراً بالفتح وأقام بالبصرة أميراً، وقد اتخذت بها المنازل، وكثر بها الناس، وحسن بها حالهم، ثمّ رجع أبو بكرة إلى البصرة قافلاً من عند عمر فكان المغيرة بن شعبة يخرج كلّ يوم من دار الإمارة وسط النهار فيلقاه أبو بكرة فيقول: أين تذهب أيها الأمير؟

فيقول لي: حاجة، فيقول له: ما هذه الحاجة؟ إنّ الأمير يزار ولا يزور.

وكانت إمرأة من بني هلال بن عامر بن صعصعة، يقال لها: أم جميل بنت سبيعة، وكان لها زوج من قومها، يقال له الحجاج بن عبيد، جارة لأبي بكرة، فبينا أبو بكرة في غرفة له وعنده أخواه. نافع وزياد ورجل آخر يقال له: شبل بن معبد. وغرفة

الهلالية بحذا غرفة أبي بكرة، قال فضربت الريح باب غرفة جارة أبي بكرة الهلالية ففتحته. فنظر القوم فإذا هم بالمغيرة بن شعبة على المرأة ينكحها قال: فقال أبو بكرة لأصحابه الثلاثة: إنّكم قد ابتليتم فاثبتوا الشهادة قال: فنظروا حتّى اثبتوا قال فنزل أبوبكرة فجلس حتى مرّ عليه المغيرة خارجاً من عند المرأة فقال له: إنّه قد كان من أمرك ما قد علمت فاعتزلنا.

وكتب إلى عمر بن الخطاب بالذي كان فكتب عمر إلى المغيرة وإلى الشهود جميعاً أن يقدموا عليه، فلمّا قدموا عليه صفّهم، ودعا أبا بكرة قبلهم، فأثبت الشهادة، وذكر أنّه رآه يدخل كما يدخل الميل في المكحلة، وقال: لكأنّي أنظر إلى أثر الجدري بفخذ المرأة.

ثمّ دعا نافعاً فشهد بمثل شهادة أبي بكرة، وأثبتها.

ثمّ دعا شبل بن معبد فشهد بمثل شهادة نافع وأبي بكرة وأثبتها. فقال عمر بن الخطاب: أردى المغيرة الأربعة.

ثمّ دعا زياداً، فلمّا أقبل، قال عمر: إنّي لأرى رجلاً ما كان ليشهد اليوم إلّا بحقّ.

ويروى: إنّ عمر لمّا رأى زياداً قال: إنّي لأرى وجه رجل ما كان الله يخزي رجلاً من المهاجرين بشهادته.

فقال شبل بن معبد ـ وهو الثالث من الشهود ـ أفتجلد شهود الحقّ، وتبطل الحدّ أحبّ إليك يا عمر؟

فقال عمر لزياد: ما تقول؟

فقال: قد رأيت منظراً قبيحاً، ونفساً عالياً، ولقد رأيته بين فخذي المرأة ولا أرى، هل كان خالطها أم لا؟

وفي الكنى: فشهد أنّه رآه رافعاً رجليها وخصيتيه تتردّد إلى ما بين فخذيها.(١)

فقال عمر: الله أكبر. فقال المغيرة: والله أكبر، الحمد لربّ الفلق، والله لقد كنت

---

(١) الكنى والألقاب، عباس القمي: ١/ ٤١٤، المطبعة الحيدرية النجف، ١٩٥٦م.

علمت أنّي سأخرج عنها سالماً.

فقال عمر: أسكت فوالله لقد رأوك بمكان سوء فقبّح الله مكاناً رأوك فيه، وأمر بجلد الشهود الثلاثة.

فقال نافع: أنت والله يا عمر جلدتنا ظلماً، أنت رددت صاحبنا أن يشهد بمثل شهادتنا، اعلمته هواك، فاتبعه، ولو كان تقيّاً كان رضاء الله، والحقّ عنده آثر من رضاك.

فلمّا جلد أبا بكرة قام وقال: أشهد لقد زنى المغيرة، فأراد عمر أن يجلده ثانياً، فقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إنّ جلدته رجمت صاحبك. وهذا فقه مليح منه عليه السلام لأنّه عليه السلام أراد أنّه إذا جلد وتكلّم كملت الشهادة أربعة، فإذا كملت الشهادة وجب رجم المشهود عليه.(١)

تعقيبات خمس

تعقيب على الرواية في مسألة الشاهد (زياد):

تؤكّد المصادر بأنّ عمر أوحى إلى الشاهد الرابع بأنّه غير راغب في إقامة الحدّ على المغيرة، وليس أدلّ من قوله له: أما إنّي أرى رجلاً أرجو أن لا يرجم رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله على يده ولا يخزى بشهادته.

من المصادر التي أشارت إلى تلقين الخليفة للشاهد الرابع هي:

١ ـ فتوح البلدان للبلاذري: ص ٣٥٣.

٢ ـ أسد الغابة لابن الأثير، ترجمة شبل بن معبد.

٣ ـ الإصابة لابن حجر العسقلاني، ترجمة شبل بن معبد.

٤ ـ الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني: ١٤ / ١٤١.

٥ ـ منتخب كنز العمال للمتقي الهندي: ٢ / ٤١٣، بهامش مسند إبن حنبل.

---

(١) الحجة على الذاهب: ١٢٤.

٦ ـ شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي: ٣/ ١٦٥.

تعقيب آخر، مسائلة عمر المغيرة في الحجّ

روى إبن خلكان في ترجمة يزيد بن زياد أبي ربيعة قال: كانت أم جميل بالموسم فالتقت صدفة بالمغيرة، وكان بصحبة عمر بن الخطاب، فقال عمر للمغيرة: أ تعرف هذه المرأة؟

فقال المغيرة: نعم هذه أم كلثوم بنت عليّ.

فقال عمر: أ تتجاهل علي والله ما أظن أبا بكرة كذب عليك، وما رأيتك إلّا خفت أن أرمى بحجارة من السماء.[١]

هذا وقد تظافر خبر زنى المغيرة في أغلب المصادر التاريخية، وقد اعترف المغيرة مرّة فقال: (دخلت بتسعين امرأة).[٢]

تعقيب ثالث في إقامة الحدّ علىٰ رجل وإمرأة كانا تحت لحاف واحد

روى الطبراني عن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود قال: أتى عبد الله بن مسعود برجل وجد مع إمرأة في لحاف فضرب كلّ واحد منهما أربعين سوطاً، وأقامهما للناس فذهب أهل المرأة، وأهل الرجل فشكوا ذلك إلى عمر بن الخطاب، فقال عمر لإبن مسعود: ما يقول هؤلاء؟

قال: قد فعلت ذلك.

قال: أورأيت ذلك؟

---

(١) وفيات الأعيان، ترجمة يزيد بن أبي ربيعة، الأغاني لأبي الفرج: ج ١٤/ ١٤١. وشرح النهج لابن أبي الحديد: ١٢/ ٢٣٨.

(٢) أنظر: الأغاني لأبي الفرج: ١٤/ ١٤٣.

قال: نعم.

فقال عمر: نعم ما رأيت.

فقالوا: أتيناه نستأذنه فإذا هو يسأله.

رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيحين.[١]

وفي رواية الشافعي نقلها بإختصار عن عبد الله فسأله عمر لم فعلت ذلك؟

قال لأنّي أرى ذلك.

قال عمر: وأنا أرى ذلك.[٢]

تعقيب رابع ثمّ سؤال

لقد عرفت فيما تقدّم في شأن المرأة والرجل أنّهما كانا تحت لحاف واحد، وأنّ عمر بن الخطاب كان يرى ويقرّ جلد الرجل والمرأة هذا الحدّ ـ خمسين سوطاً ـ بمجرد إقامة الشهادة عليهما، وأنّهما وجدا تحت لحاف واحد، دون أن يتأكّد من أنّ الرجل أدخل الميل في المكحلة أم لا. وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لا يقام الحدّ على المغيرة وقد شهد عليه شهود ثلاثة بأنّه قام بعملية الزنى دون أيّ شبهة؟

أمّا الشاهد الرابع فقد أثبت بشهادته أنّه كان في مكان قبيح رافعاً برجليها، وكانا لهما نفساً عالياً، ولقد رآهما في منظر المواقعة (رأيته بين فخذي المرأة)، الرواية التي يثبتها أبو الفرج في أغانيه: ١٤ / ١٤١، ومصادر أخرى. فهل جريمة المغيرة هي أقلّ من جريمة ذلك الرجل والمرأة اللذان كانا تحت لحاف واحد؟!

يا للعجب كيف يرى الخليفة جلد هذين خمسين سوطاً ولم ير على المغيرة من حدّ أو جلد، أو تعزير أو على أقلّ الإحتمالات التوبيخ الذي لا بدّ منه لحفظ وصيانة الأعراض والأنساب وعدم إختلاط النطف....

---

(١) عن كتاب مجمع الزوائد: ٦ / ٢٧٠.

(٢) كتاب الأم، للشافعي: ٧ / ١٧٠.

إنّ المغيرة بن شعبة ثبت عليه حدّ الزنى بشهادة الشهود الأربعة، بل إنّ أبا بكرة شهد شهادتين فلو نكل عمر بشهادة زياد، فقد قامت بدلها شهادة أبي بكرة فهي الشهادة الرابعة بلا أيّ ترديد، فمع هذه الشهادات الصادقة استحقّ الحدّ، وإلّا كان معه التعزير والتوبيخ إن لم يكن الحدّ، خاصة إذا أكّدت لنا بعض المصادر بـأنّ الخليفة كان على يقين وإطمئنان بإرتكاب المغيرة الفاحشة.

فأيّ عذر يتبجّح به الخليفة في درء الحدّ عن واحد فاسق فاجر مشهور بالزنى منذ شبابه وحتّى مماته؟!

فهل درء الحدّ لكونه رفيقاً وزميلاً للخليفة؟!

أم لكونه شيخاً من شيوخ فسقة العرب؟!

أم لكونه صاحب جاه ومال؟!

أم لكونه صحابياً؟!

فإن لم يكن المغيرة قد قام بعملية الزنى نفسها ـ وهو إدخال الميل بالمكحلة ـ فقد قام بمقدّماتها وأسبابها وجلس من المرأة مجلس الفاحشة بشهادة أربعة لا شبهة بشهادتهم، فهلّا ضمّ الخليفة إلى جلد الثلاثة تعزير هذا الرجل تأديباً له ولغيره ممّن يسيء للشريعة الغرّاء.

هبْ أنّ الحدّ سقط ـ برأي عمر ـ أما اقتضت الحال تأديب المغيرة بنوع من أنواع التعزير وإن خفّ؟!

وعليه، فإنّ المغيرة لم تكن جريمته بأقلّ من ذلك الرجل الذي جلد خمسين سوطاً لأنّه شوهد مع إمرأة على فراشها وتحت لحافها.

التعقيب الخامس

لقد تمادى بعض من علماء السّنّة وهم يتنكّبون طريق الشرع، ويميلون عن الحقّ كلّ الميل إرضاء لأهواء الخليفة عمر حتى أنّ بعض علمائهم، ومنهم

السبكي في طبقاته، حاول تخريج كلام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والدفاع عن عمر بإختلاق قصّة يدّعي فيها مفتعلها أنّ المغيرة نكح أم جميل بزواج وهو في عرفهم زواج السّر، ثمّ يصرّح السبكي فيقول نقلاً عن إبن الرفعة: أنّ المغيرة كان قد تزوّج بتلك المرأة سرّاً، وكان عمر لا يبيح نكاح السّر، ويوجب الحدّ على فاعله، وكان يقول ـ عمر ـ للمغيرة هذه إمرأتك فينكر....[١]

وقد قيل من قبل أنّ العذر أخس من الفعل... ولا تعليق بعد هذا، ونترك الأمر لمن له أدنى فهم وتدبّر.

* * *

نعود إلى حديث الضحضاح بعبارة وجيزة:

عزيزي القاريء، هذه نظرة سريعة في حديث اشتهر في أوساط المخالفين، أنّه حديث مقلوب، صاغته اطماع معاوية واتباعه من بني أميّة، ولمّا كان أصل الحديث هو يخص العترة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام، حيث نعتهم جدّهم الأعلى النبيّ صلى الله عليه وآله بصفات كثيرة وذكر من فضائلهم ومناقبهم ما اعترف به المخالف والمؤالف، ومن فضائلهم ما خاطب به الله سبحانه نبيّه الأكرم فقال وعزّ من قائل: يا محمّد إنّي خلقتك وخلقت عليّاً وفاطمة والحسن والحسين والائمة من ولده من نوري... ثمّ جاء ذكرهم في هذا الحديث القدسي واحداً بعد واحد ولمّا ذكر الإمام الثاني عشر عليه السلام قال عزّ وجلّ: والمهدي في ضحضاح من نور....

هذا الضحضاح الذي كان من نور قلبه المعاندون ومن شرى مرضات المخلوق ـ معاوية ـ بسخط الخالق فحوّر النور إلى نار، وخصّ النار لأبي طالب عليه السلام ....

لك يوم طويل يا معاوية، ولكم وقفة طويلة أيّها المعاندون، إنّكم ستقفون أمام

---

(١) طبقات الشافعية للسبكي: ٢ / ٢١٠.

الربّ الجليل ولكم منه الجزاء الأوفى فيما سوّلت لكم أنفسكم، وما الله بغافل عمّا يعمل الظالمون.

الفصل الثالث

أبو طالب عليه السلام كبير الصحابة وراوية النبيّ صلى الله عليه وآله

* نبوءات أبي طالب عليه السلام
* رحلة أبي طالب عليه السلام إلى الشام
* قصة بَحِيرا الراهب
* نصرة أبي طالب للنبيّ صلى الله عليه وآله
* خطاب وتوجيه ونصرة
* دليل إيمان أبي طالب عليه السلام من خلال مواقفه
* ما يرويه أبو طالب عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله

نبوءات أبي طالب عليه السلام

ممّا يستدل على إيمان أبي طالب عليه السلام نبوءاته الصادقة التي حدّث بها أو أشار إليها في موارد عديدة من كلامه وفي مناسبات مختلفة.

من تلك النبوءات حديث النخلة وتدلّي أغصانها حتى أكل النبيّ صلى الله عليه وآله رطباً منها.

وإليك الحديث برواية القطب الراوندي.

من كلام أبي طالب عليه السلام في حقّ إبن أخيه صلى الله عليه وآله

روى القطب الراوندي في كتابه الخرائج والجرائح عن فاطمة بنت أسد عليها السلام أنّها قالت: لمّا توفّي عبد المطلب أخذ أبو طالب عليه السلام النبيّ صلى الله عليه وآله عنده لوصيّة أبيه به، وكنت أخدمه، وكان في بستان دارنا نخلات، وكان أوّل إدراك الرطب، وكنت كلّ يوم التقط له حفنة من الرطب فما فوقها وكذلك جاريتي. فاتفق يوماً أن نسيت أن التقط له شيئاً ونسيت جاريتي أيضاً، وكان محمّد نائماً ودخل الصبيان وأخذوا كلّما سقط من الرطب وانصرفوا، فنمت ووضعت الكمّ على وجهي حياءً من محمّد صلى الله عليه وآله إذا انتبه. فانتبه صلى الله عليه وآله ودخل البستان فلم ير رطبة على وجه الأرض، فأشار إلى نخلة وقال: أيّتها الشجرة أنا جائع، فرأيت النخلة قد وضعت أغصانها، التي عليها الرطب حتى أكل منها ما أراد، ثمّ ارتفعت إلى موضعها، فتعجّبت من ذلك، وكان أبو طالب عليه السلام غائباً، فلمّا أتى وقرع الباب عدوت إليه حافية وفتحت الباب وحكيت له ما رأيت فقال: هوإنمّا يكون نبيّاً، وأنتِ تلدين له وزيراً بعد يأس،

فولدت علياً عليه السلام كما قال.[١]

قال الغفاري: أنظر إلى هذا الإيمان الراسخ في أبي طالب عليه السلام وعقيدته بإبن أخيه محمّد صلى الله عليه وآله وأنه صائر بأمر الله نبيّاً وإبنه عليّاً وزيره.

لا يصدر هذا الكلام إلّا من شخص مؤمن له صلة روحية ودينيّة بالأوصياء والأنبياء. وقد عرفت في بعض ما أسلفناه أنّ أبا طالب عليه السلام كان من سلالة الأوصياء وأنّ مواريث الأنبياء انتقلت إليه، ولمّا بعث النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله سلّمها إلى النبيّ.[٢]

ومن نبوءات أبي طالب عليه السلام ما جاء في خطبته التي خطبها لمّا تزوّج بفاطمة بنت أسد.

قال فيها: الحمد لله ربّ العالمين، ربّ العرش العظيم، والمقام الكريم، والمشعر والحطيم، الذي اصطفانا أعلاماً من الخنى والريب والاذى والعيب، وأقام لنا المشاعر، وفضّلنا على العشائر، نخبُ آل إبراهيم وصفاته، وزرع إسماعيل.[٣]

ومن نبوءات أبي طالب عليه السلام خطبته التي خطبها في تزويج النبيّ صلى الله عليه وآله.

قال فيها: الحمد لله الذي جعلنا من ذريّة إبراهيم عليه السلام، وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلداً حراماً، وبيتاً محجوباً، وجعلنا الحكّام على الناس، ثمّ أنّ محمّد بن عبد الله أخي مَن لا يوازن به فتى من قريش إلّا رجح عليه برّاً وفضلاً وحزماً وعقلاً ومجداً ونبلاً، وإن كان في المال قل، فإنّما المال ظل زائل، وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصداق فعليّ، وله والله خطب جليل ونبأ شايع.[٤]

---

(١) الخرائج والجرائح، للقطب الراوندي: ١ / ١٣٩، ط قم، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام.

(٢) الكافي: ١ / ٣٧٠.

(٣) البحار: ٣٥ / ٩٨، ط دار إحياء التراث العربي.

(٤) ينظر كتاب إيمان أبي طالب عليه السلام لشمس الدين فخار بن معد الموسوي: ص ٢١٤، والسيرة النبوية لابن هشام: ١ / ١٢٠، ط القاهرة.

يطالعنا في هذا النصّ عدّة أمور:

أوّلاً: إنتساب أبي طالب عليه السلام إلى النبيّ الله إسماعيل ثمّ إبراهيم عليهما السلام فهو وأخوه عبد الله ـ والد النبيّ صلى الله عليه وآله ـ من دوحة واحدة؛ من زرع إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام.

ثانياً: المدح والثناء على إبن أخيه لا يصدر إلّا عن يقين بما في الممدوح من الصفات الحقّة.

ثالثاً: نبوءة أبي طالب عليه السلام فيما يصير إليه إبن أخيه محمّد صلى الله عليه وآله.

رابعاً: صدّر كلامه بالحمد ـ الحمد لله ـ وهو من أجلّ مصاديق الإيمان بالله.

خامساً: القَسَم بالله، هكذا قَسَمٌ لا يصدر إلّا من موحّد.

سادساً: الإعتراف بأنّ لمحمّد صلى الله عليه وآله شأناً عظيماً وخطباً جليلاً، ونبأً شايعاً... هذا الإعتراف لم يصدر إلّا من معرفة أبي طالب عليه السلام بفضل إبن أخيه، ومكانته عند الله سبحانه، وأمّا النبأ الشايع الذي أخبرنا به أبو طالب عليه السلام فهو التكليف السماوي لتحمّل محمّد صلى الله عليه وآله الرسالة والنبوة من الله جلّ إسمه، فهو خليفة الله في الأرض والرسول إلى كافة المخلوقات من إنس وجنّ.

ليت شعري هل بعد هذا اليقين يوجد شك في إيمان شيخ الأبطح؟!

أبو طالب عليه السلام ومحبّته للنبيّ صلى الله عليه وآله

كان أبو طالب إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله يبكي احياناً ويقول: إذا رأيته ذكرت أخي، وكان عبد الله أخاه لأبويه، وكان شديد الحبّ والحنو عليه، وكذلك كان عبد المطلب شديد الحبّ له.

محبّة أبي طالب عليه السلام للرسول صلى الله عليه وآله

إنّ محبّة أبي طالب لابن أخيه محمّد صلى الله عليه وآله ونصرته له ظاهرةٌ جليّة لا يدفعها إلّا جاهل، ولا يجحدها إلّا معاند، وقد طفح ذلك الحبّ في شعره، من ذلك قوله:

حليماً رشيداً حازماً غير طائش   يوالي إلٰه الخلق ليس بماحلِ

الماحل: المحتال، الماكر.

فأيّده ربُّ العبادِ بنصره   واظهر ديناً حقّه غير باطل

مَنْ تأمل هذا المدح، وأمثاله كثير، عرف منه صدق ولاء صاحبه لرسول الله صلى الله عليه وآله وإعترافه بنبوّته.

وفي هذا البيت إقرارٌ بالتوحيد أيضاً (تأمّل في عبارته: يوالي إلٰه الخلق...).

رحلة أبي طالب عليه السلام إلى الشام ولقاء بَحِيرا الراهب

روى المجلسي عن داود بن الحصين قال: لمّا خرج أبو طالب عليه السلام من الشام وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في المرّة الأولى وهو إبن إثنتي عشرة سنة فلمّا نزل الركب بصرى الشام وبها راهب يقال له (بَحِيرا) في صومعة له، وكان علماء النصارىٰ يسكنون في تلك الصومعة يتوارثونها عن كتاب يدرسونه.

فلمّا نزلوا بـ(بحيرا) وكان كثير ما يمرّون به لا يكلّمهم، حتى إذا كان ذلك العام ونزلوا منزلاً قريباً من صومعة قد كانوا ينزلونه قبل ذلك كلّما مرّوا، فصنع لهم طعاماً، ثمّ دعاهم، وإنّما حمله على دعوتهم أنّه رأى حين طلعوا غمامة تظلّل رسول الله صلى الله عليه وآله من بين القوم، حتى نزلوا تحت الشجرة، ثمّ نظر إلى تلك الغمامة اظلّت تلك الشجرة.

واخضلت أغصان الشجرة على النبيّ صلى الله عليه وآله حين استظل تحتها.

فلمّا رأىٰ بَحِيرا ذلك نزل من صومعته، وأمر بذلك الطعام فأتى به فأرسل إليهم فقال: إنّي قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، وأنا أحبّ أن تحضروه كلكم

ولا تخلفون منكم صغيراً ولا كبيراً، حرّاً ولا عبداً، فإنّ هذا شيء تكرموني به، فقال له رجلٌ: إنّ لك شأناً يا بَحِيرا! ما كنت تصنع بنا هذا، فما شأنك اليوم؟ قال: فإنّي أحببت أن أكرمكم، ولكم حقّ، فاجتمعوا إليه وتخلّف رسول الله صلى الله عليه وآله من بين القوم لحداثة سنّه، ليس في القوم أصغر منه في رحالهم تحت الشجرة، فلمّا نظر بَحيرا إلى القوم، فلم ير الصفة التي يعرفها ويجدها عنده، وجعل ينظر فلا يرى الغمامة على أحد من القوم، ويراها متخلّفة على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال بَحيرا: يا معشر قريش لا يتخلّفن أحد منكم عن طعامي. قالوا ما تخلّف أحدٌ إلّا غلام هو أحدث القوم سنّاً في رحالهم، فقال: ادعوا فليحضر طعامي فما أقبح أن تحضروا ويتخلّف رجل واحد مع أنّي أراه من أنفسكم.

فقال القوم: هو والله أوسطنا نسباً، وهو إبن أخي هذا الرجل؛ يعنون أبا طالب، وهومن ولد عبد المطلب.

فقام الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف، وقال: والله إن كان بنا اللؤم أن يتخلّف إبن عبد المطلب من بيننا، ثمّ قام إليه فأحتضنه وأقبل به حتى اجلسه على الطعام والغمامة تسير على رأسه، وجعل بَحيرا يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده من صفته.

فلمّا تفرّقوا عن طعامهم قام إليه الراهب فقال: يـا غـلام اسألك بـحقّ اللآت والعزّىٰ إلّا أخبرتني عما اسألك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تسألني باللآت والعـزّىٰ، فـوالله مـا أبـغضت شـيئاً كبغضهما.

قال: بالله إلّا ما أخبرتني عمّا اسألك.

قال: سلني عمّا بدأ لك. فجعل يسأله عن أشياء من حاله حتى نومه، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره فيوافق ذلك ما عنده، ثمّ جعل ينظر بين عينيه، ثمّ كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه، على موضع الصفة التي عنده، فـقبّل مـوضع

الخاتم، وقالت قريش إنّ لمحمّد عند هذا الراهب لقدراً، وجعل أبو طالب لمّا يرى من الراهب يخاف على إبنه.

قال الراهب لأبي طالب عليه السلام: ما هذا الغلام منك؟

قال أبو طالب عليه السلام: إبني.

قال: ما هوإبنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيّاً.

قال: فإبن أخي.

قال: فما فعل أبوه؟

قال: هلك وأمّه حبلى به.

قال: فما فعلت أمّه؟

قال: توفيت قريباً.

قال: صدقت، ارجع بإبن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود، فوالله لئـن رأوه وعرفوا منه ما أعرف ليبلغنّه غنأ، فإنّه كائن لإبن أخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا، وما روينا عن آبائنا، وأعلم أنّي قد أدّيت إليك النصيحة.

فلمّا فرغوا من تجارتهم خـرج سـريعاً وكـان رجـال مـن اليـهود قـد رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله وعرفوا صفته، فأرادوا أن يغتالوه فذهبوا إلى بَحيرا فذاكروه أمره، فنهاهم أشدّ النهي وقال لهم: أ تجدون صفة؟

قالوا: نعم.

قال: فما لكم إليه سبيل، فصدّقوه وتركوه، ورجع به أبو طالب، فما خرج به سفراً بعد ذلك خوفاً عليه.(١)

وفي ذلك قال أبو طالب قصيدة يذكر مسيره بالرسول صلى الله عليه وآله إلى الشام وما كان في بُصرى من خبر بَحيرا الراهب وأصحابه، وكان بَحيرا يقول: إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله نبيّ.

---

(١) البحار، للمجلسي: ١٥/٤٠٩، ط دار إحياء التراث العربي.

إنّ الأمـــينَ مُـــحمَّداً فـي قـومِهِ　　　عـندي يـفوقُ مـنازِلَ الأولاد[١]

لمـا تـعلّقَ بـالزِمامِ ضَـمَمْتُهُ　　　والعِيْسُ قـد قـلّصْنَ بـالأزوادِ[٢]

فـارْفَضَّ مِـن عَـينَيَّ دَمْـعٌ ذارِفٌ　　　مـثلُ الجُـمانِ مُـفرَّقٌ بـبدادِ

راعـيتُ فـيهِ قـرابـةً مـوصولةً　　　وحـفِظتُ فـيه وصـيةَ الأجـدادِ

ودعـوتُه للـصبْرِ بـينَ عُـمومةٍ　　　بـيضِ الوجـوهِ مَـصالتٍ أنـجادِ

سـاروا لا بـعدَ طَـبّةٍ مـعلومةٍ　　　فـلقد تـباعَدَ طبّةُ المُـرتادِ[٣]

حتّى إذا ما القَومُ بُـصرى عـايَنوا　　　لاقَوا على شـرفٍ مـن المِـرصاد

حَـبْراً فأخـبَرَهم حَـدِيثاً صـادقاً　　　عَـنه وَرَدَّ مَـعاشِرَ الحُسّـادِ

قـومٌ يـهودٌ قـد رأوا مـا قـد رأوا　　　ظِلَّ الغـمامةِ نـاغري الأكـبادِ[٤]

ثـاروا لقـتل مـحمّدٍ فـنهاهُمُ　　　عـنهُ وجـاهَدَ أحسَـنَ التـجّهادِ

وثـنى بَـحيراءُ زَبـيراً فـانثنىٰ　　　فـي القـومِ بـعد تـجاولٍ وتـعادِ

ونَـهى دريسـاً فـانتهىٰ لمّـا نُـهي　　　عن قـول حَـبْرٍ نـاطق بسـدادِ[٥]

وقال قصيدة أخرى في مسيره بالرسول ﷺ إلى الشام وما جرى لهم من بَحيرا الراهب يقول فيها:

وجاءَ مع العِـير التـي راحَ رَكْـبُها　　　شامِي الهوىٰ والرّكبُ غيرُ شامي

فلمّا هَبطنا أرضَ بُصرى تشـرّفوا　　　لنـا فـوق دُورٍ يـنظرونَ عِـظامِ

فـجاءَ بَـحيراءُ إليـنا مـحاشِداً　　　بـطيبِ شـرابٍ عـنده وطَـعامِ

فقال:اجمعواأصحابَكم عندما رأى　　　فقلنا: جـمعنا القـومَ غـيرَ غُـلامِ

---

(١) في سيرة إبن إسحاق:

إنّ إبـن آمـنة النـبيّ محـمّداً　　　عـندي بمـثل مـنازل الأولادِ

(٢) تقلّص: تقبّض.

(٣) الطبّة: الناحية.

(٤) نعرت القدر: غلت وفارت.

(٥) دريس: من الأحبار.

يــتيمٍ،فـقال: ادعُـوه، إنَّ طـعامَنا ... له دونكـم مـن سُـوقَةٍ وإمـامِ[١]
وآلى يـــميناً بَـــرّةً إنّ زادنـــا ... كـــثيرٌ عـــليه اليـوم غـيرُ حـرامِ
فلولا الذي خـبّرتُمُ عـن مـحمّدٍ ... لكـــنتُم لدينـا اليـومَ غـيرَ كِـرامِ
وأقـبَلَ رَكبٌ يَـطلُبون الذي رأىٰ ... بَحيراءُ رأيَ العـين وسـطَ خـيامِ
فـــثار إليـــهم خَشْـيَةً لعُـرامِـهم ... وكـانوا ذوي بَـغي لنـا وعُـرامِ[٢]
دريسٌ وهـمّامٌ وقـد كـان فـيهمُ ... زديـرٌ وكـلُّ القـومِ غـيرُ نِـيامِ[٣]
فجاءوا وقـد هـمُّوا بـقتلِ مـحمّدٍ ... فـــردَّهُمُ عـــنه بـــحُسنِ خِـصامِ
بـــتأويلِهِ التـــوراةَ حـــتّى تـيقّنوا ... وقـــال لهـــم: دُمـتم أشـدَّ مـرامِ
أ تـــبغونَ قـــتلاً للـــنبيّ مـحمّدٍ ... خُصِصتُم على شُـؤمٍ بـطولِ أثـامِ
وإنّ الذي نـــختاره مـــنه مـــانعٌ ... سيكفيهِ منكُم كـيدُ كُـلِّ طَـغامِ[٤]
فـــذلك مـــن إعـــلامِهِ وبـــيانِهِ ... وليسَ نـــهارٌ واضــحٌ كـظَلامِ[٥]

نصرة أبي طالب عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله

لقد أطبقت المصادر التأريخية على نصرة أبي طـالب عليه السلام للإسـلام والنـبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، فلم يشهد العالم من قبل ومن بعد مثله نصير ومدافع ومحامي إلّا ولده علي عليه السلام، حيث كان لرسول الله صلى الله عليه وآله كما كان أبو طالب مدافعاً وناصراً والتاريخ فيصل في ذلك.

فلو تحرّى الباحث عن مواقف أبي طالب تجاه الإسلام والرسول صلى الله عليه وآله فالمصادر تجلّ عن الحصر، وإعترافات أهل العلم من كافة المذاهب لهي الوثيقة الدامغة في ردّ

---

(١) السُوقة: عوام الناس.

(٢) العُرام: الشراسة.

(٣) دريسٌ وهمّام وزدير: رجال من اليهود.

(٤) الطغام: أراذل الناس.

(٥) سيرة إبن إسحاق: ص ٧٧، وخزانة الأدب: ٤ / ٤٧٥.

مناوئي علي وخصومه، بل المناوئون لبني هاشم على مدىٰ التاريخ....

فما عسى أن يقول الباحث عندما يقرأ عن مساندة أبي طالب للرسول صلى الله عليه وآله، وانّه يحضّ آله وقومه في شدّ أزر صاحب الرسالة وأتباعه، حتى أنّه دفع بولديه؛ علي وجعفر ليكونا جناحيه في كلّ خطوة يخطوها النبيّ لأجل رسالة السماء.

ثمّ ماذا تقول في حرصه الشديد على سلامة محمّد صلى الله عليه وآله إبان محنة الشّعب، حيث كان يخفي على الناس مرقده، ويأمر ولده عليّاً فيبيت فيه فداءاً منه لشخص الرسول صلى الله عليه وآله؟

ثمّ ماذا تقول في إيثاره على المال والولد والأهل؟! بل أكثر من ذلك، أنّه عادى كلّ قريش ومن يمتّ له بصلة رحم أوقرابة لأجل نصرة وسلامة الرسول صلى الله عليه وآله، حتّى نبذه الأقربون، بل حاربوه، وناجزه الأبعدون حتّى اوغلوا في عداوتهم له...!

الحفاظ على النبيّ صلى الله عليه وآله

من مواقف أبي طالب عليه السلام حراسته للنبيّ صلى الله عليه وآله، وتغيير مكان مبيته في كلّ ليلة.

كان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول الله صلى الله عليه وآله في ليله ونهاره، في يقظته ونومه، فإذا عرف مضجعه حرسه حراسة شديدة، ثمّ كان يقيمه ليلاً من منامه ويضجع إبنه عليّاً أوجعفراً مكانه، وربّما غيّر مضجعه في الليلة الواحدة أكثر من مرّة، خوفاً عليه.

وفي ذلك قال له علي عليه السلام ليلة: يا أبت إنّي مقتول. فقال له:

إصبرن يا بنيّ فالصبر أحجىٰ ... كلّ حيّ مصيره لشعوب
قد بذلناك والبلاء شديد ... لفداء الحبيب وإبن الحبيب

إلى آخر الأبيات.

فأجابه علي عليه السلام بقوله:

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد ... وواللّه ما قلت الذي قلت جزعا

ولكـــنني أحـببت أن تـر نـصرتي   وتــعلم أنّــي لم أزل لك طـائعا[١]

ما نطق به أبو طالب ﷺ في نصرته للنبيّ ﷺ

لمّا نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[٢] دعـى رسـول الله ﷺ عمومته وفيهم أبو لهب وأبو طالب ﷺ وجماعة من قريش وقام فـيهم خـطيباً يدعوهم إلى الإسلام، فنهره أبو لهب وقال له: تبّاً لك، أما جمعتنا إلّا لهذا؟

ثمّ دعاهم ثانية وقام فيهم خطيباً فقال: الحمد لله أحمده واستعينه وأومن بـه وأتوكّل عليه، وأشهد أنّ لا إله إلّا الله وحده لا شـريك له. ثـمّ قـال: إنَّ الرائـد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلّا هو إنّي رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامّة، والله لتموتنّ كما تنامون، ولتبعثنّ كما تستيقظون، ولتحاسبنّ بما تعملون، وإنّها الجنّة أبداً والنار أبداً.

فقال أبو طالب ﷺ: ما أحبّ إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشدّ تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنّما أنا أحدهم، غير أنّي اسرعهم إلى ما تحبّ، فامضِ لما أمرت به، فـوالله لا أزال أحـوطك وأمـنعك، غـير أنَّ نـفسي لا تُطاوعني على فراق دين عبد المطلب.[٣]

وقفة لا بدّ منها

قال الغفاري: إنّ ذيل الخبر (غير أنّ نفسي لا تُطاوعني عـلى فـراق ديـن عبد المطلب) يعارض صدره ظاهراً، أمّا في تأويله فيستقيم المعنى.

أنظر إلى عبارات أبي طالب ﷺ السابقة التي فيها عدّة فـقرات تـؤكّد نـصرة

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٤ / ٦٤، ط دار إحياء التراث العربي.

(٢) الشعراء: ٢١٤.

(٣) الكامل لابن الأثير: ٢ / ٦١، ط دار صادر بيروت ١٩٦٥م.

أبي طالب لإبن أخيه محمّد صلى الله عليه وآله وهي كالآتي:

١ ـ ما أحبّ إلينا معاونتك.

٢ ـ وأقبلنا لنصيحتك.

٣ ـ وأشدّ تصديقنا لحديثك.

٤ ـ أنّي اسرعهم إلىٰ ما تحبّ.

٥ ـ فامضِ لما أُمرت به.

٦ ـ فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك.

هذه عبارات لامعة قالها أبو طالب يعلن نصرته للنبيّ صلى الله عليه وآله. أمّا الفقرة التالية لهذه (غير أنّ نفسي لا تُطاوعني...) بماذا لا تطاوعه نفسه...؟ أليس هو على دين عبد المطلب؟ وقد أوضحنا أنّ دين عبد المطلب هي (الفترة) أوالحنيفية أي على دين إبراهيم النبيّ عليه السلام فهو موحّد، مؤمن بالله سبحانه، نعم يمكن أن تقول أنّ المراد من كلامه هوالتعمية على قريش أومن حضر في ذلك المجلس، وهذا إبقاءاً على موقفه لنصرة النبيّ، وبهذا يرتفع التعارض.

وربّما فهم الخصم من تلك العبارة أن أبا طالب عليه السلام لم يؤمن برسالة النبيّ صلى الله عليه وآله، فإنّ هذا الفهم واضح البطلان، حيث أبو طالب استعمل التورية في كلامه.

والملاحظة الأخرى أنّ إبن الأثير ينقل هذا الخبر عن عبد الله بن جعفر أبي الحكم وبعد صفحة واحدة ينقل الحديث عن الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام ولم توجد فيه تلك العِبارة المذيّلة (غير أنّ نفسي لا تُطاوعني... الخ) فتدبّر.

وفي رواية أبي عمرو الزاهد الطبري عن تغلب عن إبن الأعرابي أنّه قال في لغة العور: إنّه الرديّ من كلّ شيء قال: ومن العور ما في رواية إبن عباس. ثمّ ذكر حديث علي عليه السلام بطوله إلى أن قال: فلمّا أراد النبيّ صلى الله عليه وآله أن يتكلّم اعترضه أبو لهب فتكلّم بكلمات وقال: قوموا. فقاموا وانصرفوا.

قال علي عليه السلام: فلمّا كان من الغد أمرني فصَنعت مثل ذلك الطعام والشراب

ودعوتهم فأقبلوا، ودخلوا فأكلوا وشربوا، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله ليتكلّم فاعترضه أبو لهب، فقال له أبو طالب: «أسكت» يا أعور! ما أنت وهذا؟[١]

ثمّ قال: لا يقومنَّ أحدٌ. فجلسوا ثمّ قال للنبيّ صلى الله عليه وآله قم يا سيّدي فتكلّم بما تحبّ وبلّغ رسالة ربّك فإنّك الصادق المصدّق.

قال الغفاري: أنظر إلىٰ هيمنة أبي طالب عليه السلام على زعماء قريش وتسلّطه عليهم وسيادته في هذا الموقف ـ وأمثاله كثير ـ وإسكات أبي لهب.

ثمّ أنظر إلى توبيخه لأبي لهب حتّى كاد أن لا ينبس ببنت شفة بعد هذا الموقف.

ثمّ أمعن النظر في قول أبي طالب عليه السلام: «قم يا سيّدي» أنّه خطاب جليل للنبيّ صلى الله عليه وآله.

وقوله: «تكلّم بما تحبّ وبلّغ رسالة ربّك». إنّ هذا كلام لا ينطق به أحد إلّا من مُليء إيماناً ويقيناً صادقاً برسالة السماء، وإعترافاً بنبوة محمّد صلى الله عليه وآله.

ثمّ قوله عليه السلام: «فإنّك الصادق المصدّق»، تغنِ عن كلّ دليل، فهي الكلمة الصريحة التي تُعَنْون إيمان أبي طالب عليه السلام على مدى التاريخ.

روايات وتعقيب

لمّا كان البحث في صدد موقف أبي طالب الناهض بأعباء النصرة للنبيّ صلى الله عليه وآله ومواجهته لزعماء قريش، ينبغي الإشارة إلى ما رواه إبن كثير ـ وبالخصوص رواية مسلم ـ في كتابيه (التفسير) و(البداية والنهاية)، فقد ذكر في تفسيره تسعَ روايات في معرض تفسيره للآية الكريمة ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وكانت هذه

---

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيد رضي الدين إبن طاووس: ص ٣٠٠، مطبعة الخيام، قم ١٤٠٠هـ. والنهاية في غريب الحديث لإبن الأثير الجزري: ٣/ ٣١٩، المكتبة العلمية بيروت. وينظر: البداية والنهاية، لإبن كثير الدمشقي: ٣/ ٥٠. والفائق في غريب الحديث للزمخشري: ٢/ ٣٧، ط ٣، طبعة دار الفكر ١٩٧٩م. ولسان العرب: ٦/ ٢٩٤. وتاج العروس: ٣/ ٤٢٨.

الروايات طرقها كالآتي:

١ ـ عن سعيد بن جبير عن إبن عباس، أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الأعمش، والحديث ـ كما تقدّم ـ دعوة النبيّ صلى الله عليه وآله زعماء قريش وأعمامه، منهم العباس وحمزة وأبو طالب وأبو لهب، وما حدث في تلك الدعوة وإعتراض أبي لهب، وموقف أبي طالب عليه السلام ـ الوحيد المتفرد ـ في إعلان نصرته للنبيّ صلى الله عليه وآله.

٢ ـ عن عائشة، قالت لمّا نزلت الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ قام رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «يا فاطمة إبنة محمّد، يا صفيّة إبنة عبد المطلب، يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئاً سلوني من ما لي ما شئتم»، انفرد بإخراجه مسلم.

٣ ـ عن أبي هريرة، قريب من الحديث السابق رواه مسلم والترمذي والنسائي، وأخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة عن أبي هريرة.

٤ ـ أحمد بن حنبل بسنده عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو قالا: لمّا نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ صعد رسول الله صلى الله عليه وآله رضمة من جبل على أعلاها حجر فجعل ينادي «يا بني عبد مناف إنمّا أنا نذير، إنمّا مثلي ومثلكم كرجل رأى العدو فذهب يربأ أهله رجاء أن يسبقوه فجعل ينادي ويهتف يا صباحاه».

٥ ـ أحمد بن حنبل بسنده عن عليّ عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله لهم ـ لقريش ـ: من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي؟ فقال رجلٌ لم يسمّه شريك... قال فعرض ذلك على أهل بيته فقال عليّ عليه السلام: أنا.

٦ ـ أحمد بن حنبل بسنده عن عليّ عليه السلام حديث مفصّل وفي كلّ مرّة يدعو النبيّ صلى الله عليه وآله عشيرته فلم يقم إلّا علي حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يد عليّ عليه السلام.

٧ـ طريق الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة بسنده عن إبن عباس عن علي بن أبي طالب عليه السلام والحديث مفصّل كما في صدر البحث في دعوة النبيّ عشيرته وكانوا أربعين....

٨ـ طريق يرويه أبو جعفر الطبري عن إبن عباس عن علي عليه السلام، كما تقدّم الحديث في صدر البحث... فقام عليّ عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله: إنّ هذا أخي (وكذا وكذا).

٩ ـ إبن أبي خاتم بسنده عن عبد الله بن الحارث عن عليّ عليه السلام كما تقدّم الحديث في صدر البحث.[١]

انّك تجد هذه الروايات قريباً منها في البداية والنهاية أو هي نفسها بدون تغيير وقد نقلها ـكما تقدّم ـ من مسلم والترمذي والبخاري وأحمد بن حنبل.[٢]

العجيب من رجل التأريخ والتفسير الذي كان عليه أن ينقل تلك الروايات بأمانة وسلامة ولكن من المؤسف جدّاً أنّه خان الدين والتراث، خان الله سبحانه والمسلمين حيث بتر كلّ تلك الروايات من ذكر أبي طالب عليه السلام وموقفه من أبي لهب لمّا نهره وقال له: أسكت يا أعور، ما أنت وذاك، وموقفه المشرّف من إبن أخيه محمّد صلى الله عليه وآله حيث قال له تلك العبارات (ألست) التي لا تصدر إلّا عن مؤمن حقّاً.

علىٰ أنّ الروايات التي ذكرها إبن كثير فيها من الملاحظات والنقد الشيء الكثير ليس هذا محلّها.

ومن مواقف أبي طالب عليه السلام:

قال يحثّ جعفراً أن يصلَ جناحَ الرسول في الصلاة:

إنّ عـــليّاً وجـــعفراً ثِـــقَتي عـــندَ إحـتدامِ الأمـورِ والكُـرَبِ

(١) تفسير القرآن العظيم، الحافظ أبي الفداء إبن كثير الدمشقي: ٣/ ٣٦٢ـ٣٦٤، دار المعرفة بيروت ١٩٨٧م.

(٢) للمزيد ينظر: صحيح مسلم في كتاب الإيمان: باب ٨٩، حديث ٣٥٥، وصحيح البخاري: في ٦٥ وكتاب التفسير باب ١١١، وفتح الباري: ٨/ ٧٣٦، ومسند أحمد: ١/ ٢٨١ و٣٠٧، والبداية والنهاية: م ٢ ج ٣/ ٥١ـ٥٤، دار إحياء التراث العربي.

أراهُما عرضة اللقاء إذا ساميْتُ أو أنتمي إلىٰ حربِ
لا تَخْذُلا وانْصُرا إبنَ عَمِّكما أخي لأمّي من بينهم وأبي

قال أبو الفرج الإصبهاني: حدّثني أبو العباس المبرّد قال: حدّثني إبن عائشة، قال: مرّ أبو طالب برسول الله صلى الله عليه وآله وهو يصلّي وعليّ عليه السلام عن يمينه، وجعفر مع أبي طالب عليه السلام يكتُمه إسلامه، فضربَ عَضُدَه وقال: إذهب فصِلْ جناحَ إبن عمّك، ثمّ قال الأبيات المتقدّمة.(١)

أخرج إبن الأثير: إنّ أبا طالب عليه السلام رأى النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّاً عليه السلام يصلّيان وعليّ عليه السلام إلى يمينه، فقال لجعفر وكان مع أبيه، صِل جناح إبن عمّك، وصلِّ عن يساره.(٢)

كان إسلام جعفر بعد إسلام علي عليه السلام بقليل.

وفي السيرة الحلبية عدّة روايات ذكرها المصنّف في نصرة أبي طالب للنبيّ صلى الله عليه وآله فراجع.(٣)

قال البرزنجي: هذه الأخبار كلّها صريحة في أنّ قلبه ـ أي قلب أبي طالب عليه السلام ـ طافح وممتليء بالإيمان بالنبيّ صلى الله عليه وآله.(٤)

قال الغفاري: من الأبيات المتقدّمة، ومن تلك الأخبار المتضافرة نجزم علىٰ أنّ أبا طالب عليه السلام كان الداعية الأوّل للإسلام والمبلّغ الرسالي في بثّ الروح الإسلامية

---

(١) وتروىٰ الأبيات بالشكل الآتي:

والله لا أخْذُلُ النّبيَّ ولا يَخْذُلُهُ من بَنيَّ ذو حَسَبِ
إنّ عليّاً وجعفراً ثِقَتُي وعِصمَةٌ في نوائبِ الكُرَبِ
لا تقعُدا وانصُرا إبن عَمِّكُما أخي لأمّي من بينهم وأبي

المصدر: شرح النهج البلاغة لإبن أبي الحديد: ١٣/ ٢٦٩ و١٤/ ٧٦.

(٢) ينظر: أسد الغابة: ١/ ٢٨٧، دار إحياء التراث العربي بيروت. والإصابة للعسقلاني: ٤/ ١١٦، دار إحياء التراث العربي، مطبعة السعادة مصر.

(٣) السيرة الحلبية: ١/ ٢٨٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤) الغدير: ٧/ ٣٩٨.

في نفوس قومه وأبنائه وعشيرته.

ثمّ لا يخفاك عزيزي القارىء أنّ العسقلاني ذكر جملة من أخبار أبي طالب عليه السلام وبطرق عديدة، إلّا أنّ عناده أدّىٰ به أن يذيّل تلك الأخبار بقوله: «هذه الأحاديث واهية» ولوسألته ما الدليل؟ لأجابك لم تكن على شرط الشيخين. فهل هذا منطق أهل العلم، أم أنّك تراه في بؤرة الجهل والعناد...؟!

دليل إيمانه من خلال مواقفه

أوّلاً: موقفه من قريش وثأره لعثمان بن مظعون

هناك حدث تعرّض له الصحابي الجليل عثمان بن مظعون الجمحي في أوائل البعثة الإسلامية، لمّا شرح الله صدر إبن مظعون للإيمان وهداه الله إلى طريق الرشاد فاعتنق الإسلام بكلّ عقيدة وإخلاص، فكان إيمانه راسخاً، وصبره كالجبال ثابتاً، وقد وجد في نفسه ما هو واجب في أداء رسالته في التبليغ إلى الله سبحانه، فكان يقف عند باب الكعبة ويعظ الناس ويزجرهم عن عبادة الأصنام، حتّى كان يقف عند مجامع قريش وانديتهم، فيأمرهم بإتباع النبيّ ﷺ وتصديقه، ويحذّرهم مغبة الكفر والجحود، فشقّ هذا الأسلوب والمنظر على قريش مما وثب عليه سفهاؤهم ففقأوا عينه، فنهض أبو طالب عليه السلام في أمره حيث علاه الغضب الشديد، واصرّ علىٰ أن يفقأ عين الرجل المعتدي، أمّا قريش فقد اجتمعوا إلى أبي طالب وناشدوه العفو على أن يؤدّوا له الدية، فأقسم له: إنّي لا أرضىٰ حتى أقلع عين الذي قلع عين إبن مظعون.

ثمّ قال:

أمن تذكر دهر غير مأمون ... أصبحت مكتئباً أبكي لمحزون

إلى آخر الأبيات.

أقول: ألا يكون هذا الثأر دليلاً علىٰ إيمان أبي طالب عليه السلام!

ثمّ قال:

أم تـذكر أقـوامٍ ذوي سـفه ... يغشون بالظلم من يدعو إلى الديـن

أي إلى دين الإسلام ودعوة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله إليه.

ألا يـرون أقـل الله خـيرهم ... أنـا غـضبنا لعثمان بـن مـظعون

ونمنع الضيم مـن يـرجـو مـضيمتنا ... بكـلّ مـطرد فـي الكـف مسـنون

ومـرهفات كأن المـلح خـالطها ... نشفي بها الداء من هـام المـحانين

حـتى تـقرّ رجـال لا حـلوم لهـم ... بـعد الصـعوبة بـالإسماح واللـين

أو يـؤمنوا بكـتاب مـنزل عـجب ... على نـبيّ كـموسىٰ أوكـذي النـون

فماذا تفسّر هذا الدفاع المستميت عن عثمان بن مظعون؟

ألا يكون دفاعه وغضبه لله سبحانه؟

فليس هنا الدفاع عن النبيّ صلى الله عليه وآله بل إنمّا هو الدفاع عمّن آمن بـالله وبـالدين الحنيف....

إذاً أبو طالب عليه السلام ـ من هذه القصّة وأمثالها كثير ـ نعلم أنّه كان مؤمناً بالله حقّ الإيمان، وغيور كلّ الغيرة على من آمن واهتدى، وهذا خير دليل عـلىٰ إيـمان أبي طالب عليه السلام، فتدبّر.

ثانياً: موقفه من وفود قريش

وقال مخاطباً قريش لمّا عرضت عليه أن يعطوه عُمارة بن الوليد ويأخذوا منه النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله ليقتلوه، فأبى عليهم وقال: والله ما أنصفتموني تعطوني إبنكم أغذوه لكم وأُعطيكم إبن أخي تقتلونه، هذا والله لا يكون أبداً.

فقال له مُطعِم بن عَدِيّ لقد أنصفك قومك يا أبا طالب فقال: والله ما أنصفتموني، ولكنّك قد أجمعت على خذلاني ومظاهرة القوم عليّ. فاشتد الأمر بعد ذلك وتنادوا للحرب فانشد الأبيات الآتية يُعرِّض بالمُطعِم بن عدي ويعمّ من خذله من بـني

عبد مناف:

ألا ليتَ حَظّي مِن حِـناطِة نـصْرِكم بأن ليس لي نـفعٌ لديكـم ولا ضُـرُّ
وسارَ برَحلي فاطِرُ النـابِ جـاشِمٌ ضعيفُ القُصَيْرَى لاكبيرٌ ولا بَكرُ[١]

وفيها يقول:

أرى أخَـوَينا مِـن أبـينا وأمِّـنا
إذا سُـئلا قـالا: إلىٰ غـيرنا الأمـرُ[٢]
بَـلى لهـما أمـرٌ ولكـن تـرجَّـما
كما رُجِّمَتْ مِن رأسِ ذي العَلَقِ الصَخرُ[٣]
أخـصُّ خُـصوصاً عَـبْدَ شـمسٍ ونـوفلاً
هُـما نـبذانـا مـثلَ مـا نَـبِذَ الجَـمْرُ
ومـا ذاك إلّا سُـؤدَدٌ خـصَّنا بـهِ
إلٰـهُ العِـباد واصـطفانا لَـهُ الفَـخْرُ
هُـما غَـمزا للـقومِ فـي أخَـوَيْهِما
فـقد أصـبحا مِـنهم أكُـفُّهُمُ صِـفُر
هُـما أشْـرَكـا فـي الَـمجدِ مَـن لا أبـاً له
مِـن النـاس إلّا كأن يَـرُسَّ له ذِكْـرُ[٤]
رجـال تـمالَوا حـاسِدينَ وبُـغْضَةً
لأهـل العُـلا فـبينَهُم أبـداً وِتْـرُ

(١) القُصَيري: أصل العُنق، والبَكْر: الفتيّ من الإبل.
(٢) يريد بالأخوين: بني نوفل بن عبد مناف وعبد شمس بن عبد مناف.
(٣) الترجم: القول بالظنّ لأنّه يرمي به على غَرَرٍ كالحَجَر. والعَلَق: الذي يتعلق بحجارته في المرقى إليه.
(٤) الرَسّ: الذّكر الخفي، أخذ من الرَس وهو الصَبر والبِرّ.

وليـــدٌ أبـــوه كـــان عـــبداً لِـــجَدِّنا
إلى عـــلجةٍ زرقـاء جـالَ بـها السِـحْرُ(١)
وتـــيمٌ ومـــخزومٌ وزُهـــرةُ مِـــنهُمُ
وكـــانوا بـــنا أولى إذا بُـغيَ النَـصْرُ
فـــقد سَـــفِهَتْ أحـــلامُها وعـــقولُها
وكـانوا كَـجُعْرٍ بـئسما صَـنعت جُـعْرُ
فـــوالله لا تـــنفك مـــنّا عـــداوةٌ
ولا مـــنهُمُ مـادام مِـن نَسْـلِنا شَـفْرُ(٢)

قال الغفاري: ألا يكون هذا الموقف دليلاً على إيمان أبي طالب عليه السلام، حيث ردّ وفود قريش وزجرهم واغلظ لهم القول، ثمّ ألا ترى في ردّه لمطعم بن عدي دليلاً آخر وهكذا قصيدته الرائية التي تقدّم ذكرها، حيث تعرّض للوليد بن المغيرة فهو عبدٌ لجدّه هاشم، وفي القصيدة تجد التعريض السافر لتيم ومخزوم وبني زهرة... فهي التي نصبت العداوة لبني هاشم:

فـــوالله لاتـــنفك مـــنّا عـــداوةٌ ولا منهم مـادام مـن نَسـلِنا شـفرُ

ثالثاً: ومن مواقف أبي طالب عليه السلام مشورة الرسول للعباس في إعلان هذا الدين

أخرج فقيه الحنابلة إبراهيم بن علي بن محمّد الدينوري في كتابه نهاية الطلب وغاية السؤول في مناقب آل الرسول، بإسناده عن طاووس عن إبن عباس في حديث طويل: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال للعباس رضي الله عنه: إنّ الله قد أمرني بإظهار أمري وقد

---

(١) وليدٌ: هو الوليد بن المغيرة المخزومي.

(٢) سيرة إبن إسحاق: ١٥٣، وسيرة إبن هشام: ١/ ٢٨٦، والبداية والنهاية والروض الأنف: ٢/ ٩، وشرح النهج للمعتزلي: ١٥/ ٢٣٣.

انبأني واستنبأني فما عندك؟

فقال له العباس رضي الله عنه: يا إبن أخي تعلم أنّ قريشاً أشدّ الناس حسداً لولد أبيك، وإن كانت هذه الخصلة كانت الطامة الطمّاء والداهية العظيمة، ورمينا عن قوس واحد وانتسفونا نسفا، صِلنا ولكن قرّب إلى عمّك أبي طالب عليه السلام فإنّه كان أكبر أعمامك، إنْ لا ينصرك فلا يخذلك ولا يسلمك، فأتياه فلمّا رآهما أبو طالب قال: إنّ لكما لظنّة وخبرا، ما جاء بكما في هذا الوقت؟

فعرّفه العباس ما قال له النبيّ صلى الله عليه وآله وما أجابه به العباس، فنظر إليه أبو طالب عليه السلام وقال له: أخرج إبن أبي فإنّك الرفيع كعباً، والمنيع حزباً، والأعلىٰ أباً، والله لا يسلقك لسان إلّا سلقته ألسنٌ حداد، واجتذبته سيوف حداد، والله لتذلّلنّ لك العرب ذلَّ البهم لحاضنها، ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعاً، ولقد قال: إنّ من صلبي لنبيّاً لوددت إنّي أدركت ذلك الزمان فآمنت به فمن أدركه من ولدي فليؤمن به.(١)

قال الغفاري: هل ترى في كلام أبي طالب عليه السلام مداعبة أو مجاملة؟

أم أنّه كلام صادر عن نفس مطمئنة ويقين ثابت؟

إنّه آخر الأوصياء لعيسىٰ بعد أبيه عبد المطلب، فلا يتفوّه إلّا لكونه عالماً بما انبأت به الكتب السماوية ونقلته الأوصياء من جيل إلى جيل حتى شهد بنبوّته جدّه عبد المطلب وعمّه أبا طالب عليه السلام الذي اقتفى أثر أبيه: (إنّ من صلبي لنبيّاً لوددت إنّي أدركت ذلك الزمان فآمنت به، فمن أدركه من ولدي فليؤمن به).

أقول: لا يثير عجبي إلّا أولئك النفر الذين اغمضوا عيونهم عن تلك الروايات الزاخرة، التي تعد بالمئات، وإنها لتؤكّد إيمان أبي طالب عليه السلام، ومع ذلك تجد القيل والقال في الوقت الذي نعرفه منهم أنهم يثبتون إيمان الكافر بأدنى سبب، وبأدنى

---

(١) الطرائف لإبن طاووس: ص ٣٠٢، حديث ٣٨٨. ونهاية الطلب وغاية السؤول في مناقب آل الرسول صلى الله عليه وآله، إبراهيم بن علي الدينوري الحنبلي، ذكره إبن طاووس في الطرائف: ص ٣٠٢.

خبر واحد، وبالتلويح، فقد بلغت عداوتهم لبني هاشم إلى إنكار إيمان أبي طالب مع ثبوت ذلك عليه بالحجج الثواقب، انّك لو عشت الدهر لأراك العجب.

خطاب وتوجيه ونصرة

لأبي طالب عليه السلام عدّة خطابات وجّهها لبني عبد المطلب وهاشم يدعوهم لنصرة الرسول صلى الله عليه وآله:

قال يخاطب أخاه ـ حمزة بن عبد المطلب ـ بعد إسلامه مستبشراً به ومحرّضاً إيّاه على نُصرة النبيّ صلى الله عليه وآله:

فَصَبراً أبا يَعلَى عـلى ديـنِ أحـمدٍ　　وَكُنْ مُـظْهراً للـدّين وُفِّـقتَ صـابرا
وحُطْ من أتى بالحَقِّ مِن عِندَ ربِّـه　　بصدقٍ وعزمٍ لا تكُـنْ حَـمْزُ كـافِرا
فـقد سـرّني إذْ قـلتَ إنّك مـؤمن　　فكُـن لرسـولِ الله فـي اللهِ نـاصِرا
وبـادِ قُـريشاً بـالذي قـد أتـيته　　جَهاداً، وقُلْ: ما كانَ أحمَدُ ساحِرا[1]

وقال يخاطب أخاه أبا لهب وبني هاشم جميعاً ويدعوهم لنصرة النبيّ صلى الله عليه وآله:

قُـلْ لِـعبدِ العُـزى أخـي وشـقيقي　　وبـني هـاشم جـميعاً عِـزِينا
وصـديقي أبـي عُـمارَة والإخْـ　　وان طُـرّاً وأسـرَتي أجـمعينا[2]
إن يكـن مـا أتـى بـه أحـمدُ اليَـو　　مَ سَـناءً وكـان فـي الحشـر ديـنا
فـاعلَموا أنّـي له نـاصِرٌ دَهـ　　رِي ومُـجزٍ بـقولَتي خـاذِلينا
فـانصُروهُ للـرَحِمِ والنَسَبِ الأد　　نـىٰ وكـونوا له يـداً مُـصلِتينا[3]

وقال مخاطباً إبن أخيه، ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب:

إعـلم أبـا أروى بأنّك مـاجدٌ　　من صُلبِ شيبةَ فـانصُرَنَّ محمّدا

---

(١) المصدر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٤ / ٧٦، ط ٢، دار إحياء التراث العربي.

(٢) أبو عمارة: هو الفاكه بن المغيرة.

(٣) أصلت الرجل سيفه: إذا برز به، وأصلته إذا جرّده من غمده. الديوان: ص ٤٤.

لله درُّك إنْ عَرفتَ مكانَه ... في قومه ووهبتَ منك له يَدا
أمّا علىُّ فارتَبْهُ أمُّه ... ونشا على مقةٍ له وتَزَيّدا[١]
شَرَف القيامَةِ والمعادِ بنصرِهِ ... وبعاجلِ الدنيا يحوزُ السؤددا
أكرِمْ بمن يقضي إليه بأمره ... نفساً إذا عُدَّ النفوسُ ومَحْتِدا
وخلائقاً شَرُفَتْ بمجدِ نِصابِهِ ... يكفيك منهُ اليومَ ما ترجُوغدا[٢]

هذه الأبيات تنضح إيماناً وعقيدة صادقة بالنبيّ صلى الله عليه وآله وبما جاء به من عقائد ومفاهيم، فأبو طالب عليه السلام يستهل الأبيات في مدح إبن أخيه ربيعة بن الحارث، ويؤكّد له بأنّك من تلك الأصول التي تنتمي إلى عبد المطلب، فالصلب واحد، والشجرة واحدة وإنّ محمّداً منك وأنت منه فعليك بنصره....

ثمّ في البيت الرابع يكشف أبو طالب عن مكنون قلبه وفيما يعتقده، حيث ذكر القيامة والمعاد، وإنّ الدنيا دار فناء وزوال ـ بعاجل الدنيا ـ وهذه المفاهيم لا يقولها إلّا من محّض بالإيمان وتشرّف بالإسلام، من هنا يدعو إبن أخيه إلى هذا الدين وإلى تلك المفاهيم، ثمّ يخاطبه بقوله:

أكرِم بمن يقضي إليه بأمره ... نفساً إذا عُدّ النفوس ومحتدا

وقال في تحريض بني هاشم وبني المطّلب على نُصرة رسول الله صلى الله عليه وآله:

حتّى متى نحنُ على فَترةٍ ... يا هاشمٌ والقومُ في جَحْفَلِ
تدعُونَ بالخيلِ على رِقبَةٍ ... منّا لدى الخوفِ وفي مَعْزِلِ[٣]
عليهم التَّرك على رَعلةٍ ... مثلَ القَطا القاربِ للمنْهلِ[٤]
يا قوم ذُودوا عن جماهِيرِكم ... بكلّ مِقْصالٍ علىٰ مُسْبلِ[٥]

---

(١) إرتبته: أي ربّته. المَقَة: الرضاع الشديد.

(٢) الديوان: ص ٤٤.

(٣) الرِقبة: التحفظ والفزع.

(٤) التَّرك: واحدة التريكة، بيضة الحديد للرأس. الرّعلةُ: القطعة من الخيل، والجمع رِعال.

(٥) الجماهير: الأعلام. مِقصال: سيف قطّاع. مُسْبِل: فرس طويل الذّنب.

إلى آخر الأبيات.[١]

وقال يحضّ بني هاشم وبني المطلب وأولاده -بعد ما جمعهم- على نصرة الرسول صلى الله عليه وآله:

أوصي بنَصر النبيّ الخيرُ مشهدُه ... عليّاً ابني وعمَّ الخيرِ عبّاسا

وحمزّةَ الأسَدَ المخْشي صولتُه ... وجعفراً أنْ يذودا دونَه الناسا

وهاشماً كلّها أوصي بنُصرته ... أن يأخذوا دون حربِ القومِ أمراسا

كونوا فداءً لكمْ أمّي وما ولدت ... من دون أحمدَ عند الرَوعِ أتراسا

بكُلِّ أبيضَ مصقولٍ عوارِضُهُ ... تخالهُ في سوادِ الليلِ مِقباسا[٢]

رابعاً: أبو طالب وخطابه للنجاشي

روى الواقدي: بإسنادٍ له أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا كثر أصحابه وظهر أمره، اشتد على قريش ذلك، وأنكر بعضهم على بعض وقالوا: قد أفسد محمّد بسحره سفلتنا، وأخرجهم عن ديننا فلتأخذ كلّ قبيلة من فيها من الصباة ولنعذّبه حتّى يعود عمّا علق به من دين محمّد صلى الله عليه وآله، وكانت كلّ قبيلة تعذّب من فيها من المسلمين، فيأخذ الأخ أخاه، وإبن العمّ إبن عمّه فيشدّه ويوثقه كتافاً، ويضربه ويخوّفه، وهم لا يرجعون فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾[٣]، فخرج جماعة من المسلمين إلى الحبشة يقدمهم جعفر بن أبي طالب عليه السلام فنزلوا على النجاشي ملك الحبشة، فأقاموا عنده في كرامة، ورفيع منزلة، وحسن جوار. وعرفت قريش ذلك فأرسلوا إلى النجاشي عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد بن

(١) سيرة إبن إسحاق: ١٤٨.

(٢) الديوان، المناقب لابن شهر آشوب: ١/ ٩٣، طبعة دار الأضواء، بيروت ١٩٩١م. وروضة الواعظين: ١/ ٣٢٤.

(٣) النساء: ٩٧.

المغيرة المخزومي، فخرج عمرو بن العاص وهو يقول:

تقول إبنتي أين أين الرحيل ... وما النصر مني بمستنكر

فقلت: دعيني فإنّي امرؤ ... أريد النجاشي في جعفر

لأكويه عنده كيّة ... أقيم بها نخوة الأصعر

ولن أنثني عن بني هاشم ... بما اسطعت في الغيب والمحضر

وعن عائب اللآت في قوله ... ولولا رضا اللآت لم تمطر

وإنّي لأشنأ قريش له ... وإن كان كالذهب الأحمر

ولهذا القول كان عمرو بن العاص كأبيه ينبز بشانيء رسول الله صلى الله عليه وآله وفي العاص نزلت بإجماع الأمة (الآية): ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[١] فلمّا قدم عمرو بن العاص، وعمارة إبن الوليد في رهط من أصحابهما علىٰ النجاشي، تقدّم عمرو فقال: أيّها الملك إنّ هؤلاء قوم من سفهائنا صباة قد سحرهم محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب، فأدفعهم عنك فإن صاحبهم يزعم أنّه نبيّ قد جاء بنسخ دينك، ومحو ما أنت عليه، فلم يلتفت النجاشي إلى قوله، ولم يحفل بما أرسلت به إليه قريش، وجرىٰ علىٰ إكرام جعفر عليه السلام وأصحابه، وزاد في الإحسان إليهم، وبلغ أبا طالب عليه السلام ذلك، فقال: يمدح النجاشي:

ألا ليت شعري كيف في الناس جعفر

وعمرو وأعداء النبيّ الأقارب؟

وهل نال إحسان النجاشي جعفراً

وأصحابه أم عاق ذلك شاعب

تعلّم خيار الناس أنّك ماجدٌ

كريمٌ فلا يشقىٰ لَديك المجانب

---

(١) الكوثر: ٣.

تــــــــعلّم بأنّ الله زادك بســــــطة
وأســــباب خـــــير كـــلّها لك لازب

فلمّا بلغت الأبيات النجاشي سرّ بها سروراً عظيماً، ولم يكن يطمع أن يمدحه أبو طالب ﷺ بشِعر فزاد من إكرامهم، وأكثر من اعظامهم، فلمّا علم أبو طالب بسرور النجاشي. قال: يدعوه إلى الإسلام ويحثّه على إتباع النبيّ ﷺ.

تـعلّم خـيار النـاس أنّ مـحمّداً	وزير لموسىٰ والمسيح بـن مـريم
أتى بـالهدى مـثل الذي أتـيا بـه	فكــلّ بأمــر الله يـهدي ويـعصم
وإنّكــم تـتلونه فــي كـتابكم	بصدق حديث لا حديث المترجم
فــلا تـجعلوا لله نـداً وأسـلموا	فـإن طـريق الحـقّ ليس بـمظلم
وإنّك مــا تأتــيك مــنا عـصابة	لقــصدك إلّا أرجـعوا بـالتّكرم[1]

وفي بعض المصادر ورد تفصيل وكلام وحوار بين جعفر والنجاشي، وقد اعرضنا عن ذكره خوف الإطالة، والذي يهمّنا من كلّ ما تقدّم في هذا الحدث الكلام الصادر من أبي طالب ﷺ حيث وصف النبيّ محمّد ﷺ بأجلى الصفات وأنّه نبيّ ووزير لموسى ﷺ والمسيح عيسىٰ ﷺ، يهدي ويعصم، وقوله للنجاشي: «وإنّكم تتلونه في كتابكم» والكتاب الذي قصده أبو طالب ﷺ هو الإنجيل، لأنّ النجاشي كان على الديانة النصرانية، ثمّ يدعو النجاشي إلى الإسلام ويقول له: «فلا تـجعلوا لله نـداً وأسلموا»... كلّ ذلك تجده صريحاً وهو الذي يدلّيك على إيمان أبي طالب ﷺ وصدق معتقده في الله سبحانه، فبعد هذا ماذا يريد العتاة المـردة، وأهـل العـناد والشقاق من أبي طالب ﷺ، ألا تكون هذه المواقف دليلاً على إيمانه وصدقه...؟! لكن لمن تنادي وإنّ القوم قد مُلئت قـلوبهم الظـلمة الحـالكة وبـطونهم مُـلئت

---

(١) ينظر: المصادر التاريخية التي ذكرت هذه الأبيات والحادثة وتفصيلها: مستدرك الصحيحين للحاكم النيسابوري: ٢/ ٦٢٢-٦٢٣، ط حيدر آباد الركن ١٣٣٨هـ، وسيرة إبن هشام: ١/ ١١٥ و١/ ٣٣٣، ط مصر ١٢٩٥هـ. وتاريخ إبن كثير: ٣/ ٧٧. وشرح إبن أبي الحديد: ٣/ ٣١٤.

بالسحت، فلا قلوب تعي، ولا اسماع صاغية، بل استحوذ عليهم الشيطان حتّى لجوا في العناد ....

خامساً: من مواقف أبي طالب الإيمانية لمّا غاب النبيّ ﷺ ليوم وليلتها (قصّة الأسراء)

أجمعت الكتب التاريخية أنّ أبا طالب لمّا فقد النبيّ ﷺ ليلة الأسراء جمع ولده ومواليه وسلّم إلى كلّ رجل منهم مُدية (سكّين) وأمرهم أن يباكروا الكعبة، فيجلس كلّ رجل منهم إلى جانب رجل من قريش ممّن كان يجلس بفناء الكعبة، وهم يومئذ سادات أهل البطحاء، فإن أصبح ولم يعرف للنبيّ ﷺ خبراً أو سمع فيه سوءاً، أومأ إليهم بقتل القوم، ففعلوا ذلك.

وأقبل رسول الله ﷺ إلى المسجد ـ بيت الله الحرام ـ مع طلوع الشمس فلمّا رآه أبو طالب قام إليه مستبشراً فقبّل بين عينيه، وحمد الله عزّ وجلّ على سلامته، ثمّ قال: والله يا إبن أخي، لو تأخّرت عنّي لما تركت من هؤلاء عيناً تطرف، وأومأ إلى الجماعة الجلوس بفناء الكعبة من سادات قريش ذلك ثمّ قال لولده ومواليه: أخرجوا أيديكم من تحت ثيابكم، فلمّا رأت قريش ذلك انزعجت له، ورجعت على أبي طالب بالعتب والإستعطاف، فلم يحفل بهم.[١]

لم يزل الرسول ﷺ عزيزاً منيعاً سالماً ما كان أبو طالب حيّاً إلى جنبه، ولم يزل ممنوعاً من الأذى، معصوماً حتّى رحل إلى ربّه، حيث فرحت قريش وأجمع القوم علىٰ الفتك بالنبيّ ﷺ، حينها جاءه الوحي من ربّه، فقال له جبرئيل ؑ إنّ الله عزّ وجلّ يقرئك السلام، ويقول لك: أخرج من مكة فقد مات ناصرك.[٢]

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ١ / ٣٠٢، دار بيروت للطباعة ١٩٨٥م. والحجة على الذاهب: ٢٨٦.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٧٠. والحجة على الذاهب: ٢٩٠. والدرجات الرفيعة للسيد علي خان: ٦٢.

فخرج هارباً تحت ظلام الليل مخلّفاً مكانه الإمام عليّ عليه السلام بدلاً منه على فراشه، فبات موقياً له نفسه ببذله مهجته شأنه كأبيه أبي طالب رضي الله عنه.

أقول: وروى المجلسي في البحار الحادثة بشكل مفصّل فراجع الجزء ٣٥ / ٨٢.

سادساً: من مواقف أبي طالب الإيمانية (حديث السِلا)

جاءت الأخبار متواترة، أنّ قريشاً أمرت بعض السفهاء أن يلقي على ظهر النبيّ صلى الله عليه وآله سلا[1] الناقة إذا ركع في صلاته ففعلوا ذلك، وبلغ الحديث أبا طالب عليه السلام فخرج مغضباً ومعه عبيدٌ له، فأمرهم أن يلقوا السلا عن ظهره صلى الله عليه وآله ويغسلوه، ثمّ أمرهم أن يأخذوه فيمرّوه على سبال القوم[2] وهم إذ ذاك وجوه قريش، وحلف بالله أن لا يبرح حتّى يفعلوا بهم ذاك، فما امتنع أحد عن طاعته، وأذلّ جماعتهم بذلك وأخزاهم.[3]

وجاءت هذه الرواية بشكل مفصّل في أغلب كتب السير، وكان الذي تولّى أذيّة الرسول والإعتداء عليه هو عبدالله بن الزبعري حيث ألقى الفرث والدم على النبيّ وهو ساجد يصلّي.

وكان موقف أبي طالب عليه السلام من هذا الحدث ليس له مثيل حيث جرّد سيفه يهدّد به زعماء قريش.

عن الأصبغ بن نباته قال: سمعت أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام يقول: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بنفر من قريش، وقد نحروا جزوراً، وكانوا يسمّونها الظهيرة، ويذبحونها على النصب، فلم يسلّم عليهم، فلمّا انتهى إلى دار الندوة قالوا: يمرّ بنا يتيم أبي طالب عليه السلام فلا يسلّم علينا، فأيّكم يأتيه فيفسد عليه مصلّاه؟

---

(١) السلا: الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمّه ملفوفاً وهو وعاء الروث من الأغنام.

(٢) السبال: جمع السَبَلَة وهوالشارب.

(٣) تفسير القرطبي: ٦ / ٤٠٥، وإيمان أبي طالب عليه السلام للمفيد: ص ٢٢. والكافي: ١ / ٣٧٣.

فقال عبدالله بن الزبعري السّهمي: أنا أفعل، فأخذ الفرث والدم فانتهىٰ به إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وهو ساجد فملأ به ثيابه ومظاهره، فانصرف النبيّ صلى الله عليه وآله حتّى أتى عمّه أبا طالب، فقال: يا عمّ مَن أنا؟

فقال: ولم يا إبن أخي؟

فقصّ عليه القصّة، فقال: وأين تركتهم؟

فقال: بالأبطح فنادى في قوله: يا آل عبد المطلب، يا آل هاشم، يا آل عبد مناف فأقبلوا إليه من كلّ مكان ملبّين، فقال: كم أنتم؟

قالوا: نحن الأربعون.

قال: خذوا سلاحكم، فأخذوا سلاحهم، وانطلق بهم، حتّى انتهى إلى أولئك النفر، فلمّا رأوه أرادوا أن يتفرّقوا فقال لهم: وربّ هذه البنية لا يقومنّ منكم أحد إلّا جلّلته بالسيف، ثمّ أتى إلى صفاة كانت بالأبطح فضربها ثلاث ضربات حتّى قطعها ثلاثة أفهار، ثمّ قال: يا محمّد سألتني من أنت، ثم أنشأ يقول ويؤمي بيده إلى النبيّ صلى الله عليه وآله.

أنتَ النبيُّ محمّدُ ... قَومٌ أغَرٌّ مسوَّدُ

لمسوّدين أطائبٍ ... كرموا وطاب المولدُ

نعم الأرومة أصلُها ... عمروا لخِضَمّ الأوحدُ

إلى آخر الأبيات.(١)

ثمّ قال: يا محمّد أيّهم الفاعل بك؟

فأشار النبيّ صلى الله عليه وآله إلى عبد الله بن الزبعري السهمي الشاعر، فدعاه أبو طالب فوجأ أنفه حتّى أدماها، ثمّ أمر بالفرث والدم، فأمرّ علىٰ رؤوس الملأ كلّهم، ثمّ قال: يا إبن أخِ أرضيت؟

ثمّ قال: سألتني من أنت؟

---

(١) ينظر: شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٤/ ٧٧. والدرجات الرفيعة: ص ٥٣.

أنت محمّد بن عبد الله، ثمّ نسبه إلى آدم عليه السلام، ثمّ قال: أنت والله أشرفهم حسباً وأرفعهم منصباً، يا معشر قريش من شاء منكم أن يتحرك فليفعل أنا الذي تعرفوني.

إلى هنا تنتهي قصّة إبن الزبعرى، غير أنّ البعض ذيّلها بنزول الآية ٢٥ و٢٦ من سورة الأنعام وقال أنّها نزلت في أبي طالب عليه السلام، ويتضح كذب الراوي حيث أنّ سورة الأنعام مدنية نزلت بعد وفاة أبي طالب عليه السلام بسنين، وقد عقد الشيخ الأميني قدس سره فصلاً في الغدير ٣/٨ يؤكّد بطلان ما قيل.

أمّا حديث السلا المتقدّم ففيه عدّة دلالات منها:

١ ـ يبيّن لنا الحديث زعامة أبي طالب عليه السلام ورئاسته على الجماعة، ومنزلته وعظم قدره، وكونه سيّدهم المطاع، الذي يهابه الجميع، وأمره نافذ عليهم.

٢ ـ إعلانه بكلّ جرأة وصراحة أنّه الناصر والمحامي والمدافع لابن أخيه محمّد صلى الله عليه وآله.

٣ ـ شدّة فزعه لِما سمعه في شأن النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، وتعدّي إبن الزبعرى علىٰ ساحة قدسه صلى الله عليه وآله.

٤ ـ غضبه لله سبحانه ودفاعاً لدينه الحنيف.

٥ ـ لقد تكرّر من أبي طالب عليه السلام مواقف لها شبه بما تقدّم من قصّة إبن الزبعرى، وذلك لمّا فقد محمّداً صلى الله عليه وآله ـ لمّا عُرج به إلى السَماء ـ نهار يومه وعشيتها، فأمر رجالاً من بني هاشم أن يحملوا معهم السكاكين ليفتكوا بزعماء قريش إن كان صدر منهم سوءٌ في حقّ النبيّ (محمّد صلى الله عليه وآله).

وهكذا قصّته مع فتية من قريش لمّا فقؤوا عين عثمان بن مظعون.

أقول: لولا كتمان دينه من قريش لما إستطاع أن يذبّ عن حمىٰ الإسلام وصاحب الرسالة الغرّاء.

ثمّ لولا تلك المنزلة التي كان يتمتع بها لما إستطاع أن يحمي الرسول صلى الله عليه وآله، ويقف

معه تلك المواقف المشرّفة، ويدرء عنه أذاهم.

إذاً من الحكمة والحنكة أن يخفي أبو طالب عليه السلام إسلامه وأن يكتم إيمانه، حفاظاً علىٰ إبن أخيه الصادق الأمين صلى الله عليه وآله.

ثمّ ما قيمة الألفاظ بالنسبة إلى أبي طالب عليه السلام والرسول يكون في معرض الخطر والقتل؟! هذا هوالطريق الأوّل.

وأمّا الطريق الثاني: هو أن يعلن أبو طالب عليه السلام للملأ من قريش عن إسلامه ويصارحهم علىٰ ما انطوت عليه سريرته... وبهذا الإعلان كما عرفت أن قريش سوف تتنصّل عن أبي طالب عليه السلام، وتتركه في حلبة الصراع وحيداً، وتتنكر لزعامته، وبهذا سوف تحمل على النبيّ صلى الله عليه وآله ومن تابعه حملة رجل واحد وتقضي عليه بين عشية وضحاها....

وهذا أمر لا يقبله العاقل اللبيب، والحليم النبه...، إذاً من هنا عرفت سبب كتمان أبي طالب عليه السلام إيمانه علىٰ الصعيد الرسمي، وأمّا على الصعيد الواقع وما إنطوى عليه قلبه فهوالمسلم المؤمن شأنه كمؤمن آل فرعون....

وفي القرآن الكريم عدّة نماذج ممّن كتم إيمانه كي يقوم بدور رسالي في صفوف الناس، ويكون درعاً واقياً للنبيّ المبعوث...وقد عرفت ذلك فيما تقدّم، فراجع.

سابعاً: من مواقف أبي طالب الإيمانية (حديث الصحيفة)

لمّا علمت قريش أنّ أبا طالب لا يتخلّىٰ عن نصرة محمّد صلى الله عليه وآله ولا يسلّمه إليهم، ورأوا قيام بني هاشم معه في نصره سعوا بينهم، واجتمعوا، وقالوا نكتب صحيفة نودعها الكعبة، فتعاقدت قريش على أن لا تبايع أحداً من بني هاشم ولا تناكحهم، ولا تعاملهم حتّى يدفعوا إليهم محمّداً ليقتلوه، وكتبت الصحيفة وختمت بثمانين خاتماً،

وكان الذي كتب الصحيفة منصور[١] بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وعلّقت في الكعبة وحاصرت قريش رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته من بني هاشم، وبني عبد المطلب بن عبد مناف في الشعب الذي يقال له شعب بني هاشم بعد ستّ سنين من مبعثه. فأقام ومعه جميع بني هاشم وبني عبد المطلب في الشعب ثلاث سنين حتّى انفق رسول الله صلى الله عليه وآله ماله، وانفق أبو طالب، وانفقت خديجة بنت خويلد جميع مالها، وصاروا إلى حدّ الضرّ والفاقة ثمّ نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إنّ الله قد سلّط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها إسماً هو لله إلّا اثبته فيها، ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان. فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله عمّه أبا طالب بذلك، فقال: أ ربّك أخبرك بهذا؟

قال: نعم، فوالله ما يدخل عليك أحد، ثمّ خرج إلى قريش قال: يا معشر قريش، إنّ إبن أخي أخبرني بكذا وكذا فهلمّوا إلى صحيفتكم، فإن كان كما قال إبن أخي، فانتهوا عن قطيعتنا وأنزلوا عمّا فيها، وإن يكن كاذباً دفعت إليكم إبن أخي.

فقال القوم: رضينا، فتعاقدوا علىٰ ذلك ثمّ نظروا فإذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم تدع الأرضة إلّا مواضع (بسمك اللّهم) فقالت قريش: ما هذا إلّا سحر وما كنّا قطّ أجد في تكذيبه منّا ساعتنا هذه، وخرج بنو هاشم من الشّعب وانتهى الحصار الذي دام ثلاث سنوات.[٢]

لمّا علم أبو طالب عليه السلام موقف قريش وأنّ صحيفتهم تلك كانت ظلماً وعدواناً فقد أخذ يستعطفهم ويحذّرهم الحرب وقطيعة الرحم، وينهاهم عن إتّباع السفهاء، ويُعلِمَهم إستمراره علىٰ موآزرة النبيّ صلى الله عليه وآله وينّبههم علىٰ فضله ومنزلته، ويضرب لهم المثل بناقة صالح ويذكر أمر الصحيفة.

---

(١) وقيل: بغيض.

(٢) وللمزيد راجع تاريخ اليعقوبي: ١/ ٣٥١، مؤسسة الأعلمي بيروت، ١٤١٣هـ. وسيرة إبن هشام: ١/ ٣٧٤، وطبقات إبن سعد.

ولمّا خرج أبو طالب وبني هاشم من الشّعب، دخلوا بين إستار الكعبة والكعبة فقال أبو طالب ﷺ: «اللّهم انصرنا علىٰ من ظلمنا، وقطع أرحامنا، واستحلّ منّا، ثمّ انصرفوا».

أقول: علىٰ المنصف الغيور؛ علىٰ من رضع من لبان الطهر والإيمان ،أقول له: ماذا تفهم من قول أبي طالب ﷺ: «اللّهم انصرنا علىٰ من ظلمنا...»؟ فهل يقال لمثل هذا المدافع الحامي عن الدين وصاحب الرسالة النبيّ الأكرم ﷺ: إنّه مات كافراً؟!

وتبعاً لهذا الموقف جاءت قصيدته البائية التي قالها في أمر الصحيفة وحين تظاهرت قريش علىٰ الرسول ﷺ:

١ ـ ألا أبلِغا عنّي علىٰ ذاتِ بينها
لُؤياً وخُصّا مِنْ لؤي بني كَعْبِ

٢ ـ ألَم تَعلَمُوا أنا وَجَدْنا مُحمّداً
نبيّاً كموسىٰ خُطّ في أوّلِ الكُتُبِ[١]

٣ ـ وأنّ عَليهِ في العِباد مَحَبّةً
ولا حيفَ فيمن خَصَّهُ اللهُ بالحُبِّ[٢]

٤ ـ .أنَّ الذي لفَّقتُم في كتابِكُم
يكون لكم يوماً كراغية السَقب[٣]

٥ ـ أفيقُوا، أفيقُوا قبلَ أن تُحفر الزبىٰ
ويُصبح مَنْ لَم يَجْنِ ذَنباً كذي الذَنبِ[٤]

---

(١) في شرح إبن أبي الحديد: (رسولاً) بدل (نبيّاً) أنظر: ١٤/ ٧٢.

(٢) الحيف: الجور والظلم.

(٣) السقب: ولد الناقة. والمراد به: سقب ناقة صالح ﷺ الذي رغا ـ أي صاح ـ ثلاث رغوات بعد عقر أمّه، وأهلك الله ثمود، وضرب به المثل.

(٤) الزُبى: بضمّ الزاء وفتح الباء المعجمتين. جمع الزبية، وهي الرابية التي لا يعلوها ماء، ويُروى: الربىٰ بالراء المهملة، والمعنى واحد.

٦ـ ولا تَـتَبعوا أمْـرَ الغُـواةِ وتَـقْطَعُوا
أواصـــرنا بـــعدَ المـودّةِ والقُـرْبِ

٧ـ وتَسْـتَحلِبُوا حَـرْبا عَـوانـا ورُبّـما
أمَـرُّ عـلى مَـنْ ذَاقَـهُ جَـلَبُ الحَـرْبِ(١)

٨ـ فَـلَسْنا وبـيت الله نُسْـلِمُ أحـمداً
لعـزاء مِـن عَـضّ الزّمـان ولا كـرْبِ

٩ـ ولمّـا تَـبِنْ مِـنّا ومـنكم سَـوالفٌ
وأيـدٍ أُبـيرت بـالمهندة الشُّـهبِ(٢)

١٠ـ بـمُعتَرك ضَـنْكٍ تَـرى كِسَـر القـنا
بِهِ والضباع العـرج تـعكِفُ كـالسرب(٣)

١١ـ كأنَّ مَجالَ الخليلِ فـي حَـجَراتـه
وغـمغمة الأبـطالِ مَـعْركةُ الحَـرْبِ(٤)

١٢ـ أ ليسَ أبُـونا هـاشمٌ شَـدَّ أزرَهُ
وأوصـىٰ بـنيهِ بـالطِّعانِ وبـالضَرِبِ(٥)

١٣ـ ولسنا نَـمَلُّ الحـربَ حـتّى تَـمَلَّنا
ولا نشـتكي مـما يـنوب مـن النكب

---

(١) الإستحلاب: طلب الحليب، استعير هنا لثوران الفتن طلباً للحرب. والحرب العوان أشدّ الحروب. والحلب بالتحريك اللبن المحلوب. أراد به ما يترتّب علىٰ الحرب من الخسائر.

(٢) في شرح إبن أبي الحديد: (أترت) بدلَ (ابيرت). وأترت: قطعت.

(٣) العرج: هي الضباع، فهوبدل ممّا قبله. السرب: جمع السربة وهي القطيع والجماعة من الظباء والخيل ونحوه. ويروى (كالشرب) بدل (السرب) جمع الشارب.

(٤) الغمغمة: صوت الإبطال عند القتال.

(٥) الأزر، بكسر الهمزة وسكون الزاي: المئزر والإزار. يقال: شدّ للأمر إزره إذا تشمر له.

١٤ ـ ولكــنّناأهل الحــفائِظِ والنُّــهىٰ
إذا طــارَ أرواحُ الكُــماةِ مـن الرُّعب[١]

مصادر القصيدة: سيرة إبن هشام: ١ / ٣٧٧، وسيرة إبن إسحاق: ١٥٧، الروض الأنف: ٢ / ١٠٢، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ١٤ / ٧٢، والبـدايـة والنـهاية: ٣ / ٨٤، وخزانة الأدب: ٢ / ٧٦.

أنظر إلى قوله في البيت الثاني: «... أنا وجدنا محمّداً نبيّاً ...» أنّه الإقرار الصريح والإعلان بكلّ جرأة بأن محمّداً نبيّ كموسىٰ عليه السلام خطّ في أوّل الكتب، سواء الكتب السماوية النازلة من السماء أو أنّه في اللوح المحفوظ.

فلو لم يكن في شعر أبي طالب عليه السلام سوى هذا البيت لكفى دليلاً على إيمان أبي طالب عليه السلام، ونحن نستخلص إيمانه من هذا البيت من وجوهٍ:

١ ـ إيمانه بنبوة محمّد صلى الله عليه وآله.

٢ ـ إيمانه بكتب الله تعالى التي لا يعرفها إلّا المؤمنون.

٣ ـ معرفته بالنبيّ موسىٰ بن عمران عليه السلام.

٤ ـ إيمانه بسائر الأنبياء وكتبهم، حيث بين أوّل نبيّ وأوّل كتاب هناك كتب وأنبياء حتّى ينتهي الأمر إلىٰ خاتم الأنبياء محمّد صلى الله عليه وآله.

٥ ـ كلامه (ألم تعلموا)، يراد به التوبيخ لقريش، وبالخصوص زعماءهم الذين

---

(١) تجد هذه الأبيات كلّها أو بعضها في المصادر الآتية:
ـ سيرة إبن هشام: ١ / ٣١٩، طبعة مصر ١٣٠٥هـ و١ / ٣٥٣.
ـ شرح إبن أبي الحديد: ١٤ / ٧٢.
ـ الروض الأنف: ١ / ٢٢٠.
ـ تاريخ إبن كثير: ٣ / ٨٧.
ـ بلوغ الأدب للألوسي: ص ٣٢٥، طبعة مصر ١٣٤٢هـ.
ـ خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي: ١ / ٢٦١، طبعة مصر ١٢٩٩هـ.

كانوا على علم ويقين ببعثة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله من خلال الأخبار التي وصلتهم عن طريق عبد المطلب وأخبار اليهود ومن له أدنى مطالعة في الكتب السماوية السابقة.

٦ـ تشعرك باقي الأبيات أنّ أبا طالب عليه السلام ساق التهديد لقريش وحذّرهم مغبّة عنادهم وكفرهم، وأكّد لهم أنّه مع محمّد صلى الله عليه وآله في نصرته له، والذب عنه حتّى آخر لحظة من حياته....

وممّا قاله في شأن الصحيفة:

ألا مــن لِــهَمٍّ آخِــر الليـلِ مُــنصِبِ
وشـعبُ العصا مـن قـومِك المتشعّبِ

وجَـربَى أراهـا مِـن لُـؤيّ بـن غـالبٍ
مَـتى ما تُـزاحِـمْها الصـحيحةُ تَـجْرَبِ

إذا قـائمٌ فـي القـومِ قـامَ بـخُطبَةٍ
أقاموا جـميعاً ثـمّ صـاحُوا وأجـلَبوا[1]

ومـا ذنبُ مَـن يـدعو إلىٰ الله وحـدَهُ
وديـنٍ قـويمٍ أهـلُهُ غـيرُ خُـيَّبِ

ومـا ظُـلمُ مَـن يَـدعُو إلى البرِّ والتُّقىٰ
ورأبِ الثّأىٰ بالرأي لا حـين مشـعبِ[2]

وقـد جَـرَّبوا فـيما مضى غِبَّ أمرِهم
ومـا عـالِمٌ أمـراً كَـمَن لَـمْ يُـجرِّبِ[3]

وقـد كـان فـي أمـر الصَـحيفةِ عـبرةٌ
أتـاك بـها مـن غـائبٍ مُـتعصّبِ

---

(١) في البيت إقواءٌ.
(٢) الثأىٰ: أثر الجرح، ورأبُ الثأىٰ: إصلاح الفاسد من الأمور.
(٣) الغِبّ: العاقبة.

يُريد الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم، وعلّقوها في الكعبة، فمحا الله منها موضع عُقوقهم.

محا الله منها كُفرَهم وعُقوقَهم
وما نَقِموا من صادقِ القول مُنْجِبِ
وأصبَحَ ما قالوا مِن الأمرِ باطلاً
ومن يختلِقْ ما ليس بالحقّ يكذبِ
فأمسىٰ إبن عبد الله فينا مُصَدَّقاً
على ساخِطٍ من قومِنا غير مُعْتَبِ
فلا تحسَبونا خاذِلينَ محمّداً
لذي غُربةٍ منّا ولا مُتَقَرِّبِ
سَتَمنَعُهُ منّا يدٌ هاشِمِيّةٌ
مُرَكّبُها في المجْدِ خيرُ مُرَكّبِ
وينصرُه اللهُ الذي هو رَبُّهُ
بأهلِ العُقَيْرِ أو بِسُكّانِ يثْرِبِ[1]
فلا والذي يَحدِي له كُلُّ مُرْثَمٍ
طليحٍ بجنبَي نخلَةٍ فالْمحَصَّبِ[2]
يميناً صَدَقنا اللهَ فيها ولم نَكُنْ
لِنَحْلِفَ بطلاً بالعتيق المُحَجَّبِ
نُفارِقُه حتّى نُصَرَّعَ حَولَهُ
وما نالَ تكذيب النبيّ المُقَرَّبِ

(١) العقير: مدينة في البحرين.

(٢) رَثَمَ أنفَهُ: إذا كسره حتّى تقطّر منه الدم. الطليح: البعير إذا تعِب وكلّ.

فـــيا قـــومنا لا تـــظلِمُونا فـإننا
متى ما نـخلف ظُـلْمَ العشـيرة نَـغضَبِ
وكـفُّوا إليكـم مـن فُـضولِ حُـلُومِكُم
ولا تـذهَبُوا مـن رأيكـم كُـلَّ مَـذْهبِ
ولا تـــبدأونا بـــالظلّامَةِ والأذى
فـــنجزيَكُم ضِـــعفاً مـع الأمّ والأبِ

مصادر القصيدة: سيرة إبن إسحاق: ١٦٣، والكامل في التاريخ: ٢ / ٩٠.

وقال ـ أيضاً ـ القصيدة الدّالية حين مُزّقت الصحيفة وبطل ما فيها وقد روىٰ السهيلي أحد عشر بيتاً لم ترد في رواية أبيٰ هِفّان وهي منها:

ألا هـل أتـى بَـحْرِيّنا صُـنعَ ربّـنا ... عـلى نأيـهم والله بـالناس أرودُ
فـيخبرهم أنّ الصـحيفة مُـزّقت ... وأنّ كـلّ مـا لم يـرضه الله مـفسدُ
تداعى لهـا مَـن ليس فـيها بـقرقرٍ ... فـطائرها فـي رأسـها يـترَدّدُ
وكـانت كـفاء رقـعة بأثـيمةٍ ... ليُـقطع مـنها سـاعدٌ ومـقلّدُ

ومن القصيدة قوله:

ألا إنّ خـيرَ النـاسِ نـفساً ووالداً ... إذا عُـدّ سـاداتُ البـريةِ أحـمَدُ
نـبيّ الإله والكـريمُ بأصـلِهِ ... وأخـلاقِه وهـو الرشـيد المـؤيَّدُ
حَـزيم عـلى جُـلّ الأمـورِ كأنّـه ... شِـهابٌ بكـفّي قـابِسٍ يَـتوقّدُ[1]
من الأمِـين مـن لُـؤيّ بـن غـالبٍ ... إذا سِـيمَ خـسفاً وجـهُهُ يـتربّدُ[2]
طويل النِجاد خـارجٌ نـصفُ سـاقِهِ ... على وَجهِهِ يسقى الغَمام ويسعدُ[3]
عـظيمُ الرَمـادِ سـيّدٌ وابـنُ سـيّدٍ ... يُحضُّ على مَقْرَى الضُيوفِ ويحشّدُ

---

(١) حَزيم: أي حازماً.

(٢) التربّد: إحمرار الوجه في تورّم.

(٣) النجاد: حمائل السيف.

ويــبني لأفــناء العشـيرة صـالحاً   إذا نحنُ طُفنا في البـلاد ويـمْهَدُ[١]
ويبني كثيراً حيث كان مـن العِـدى   طِلاع المدى لا غير ذلك يـجهد[٢]
هو القائل المـهدي بـه كُـلُّ مِـنْسَرٍ   عظيم اللواء، أمرُه الدّهـرُ يـحمدُ[٣]
إذا قـــال قـــولاً لا يُــعاد لقــولهِ   كوحي الكتاب فـي صـفيحٍ يُـخلّدُ
بــجيشٍ لَــهُ مـن هـاشمٍ يـتبعونَه   يُسَـــدِّدُهُم رَبُّ الوَرى ويُـــؤيِّدُ
هُمُ رجعوا سَهل بن بـيضاء راضـياً   وسُــرَّ إمــامُ العــالَمينَ مـحمّدُ[٤]

مصادر القصيدة: سيرة إبن إسحاق: ١٦٧، ط ١، دار الفكر ١٩٧٨م. وسيرة إبن هشام: ٢ / ١٧، والروض الأنف: ٢ / ١٢٤، مؤسسة مختار ومكتبة الكليّات الأزهريّة، القاهرة.

هذه الدالّية تُعدّ من أبرز قصائد أبي طـالب عليه السلام وهـي تـفصح عـن عـقيدته الصادقة بالنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وبالإسلام والتوحيد حيث قال:

إنّ أحمد هو خير الناس، وهو سيّد كلّ الورى، (سادات البريّة).

ثمّ قال: نبيّ الإله....

فهل يوجد تصريح فوق هذا التصريح أو عبارة أُخرىٰ أقرب صدق من تلك.... فلولم يكن في شعر أبي طالب أي تصريح غير هذا لكفىٰ دليلاً علىٰ إيمانه بالله وبالنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، ومع ذلك تجد عشرات الكلمات والعبارات التي أطلقها أبو طالب وهو ملؤه فخراً وسروراً بهذا الايمان وبتلك العقيدة الصلبة التي لم يفارقها حتّى النفس الأخير.

ثمّ يعقب علىٰ قوله ذاك بالبيت الآتي:

---

(١) يمهد: يضع، والمهد والمهاد: الأرض والفِراش.

(٢) يقال: حلب القعب طلاعاً: أي اعتلى على ملئة، ويُروىٰ طلاقاً: أي مُنطلِق الوَجه.

(٣) المِنْسر: الجيش.

(٤) سَهل بن بيضاء الأنصاري.

بجيش له من هاشم يتبعونه يُسدِّدُهم ربُّ الورىٰ ويؤيّد

أنظر إلى هذه العقيدة التي ملأت قلب قائلها، أنّه أبو طالب الموحّد الذي كلّه ثقة بالله سبحانه، فهو الذي يسدّد نبيّه وينصره ويؤيّده، وهذا كلام لا يصدر إلّا من موحّد ثابت علىٰ التوحيد، صادق في إيمانه....

ثامناً: وصيّة أبي طالب لوجوه قريش لمّا حضرته الوفاة

قال إبن الفتال النيسابوري بإسناده إلى الإمام الصادق عليه السلام قال: لمّا حضرت أبا طالب عليه السلام الوفاة جمع وجوه قريش فأوصاهم، فقال:

يا معشر قريش، أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب، وأنتم خزنة الله في أرضه، وأهل حرمه، فيكم السيّد المطاع الطويل الذراع، وفيكم المقدّم الشجاع، الواسع الباع.

إعلموا أنّكم لم تتركوا للعرب في المفاخرة نصيباً إلّا حزتموه، ولا شرفاً إلّا أدركتموه، فلكم على الناس بذلك الفضيلة، ولهم به إليكم الوسيلة، والناس لكم حربٌ، وعلىٰ حربكم إلْبٌ. إنّي موصيكم بوصية، فاحفظوها: أوصيكم بتعظيم هذه البنيّة؛ فإنّ فيها مرضاة الربّ، وقواماً للمعاش، وثبوتاً للوطأة، وصِلوا أرحامكم؛ ففي صلتها منسأةٌ في الأجل، وزيادة في العدد، وأتركوا العقوق والبغي؛ ففيهما هلكت القرون قبلكم. أجيبوا الداعي، وأعطوا السائل؛ فإنّ فيهما شرفاً للحياة والممات، عليكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة؛ فإنّ فيهما نفياً للتهمة، وجلالة في الأعيُن، أقِلّوا الخلاف على الناس، وتفضّلوا عليهم بالمعروف؛ فإنّ فيهما محبّة للخاصّة، ومكرمةً للعامّة، وقوّة لأهل البيت.

وإنّي أوصيكم بمحمّدٍ خيراً؛ فإنّه الأمين في قريش، والصدّيق في العرب، وهو جامعٌ لهذه الخصال التي أوصيكم بها، وقد جاءكم بأمرٍ قَبِلهُ الجَنانُ، وأنكره اللسانُ، مخافة الشنآن، وأيم الله لكأنّي أنظر إلىٰ صعاليك العرب، وأهل العزّ في

الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته، وصدّقوا كلمته، وعظّموا أمره؛ فخاض بهم غمرات الموت، فصارت رؤوس قريش وصناديدها أذناباً، ودورُها خراباً، وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمُهم عليه أحوجُهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم لديه، قد محّضته العرب ودادَها، وصَفتْ له بلادُها، وأعطته قيادَها.

فدونكم يا معشرَ قريش ابنَ أبيكم وأمّكم، كونوا له ولاةً، ولحزبه حماةً. والله لا يسلك أحدٌ سبيله إلّا رَشدَ، ولا يأخذ أحدٌ بهديه إلّا سَعِدَ، ولو كان لنفسي مدّةٌ، وفي أجلي تأخير لكفيتُه الكوافي، ولدفعت عنه الدواهي، غير أنّي أشهد شهادته، وأعظِّمُ مقالتَه.[1]

تجد كلّ فقرة من فقرات هذه الوصيّة تدلّل على إيمان أبي طالب عليه السلام بـالله، وتوحيده له، وإيمانه بالرسول صلى الله عليه وآله، ودعوته الحقّ، ولا يغيب عنك حـيث خـتم أبو طالب عليه السلام كلامه ووصيته بقوله: أنّي أشهد شهادته وأعظّم مقالته...، فما هي الشهادة التي يـريدها أبـو طـالب عليه السلام ألا هـي شـهادة أن لا إله إلّا الله، مـحمّد رسول الله...! انتبه وتأمّل.

ما يرويه أبو طالب عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله

أبو طالب يصدّق دعوة النبيّ صلى الله عليه وآله

روى أبو الفضل شاذان عن الكراجكي بإسناده عن إسحاق بـن عـيسىٰ بـن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: سمعت أبي يقول: سمعت المهاجر مولى بني نوفل يقول: سمعت أبا رافع يقول: سمعت أبا طالب بن عبد المطلب يقول: حدّثني محمّد صلى الله عليه وآله أنّ ربّه بعثه بصلة الرحم، وأن يعبد الله وحده، ولا يعبد معه غيره. ومحمّد

---

(١) روضة الواعظين للشهيد إبن الفتال النيسابوري (ت ٥٦٨ هـ): ١/ ٣٢١، طبعة دليل ما، قم ١٤٢٣هـ. والروض الأنف في شرح السيرة النبوية للسهيلي عبد الرحمن: حـ ٤/ ٣٠ـ٣١، طبعة مكتبة إبن تيمية القاهرة ١٩٩٣م.

عندي الصادق الأمين.[١]

من أقوى الحجج هو إقرار المرء، وكما قيل أنّ إقرار العقلاء علىٰ أنفسهم جائز؛ حجة.

والرواية المتقدّمة جاء في ذيلها قول أبي طالب عليه السلام إعترافاً منه وتحقيقاً لمقولته فقال: «ومحمّد عندي الصادق الأمين».

فأي تصريح بعد هذا يستدلّ به الباحث الغيور؟ ألم تكن هذه العبارة هي الحجة الدافعة علىٰ إيمان أبي طالب عليه السلام؟!

أبو طالب عليه السلام يؤكّد صدق النبيّ صلى الله عليه وآله في نبوّته أمام قريش

روى النسابة الثقة أبو منصور الحسن بن معية العلوي الحسني من مشايخ النسابة فخار بن معد الموسوي المتوفّىٰ سنة ٦٣٠ هـ بإسناده عن عبد الله بن عباس عن أبيه قال: قال أبو طالب للنبيّ صلى الله عليه وآله بمحضر من قريش ليريهم فضله: يا إبن أخي: الله أرسلك؟

قال: نعم.

قال: إنّ للأنبياء معجزاً، وخرق عادة، فأرنا آية.

قال صلى الله عليه وآله لعمّه: أدع تلك الشجرة، وقل لها: يقول لك محمّد بن عبد الله أقبلي بإذن الله، فدعاها، فأقبلت حتّى سجدت بين يديه، ثمّ أمرها بالإنصراف، فانصرفت.

فقال أبو طالب عليه السلام: أشهد أنّك صادق، ثمّ قال لإبنه عليّ عليه السلام: يا بني الزم إبن عمّك.[٢]

---

(١) رواه إبن حجر العسقلاني الشافعي في الاصابة: ٤/ ١١٦، ط مصر ١٣٢٨ هـ، وزيني دحلان في أسنى المطالب: ص ٦، ط مصر ١٣٠٥ هـ. والغدير: ٧/ ٣٦٨.

(٢) أمالي الصدوق: ٣٦٥، رواه عن طريق الأعمش، وروضة الواعظين لأبي علي الفتال: ١٢١.

قال الغفاري: حسبك هذه الشهادة في صدق إيمان أبي طالب عليه السلام وكفىٰ!

أمّا مرويّات أبي طالب عليه السلام

أقول: لا يسعنا المجال أن نبحث عن مرويّات أبي طالب عليه السلام، وما سمعه من النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله لأسباب عديدة، من أهمّ تلك الأسباب: النهي الذي جاء من قبل الشيخين ومنع تدوين الحديث الذي يرويه الصحابة عن الرسول صلى الله عليه وآله أو ما يرويه بعضهم عن بعضٍ عن الرسول وحجبت عنّا تلك الأحاديث التي سمعها أبو طالب عليه السلام والتي رواها... ومع ذلك نذكر ما عثرنا عليه ونحن نوجز البحث هنا آملين العودة والتفصيل في فرصة أخرىٰ إن شاء الله.

روى أبو طالب عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: سمعت إبن أخي الأمين يقول: «أشكر ترزق، ولا تكفر فتعذّب».

رواه إبراهيم بن علي الحنبلي في كتابه (نهاية الطلب وغاية السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام).[١]

وفي كتاب الحنبلي روايات عديدة تؤكّد إيمان أبي طالب عليه السلام فليراجع.

قال العسقلاني في الأصابة، ومن طريق إسحاق بن عيسىٰ الهاشمي عن أبيه سمعت المهاجر مولىٰ بني نفيل يقول: سمعت أبا رافع يقول: سمعت أبا طالب عليه السلام يقول: سمعت إبن أخي محمّد بن عبد الله يقول: إنّ ربّه بعثه بصلة الأرحام، وأن يعبد الله وحده لا يعبد معه غيره، ومحمّد الصدوق الأمين.

وفي رواية السيد زيني دحلان كذلك (ومحمّد عندي الصدوق الأمين).[٢]

أقول: في روايات عديدة رواها الجمهور أنّ أبا طالب عليه السلام في مناسبات مختلفة وصف إبن أخيه النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله بكلمة صادق، وصدوق وما شابه ذلك.

---

(١) الطرائف لابن طاووس: ص ٣٠٤، وينظر البحار: ٣٥/١٥١.

(٢) أسنى المطالب: ٦.

وهذه ـكلمة صدوق ـ علىٰ وزن فعول أي كثير الصدق، وفي بعض أشعاره جاءت وأنت الصادق الأمين....

وفي نهاية الطالب للحافظ العلامة الحنبلي بإسناده عن أبي طالب عليه السلام قال: حدّثني محمّد بن أخي وكان والله صادقاً.

قال أبو طالب عليه السلام: قلت له: بِم بعثت يا محمّد؟

قال صلى الله عليه وآله: بصلة الأرحام وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.(١)

وعن عروة بن عمرو الثقفي قال: سمعت أبا طالب عليه السلام قال: سمعت إبن أخي الأمين يقول: أشكر تُرزق، ولا تكفر فتعذّب.

الحديث المتقدّم، وقد ورد في مصادرنا الحديثية كالبحار وغيره فراجع.

---

(١) نهاية الطالب برواية المجلسي في البحار: ٣٥/ ١٥١.

الفصل الرابع

إيمان أبي طالب عليه السلام من الكتاب

* إيمان أبي طالب عليه السلام من خلال القرآن المجيد
* آيات من الذكر الحكيم
* مناقشات علميّة
* بحوث رجالية
* ردود تدعمها البراهين الساطعة

إيمان أبي طالب عليه السلام من خلال الكتاب المجيد
«أبو طالب عليه السلام ومخالفوه»

تمسّك القائل بكفر أبي طالب عليه السلام بثلاث آيات من الذكر الحكيم وهي:

أوّلاً: آية ٢٦ من سورة الأنعام.

ثانياً: آية ١١٣ من سورة التوبة.

ثالثاً: آية ٥٦ من سورة القصص.

ونحن لا ندع الكلام علىٰ هناته، بل نورد أقوال المخالف، وبعدها نبيّن تهافت أقواله سنداً ومتناً ثمّ نذكر جملة من الآيات الكريمة التي أشارت إلى نصرة أبي طالب عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله، والدالّة علىٰ إيمانه، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وهو حسبي.

أمّا الآيات التي تمسّك بها القوم للطعن في إيمان أبي طالب عليه السلام سوف نتعرّض إليها إن شاء الله بشيء من التعليق والبيان، حتّى يتّضح لمن ينفخ في رماد إنّما سوّلت لهم أنفسهم ـ كيداً ومكراً ـ لا للطعن في أبي طالب عليه السلام، وإنّما كانوا يبتغون من وراء ذلك الإنتقاص من مكانة إبنه علي بن أبي طالب عليهما السلام وصيّ النبيّ صلى الله عليه وآله، وخليفته من بعده، والذاب عن حمىٰ الإسلام والمسلمين، وعن صاحب الرسالة.

الآية الأولى

تمسّك المخالف بالآية الكريمة (٢٦) من سورة الأنعام.

ولكي نفهمها حقّاً علينا أن نذكر الآية التي قبلها، قال تعالىٰ:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنا عَلىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها حَتّٰى إِذا جاؤُكَ يُجادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذا إِلاّٰ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلّا أَنْفُسَهُمْ وَما يَشْعُرُونَ﴾.[1]

ـ أخرج السيوطي عن مجاهد في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ قال: قريش.

ـ وأخرج السيوطي عن عطاء بن دينار وعن إبن عباس في قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ قالا: نزلت في أبي طالب عليه السلام.[2]

ـ وأخرج السيوطي عن إبن عباس أنّه قال: لا يلقونه ولا يدعون أحداً يأتيه.

ـ وأخرج السيوطي عن محمّد بن الحنفية أنّه قال: كفّار مكة كانوا يدفعون الناس عنه ولا يجيبون النبيّ صلى الله عليه وآله.

ـ وأخرج السيوطي عن مجاهد أنّه قال: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾، قريش ﴿وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ يتباعدون.

ـ وأخرج عن قتادة قال: ينهون عن القرآن وعن النبيّ ﴿وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ يتباعدون عنه.

ـ وأخرج عن سعيد بن أبي هلال أنّه قال: نزلت في عمومة النبيّ صلى الله عليه وآله وكانوا عشرة، فكانوا أشدّ الناس معه في العلانية وأشدّ الناس عليه في السرّ.[3]

وقال الفخر الرازي: إعلم أنّه تعالىٰ لمّا بيّن أحوال الكفار في الآخرة اتبعه بما

---

(١) سورة الأنعام: ٢٥ و٢٦.

(٢) الدر المنثور، للسيوطي: ٣ / ٢٦٠، ط دار الفكر، بيروت ١٩٨٣م.

(٣) الدر المنثور: ٣ / ٦١، طبعة دار الفكر بيروت.

يوجب اليأس عن إيمان بعضهم...، وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: قال إبن عباس حضر عند رسول الله ﷺ أبو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعقبة وعتبة وشيبة أبناء ربيعة، وأميّة وأُبي أبناء خلف والحرث بن عامر وأبو جهل واستمعوا إلى حديث الرسول ﷺ، فقالوا للنضر: ما يقول محمّد؟ فقال: لا أدري ما يقول لكنّي أراه يحرك شفتيه ويتكلّم بأساطير الأوّلين كالذي كنت أحدّثكم به عن أخبار القرون الأولى، وقال أبو سفيان: إنّي لا أرى بعض ما يقول حقّاً. فقال أبو جهل: كلّا، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ ....

وفي المسألة الثانية: ذكر قول المعتزلة حيث إستدلّوا بتأويلها علىٰ أن الله سبحانه قد يصرف قلب الكافر عن الإيمان لكونه سبحانه وتعالىٰ يعلم مسبقاً أنّ هذا الكافر لا يؤمن....

ثمّ في المسألة الثالثة: بيّن المراد من كلمة ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ...﴾ فذكر الضمير بصيغة الإفراد، وقوله: ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ ذكره بصيغة الجمع، قال وإنّما حسن ذلك لأنّ صيغة ﴿مَنْ﴾ واحد في اللفظ جمع في المعنىٰ.

ثمّ تعرّض في المسألة الرابعة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ فهو قول الكافرين وهو القدح في كون القرآن معجزاً.

ولمّا يأتي إلى تفسير قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ يقول في المسألة الأولى: إعلم أنّه تعالى لمّا بيّن أنّهم طعنوا في كون القرآن معجزاً بأن قالوا: إنّه من جنس أساطير الأولين وأقاصيص الأقدمين؛ بيّن في هذه الآية أنّهم ينهون عنه وينأون عنه، وقد سبق ذكر القرآن وذكر محمّد ﷺ، فالضمير في قوله: ﴿عَنْهُ﴾ محتمل أن يكون عائداً إلى القرآن، وأن يكون عائداً إلى محمّد عليه ﷺ، فلهذا السبب اختلف المفسّرون، فقال بعضهم: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ أي عن القرآن وتدبّره والإستماع له. وقال آخرون: بل المراد ينهون عن الرسول.

ثمّ قال الفخر الرازي: وإعلم أنّ النهي عن الرسول صلى الله عليه وآله محال، بل لا بدّ وأن يكون المراد النهي عن فعل يتعلّق به عليه الصلاة والسلام، وهو غير مذكور، فلا جرم حصل فيه قولان: منهم من قال: المراد أنّهم ينهون عن التصديق بنبوّته والإقرار برسالته.

وقال عطاء ومقاتل: نزلت في أبي طالب عليه السلام كان ينهى قريشاً عن إيذاء النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ يتباعد عنه، ولا يتبعه علىٰ دينه.

والقول الأوّل أشبه لوجهين:

الأوّل: أنّ جميع الآيات المتقدّمة علىٰ هذه الآية تقتضي ذمّ طريقتهم فكذلك قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ ينبغي أن يكون محمولاً علىٰ أمر مذموم، فلو حملناه علىٰ أنّ أبا طالب عليه السلام كان ينهى عن إيذائه، لما حصل هذا النظم.

والثاني: أنّه تعالىٰ قال بعد ذلك: ﴿وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ﴾ يعني به ما تقدّم ذكره. ولا يليق ذلك بأن يكون المراد من قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ النهي عن أذيّته، لأنّ ذلك حسن لا يوجب الهلاك.[١]

وفي تفسير الخازن في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ قال الكلبي: اجتمع أبو سفيان وصخر بن حرب وأبو جهل بن هشام... الخ وهي الرواية التي ذكرناها نقلاً عن الفخر الرازي.

وفي قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ قال: يعني ينهون الناس عن إتباع محمّد صلى الله عليه وآله، ﴿وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ يعني ويتباعدون عنه بأنفسهم، نزلت في كفار مكّة، كانوا يمنعون الناس عن الايمان بمحمّد صلى الله عليه وآله وعن الإجتماع به وينهونهم عن إستماع القرآن وكانوا هم كذلك.

ثمّ روى ما نسب إلى إبن عباس من أن الآية نزلت في أبي طالب عليه السلام.[٢]

---

(١) التفسير الكبير، الفخر الرازي: م ٤/ ٥٠٧، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٥م.

(٢) تفسير الخازن، (الباب التأويل في معاني التنزيل) لعلاء الدين علي بن محمّد البغدادي المعروف

وفي تفسير الألوسي ما يقرب من هذا، ثمّ قال: إنّ جميع الآيات المتقدّمة في ذمّ المشركين، فلا يناسبه ذكر النهي عن أذيته صلى الله عليه وآله وهو غير مذموم....، ثمّ أحال التحقيق في إيمان أبي طالب عليه السلام إلى موضع آخر من تفسيره.(١)

وفي تفسير مجمع البيان في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ قال: كنّى عن الكفّار الذين تقدّم ذكرهم في الآية السابقة فقال: هنا ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ أي ينهون الناس عن إتباع النبيّ صلى الله عليه وآله ويتباعدون عنه فراراً منه، عن إبن عباس ومحمّد بن الحنفية والحسن والسدّي، وقيل ينهون الناس عن إستماع القرآن لئلا يقع في قلوبهم صحّته، ويتباعدون عن إستماعه، عن قتاده، ومجاهد، واختارهُ الجبائي، وقيل عنىٰ به أبا طالب عليه السلام، ومعناه يمنعون الناس عن أذى النبيّ صلى الله عليه وآله ولا يتبعونه، عن عطاء ومقاتل وهذا لا يصحّ، لأنّ هذه الآية معطوفة علىٰ ما تقدّمها، وما تأخر عنها معطوف عليها، وكلّها في ذمّ الكفار المعاندين للنبيّ صلى الله عليه وآله.

هذا وقد ثبت إجماع أهل البيت عليهم السلام علىٰ إيمان أبي طالب عليه السلام وإجماعهم حجّة، لأنّهم أحد الثقلين اللذين أمر النبيّ صلى الله عليه وآله بالتمسّك بهما، بقوله: «إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا....»(٢)

وفي تفسير المنار قال محمّد عبده في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ...﴾ كان المشركون أصنافاً متفاوتين في الفهم والعقل وفي الكفر وأسبابه، وقد بيّن الله أحوال كلّ فريق منهم....

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ قال: ضمير ﴿وَهُمْ﴾ عائد إلىٰ المشركين المعاندين للنبيّ صلى الله عليه وآله الجاحدين لنبوّته الذين ورد هذا السياق بطوله فيهم.

بالخازن: م ٢ / ١٠، ط دار الكتب العربية الكبرىٰ لمصطفىٰ البابي الحلبي، مصر. ومثله في تفسير البيضاوي: ٢ / ١٥٩، المكتبة الإسلامية، تركيا. ومثله في تفسير الكشاف للزمخشري: م ٢ / ١٢، دار المعرفة، بيروت.

(١) أنظر: تفسير روح المعاني: ٧ / ١٢٧، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) مجمع البيان، الطبرسي: ٤ / ٣١، ط ١، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٩٥م.

لا إلى الفريق الذي ذكر أخيراً في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ والمعنى أنّهم ينهون الناس عن سماع القرآن من النبيّ صلى الله عليه وآله، وينأون أي يبعدون عنه ليكونوا ناهين منتهين. والنأي عنه يشمل الإعراض عن سماعه والإعراض عن هدايته. وقيل إنّ المعنى ينهون عن النبيّ صلى الله عليه وآله أي ينهون العرب عن حمايته ومنعه وعن إتباعه والسماع له جميعاً، ويبعدون عنه بعد جفاء وعداوة ﴿وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ مَا يَشْعُرُونَ﴾ أي وما يهلكون بذلك إلّا أنفسهم وما يشعرون بذلك، بل يظنّون أنّهم يقضون عليه صلى الله عليه وآله. وهذا من معجزات القرآن وأخباره بالغيب فقد هلك جميع الذين أصرّوا على عداوة الرسول صلى الله عليه وآله بعضهم بالنقم الخاصة وبعضهم في بدر....[1]

وذكر العلامة النسَفي في تفسيره بهامش تفسير الخازن قولين، الأوّل منهما أنّ الآية نزلت في المشركين والثاني قيل في أبي طالب عليه السلام، ثمّ قال: والأوّل أشبه.[2]

وذكر الشوكاني في تفسيره عدّة أقوال، منها:القول الأوّل.[3]

وفي أسباب النزول للواحدي ذكر أنّ الآية نزلت في كفّار مكة، ينهون عن إتّباع محمّد صلى الله عليه وآله ويتباعدون بأنفسهم عنه.[4]

وذكر الألوسي في روح المعاني القول الأوّل وفصّل فيه، وأمّا القول الثاني فقال: وردّه الإمام، يبدو من قوله: أي الإمام الرازي.

وفي تفسير إبن كثير ـ وغيره ـ قال: إنّ الآية نازلة في عمومة النبيّ وكانوا عشرةً، فكانوا أشدّ الناس معه في العلانية وأشدّ الناس عليه في السرّ.[5]

أقول: وهل خفي على الراوي أنّ من بين أعمام النبيّ صلى الله عليه وآله حمزة، والعباس، فهذا

---

(١) تفسير المنار، محمّد عبده: جـ ٧ / ٣٤٩، ط ٢، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٣م.

(٢) أنظر: تفسير الخازن هامش تفسير الآية المتقدّمة: ج ٢ / ١٠ و١١، دار الكتب العربية، بمصر.

(٣) تفسير الشوكاني (الفتح القدير): ٢ / ١١٠، دار المعرفة، بيروت.

(٤) أسباب النزول: ص ١٤٤، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٥م.

(٥) أخرجه إبن كثير عن إبن أبي حاتم عن سعيد بن أبي هلال، وتفسير إبن كثير: ٢ / ١٣٢.

حمزة سيّد الشهداء عليه السلام الذي فدى الرسول صلى الله عليه وآله بنفسه، فهل من المنطق أن تقول هذه الآية ـ المتقدّمة ـ نزلت في أعمام النبيّ صلى الله عليه وآله ؟! يا ليت الراوي خصّها بأبي لهب حتّى يخرج النصّ من العموم بقيدٍ، فيسلم من لعنة التاريخ والاجيال.

إلىٰ هنا عرفت سند رواية سفيان الثوري، وهكذا عرفت ما فيها من تدليس، ومن ضعف السند، بسفيان، وحبيب بن أبي ثابت، كما اتّضح لك الوهن الذي نسجته أقلام المغرضين من حيث غفلتهم في موضع الضمير في (ينهون، وينأون عنه)؛ أنّه جاء الخطاب لصيغة الجمع لا المفرد، مما يتأكّد أنّ الخطاب للمشركين، أي جماعة المشركين من قريش ـ ومن غيرهم ـ وليس الخطاب فرداً معيّناً، كما قاله الخصم أنّه أبو طالب عليه السلام ...، ثمّ عرفت بعد كلّ هذا أنّ طائفة كبيرة من المفسرين ذهبت إلىٰ أنّ الخطاب للمشركين. وهذا ما يكشفه سياق الآيات في السورة؛ ماقبل آية ٢٦ وما بعدها.

لقد أشرنا في صدر الكلام إلى الطبري ولم نذكر كلامه، فيجدر بنا أن نختم القول هنا بما أورده في تفسيره جامع البيان، قال: المراد المشركون المكذّبون بآيات الله، ينهون الناس عن إتباع محمّد صلى الله عليه وآله ، والقبول منه، وينأون عنه و يتباعدون عنه. ذكر في ذلك أربعة عشر رواية بألفاظ متقاربة.

ثمّ ذكر قولاً آخر بأنّ المراد ينهون عن القرآن أن يسمع له ويعمل بما فيه، وعدّ ممّن قال به: قتادة ومجاهد وإبن زيد، ومرجع هذا هو القول الأوّل، ثمّ ذكر قول المخالف في أنّها نزلت في أبي طالب عليه السلام لكن عقّب علىٰ ذلك، فقال:

وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: تأويل ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾؛ عن إتباع محمّد صلى الله عليه وآله من سواهم من الناس، وينأون عن إتباعه، وذلك أنّ الآيات قبلها جرت بذكر جماعة المشركين العادين به، والخبر عن تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، والإعراض عمّا جاءهم به من تنزيل الله ووحيه، فالواجب أن يكون قوله ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ خبراً عنهم، إذ لم يأتنا ما يدلّ علىٰ إنصراف الخبر عنهم إلى غيرهم،

بل ما قبل هذه الآية وما بعدها يدلّ على صحة ما قلنا من أنّ ذلك خبر عن جماعة مشركي قوم رسول الله صلى الله عليه وآله دون أن يكون خبراً عن خاصٍّ منهم، إذ كـان ذلك كذلك فتأويل الآية: وإن ير هؤلاء المشركون يا محمّد كلّ آية لا يؤمنوا بها حتّى إذا جاؤوك يجادلونك يقولون إنّ هذا الذي جئتنا به إلّا أحاديث الأوّلين وأخبارهم وهم ينهون عن إستماع التنزيل وينأون عنك، فيبعدون منك، ومن إتباعك، وإن يهلكون إلّا أنفسهم.(١)

ما يتعلّق في المتن

قال القرطبي: معنى الآية عام في جميع الكفّار. أي ينهون عن إتباع محمّد وينأون عنه. رواه عن إبن عباس والحسن(٢) و عن الطبري وإبن المنذر، وإبن أبي حاتم، وإبن مردويه، من طريق علي بن أبي طلحة، والعوفي: إنّ الثابت عن إبن عباس ـ بطرق كثيرة ـ أنّها نزلت في المشركين، الذين كانوا ينهون الناس عن محمّد صلى الله عليه وآله، أن يؤمنوا به وينأون عنه.(٣)

ثمّ هناك طرق عديدة ذكرها المفسّرون ـ قد مرّ ذكر بعضها ـ في تفسير الآية: ينهون أي عن القرآن وعن النبيّ صلى الله عليه وآله، وينأون عنه: أي يتباعدون عنه.

وبعض هذه الطرق عن إبن عباس. فكيف يروي إبن عباس ما يخالف رأيه في عمّه أبي طالب عليه السلام؟ وقد ذكرنا ما رواه من مدح وثناء في عمّه في الفصول المتقدّمة من هذا الكتاب فراجع.

أمّا الذي أخرجه السيوطي عن إبن عباس فهو منحول عليه، وهي من الروايات المجعولة، أراد بها جاعلها الإنتقاص من أبي طالب عليه السلام على لسان

---

(١) جامع البيان: م ٥ ج ٧ / ١٧١، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) مجمع البيان: ٤ / ٣١، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٩٥م.

(٣) مجمع البيان: ٤ / ٣١.

أهل البيت عليهم السلام، وهذا إنّما حدث في دولة بني أميّة إذ روّج لهامعاوية بن أبي سفيان والمروانيّون من بعده.

وممّا يلاحظ في تفسير الآية أنّها في معرض بيان شأن الكافرين والمشركين فإنّ سياق الآيات ٢٤ و٢٥ و٢٦ من سورة الأنعام هي نازلة في حال المشركين الذين خاطبوا الرسول صلى الله عليه وآله (إن هذا ـ القرآن ـ إلّا أساطير الأوّلين) فهم في الواقع مصرّين على كفرهم، وما قولهم ذاك إلّا الطعن بالقرآن، لذا هم ينهون عن إستماعه، سواء كان الإستماع في قراءة القرآن أو الإستماع للنبيّ صلى الله عليه وآله، حيث النتيجة مشتركة أنّهم أرادوا بذلك النهي أن لا يستمع أحد إلىٰ بلاغة القرآن ومفاهيمه الساطعة وبراهينه اللامعة، فهم بعملهم هذا يكونون سدّاً مانعاً أمام هداية الناس، وهذا كلّه من شدّة عنادهم وسفالة أخلاقهم. من هنا وصفهم القرآن الكريم بقوله: ﴿عَلىٰ قُلُوبِهِمْ أكِنَّةً أنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذانِهِمْ وَقْراً﴾.

وممّا يلاحظ في تفسير الخصم للآية كما هو عن سفيان الثوري، حيث فسّر الآية أنّها نزلت في أبي طالب عليه السلام ثمّ قال: فهو ينهى قريش عن أذىٰ الرسول وهو يتباعد عن الإيمان به، بينما الضمير الوارد في الآية ضمير الجمع (ينهون وينأون) ولو كان الخطاب مختصّاً بأبي طالب عليه السلام، لزم أن يكون الخطاب في الآية، خطاب المفرد، لا الجمع.

وقد فهم بعضهم ـ لسذاجته وحماقته ـ أنّ ضمير الجمع يفيد التعظيم.

قلنا له: إذا أدعيتم أنّ أبا طالب عليه السلام كان مشركاً فأي تعظيم للشرك، حتّى يخاطب القرآن الكريم الفرد المشرك بضمير التضخيم والتعظيم؟! إنّما هذا لون من إلتهافت، وسذاجة في الفهم.

ثمّ قال بعضهم في تفسير قوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾: أي عن أذى الرسول صلى الله عليه وآله وينأون أي يتبعدون عنه، فمن أين حصل لهذا النابغة المبجّل هذا المعنىٰ؟! أمِنْ هذه الآية، فما هو الدليل، وما هي القرينة؟

وإذا قال من إمارات خارجية، فهذه سيرة أبي طالب عليه السلام ـ وإيمانه ـ ناصعة لا غبار عليها، وتلك سيرة المشركين كأبي سفيان، وأبي جهل، والعاص بن وائـل، والحكم، واضرابهم الذين تمادوا في غيّهم وتفنّنوا في أذآهم للرسول حتى قال صلى الله عليه وآله: ما أُذي نبيّ بمثل ما أُذيت.

ثمّ متى ابتعد أبو طالب صلى الله عليه وآله عن النبيّ صلى الله عليه وآله ؟!

ألم يكن كافله في صغره، ومأوى له طيلة شبابه، وحامياً له طيلة وجوده حتّى وافاه الأجل؟!

فمتى كان هذا النأي، أفي كفالته له وهو صغير، أم في نصرته والدعاية له ولدينه، أم في الدفاع عنه، وعن إتباع دينه...؟ فكيف تجتمع هذه المواقف المشرّفة مع نأيه عنه؟

هذا جانب من أقوال بعض المفسّرين في معنىٰ الآية.

علينا أن نقف على أسانيد تلك الأقوال كي ينبلج ضوء الحقيقة، ويكشف الصبح زيف المحرّفين ومن في قلبه مرض.

أخرج الطبري مِن طريق سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عمّن سمع إبن عباس أنّه قال: أنّ الآية ٢٦ من سورة الأنعام نزلت في أبي طالب عليه السلام، ينهى عن أذى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يؤذى وينأىٰ أن يدخل في الإسلام.

وفي مثله أخرجه إبن كثير[١] والسيوطي وآخرون.

في سند الرواية: سفيان الثوري.

وحبيب بن أبي ثابت.

وعمّن سمع إبن عباس (رجل مجهول).

---

(١) تفسير إبن كثير: ٢ / ١٣٢، ط ٢، دار المعرفة، بيروت.

نظرة في رواة الخبر المتقدّم:

-١-

سفيان الثوري

لقد تناولنا سفيان الثوري في بحوثنا السابقة فراجع.[١]

ونضيف فنقول: ذكره أصحاب الجرح: أنّه كان يدلّس عن الضعفاء[٢] ويكتب عن الكذّابين، ويروي عن الضعفاء.[٣]

قال إبن مبارك: حدّث سفيانٌ بحديث فجئته وهو يدلّسه، فلمّا رآني استحيى، وقال: نرويه عَنك.[٤]

وقال إبن معين: مرسلات سفيان شبه الريح.[٥]

ونقل عن الذهبي في تذكرة الحفاظ: أنّ الفرياني قال: سمعت سفيان يقول: لو أردنا أن نحدّثكم بالحديث، كما سمعناه ما حدّثناكم بحديث واحد.[٦]

وممّا وقفنا عليه أنّ سفيان كان يحدّث عن الصلت بن دينار الأزدي، والصلت أمْرُه غير خفي على أدنى باحث أنّه ممّن ينال عليّاً عليه السلام ويتنقّصه، وكان شديد العداوة للإمام عليه السلام.

وممّا ورد في سفيان الثوري أنّ رجالاً من الزيدية كانوا يختلفون إليه فلا يتّقي منهم ولا يتّقون منه، ويظهر من ذلك أنّ سفيان كان أيضاً من الزيدية، قاله محسن

---

(١) حقيقة الزهد: ص١١٨، ط ١، دار الولاء، بيروت ٢٠٠٧م.

(٢) ميزان الإعتدال: ٢/ ١٦٩، رقم ٣٣٢٢، طبعة دار المعرفة.

(٣) دلائل الصدق: ١/ ١٣٢، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ١٤٢٢هـ، وإسعاف المبطأ برجال الموطّأ للسيوطي: ص٣، ملحق بتنوير الحوالك، ط دار الفكر.

(٤) دلائل الصدق: ١/ ١٣٢، طبعة مؤسسة آل البيت عليهم السلام، وأعيان الشيعة: ٧/ ٢٦٤ـ٢٦٦، ط دار التعارف، بيروت ١٩٨٣م.

(٥) دلائل الصدق: ١/ ١٣٢.

(٦) المصدر السابق: ١/ ١٣٢، وتذكرة الحفاظ للذهبي: ١/ ٢٠٥.

الأمين.[١]

من الملاحظات الأخرى على حديث (الثوري) هـو الإرسـال الذي يـتّضح للباحث بما بين حبيب وإبن عباس.

كذلك أنّ الحديث انفرد به حبيب.

فمن هو حبيب بن أبي ثابت؟

قال عنه إبن حبّان وإبن خزيمة: إنّه كان مدلّساً[٢]، وقد انفرد به ولم يروه أحد غيره، ولا يمكن المتابعة على ما يرويه.

وقال العقيلي: غمزه إبن عون، وله عن عطاء أحاديث لا يُتابع عليها.[٣]

وقال القطان: له غير حديث عن عطاء، لا يُتابع عليه، وليست بمحفوظة.

وقال الآجري، عن أبي داؤود: ليس عن عاصم بن ضمرة شيء يصحّ. وقول إبن خزيمة: كان مدلّساً.[٤]

وقال إبن جعفر النحّاس: كما يقول: إذا حدّثني رجلٌ عنك بحديث ثمّ حدّثت به عنك، كنت صادقاً.[٥]

إنّه إقرار على نفسه أنّه كان غير صادق فيما يرويه عن غير النحاس.

وفي التقريب: كثير الإرسال والتدليس.[٦]

---

(١) أعيان الشيعة: ٧/ ٢٦٤، طبعة دار التعارف، بيروت ١٩٨٣م.

(٢) الثقات: ٤/ ١٣٧.

(٣) الضعفاء الكبير: ١/ ٢٦٣، رقم ٣٢٢.

(٤) الغدير: ٨/ ٢٣، وتهذيب التهذيب: ٢/ ١٧٩، ط ١، دار صادر، بيروت ١٣٢٥هـ.

(٥) دلائل الصدق: ١/ ٩٧، ط ١، مؤسسة آل البيت ﷺ، ١٤٢٢/ ١٣٨٠هـش.

(٦) تقريب التهذيب: ١/ ١٤٨، ط ٢، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٥م.

خاتمة المطاف في تأويل الآية

يمكن تلخيص البحث فيما ورد عن المفسّرين في الآية المذكورة بما يلي:

١ ـ ينهون عنه /هم المشركون المكذّبون بآيات الله، فينهون الناس عن إتباع محمّد صلى الله عليه وآله.

٢ ـ ينهون عنه /عن القرآن أن يسمع له ويعمل بما فيه، وعن النبيّ صلى الله عليه وآله. قاله قتادة.

٣ ـ ينهون عنه /هم قريش ينهون عن الذكر. قاله مجاهد.

٤ ـ ينهون عنه وينأون عنه (بمعنىً واحد) /أي يباعدونه. قاله إبن زيد.

٥ ـ ينهون عنه /عن أذىً محمّد صلى الله عليه وآله وينأون عن دينه، وإتّباعه.

هذه خمسة أقوال ذكرها الطبري.[1]

امّا سبب نزولها فقال الطبري وآخرون:

آ ـ عمّن سمع إبن عباس يقول: إنّها نزلت في أبي طالب عليه السلام، كان ينهى عن محمّد صلى الله عليه وآله أن يؤذى، وينأى عمّا جاء به أن يؤمن به.

وفي مثله قال: كان ينهى المشركين أن يؤذوا محمّداً صلى الله عليه وآله، وينأى عمّا جاء به، وفي عبارة ثالثة: ينهى عن النبيّ ولا يصدّقه.

ب ـ عن القاسم بن مخيمرة عن إبن وكيع عن إبن بشر كما تقدّم.

ج ـ قال أبو جعفر ـ الطبري ـ وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال: تأويله ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ عن إتباع محمّد صلى الله عليه وآله من سواهم من الناس وينأون عن إتباعه، و ذلك أنّ الآيات قبلها جرت بذكر جماعة المشركين العادلين به، والخبر عن تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وآله والإعراض عمّا جاءهم به... بل ما قبل هذه الآية وما بعدها يدلّ على صحّة ما قلنا، من أنّ ذلك خبر عن جماعة مشركي قوم

---

(١) جامع البيان: م ٥ ج ٧/ ١٧٢، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٩م.

رسول الله صلى الله عليه وآله دون أن يكون خبراً عن خاصّ منهم.(١)

قال الغفاري: وهذا التفصيل تجده في تفاسير علماء الجمهور، ثمّ لا يخفى عليك أنّ الذي أورده المخالف من الروايات والأخبار هي حجّة قاطعة عليهم، لا لهم. وتقريب الكلام كاللآتي: أكّدت رواياتهم أنّ أبا طالب عليه السلام كان ينهى المشركين من أنّ يؤذوا النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله ... أليس كذلك؟ وقد تقدّم ذكرها.

فهل هذا قدح في أبي طالب عليه السلام أم مدح؟

وهل تجد كافراً يتّبع عشيرته في الكفر ثمّ في نفس الوقت يُدافع عن النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وما جاء به؟! ألم يكن سنداً لدعوة السماء؟!

إنّ الدفاع عن النبيّ صلى الله عليه وآله يعني الدفاع عن الإسلام؛ أي الدفاع عن التوحيد.

وهذا لا يقوم به إلّا مَن محّض للإيمان، واطمأنّ قلبه لهذا التوحيد، وصدّقت جوارحه به.

ثمّ إنّ الكفر وهذا الدفاع أمران متناقظان، والنقيظان لا يجتمعان.

وقد أراد المخالف زيادة في التوضيح، فوقع في محذور آخر وكذبة لا تُستر، فهي مفضوحة، لا يقبلها حتّى الصبيان.... حيث أضاف المخالف عبارته فقال: «وينأى عمّا جاء به...».

وقد أشرنا إلى هذه السفسطة، فقلنا متىٰ نأى أبو طالب عليه السلام عن إبن أخيه محمّد صلى الله عليه وآله ؟!

فهل غابت عنهم الأخبار التي تناقلوها في كتبهم، حيث كان أبو طالب الشخص الوحيد من أعمام النبيّ صلى الله عليه وآله، بل من قريش جمعاء، الذي كفل النبيّ صلى الله عليه وآله صغيراً وكبيراً قبل الدعوة وبعدها، قبل زواجه من خديجة وبعد زواجه، حتّى امتد به العمر، فكان المحامي والناصر له بلا منازع، وهذه كتب الجمهور ماثلة لدى الجميع بكلّ صنوفها وأقسامها؛ منها كتب التفسير، والتاريخ والحديث، والأدب،و ...؟!

---

(١) جامع البيان للطبري: م ٥ ج ٧/ ١٧٣، بيروت ١٩٩٩م.

فهل تلكّأ أبو طالب عليه السلام يوماً ما في نصرة محمّد صلى الله عليه وآله؟

ليرشدنا إليه أرباب التحقيق وعلماء التاريخ والسيرة...، وإذا عجزوا ـ وهو كذلك ـ فنقل لهم هبّوا إلى رشدكم، واتركوا ذلك التعصب الأعمى، وانصفوا أنفسكم قبل أن تصطليكم لظىٰ جهنم ويوم يعضّ الظالم على يديه ولات ساعة مندم.

واعجب من ذلك أنّهم يروون لأبي طالب عليه السلام مواقف وأشعاراً كثيرة تؤكّد على إيمانه، منها قوله:

والله لَـن يـصلوا إليك بـجمعهم	حـتّى اوسّـد فـي التـراب دفـينا
فاصدع بأمرك ما عليك غـضاضة	وابشـر وقـرّ بـذاك مـنك عـيونا
وعـرضت ديـناً لا مـحالة أنّـه	مـن خـير أديـان البـرية ديـناً

هل يوجد أكثر صراحة من هذا؟ فلوكانت هذه الأبيات قالها أبـو جـهل أو أبو لهب أو أبو سفيان لكانت وسائل الأعلام، وصفحات الكتب، وما للقوم من وسائل وقوّة، لكانت تصرخ بهذه الأبيات في كلّ يوم وساعة، بل لا صبحت تلك الأشعار تراتيلهم، ومناجاتهم في كلّ صلاة وعبادة، وفـي كـلّ فـريضة ونـافلة، ولوجدتها تحفظ في أمهات مصادرهم، ولرأيت الشروح والتعليق عليها ما وسع مئات بل ألوف المصادر والكتب، ولرأيت تسابق الشعراء في تخميسها وتضمينها في قصائدهم، ولرأيت... ولرأيت... .

ومع ذاك فقد نسج بعضهم بيتاً مهلهلاً، كذباً فألحقه بـالأبيات الثـلاث، فـقال الواضع الكذّاب هذا البيت:

لولا المـلامة أو حـذاري سـبّة	لوجـدتني سـمحاً بـذاك مـبيناً

لو أردنا بيان سخف هذا المفتعل لدفن وجهه بالتراب.

ويمكن أن نسجّل بعض الملاحظات علىٰ هذا البيت:

١ ـ كلمة لولا إمتناع لإمتناع، فمن أين كان يخشى أبو طالب عليه السلام الملامة وهو زعيم قريش بلا منازع؟

٢ ـ من أين يحذر أبو طالب عليه السلام السبّ وهو سيّد قومه، وقد مرّت عليك حادثة السلى، عندما شكاه النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله فقام وأخذ ذلك الفرث والسلى وألقاه على وجوه القوم وهم يوم ذاك زعماء البلد ورؤساء المشركين...؟

٣ ـ قول القائل ـ الواضع ـ لوجدتني سمحاً ....

ماذا نفهم من كلمة (سمح)؟

أنّها تعني الجود و الكرم في العطاء (إنّه العطاء المادي) رجل سمح، وسمح سماحةً بكذا جاد، وسمح له بالشيء أعطاه إيّاه.

وسمح العود: لان، وسمح الرجل: سهل ولان.[١]

إذاً السماحة في الأمور الماديّة، أو في الصفات الخارجية، كالأخلاق ولا تستعمل الكلمة في العقيدة والمبدأ، لأنّ العقيدة أمر قراره ومستقرّه القلب، أمّا اللسان فلا عبرة به، لأنّ الظرف الذي كان يعيشه أبو طالب عليه السلام كان يستوجب التقيّة، وهذا ماذكرناه في صدر هذا الكتاب فراجع.

ثمّ رووا لأبي طالب عليه السلام قوله:

يا شاهد الله عليّ فأشهد ... أنّي على دين النبيّ أحمد

قال الغفاري: نترك الأمر للقاريء الكريم، فهو الحكم ولا تعليق بعده....

---

(١) أنظر: مادّة (س.م.ح) المنجد وغيره من كتب اللغة.

الآية الثاني

وقد تمسّك القوم بالآية: ﴿ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ لَوْ كانُوا أُولِي قُرْبىٰ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحابُ الْجَحِيمِ﴾.(١)

ـ وجه إستدلالهم روايات ثلاث منها:

* الرواية التي ذكرها البخاري: عن إسحاق بن إبراهيم، حدّثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمّر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيّب، عن أبيه، قال: لمّا حضرت أبا طالب عليه السلام الوفاة، دخل عليه النبيّ صلى الله عليه وآله، وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أميّة، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أي عمّ! قل: لا إله إلّا الله، أحاج لك بها عند الله! فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أميّة: يا أبا طالب أترغب عن ملّة عبد المطلب؟

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، قالوا فنزلت: ﴿ما كانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الآية.(٢)

* ـ وقريب من هذا رواية ثانية عن البخاري عن أبي اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني سعيد بن المسيب، عن أبيه(٣) كما تقدّم في الرواية السابقة.

* ـ ومثل ذلك رواية ثالثة: في صحيح مسلم عن حرملة بن يحيى التجيبي، أخبرنا عبد الله بن وهب، قال: أخبرنا يونس، عن إبن شهاب قال: أخبرني سعيد ابن المسيّب، عن أبيه(٤) كما تقدّم في الرواية السابقة.

---

(١) سورة التوبة: ١١٣.

(٢) صحيح البخاري: ٢/ ٢٣١ و٣/ ٨٧، المطبعة الخيرية، مصر ١٣٠٤هـ.

(٣) البخاري: ٣/ ١٠٧.

(٤) صحيح مسلم: ١/ ٥٤، حديث ٣٩، ط ٢، دار الفكر، بيروت ١٩٧٨م.

نظرة في أسانيد الروايات الثلاثة المتقدّمة

الرواية الأولى وفيها:

-٣-

إسحاق بن إبراهيم

إسم مشترك لخمسة عشر من الرواة، لذا فالإسم مبتور ومبهم، لا ندري هل هو الضعيف الذي ذكره الدارقطني؟

أو مَن كذّبه إبن عديّ والأزدي لوضعه الحديث، أو مَن قال عنه الحاكم: ليس بالقوي؟ أو مَن قال عنه النسائي: ليس بثقة أو مَن قال عنه أبو دؤاد: ليس بشيء؟ أو مَن روىٰ الأحاديث المنكرة؟

من بين هؤلاء يحتمل أن يكون إسحاق بن إبراهيم بن راهوية[١] قد ذكره الذهبي فقال عنه: وقال أبو عبيد الآجري: سمعت أبا داوود يقول إسحاق بن راهوية تغيّر قبل أن يموت بخمسة أشهر، وسمعت منه في تلك الأيام، فرميتُ به... إلى أن يقول: وذكر لشيخنا أبي الحجاج حديثٌ، فقال: قيل: إسحاق اختلط في آخر عمره ثمّ أورد عنه، ما رآه مِن مناكير حديثه.[٢]

وفي كثرة أحاديثه قال الذهبي: قال أبو داوود الخفّاف: سمعت إسحاق بن راهوية يقول: كأنّي أنظر إلى مائة ألف حديث في كتبي، وثلاثين ألف أسردها. قال: وأملى علينا إسحاق من حفظِهِ أحد عشر ألف حديث، ثمّ قرأها علينا فما زاد حرفاً ولا نقص حرفاً.

قال الغفاري: مرحباً بهذا العبقري، نابغة دهره وفريد عصره على هذا النبع الذي لا ينضب في سرده لمئة ألف وثلاثين ألف حديث، ولو بقي أكثر من ذلك العمر

---

(١) ينظر: شيخ الأبطح (أبو طالب) لمحمّد علي آل شرف الدين: ص ٨٤، ط ١، دار الأرقم، بغداد ١٩٨٧م.

(٢) الميزان للذهبي: ١ / ١٨٣، طبعة دار المعرفة.

الذي ناهز على السبع والسبعين لربّما أملىٰ على صحبه ملايين الأحاديث... مرحباً بأهل الكذب يوم يصلون نار جهنم وبئس المصير.

ويبدو الرجل ـإبن راهوية ـ صاحب الأحاديث المنكرة في الصفات، ولهذا أنكر عليه إبن أبي صالح، قال الذهبي: قال أحمد بن سلمة: سمعت إسحاق بن راهوية يقول: جمعني وهذا المبتدع إبن أبي صالح مجلس الأمير عبد الله بن طاهر فسألني الأمير عن أخبار النزول فسردتها، فقال إبن أبي صالح، كفرت بربّ ينزل من سماء إلى سماء.

فقلت: آمنت بربّ يفعل ما يشاء.

قال الذهبي: هذه حكاية صحيحة رواها البيهقي في الأسماء والصفات.(١)

قال الغفاري: ويحتمل أن يكون إسحاق بن إبراهيم الدبري، صاحب عبد الرزاق وهو الأقرب إلى الصواب لأنّ الحديث أسنده هذا إلى عبد الرزاق كما تقدّم.

فمن هو عبد الرزاق؟

-٤-

عبد الرزاق

يحتمل هو عبد الرزاق بن عمر الثقفي، الذي قيل عنه: ضعيف ليس بثقة، منكر الحديث.

قال عنه الدارقطني: هو ضعيف مِن قبل أن كتابه ضاع، وقال أبو مسهر: ضاع كتابه عن الزهري، فكان يتبعه بعد أن ذهب، فيأخذ عنه ما سواه.(٢)

وهو الراوي عشرة آلاف حديث عن معمر بن راشد.(٣)

وفي معمر بن راشد يقول الغلابي عن يحيى بن معين، قال: معمر، عن ثابت:

---

(١) تذكرة الحفاظ: ج ٢ / ٤٣٥، ط دار الفكر العربي.

(٢) ميزان الإعتدال: ٢ / ٦٠٨.

(٣) المصدر السابق: ٤ / ١٥٤.

ضعيف.[١]

إذن ثبت عندك أنّ عبد الرزاق ضعيف، يروي عن الضعفاء.

-٥-

معمر، من هو؟

يبدو هو معمر بن راشد[٢] قال عنه الذهبي: وله أوهام معروفة، احتملت له.

وقال أبو حاتم: وما حدّث به ـ بالبصرة ـ ففيه أغاليط[٣] وقال عبد الرزاق عنه: وهو أحد حلقات السند، الذي روى عنه إسحاق، منكر الحديث؛ الذي تقدّم ذكره في مقدّمة أهل الكذب، والذي حفظ مئة ألف وثلاثين ألف حديث، أنّه كتب عن معمر عشرة آلاف حديث.[٤]

وضعّفه إبن معين[٥] وهو الذي روى عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: كنت عند رسول الله إذ أقبل العباس وعليّ فقال: يا عائشة إن هذين يموتان علىٰ غير ملّتي أو قال (ديني).[٦]

قال الغفاري: والحديث إنّما هو في معاوية بن أبي سفيان، غير أن المدرسة الأموية جعلته في عليّ عليه السلام والعباس.

-٦-

الزهريّ

هو الذي حدّث عن عروة بن الزبير فقال: حدّثتني عائشة قالت: كنت عند رسول الله، إذ أقبل العباس وعلي فقال: يا عائشة إنّ هذين يموتان على غير ملّتي أو

---

(١) المصدر السابق: ٤ / ١٥٤.

(٢) شيخ الأبطح أبو طالب لمحمّد علي شرف الدين: ص ٨٤، وميزان الإعتدال: ٤ / ١٥٤.

(٣) ميزان الإعتدال: ٤ / ١٥٤.

(٤) المصدر السابق: ٤ / ١٥٤.

(٥) المصدر السابق: ٤ / ١٥٤.

(٦) شرح نهج البلاغة، إبن أبي الحديد: ١ / ٣٥٨، طبعة دار إحياء التراث العربي (رحلي)، بيروت.

قال: غير ديني.[١]

والزهري هذا جمعه مجلس مع عروة بن الزبير في المسجد النبوي فأخذا ينالان من علي، فبلغ ذلك الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام فجاء حتّى وقف عليهما فقال:

«أمّا أنت يا عروة فإنّ أبي حاكم أباك، فحُكم لأبي على أبيك. وأمّا أنت يا زهريُّ فلو كنت بمكة لأريتك بيت أبيك».[٢]

والزهري هو الذي روى عن عروة عن عائشة ـ أيضاً ـ أنّها قالت: كنت عند النبيّ صلى الله عليه وآله إذ أقبل العباس وعليّ فقال: يا عائشة إنْ سرّك أن تنظري إلىٰ رجلين من أهل النار فأنظري إلىٰ هذين قد طلعا فنظرت فإذا العباس وعلي بن أبي طالب عليه السلام ....[٣]

قال الغفاري: لا ندري من كذب على الله وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله ... عائشة أو عروة بن الزبير، أو معمر بن راشد، أو الزهري... الحكم لك أيّها القاريء.

-٧-

سعيد بن المسيّب

كان ممّن ينصب العداء لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال إبن أبي الحديد: وكان سعيد بن المسيّب منحرفاً عنه عليه السلام وجبّهه عمر بن عليّ ـ الأطرف ـ في وجهه بكلام شديد[٤]، وقد ذكرنا قصّته فيما تقدّم.

وأخرج الواقدي من أنّ سعيد بن المسيّب مرّ بجنازة السجّاد عليه السلام ولم يصلّ عليها، فقيل له: ألا تصلّي على هذا الرجل الصالح من أهل البيت الصالحين؟ فقال:

---

(١) شرح النهج: ١/ ٣٥٨، طبعة دار إحياء التراث العربي (رحلي) بيروت.

(٢) المصدر السابق: ١/ ٣٧١.

(٣) المصدر السابق: ١/ ٣٥٨.

(٤) شرح نهج البلاغة: ٤/ ١٠١، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، تحقيق محمّد أبوالفضل، بيروت ١٩٦٥م.

صلاة ركعتين أحبّ إليّ من الصلاة على الرجل الصالح.

وقال إبن حزم بسنده عن قتادة قال: قلت لسعيد: أتصلّي خلف الحجّاج؟ قال: إنّا لنصلّي خلف من هو شرّ منه.[١]

ذكره إبن أبي الحديد في عداد المنحرفين عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأنّه من القالين له، المبغضين إيّاه، وصحّ ما نقل عن النبيّ صلى الله عليه وآله لا يحبّك ـ يا عليّ ـ إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق....

ومن موالاته لبني أميّة تعرف بغضه لأهل البيت عليهم السلام، فهو القائل: «من مات محبّاً لأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، وشهد للعشرة بالجنّة، وترحّم على معاوية كان حقّاً على الله أن لا يناقشه الحساب».[٢]

وهو القائل في معاوية بن أبي سفيان بعد موته: لقد رغب إلى مَن لا مرغوب إلّا إليه، وإنّي لأرجو أن لا يعذّبه الله.[٣]

وقد قال فيه الشيخ المفيد: ممّن لا يُدفع نُصبُه.

وعدّه مالك: من الخوارج الأباضية.[٤]

-٨-

المسيّب بن حَزن

هو والد سعيد بن المسيب. كان ممّن أسلم عام الفتح كما هو في الاصابة[٥] وكان

---

(١) المحلّى، إبن حزم الأندلسي ت(٤٥٦هـ): ٤ / ٢١٤، طبعة دار الإفاق الجديدة، بيروت.

(٢) تاريخ إبن كثير: ٨ / ١٤٨، دار إحياء التراث العربي، تحقيق علي شري، ط ١، بيروت ١٩٨٨م. والغدير: ١٠ / ١٩٨، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٩٩٥م.

(٣) أعيان الشيعة: ٧ / ٢٥٢.

(٤) أعيان الشيعة: ٧ / ٢٥٢.

(٥) الاصابة: ٣ / ٤٢٠، عن مصعب الزبيري، ط ١، مطبعة السعادة، مصر ١٣٢٨هـ (رحلي) بهامشه كتاب الإستيعاب.

سيّء الخُلُق.[١]

وعام الفتح هو سنة ٧هـ أي بعد وفاة أبي طالب ﷺ بعشر سنوات، فمن أين شهد إحتضار أبي طالب ﷺ؟ وإنّ وفاته ﷺ كانت قبل الهجرة بثلاث سنين.

الرواية الثانية، وفي سندها:

-٩-

أبو اليمان... مَن هو؟

هو عامر بن عبد الله، الهَوزني.

ذكره الذهبي في ميزان الإعتدال ولا يوجد سواه، قال عنه أرسل حديثاً.[٢]

وليّنه إبن القطان.[٣]

-١٠-

شعيب...؟

إسم مشترك وليس فيهم إلّا الضعيف، المجهول، لا يعوّل عليه، الراوي للمناكير، الكذوب، الوضّاع، لا يصحّ حديثه، قول أبي داوود: إنّي لأخاف الله تعالىٰ في الرواية عنه... وربّما هو شعيب بن عمرو الطحّان قال عنه الأزدي كذّاب.[٤]

عن الزهري، وقد تقدّم.

عن سعيد بن المسيب، وقد تقدّم.

عن المسيّب، وقد تقدّم.

---

(١) نسب قريش: ٣٤٥.

(٢) ميزان الإعتدال: ٤/ ٥٨٩، ط دار المعرفة، بيروت.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الغدير: ٥/ ٣٥٦، ط مركز الغدير، قم ١٩٩٥م. وميزان الإعتدال: ٢/ ٢٧٧.

الرواية الثالثة، وفي سندها:

-١١-

حرملة بن يحيى التجيبي

له روايات غريبة، وقد طعن فيه.

قال أبو حاتم: لا يحتجّ به. وضعّفه عبد الله بن محمّد الفرهاذان في ما نقل عنه إبن عدي، واشتهر عن حرملة أنّ لديه ألف حديثٍ كلّها عن إبن وهب، والحديث الذي نحن فيه رواه حرملة عن عبد الله بن وهب.[١]

-١٢-

عبد الله بن وهب

يطالعنا إبن وهب في سلسلة الكذّابين والوضّاعين، هذا الرجل الذي عرفته كتب الحديث والرجال بالوضع، قيل عنه إنّه صنّف مئة ألف وعشرين ألف حديث وهذه الكميّة من مرويّاته تبنّاها حرملة ـ الذي مرّ ذكره ـ فرواها عنه.

وسئل أحمد بن حنبل عن عبد الله بن وهب: أليس يُسي الأخذ؟

قال: بلىٰ.[٢]

-١٣-

يونس...؟

إسم مشترك بين من هو كذّاب، ومجهول، وسيّء الحفظ، ومنكر الحديث، ومنهم الكذوب، وليس بحجّة، متساهل في روايته، لا يجوز أن يحتجّ به لغلبة المناكير، ومنهم من ضعّفه أحمد بن حنبل ويحيى القطان، ليس بالقوي، لا يعرف.

إشترك فيه من الرجال أكثر من ثلاثين راوياً.[٣]

---

(١) ميزان الإعتدال: ١ / ٤٧٢ـ٤٧٣.

(٢) ميزان الإعتدال: ٢ / ٥٢٢.

(٣) ميزان الإعتدال: ٤ / ٤٧٧ـ٤٨٥.

-١٤-

إبن شهاب؟

كسابقيه في الغموض والخفاء، فهو مجهول الحال عند أرباب الرجال وعلماء الأمصار.

عن سعيد بن المسيّب، تقدّم ذكره.

عن المسيّب، تقدّم ذكره.

الآية الثالثة

وقد تمسّك القوم بالآية: **﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾**.(١)

لقد أوردوا فيها ثلاث روايات هي أساس لغيرها.

ـ الرواية الأولى نقلها مسلم، عن محمّد بن عبّاد، وإبن أبي عمير، قالا: حدّثنا مروان عن يزيد ـ وهو إبن كيسان ـ عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمّه عند الموت: قل: لا إله إلّا الله أشهد لك بها يوم القيامة، فأبىٰ. فأنزل الله: **﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾**.(٢)

ـ واستدلّوا برواية ثانية رواها مسلم، عن محمّد بن حاتم بن ميمون، حدّثنا يحيى بن سعيد، حدّثنا يزيد بن كيسان، عن أبي حازم الأشجعي، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمّه قل: لا إله إلّا الله أشهد لك بها يوم القيامة، قال: لولا أن تعيّرني قريش، يقولون: إنّما حمله علىٰ ذلك الجزع مِنَ الموت لأقررت بها عينك، فأنزل الله: **﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ...﴾**.(٣)

ـ ورواية ثالثة أخرجها إبن مردوية من طريق أبي سهل السري بن سهل

---

(١) سورة القصص: ٥٦.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: ١ / ٢١٤ـ٢١٦، دار الفكر، بيروت.

(٣) المصدر السابق.

بالأسناد عن عبد القدوس، عن أبي صالح، عن إبن عباس، قال: نـزلت ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية، في أبي طالب ﷺ، كما رواه السيوطي.[١]

هذه ثلاث روايات أوردها البخاري ومسلم والترمذي والسيوطي في تفسير الآية ٥٦ من سورة القصص، وهذه الروايات مخدوشة سنداً ومتناً، فتابع معناً في بحثنا السندي والدلالي.

أمّا سند الرواية الأولى ففيها:

-١٥-

محمّد بن عباد، من هو؟

إسم مشترك في: من هو مجهول، أو منكر، أو لا يعرف أو من لم يكن البصير بالحديث، أو مَنْ لم يُحمد عليه، أو من في أمره نظر. وهناك من ضعّفه الدارقطني فراجع.[٢]

-١٦-

إبن أبي عمير؟

مجهول، لم تعرفه مصادر الجرح والتعديل.

-١٧-

مروان...؟

هو كمن سبقه، إسم مشترك ليس فيهم إلّا المجهول، أو الكذوب، أو الضعيف، أو المنكر فيما يرويه، أو مَن لا يُوثق بحديثه، أو من لا يُحتج به، أو يروي عمّن هبّ ودبّ.[٣]

---

(١) الدر المنثور، للسيوطي: ٦/٤٢٨ـ٤٢٩.

(٢) ميزان الإعتدال: ٣/٥٨٩ـ٥٩٠.

(٣) ميزان الإعتدال: ٤/٨٩ـ٩٤.

-١٨-

يزيد بن كيسان

وهو يروي عن أبي حازم، وفي إبن كيسان قال الذهبي: قال أبو حاتم: لا يحتجّ به. وقال يحيى بن سعيد القطّان: ليس ممّن يعتمد عليه.[١]

-١٩-

ابو حازم الأشجعي

مجهول لا نعرف عنه شيء، ولا عن صريح إسمه.

الرواية الثانية أوردوها في تفسير الآية ٥٦ وفي سندها:

-٢٠-

محمّد بن حاتم بن ميمون المروزي القطيعي

كنيته أبو عبد الله السمين المتوفّى سنة ٢٣٦هـ.

قال يحيى بن معين: كذّاب.[٢]

وكذّب حديثه علي المديني.[٣]

وقال الفلّاس: ليس بشيء[٤] وعن أبي حفص عمرو بن علي قال: ومحمّد بن حاتم السمين ليس بشيء.[٥]

-٢١-

يحيى بن سعيد بن قيس القاضي المدني

قال عنه البخاري وأبو حاتم: منكر الحديث.

---

(١) ميزان الإعتدال: ٤/ ٤٣٩.

(٢) معرفة الرجال: ١/ ٩٣، رقم ٣٦٣. وتاريخ بغداد: ٢/ ٢٦٧، دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) تاريخ بغداد: ٢/ ٢٦٧.

(٤) ميزان الإعتدال: ٣/ ٥٠٣. ودلائل الصدق: ١/ ٢٣٥، تحقيق مؤسسة آل البيت ﷺ، ١٤٢٢هـ.

(٥) المصدر السابق.

وقال النسائي: يروي عن الزهري أحاديث موضوعة.

وقال إبن عدي: يروي عن الثقاة لبواطيل.

وقال إبن حبّان: كان ممّن يخطيء كثيراً.[١]

وقال يحيي بن سعيد القطان: يدلّس.

وقال الدمياطي: إنّه يدلّس.[٢]

ويحيى هذا كان مبغضاً للإمام الصادق عليه السلام، بل صرّح هو إنّ في نفسه شيئاً من جعفر الصادق عليه السلام.

أمّا يزيد بن كيسان، تقدّم ذكره.

أبو حازم الأشجعي، تقدّم ذكره.

-٢٢-

أبو هريرة (الدوسي)

سيأتيك تفصيله عمّا قريب إن شاء الله.

الرواية الثالثة تجد في سندها:

-٢٣-

أبو سهل السريّ

فهو أحد الكذّابين، وضّاع، يسرق الحديث.

وجاء في ميزان الإعتدال: السري بن عاصم بن سهل، أبو عاصم الهمداني، مؤدّب المعتز بالله، وقد يُنسب إلىٰ جدّه، روى عن إبن عُلية.

وهّاه إبن عدي، وقال يسرق الحديث، حدّث عن حرمي بن عمارة أيضاً، وكذّبه إبن خراش.

---

(١) ميزان الإعتدال: ٤ / ٣٧٨.

(٢) دلائل الصدق: ١ / ٢٧٢.

ومن بلاياه: حدّثنا محمّد بن مصعب، حدّثنا الاوزاعي، عن عبدة، عن أبي هريرة مرفوعاً: الإيمان بالقدر يذهب الهمّ والحزن.

ومن مصائبه أنّه أتى بحديث مَتنُه: رأيت حول العرش وردة مكتوب فيها محمّد رسول الله، أبو بكر الصديق.[١]

وإلى غير ذلك من طرّهات الأخبار وسفاس الأحاديث المفتعلة.

-٢٤-

وأمّا عبد القدّوس بن حبيب (أبو سعيد الشامي، الدمشقي):

قال عبد الرزاق: ما رأيت إبن المبارك يفصح بقوله كذّاب إلّا لعبد القدوس.

وقال إسماعيل بن عيّاش: لا أشهد على أحد بالكذب إلّا على عبد القدوس.

وقال إبن حبّان[٢]: كان يضع ـ الأحاديث ـ على الثقات.[٣]

-٢٥-

أمّا أبو صالح

مجهول، لم يعرف من هو....

إلى هنا عرفنا سند الرواية؛ فكلّ رواتها مطعون فيهم، ليس فيهم إلّا الكذّاب، والسارق للحديث، والمطعُون في دينه وسيرته.

أمّا كون الخبر منقولاً عن إبن عباس فكذلك لا يصحّ، لأنّ إبن عباس ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، فهو عند وفاة عمّه أبي طالب ﷺ كان متعلّقاً بمحالب أمّه، فهو إبن أيّام أو أشهر، فلا يسعه أن يسمع فيتحمّل هكذا كلام....

والمتعيّن أنّ إبن عباس لم يتفوّه بهذه الزعبلات من الأقوال، وإنّما هو من

---

(١) ميزان الإعتدال: ٢/ ١١٧، ط دار المعرفة، بيروت.

(٢) كتاب المجروحين: ٢/ ١٣١.

(٣) ميزان الإعتدال: ٢/ ٦٤٣، رقم ٥١٥٦، ولسان الميزان: ٤/ ٥٥، رقم ٥٢٤٠، والتاريخ الكبير: ٦/ ١١٩، رقم ١٨٩٨، والضعفاء الكبير: ٣/ ٩٦، رقم ١٠٦٩، والجرح والتعديل: ٦/ ٥٥، وتاريخ مدينة دمشق: ٣٦/ ٤١٦، رقم ٤١٨١.

أهل البيت الذين هم أدرىٰ بما في البيت.

ـ أمّا الروايات التي أسندها البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم عن أبي هريرة ـ فهي كسابقتها متفرعة منها ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لمّا حضرت وفاة أبي طالب عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عمّاه قل (لا إله إلّا الله) أشهد لك بها عند الله يوم القيامة، فقال: لولا أن تعيّرني قريش يقولون: ما حمله عليها إلّا جزعه من الموت لأقررت بها عينك فأنزل الله عليه ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية.[1]

نسأل: أين كان أبو هريرة يوم توفّي أبو طالب عليه السلام؟

سيتّضح عندك الجواب. عندما نتطرق إلىٰ إسلام أبي هريرة، حيث كان إسلامه بإجماع العلماء والمؤرّخين في فتح خيبر سنة (٧هـ) ثمّ جاء إلى المدينة، وصحب النبيّ صلى الله عليه وآله لأجل شبع بطنه، فأين كان يوم توفّي أبو طالب عليه السلام؟ وكيف سمع منه تلك المقولة التي إفتراها على النبيّ وعلى عمّه أبي طالب عليه السلام؟

ثمّ بين نزول الآية (القصص: ٥٦) وبين إسلام أبي هريرة الدوسي عشر سنوات، فأين كان فيها أبو هريرة؟ ألم يكن راعياً في غنم (بسرة بنت غزوان) في اليمن كما يقوله هو عن نفسه، ثمّ جاء ليسلم في شهر صفر من سنة (٧هـ) بعد ما ظهر الإسلام وبانت قوّته في الآفاق....

إليك نبذة عن حياة أبي هريرة وإسلامه وسيرته.

أبو هريرة

يكاد هذا الإسم يكون النموذج الفريد في تاريخ المسلمين لما فيه من إختلاف عجيب في إسمه ـ وإسم أبيه ـ وسيرته، بل لم يختلف الرواة من الناس في إسم أحد في الجاهلية والإسلام مثل ما اختلفوا في إسم (أبي هريرة).

---

(١) ينظر: سنن الترمذي: ٥/ ٣١٨، ح ٣١٨٨. والدر المنثور للسيوطي: ٦/ ٤٢٨ـ٤٢٩، دار الفكر، بيروت ١٩٨٣م.

قال القطب الحلبي: إجتمع في إسم أبيه أربعة وأربعون قولاً مذكورة في الكُنى للحاكم وقد ذكر ذلك إبن حجر في الإصابة.[١]

وقال إبن عبد البرّ في الإستيعاب: واختلفوا في إسم أبي هريرة وإسم أبيه إختلافاً كثيراً لا يُحاط به، ولا يُضبط في الجاهلية والإسلام.

ثمّ قال: ومثل هذا الإختلاف والإضطراب لا يصحّ معه شيء يعتمد عليه....[٢]

وقال الفيروز آبادي: واختلف في إسمه على نيف وثلاثين قولاً.

وفي سبب تسميته يقول أبو هريرة عن نفسه:

كنت أرعى غنم أهلي وكانت لي هِرّة صغيرة فكنت أضعها بالليل في شجرة وإذا كان النهار ذهبت بها معي فكنّوني أبا هريرة... ويبدو ـ والله العالم ـ أنّ الرجل أكثر في حبّه لهذا الحيوان، حتّى ظلّ طول حياته يأنس به، بل إذا ماتت هرّه استبدلها بهرّة أخرى، فظلّ هذا العنوان يلازمه وهو بالمدينة، فقد رآه النبيّ وهو يحملها في كمّه فقال: يا أبا هريرة، واشتهر به... كما قاله الفيروزآبادي في قاموسه المحيط.[٣]

أمّا أصله ـ كما قيل ـ من أزد، ثمّ من دوس إحدىٰ قبائل العرب الجنوبية، وأمّا نشأته الأولى فلم يعرف عنها شيء فهي غامضة، وأقصى ما يعرف عنه أنّه من اليمن، قضى حياته في الجاهلية فقيراً معدماً، يرعىٰ الغنم ويخدم الناس بطعام بطنه، روى عنه إبن قتيبه، قال: نشأت يتيماً، وهاجرت مسكيناً، وكنت أجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي، فكنت أخدم إذا نزلوا، وأحدوا إذا ركبوا.[٤]

---

(١) الإصابة لإبن حجر: ٧ / ١٩٩ ـ ٢٠٧، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) الإستيعاب لإبن عبد البرّ: ٢ / ٧١٨، طبعة الهند، وص ١١٧٠ من طبعة مصر، القسم الرابع.

(٣) قاموس المحيط للفيروزآبادي.

(٤) كتاب المعارف: ص ٢٧٨، منشورات الرضي، قم ١٤١٥ هـ. وينظر: كتاب الطبقات لإبن سعد: ج ٤، قسم ٢، ص ٥٣، وسير أعلام النبلاء: ٢ / ٥٧٨، ترجمه ١٢٦، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨١م.

متى أسلم أبو هريرة؟

لمّا سمع أبو هريرة ببعثة النبيّ صلى الله عليه وآله، وإنتشار دعوته، وظهوره على مشركي العرب، وإنتصاراته المتوالية في حروبه مع قريش واليهود، قدِم على النبيّ صلوات الله وسلامه عليه، وهو بخيبر، كما قدِم غيره من الدوسيين والأشعريين، وكان ذلك بعد ما ناهز الثلاثين من عمره أو أكثر من الثلاثين. وأبو هريرة يقول عن نفسه: أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بخيبر بعدما افتتحوها.

له ترجمة في طبقات إبن سعد.[١]

هذا وأجمعت المصادر أنّ قدوم أبي هريرة علىٰ النبيّ إنّما هو بعد إفتتاح خيبر، وذلك في شهر صفر من سنة ٧ للهجرة، وفي فتح خيبر وقدوم، أبي هريرة إجماع المورّخين، نذكر منهم، ومن مصادرهم المعتبرة:

١ ـ فتح الباري: ج ٦ ص ٣١، وج ٧ / ٣٩١ـ٣٩٧.

٢ ـ سير أعلام النبلاء: ج ٢ / ٤٣٦.

٣ ـ البداية والنهاية: ج ٨ / ١٠٢.

٤ ـ طبقات إبن سعد: ج ١ / ٧٨.

٥ ـ إمتاع الأسماع: ١ / ٣٢٦.

٦ ـ الإصابة في تمييز الصحابة: ٣ / ٢٨٧.

ولمّا كان أبو هريرة فقيراً معدماً يتسكّع في أزقّة المدينة، يطرق باب هذا الصحابي مرّة، وذاك الصحابي أخرى، ممّا الجأه آخر الأمر أن يسكن (الصُّفة)[٢]، المكان الذي أعدّه النبيّ صلى الله عليه وآله في مسجده حيث يسكنه فقراء المسلمين ومن ليس له أهل أو عشيرة.

---

(١) فتح البازي: ٦ / ٢٧٥. والبداية والنهاية: ٨ / ١٠٣، مكتبة المعارف ١٩٦٦م.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم: ٢ / ٣٧٦، وصحيح البخاري: ١ / ١٣٠.

يقول أبو هريرة عن نفسه: كنت من أهـل الصُـفة وكـنّا إذا أمسـينا حـضرنا رسول الله ﷺ فيأمر كلّ رجل فينصرف برجل أو أكثر.

وقال: رأيت سبعين من أصحاب الصُفة[1]، وما منهم رجل عليه رداء، وإنّـما عليه إمّا إزار، وإمّا كسـاء ربطوه في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصْف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهة أن ترى عورته.[2]

مدّة صحبته للنبيّ ﷺ:

لبث أبو هريرة في المدينة المنّورة من حين أسلم في شهر صفر من سنة ٧ للهجرة حيث كان فتح خيبر كما مرّ عليك، ومن ذلك الحين كان يسكن في الصُفة؛ في مسجد النبيّ ﷺ وتنتهي إقامته فيها إلى شهر ذي القعدة سنة ٨ للهجرة، ثمّ إنتقل بعد ذلك إلىٰ البحرين بإقصاء من النبيّ، لما صدر منه ما يشين منزلة الصحابة وقصّة ذهابه إلى البحرين كما هي في أوثق المصادر:

بعث رسول الله ﷺ بعد منصرفه من الجعرانة، بـعد أن قسّـم غـنائم حـنين العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي العبدي عامل الفرس على البحرين وكتب له كتاباً فيه فرائض الصدقة في الابل والبقر والغنم والثمار يصدّقهم على ذلك، وأمره أن يأخذ الصدقة من أغنيائهم، وبعث معه نفراً كان فيهم أبو هريرة...[3] ولم يعد بعدها أبو هريرة إلى المدينة حتّى توفّي النبيّ ﷺ، وكانت ردّة أهالي البحرين وحتّى سنة ٢٠ الهجرة عيّنه عمر بن الخطاب والياً عليها.

---

(١) صحيح البخاري: ١ / ١٣٠، حديث ٤٤٢، طبعة دار الفكر ١٤١٤هـ. وشرح الكرماني على صحيح البخاري: ٤ / ١٠١، دار إحياء التراث العربي. وصحيح البخاري: ١ / ١٩١، الطباعة المنيرية بمصر. وفتح الباري: ١ / ٥٣٦، طبعة دار المعرفة، بيروت.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ينظر: في مصادر التاريخ: أسد الغابة، سير أعلام النبلاء، تاريخ الذهبي، البداية والنهاية، فتح الباري، الإصابة، معجم البلدان، طبقات إبن سعد تاريخ الطبري، الإستيعاب.

توضيح وبيان

الجعرانة ماء بين الطائف ومكة وعلى هذا الماء وزّع النبيّ ﷺ مغانم حنين وكان ذلك في شهر ذي القعدة سنة ٨هـ.

حساب بالأيّام والشهور

من هنا نستخلص إنّ مدّة صحبة أبي هريرة للنبيّ تكون بين شهر صفر سنة ٧هـ إلى شهر ذي القعدة سنة ٨هـ فيكون مجموع الأيّام والأشهر التي تصحّ فيها الصحبة سنة واحدة وتسعة أشهر فحسب، هذه المدّة التي صحب فيها أبو هريرة النبيّ لملء بطنه، المدّة التي لم يأخذ فيه علماً ولا ديناً ولا نسكاً وإنّما فقط لشبع بطنه....

لماذا أسلم ابو هريرة، ولماذا صحب النبيّ ﷺ؟

يجيب الرجل ـ هو أبو هريرة ـ عن نفسه في حديث رواه أحمد والشيخان عن الزهري عن عبد الرحمن بن الأعرج قال: سمعت أبا هريرة يقول: إنّي كنت امرأً مسكيناً أصحب رسول الله ﷺ على ملء بطني.

وفي رواية أخرى: كنت رجلاً مسكيناً أخدم رسول الله ﷺ على ملء بطني.[(١)]

وفي رواية ثالثة: كنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني.

وفي رواية رابعة: لشبع بطني.

وفي رواية خامسة ـ رواية الكشميهني ـ: بشبع بطني.

قال إبن حجر العسقلاني في شرح أحاديث البخاري التي جاءت (بلفظ لشبع ولفظ بشبع) والمعنى مختلف فإنّ الذي بالباء يشعر بالمعاوضة... والتي جاءت بلفظ

---

(١) صحيح مسلم: ٤/ ١٩٣٩، باب من فضائل أبي هريرة، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، بيروت ١٩٧٢م.

(لشبع) أي لأجل، بلام التعليل وهو الأكثر وهو الثابت في غير البخاري.[١]

إذن لم يصحب أبو هريرة النبيّ إلّا لأجل بطنه، لا أكثر من هذا ولا أزيد فلم يطلب مبدأ ولا ديناً ولا علماً سوى شبع بطنه، ثمّ لا يخفى عليك أنّ الرجل كان أميّاً لا يقرأ ولا يكتب وظلّ على أميّته طول عمره.

موقف عمر بن الخطاب من واليه ابي هريرة

ولّى عمر بن الخطاب أبا هريرة على البحرين سنة (٢٠ هـ) كما في تاريخ الطبري وغيره، وبعد ذلك بلغ عمر عنه أشياء تُخلّ بأمانة الوالي فعزله وولّى مكانه عثمان بن أبي العاص الثقفي، ولمّا عاد وجد معه لبيت المال أربعمائة ألف فقال له ـ عمر ـ أظلمت أحداً؟ فقال: لا. قال: فما جئت لنفسك؟

قال: عشرين ألفاً.

قال: من أين أصبتها؟

قال: كنت أتّجر.

قال: أنظر رأس مالك ورزقك فخذه، واجعل الآخر في بيت المال[٢] ثمّ أمر عمر بأنّ يقبض منه عشرة الآف، وفي رواية إثناعشر ألفاً.

ورواية إبن سعد في طبقاته عن أبي هريرة أنّ عمر قال له: عدوّاً لله وللإسلام.

وفي رواية عَدوّاً لله ولكتابه، سرقت مال الله.

وفي رواية ثالثة: أسرقت مال الله.[٣]

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٢/ ٥٩٥.

(٢) تاريخ الذهبي الكبير: ٢/ ٣٣٨، وسير أعلام النبلاء: ٢/ ٦١٨، ط ١، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨١م.

(٣) طبقات إبن سعد: ٤/ ٥٩ و٦٠، من القسم الثاني. وفتوح البلدان: ص ٨٢.

صحابة الرسول يرفضون رواية أبي هريرة ويكذّبونه

قال الكاتب المصري، مصطفى صادق الرافعي: وكان أكثر الصحابة رواية أبو هريرة، وقد صحب ثلاث سنين ولهذا كان عمر وعثمان وعليّ وعائشة ينكرون عليه ويتّهمونه وهو أوّل راوية إتهم في الإسلام وكانت عائشة أشدّهم إنكاراً عليه.[١]

وقال النظام: أكذب أبا هريرة كلّ من عمر وعثمان وعليّ وعائشة.[٢]

وفيما نقله النظام يقول إبن قتيبة: وأمّا طعن النظام على أبي هريرة بتكذيب عمر وعثمان وعليّ وعائشة له فإنّ أبا هريرة صحب رسول الله صلى الله عليه وآله نحواً من ثلاث سنين وقد أكثر الرواية عنه، فلمّا أتى من الرواية عنه ما لم يأت مثله من صحبه من جلّة الصحابة والسابقين الأوّلين إليه اتهموه وأنكروا عليه، وقالوا: كيف سمعت هذا وحدك؟ ومن سمعه معك؟

قال: وكانت عائشة أشدّهم إنكاراً عليه لتطاول الأيّام بها وبه، وكان عمر أيضاً شديداً على من أكثر الرواية أو أتى بخبر في الحكم لا شاهد له عليه.[٣]

وممّا يدّلل على أنّ أبا هريرة كان يكذب على الرسول فيما يرويه، إستدعاه عمر لكي يؤنّبه ويزجره عن الرواية المكذوبة أو ما يكذب فيه.قال أبو هريرة: لمّا بلغ عمر حديثي استدعاني فقال لي: أكنت يوم كنّا في بيت فلان؟

فقلت: نعم، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال يومئذ: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار» الحديث.[٤]

وممّا زجره عمر بن الخطاب، قال له: لتتركن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أو

---

(١) آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي: ١ / ٢٨٢، مبحث الرواية بعد الإسلام.

(٢) تأويل مختلف الحديث، إبن قتيبة: ص ٢٧.

(٣) تأويل مختلف الحديث، إبن قتيبة: ص ٤٨.

(٤) أخرجه مسدد في مسنده من طريق خالد بن يحيى عن أبيه عن أبي هريرة، ونقله إبن حجر في ترجمة أبي هريرة من الإصابة.

لألحقنك بأرض دوس أو بأرض القردة.(١)

وللخليفة عمر بن الخطاب مواقف صريحة مع أبي هريرة منها أنّه ضربه على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله ضربة خرّ بها لاسته.(٢)

ومنها: لمّا عزله عن ولاية البحرين سنة ٢٣ هـ وولّى عثمان بن أبي العاص الثقفي، ولم يكتب بعزله حتّى استنقذ منه لبيت المال عشرة آلاف زعم أنّه سرقها من مال الله... وفي تلك الحادثة يقول إبن عبد ربّه المالكي:

دعا ـ عمر ـ أبا هريرة، فقال له: علمت أنّي استعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين، ثمّ بلغني أنّك ابتعت أفراساً بألف دينار وستمائة دينار.

قال: كانت لنا أفراس تناجت وعطايا تلاحقت.

قال: حسبت لك رزقك ومؤنتك، وهذا فضل فأدّه.

قال: ليس لك ذلك.

قال: بلى، والله، وأوجع ظهرك، ثمّ قام إليه بالدرة فضربه حتّى ادماه، ثمّ قال: أئت بها.

قال: احتسبتها عند الله.

قال: ذلك لو أخذتها من حلال وأدّيتها طائعاً، أجئت من أقصى حجر البحرين يجبى الناس لك لا لله ولا للمسلمين؟

ما رجّعت بك اميمة إلّا لرعية الحمر.(٣)

ثمّ يقول إبن عبد ربّه: وفي حديث أبي هريرة: لمّا عزلني عمر عن البحرين قال لي: يا عدوّ الله وعدوّ كتابه سرقت مال الله؟

---

(١) أخرجه إبن عساكر، ينظر كنز العمال: ٥ / ٢٣٩، الحديث ٢٣٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: ١ / ٣٤.

(٣) رجعت من الرجع والرجيع: العذرة والروث، واميمة أمّ أبي هريرة، وكلمة الخليفة هذه من أفظع كلمات الشتم.

قال: فقلت: ما أنا عدوّ الله وعدوّ كتابه، ولكنّي عدوّ من عاداك وما سرقت مال الله،....[١]

وفي تلك العبارة (يا عدوّ الله...) أخرجها إبن سعد في ترجمة أبي هريرة من طريق محمّد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال لي عمر: يا عدوّ الله وعدوّ كتابه أسرقت مال الله... إلى آخر الحديث.[٢]

ومن مواقف الصحابة، موقف عائشة، دعت أبا هريرة إذ بلغها حديثه فقالت له: ما هذه الأحاديث التي تبلغنا أنّك تحدّث بها عن النبيّ صلى الله عليه وآله، هل سمعت إلّا ما سمعنا؟ ورأيت إلّا ما رأينا؟

قال: يا أمّاه أنّه كان يشغلك عن رسول الله المرآة والمكحلة... الحديث.[٣]

أنظر إلى سخف قوله، وكيف تعدّى على منزلة أم المؤمنين، فكلامه ذلك لا يخلو من سبّ وشتم....

ومن ذلك: أنّه جلس مرّة إلى جنب حجرة عائشة يحدّث عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وهي مشغولة في سبحتها، فقالت بعد فراغها: ألا يعجبك أبو هريرة يجلس إلى جنب حجرتي يحدّث عن النبيّ يسمعني ذلك؟ وكنت أسبح فقام قبل أن أقضي سبحتي ولو أدركته لرددت عليه....[٤]

نظرات في المتن

دراسة في متن الأحاديث الواردة في تفسير الآية ١١٣ من سورة التوبة

ممّا يلفت نظر الباحث أنّ المخالف تشبّث بتلك الروايات التي ثبت كذبها من

---

(١) أورده إبن أبي الحديد في شرح النهج: ٣/١٠٤، طبعة مصر.

(٢) الطبقات الكبرى، إبن سعد: ٤/٩٠، القسم الثاني منه.

(٣) أخرجه الحاكم وصحّحه في المستدرك: ٣/٥٨٢، وصحّحه الذهبي إذ أورده في تلخيص المستدرك.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، في فضائل أبي هريرة: ٤/١٩٤٠، حديث ٢٤٩٣.

خلال تدليس الرواة، الذين عرفتهم، وعلى لسان علمائهم أنّهم كذّابون، وضّاعون، مدلسون، وإلى غير ذلك من عبارات الجرح....

ثمّ يطالعك في ما صرّحوا به وهو أنّ النبيّ قال لعمّه لأستغفرن لك... قالوا نزلت الآية: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ...﴾.

ثمّ أردفوا قولهم: ونزل قوله تعالى، في تلك الحادثة ـ وفاة أبي طالب عليه السلام ـ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.(١)

قال الغفاري: يا للعجب أنّ الآية ١١٣ من سورة التوبة التي استشهدوا بها كما علمت هي مدنية، وكلّ السورة نزلت في المدينة، وهي آخر ما نزل من القرآن الكريم.(٢)

أمّا سورة القصص فهي مكيّة وقد نزلت بعد وفاة أبي طالب عليه السلام بأعوام، فهلّا

---

(١) سورة القصص: ٥٦.

(٢) ذكر المفسّرون أنّ سورة (براءة) ـ التوبة ـ هي آخر مانزل من القرآن الكريم، وقصّة البراءة وتبليغها مشهورة في كتبهم حيث بعث بها الرسول مع أبي بكر ثمّ جاءه الوحي أن لا يبلّغ عنه إلّا من أهل بيته فأرسل الإمام علي ﷺ خلف أبي بكر فأخذها منه ومضى إلى الموسم وأبلغ الناس بها.

وللإختصار نذكر لك جمهور المفسّرين الذين أجمعوا على أنّ براءة هي آخر ما نزل من القرآن: صحيح البخاري: ٣/٧٧، تفسير الكشاف للزمخشري: ١/٥٧٠، تفسير البيضاوي: ٢/٢٧٤، تفسير إبن كثير: ٢/٣٣١، الإتقان للسيوطي: ١/٢٧، وقد أورد الأميني مصادر أخرى في كتابه الغدير فراجع: ٨/١٠.

أقول: ولا نبخل في توجيه كلمة لمحقق سيرة إبن هشام ـ ينظر: هامش ج ١/٤١٨ ـ وهم: (مصطفى السقّا وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي) الذين ذهبوا إلى أنّ الآية ١١٣ نزلت في أبي طالب إستناداً إلى حديث العباس المتقدّم (فهل نصره لك ينفعه ذلك)، قال: نعم وجدته في ضحضاح... فقد عرفت أنّ هؤلاء الذين يدّعون العلم والتحقيق والأمانة في البحث، نقول لهم كما قال الشاعر: حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء... حيث أقمنا الدليل على بطلان تلك الأحاديث المفتعلة وتبيّن لك ما في أسانيدها من الرواة الكذبة والمأجورين للطليق معاوية بن أبي سفيان ثمّ بيّنا زمان نزول آية القصص وآية براءة والفارق الزماني من إسلام أبي هريرة ونزول الآيتين.

وبهذا تعرف بطلان قول السقا ورفقاه حينما ذهبوا إلى تكفير أبي طالب ﷺ.

عيّن لَنا المخالف زمان ومكان الرواية التي رواها المسيب بن حزن؟ وكيف حضر يوم وفاة أبي طالب عليه السلام؟ وقل في مثله لو كَشف لنا اللثام أولئك الرواة الكذبة عن حضور أبي هريرة يوم وفاة شيخ الأبطح أبي طالب عليه السلام؟ لقد أجمعت المصادر أنّ أبا هريرة أسلم يوم فتح خيبر عام ٧هـ... فأين كان يوم نزلت الآية ٥٦ من سورة القصص وأين كان يوم نزلت آية ١١٣ من سورة التوبة؟ كما أجمعت المصادر أنّ المسيب أسلم عام الفتح....

ثمّ ما وجه نزول آيتين أحدها مكيّة ـ ٥٦ من سورة القصص ـ والآخرى مدينة ـ ١١٣ من سورة التوبة ـ نزلت بعد وفاة أبي طالب عليه السلام ما ينوف على ثمانية أعوام؟

ثمّ أين كان النبيّ طيلة هذه السنين العشر حيث كان يستغفر لعمّه حتّى نزلت فيه هذه الآية؟!

ألا يكون هذا من صنيع معاوية وبني أميّة الذين استأجروا عروة بن الزبير، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص، وسمرة بن جندب، وبسر بن أرطاة، وأمثالهم في وضع الأحاديث المكذوبة في ذمّ عليّ عليه السلام وأهل البيت الأطهار عليهم السلام من جهة، وفي وضع أحاديث أخر في فضائل بني أميّة وبالخصوص في معاوية والخلفاء الثلاثة من جهة أخرى؟!

قال أبو جعفر الإسكافي: إنّ معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ عليه السلام، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم: أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين: عروة بن الزبير،[١] فالذي يضع الأحاديث في علي عليه السلام فلا يتحرّج من وضع مثلها في أبي طالب عليه السلام، وكيف يتورّع هؤلاء في رواية الأخبار القبيحة وعطايا معاوية تلك ممّا يُسال لها لعاب أبي هريرة، وسمرة بن جندب، وعمرو بن العاص؟!

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٦٣، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٥م.

وقبل أن نختم الكلام في صدد هذه الآية نقول:

هناك آيات كثيرة ـ سوف تقف عندها أيّها القاريء الكريم ـ نزلت قبل تلك الآية التي نحن بصددها[١] وهي آيات زاجرة للنبيّ وللمؤمنين من أن يوادّوا الكافرين حتّى لو كانوا آباءهم أو أبناءهم، وآيات تنهى عن الإستغفار للمشركين وتردعهم... فمع هذا السيل من الآيات البيّنات الناهية للنبيّ والزاجرة له وللمؤمنين، مع كلّ ذلك والنبيّ يستغفر لعمّه...؟!

أنّه أمر يستحيل العقل أن يتقبّله، وحاشى للنبيّ ﷺ أن يخالف أمر الله قيد شعرة، وهو أجل من ذلك واسمى علواً.

لذا تكون مرويّات المخالفين ومَن تابعهم من أرباب الصحاح والسنن كلّها باطلة زائفة يجب أن نضرب بها عرض الحائط، ويجب التمسّك بسيرة النبيّ الأكرم، وأنّ محاباته لعمّه والإستغفار له إنّما هو خير دليل على إيمان أبي طالب عليه السلام.

آيات يستدلّ بها على إيمان أبي طالب عليه السلام

وأمّا الآيات التي أشرنا إليها، فإليك بعضها حيث تجد أبا طالب عليه السلام من أبرز مصاديقها:

أوّلاً: قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا...﴾**.[٢]

سورة الأنفال بالإتفاق عند الجميع مدنية عن إبن عباس وقتادة غير سبع آيات نزلت بمكة، وهي قوله: **﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾**.

وقيل: نزلت بأسرها في غزاة بدر عن الحسن وعكرمة. والآية التي نحن في

---

(١) آية ١١٣ من سورة التوبة.

(٢) سورة الأنفال: ٧٢.

صددها قيل: نزلت في الميراث، وكانوا يتوارثون بالهجرة، فجعل الله الميراث للمهاجرين والأنصار، دون ذوي الأرحام، وكان الذي آمن ولم يهاجر لم يرث؛ من أجل أنّه لم يهاجر، ولم ينصر، كانوا يعملون بذلك حتّى أنزل الله تعالى: ﴿**وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ**﴾(١) فصار الميراث لذوي الأرحام المؤمنين، ولا يتوارث أهل ملّتين من خلال الآية الكريمة المتقدّمة. نفهم أنّ من صفات المؤمنين الذين وصفهم الله سبحانه في هذه الآية إنّما ذكرهم سبحانه هنا هو تعقيب لما سبق من قوله سبحانه: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾.(٢)

ولمّا كان قوله: ﴿**إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ يحتاج إلى بيان فجاءت الآية ٧٢ في صدد بيان الصفات التي تؤدّي إلىٰ أن يكون بعضهم أولياء بعض، فالذين آمنوا قد امتثلوا أوامر الله والرسول في الهجرة؛ إنّهم هاجروا من مكة إلى المدينة، هذا أوّلاً.

وهم كذلك امتثلوا قول الله والرسول في جهاد العدوّ، فجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، هذا ثانياً.

وهم آووا الرسول والمسلمين الأوائل، هذا ثالثاً.

وهم نصروا النبيّ صلى الله عليه وآله والثبات على الدين، هذا رابعاً.

هذه صفات أربعة مهمة تحلّى بها أولئك القوم ﴿**إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ وقطعاً هذه الآيات، بل كلّ هذه السورة ـ الأنفال ـ قد نزلت بعد وفاة أبي طالب عليه السلام.

ولو كان أبو طالب عليه السلام حيّاً لما عكف عن هذه الأوامر بل لرأيناه السبّاق إليها، وذلك لسيرته السابقة، ونصرته للرسول صلى الله عليه وآله منذ بدء الدعوة الإسلامية....

نعم لا يخلو المقام من الإستشهاد بقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ**

---

(١) سورة الأنفال: ٧٥.

(٢) سورة الأنفال: ١.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[١] حيث لا عبرة بخصوص السبب بل العبرة بعموم اللفظ، فيكون أبو طالب عليه السلام من أبرز مصاديق هذه الآية، فتدبّر.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.[٢]

بيّنا في الآية ٧٢ أنّ الله سبحانه جعل أولئك المؤمنين بعضهم أولياء بعضٍ، إذاً هي من باب التواصل فيما بين المؤمنين والتأكيد على موالاة بعضهم بعضاً في الميراث، بل في الجوانب الحياتية الأخرى كالنصرة والدفاع عن بيضة المسلمين وثغورهم....

وفي هذه الآية الكريمة ـ ٧٤ ـ جاء التأكيد على أولئك المؤمنين بأنّ لهم مغفرة ورزقاً كريماً. وهذا ينطبق على أبي طالب عليه السلام فهو من أبرز مصاديق هذه الآية، لما صدر منه من إيوائه للنبيّ في مكة، ونصرته له، والذب عنه وعن حمىٰ الإسلام.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾.[٣]

ذكر السيوطي أحاديث كثيرة في تفسير الآيتين، ثمّ خصّ الآيـة ٢١٩ بـعدّة روايات منها قال: وأخرج إبن أبي عمر العرني في مسنده، والبزار وإبن أبي حاتم، والطبراني، وإبن مردويه، والبيهقي في الدلائل عن مجاهد في قوله: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾. قال: من نبيّ إلى نبيّ حتّى أخرجت نبيّاً.

وأخرج إبن أبي حاتم وإبن مردويه وأبو نعيم في الدلائل عن إبن عباس في قوله: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ قال: مازال النبيّ صلى الله عليه وآله يتقلّب في أصلاب الأنبياء حتّى ولدته أمّه.

---

(١) سورة الأنفال: ٧٢.

(٢) سورة الأنفال: ٧٤.

(٣) سورة الشعراء: ٢١٨ـ٢١٩.

وأخرج إبن مردويه عن إبن عباس قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: بأبي أنت وأمّي أين كنت وآدم في الجنّة؟

فتبسم حتّى بدت نواجذه ثمّ قال: إنّي كنت في صلبه، وهبط إلى الأرض وأنا في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح، وقذفت في النار في صلب أبي إبراهيم، ولم يلتق أبواي قطّ على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة، مصفّى مهذباً لا تتشعب شعبتان إلّا كنت في خيرهما.

قد أخذ الله بالنبوة ميثاقي، وبالإسلام هداني، وبيّن في التوراة والإنجيل ذكري، وبيّن كلّ شيء من صفتي في شرق الأرض وغربها، وعلّمني كتابه، ورقي بي في سمائه، وشقّ لي من أسمائه، فذو العرش محمود وأنا محمّد، ووعدني أن يحبوني بالحوض، وأعطاني الكوثر، وأنا أوّل شافع، وأوّل مشفع، ثمّ أخرجني في خير قرون أمّتي، وأمّتي الحمادون، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.(١)

وقال أبو الحسن البغوي في تفسيره عن إبن عباس: أراد تقلّبك في أصلاب الأنبياء من نبيّ إلى نبيّ حتّى خرجك في هذه الآية وقد فسّر كلمة ﴿السَّاجِدِينَ﴾ بالأنبياء من قبله.(٢)

قال أمين الإسلام أبو علي الطبرسي في سياق تفسيره للآية الكريمة: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ أي ويرى تصرفك في المصلّين بالركوع والسجود والقيام والقعود... ثمّ قال: وقيل: معناه وتقلّبك في أصلاب الموحّدين من نبيّ إلى نبيّ، حتّى أخرجك نبيّاً، عن إبن عباس في رواية عطا، وعكرمة، وهو المروي عن أبي جعفر، وأبي عبد الله عليهما السلام، قالا: في أصلاب النبيّين، نبيّ بعد نبيّ حتّى أخرجه من صلب أبيه، من

---

(١) الدر المنثور للسيوطي: م ٦/ ٣٢٢، ط ١، دار الفكر، بيروت ١٩٨٣م. وللفخر الرازي كلام نقل فيه رأي الإمامية. والتفسير الكبير: م ٨/ ٥٣٧، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٥م. وفتح القدير لمحمّد بن علي الشوكاني: ١٢٥٠هـ، م ٤/ ١٢٢، ط دار المعرفة بيروت.

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٥١٠هـ): م ٤/ ٢٨١، دار الفكر، بيروت ١٩٨٥م.

نكاح غير سفاح، من لدن آدم عليه السلام.(١)

وقال الشيخ الطوسي: وقال قوم من أصحابنا: إنّه أراد تقلّبه من آدم إلى أبيه عبد الله في ظهور الموحّدين، لم يكن فيهم من يسجد لغير الله.(٢)

وقال المحدّث البحراني بسنده، عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: خلقت أنا وعلي بن أبي طالب عليهما السلام من نور واحد، نسبّح الله تعالى عند العرش قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلمّا أن خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه، ولقد سكن الجنّة ونحن في صلبه، ولقد همّ بالخطيئة ونحن في صلبه، ولقد ركب نوح السفينة ونحن في صلبه، ولقد قذف إبراهيم في النار ونحن في صلبه، فلم يزل ينقلنا الله عزّ وجلّ من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة حتّى انتهى إلى عبد المطلب، فقسمنا نصفين، فجعلني في صلب عبد الله، وجعل علياً عليه السلام في صلب أبي طالب، وجعل فيّ النبوة والبركة، وجعل في عليّ عليه السلام الفصاحة والفروسية، وشقّ لنا إسمين من أسمائه، فذو العرش محمود وأنا محمّد صلى الله عليه وآله والله الأعلى وهذا عليّ عليه السلام.(٣)

رابعاً: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ...﴾.(٤)

بعد ما أقسم الله سبحانه بنور النهار كلّه وهو المعبّر عنه بالضحى، بيّن سبحانه جواب القسم فقال: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ أي أنّ ربّك لم يتركك وما قطع عنك الوحي توديعاً، فإنّ ربّك لم يبغضك منذ اصطفاك نبيّاً...

---

(١) مجمع البيان، للطبرسي: م ٣٥٨/٧، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٩٥م. وتفسير نور الثقلين لابن جمعه الحويزي: ١١١٢هـ، م ٦٩/٤، قم، المطبعة العلمية. والبرهان للسيّد هاشم البحراني: م ١٩٢/٣، ط ٣، قم ١٣٩٣هـ. وتفسير علي بن إبراهيم القمي: ج ١٢٥/٢، مؤسسة دار الكتاب، قم (أفست) مطبعة النجف ١٣٨٧هـ.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، لشيخ الطائفة الطوسي: م ٦٨/٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) البرهان في تفسير القرآن للسيّد هاشم البحراني: م ١٩٣/٣، قم.

(٤) سورة الضُحىٰ: ٦.

وفي الآية ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ﴾ قيل هو تقرير لنعمة الله عليه حيث مات أبوه وبقي يتيماً فآواه الله سبحانه بأن سخّر له أوّلاً عبد المطلب.

ثمّ لمّا مات عبد المطلب قيّض له أبا طالب عليه السلام وسخّره للإشفاق عليه، وحبّبه إليه حتّى كان أحبّ إليه من أولاده فكفّله، وربّاه....[١]

وإنّ جزاء هذه الكفالة وتلك التربية أن نزل جبرئيل عليه السلام على النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد إنّ الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك: إنّي حرّمت النار على صلب أنزلك، وعلى بطن حملك، وحجر كفلك، فقال: يا جبرئيل! من تقول ذلك؟ قال: أمّا الصلب الذي أنزلك فصلب عبد الله بن عبد المطلب، وأمّا البطن الذي حملك، فآمنة بنت وهب، وأمّا الحجر الذي كفلك فعبد مناف بن عبد المطلب وفاطمة بنت أسد.[٢]

وأخرج الرازي في فوائده بإسناده عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمّي وأبي طالب[٣] وأخو لي كان في الجاهلية وقريب منه في تاريخ اليعقوبي.[٤]

وذكره أبو الفتوح الرازي في تفسيره: إنّ الله عزّ وجلّ خاطب نبيّه صلى الله عليه وآله بواسطة جبرئيل فقال: حرّم على النار صلباً أنزلك، وبطناً حملك، وثدياً أرضعك، وحجراً كفلك، قال ومراده أبو طالب عليه السلام.

وهناك عدّة روايات نقلها البرزنجي في معرض حديثه للآية الكريمة: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ فراجع.

---

(١) مجمع البيان للطبرسي: ١٠/ ٦٤٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٦م.

(٢) التعظيم والمنّة للسيوطي: ص ٢٥، والغدير: ٧/ ٤٢٠، طبعة الأعلمي، بيروت.

(٣) ذخائر العقبى: ص ٧، الحافظ محبّ الدين الطبري مكتبة القدسي، مصر ١٣٥٦هـ. والحجة على الذاهب: ص ٦٨، طبعة دار الزهراء، بيروت. وأسنى المطالب: ص ٥٢ ـ ٥٤.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ١/ ٣٥٥، مؤسسة الأعلمي، تحقيق عبد الأمير مهنا. وشرح النهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤/ ٦٧، بيروت ١٤١٣هـ.

خامساً: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾.(١)

ذكر المفسّرون أنّ الآية نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام كما جاء في ينابيع المودة للقندوزي عن أبي نعيم الحافظ بإسناده عن أبي صالح عن إبن عباس، وعن أبي هريرة، وهناك طرق أخرى عديدة أكّدت على أنّ سبب نزولها كان في أمير المؤمنين عليه السلام.

غير أنّ المتدبّر في الآية الكريمة لو تساءل: من الذي نصر النبيّ صلى الله عليه وآله في بدء الدعوة إلى الله؟ ومن الذي وقف بوجه زعماء الشرك والكفر من قريش؟ ومن الذي حاماه وكفله...؟ كلّ ذلك يختصّ بأبي طالب عليه السلام، فله كلّ تلك المواقف الحميدة لأجل نصرة الإسلام والدفاع عن صاحب الرسالة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله.

سادساً: قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.(٢)

فلو سألت من الذي آزر النبيّ ونصره في مستهل البعثة ....؟

أجمعت المصادر التاريخية وكتب التفسير والحديث والأدب، وكلّ من بحث عن تاريخ صدر الإسلام وبعثة النبيّ، الكلّ قال: وبلا إستثناء؛ أنّ أبا طالب هو الزعيم الوحيد والعمّ الرؤوف بلا منازع نصر النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، قال الشيخ زيني دحلان في صدد الآية المتقدّمة: وقد صدّقه أبو طالب، ونصره بما اشتهر وعلم، ونابذ قريشاً بسببه، بما لا ينكره أحد من نقلة الأخبار فيكون من المفلحين.

وقال العلامة البرزنجي: أقول: إن أريد بالفلاح ـ أصل النجاة من النار ـ فهو إنّما يترتب على الإيمان الذي هو التصديق عند المحققين، وقد حصل ذلك.

وإن أريد الفلاح التام، فلا يلزم من عدمه حصول الكفر، على أنا نقول: قد اتبعه

---

(١) سورة الأنفال: ٦٣.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٧.

وأمر بإتباعه، لأنّ الظاهر من العواطف، أي في قوله: ﴿آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوه﴾ كما هو الأصل فيه، إنّ الأتباع غير الإيمان، وإذا كان غيره فيحمل الإيمان على التصديق، وهو حاصل، وإنّما كان الإتباع فيما كان شرع حينئذٍ، ولم يكن إلّا التوحيد وصلة الأرحام، وترك عبادة الأصنام، كما مرّ عن أبي طالب عليه السلام أنّه سأل النبيّ الكريم: بِمَ بُعثت؟ فأخبره صلى الله عليه وآله: أنّه بعث بصلة الأرحام، وأن يعبد الله ولا يعبد معه غيره، ولم يكن في ذلك الوقت، فرضت الصلاة، ولا الزكاة، ولا الصوم، ولا الحجّ، ولا الجهاد، فلم يبق إلّا قول (لا إله إلّا الله) فإن اعتبر بما يؤدّي التوحيد، فقد مرّ أنّه نطق بالوحدانية، وبحقيقة الرسالة، وتصديق النبيّ الكريم في أشعاره، وإنّما طلب النبيّ صلى الله عليه وآله منه عند وفاته ليحوز إيمان الوفاة، وإن لم يعتد به عند الموت، فتكون تلك القرائن دالّة على أنّه كان مصدقاً بقلبه، وإنّما امتنع من النطق به خشية أن ينسبوه إلى الجزع من الموت... وهذا بحسب الظاهر، وأمّا في باطن الأمر، فالسبب الحقيقي في عدم نطقه بحضور القوم: المبالغة على حماية النبيّ صلى الله عليه وآله الكريم، ونصرته....[1]

سابعاً: قال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾.[2]

ذكر الشيخ العلامة الأميني نقلاً عن متشابه القرآن لإبن شهر آشوب ما لفظه: إنّ أشعار أبي طالب الدالّة على إيمانه تزيد على ثلاثة آلالف بيت يكاشف فيها من كاشف النبيّ صلى الله عليه وآله ويصحح نبوّته.[3]

وقال السيّد فخار بن معد الموسوي: وهذا أبو طالب بن عبد المطلب له ديوان شعر يضاهي شعر زهير جميعه في الكثرة أو يزيد عليه، يتضمّن جميعه الإقرار بالرسول صلى الله عليه وآله والتصديق له والحثّ على إتباعه، و التوحيد لله تعالى، وذكر المعاد

---

(١) أسنى المطالب: ص ٤٠ـ ٤١، ط ٢، طبعت على نفقة السيّد يوسف سنة ١٣٠٥هـ بمصر.

(٢) الحجّ: ٤٠.

(٣) الغدير: ٧/ ٣٨٢، طبعة الأعلمي، بيروت. هامش أسنى المطالب: ص ١٢.

والحساب.[١]

فالآية الكريمة في صدد التعريف بشخصية مَنْ نصر النبيّ ﷺ وأبو طالب من أبرز مصاديق هذه الآية الكريمة، فتدبّر.

ثامناً: قوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ﴾.[٢]

الآية الكريمة في صدد بيان عقيدة الإيمان وصفات المؤمن، فهي تنفي وجود قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر وتكون في قلوبهم المحبّة لمن يعادي الله ورسوله.

إذاً الآية ترفض محاباة الكافر، المشرك، المنافق....

والآية تنهى بشدّة وصرامة المؤمن في أن يُحابي أهل الشرك الذين يعلنون عداوتهم ويحاربون الله والرسول....

ثمّ الآية ترفض ـ مع تأكيد شديد ـ موادّة الكافر حتّى لو كان ذوي رحم أو قربىٰ، بل حتّى لو كان أب أو أخ....

فالذي كتب في قلبه الإيمان لا بدّ أن يكون خالياً من محاباة الكافر مهما كان هذا الكافر حتّى الأب... وهل تنفع روابط الرحم والنسب في هذا المقام؟!

كلّا... لأنّ القرآن يرفض ذلك التناقض فلا يجتمع الإيمان وحبّ الكافر في قلب المؤمن!.

الإيمان والكفر نقيضان لا يجتمعان في قلب واحد.

الحبّ والبغض نقيضان لا يجتمعان في قلب المؤمن.

عبادة الله والخضوع للأصنام نقيضان لا يجتمعان....

---

(١) الحجة على الذاهب: ٣٧٢.

(٢) سورة المجادلة: ٢٢.

الموالاة والمعاداة نقيضان لا يجتمعان....

وهكذا قس على ما سواه....

عُد إلى خصال النبيّ وسيرته مع عمّه أبي طالب عليه السلام ...!

إذا كان أبو طالب عليه السلام ممّن فارق الدنيا وهو مشرك ـ على حدّ زعم الخصوم ـ والمشرك كما عرفت الذي يرفض توحيد الله...، والذي يخضع في ولائه للأصنام وعبادتها، بل هو ممّن حادّ الله ورسوله ووقف موقف الضدّ، والند للند....

فهل تستطيع أن تفسّر ولاء النبيّ صلى الله عليه وآله وحبّه الشديد لعمّه أبي طالب وفقاً للآية المتقدّمة من سورة المجادلة؟!

أمام المجيب أحد خيارين:

إمّا أن يقول: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خالف القرآن الكريم وخالف ربّ العالمين، فاتّبع هواه، وآثر الرحم على العقيدة والمبدأ... وإمّا أن يسلّم ـ وبشكل قطعي ـ بإيمان أبي طالب عليه السلام.

فالجواب الأوّل محال وحاشى للرسول صلى الله عليه وآله أن يخالف أوامر ربّه، فيبقى الجواب الثاني وهو التسليم بإيمان عمّه أبي طالب عليه السلام، وهو عليه إجماع أهل الإيمان والحقّ.

ولكي يفهم الخصم أن مدّعاه باطل نضع أمامه طائفة من الآيات الكريمة التي تكشف عن صدق إيمان أبي طالب عليه السلام، وأنّه المؤمن بالله وبرسوله وباليوم الآخر، وهذا الكشف جاء من خلال حبّ النبيّ صلى الله عليه وآله لعمّه، وهذا الحبّ ليس وليد الساعة بل يمتد عمره بعمر النبيّ صلى الله عليه وآله من حين اطلّ النبيّ على الحياة وحتّى أن فارق أبو طالب الدنيا، أي أنّ هذا الحبّ شغل من عمر النبيّ صلى الله عليه وآله نصف قرن من الزمان، أنّه زمن مليء بالعطف والحنان والرأفة، حنان متبادل، وحبّ أواصره أشدّ من الحديد، وهذا الحبّ لا تجده من الرسول صلى الله عليه وآله مصانعة لعمّه ولا من عمّه مجاملة لابن أخيه، فحبّ النبيّ لعمّه ليس له مثيل ما خلا حبّه لخديجة وهكذا عند أبي طالب عليه السلام، أنّه حبّ منقطع النضير.

ولقد عرفت من حبّ أبي طالب لمحمّد ﷺ أنّه فاق حتّى حبّه لأولاده؛ علي وعقيل وجعفر....

فالآيات التي نريد أن نذكّر بها أولئك الذين ينفخون في رماد، ويرسمون حروف زيفهم وكلامهم المنمّق على صحائف من الماء، نقول لهم هاؤم إقرؤا ما بين دفّتي القرآن المجيد، عسى أن يخرجكم الله من الظلمة الحالكة إلى النور والهداية....

تاسعاً: قال تعالى: ﴿وَلَوْ كانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالنَّبِيِّ وَما أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِياءَ وَلٰكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فاسِقُونَ﴾.[1] ممّا يؤكّد معنى الآية السابقة آيات عديدة منها الآية ٨١ من سورة المائدة.

سبحانه وتعالى يؤكّد في هذه الآية الكريمة على رابطة العقيدة وهي القاعدة الثابتة التي يقف عليها المؤمنون، أو الميزان الدقيق للإيمان في النفوس.

إنّ المؤمن حقّاً لا يجمع في قلبه ودّين، ودّاً لله والرسول وودّاً لأعداء الله والرسول، حتّى لو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم... لأنّ روابط الدم والقرابة تنقطع عند حدّ الايمان، نعم يرد الإستثناء في معاشرة الوالدين المشركين، فإنّها تكون بالمعروف، وهذه مأمور بها حين لا تكون حرب أو خصومة بالسلاح فإذا قام السلاح ونهضت الحرب بين المؤمنين والكافرين فحينئذٍ تنقطع تلك الأواصر النسبية أو السببية، لأنّ الدين والعقيدة فوق علقة الرحم. هذا هو معنى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾.

وبمعنى آخر: لا رَحِمَ قبال العقيدة والمبدأ، من هنا. قتل أبو عبيدة أباه في يوم بدر، وقتل مصعب بن عمير أخاه عُبيد بن عمير، وقتل حمزة وعلي وعبيدة والحارث أقرباءهم، وممّا يؤكّد الآية السابقة قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا

---

(١) سورة المائدة: ٨١.

تَتَّخِذُوا الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.(١)

عاشراً: قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وَإِخْوانَكُمْ أَوْلِياءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ﴾.(٢)

الحادي عشر: قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِما جاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ...﴾.(٣)

الثاني عشر: قال تعالى: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ...﴾.(٤)

الثالث عشر: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ ما هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ عَذاباً شَدِيداً...﴾.(٥)

تشير الآيتان إلى المنافقين الذين يتولّون قوماً غضب الله عليهم ـ وهم اليهود ـ حيث كانوا على إتصال وعلى تنسيق في الكيد للمسلمين والتآمر عليهم، إنّهم تآمروا مع ألد أعدائهم عليهم، وتدلّ الآيات على أنّ سلطة الإسلام آنذاك كانت قد عظمت بحيث يخافها المنافقون وهذا الخوف يقودهم إلى أن يحلفوا ـ كذباً ـ لإنكار ما ينسب إليهم من المؤامرات، وهم يعلمون أنّهم كاذبون.

الرابع عشر: قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ

---

(١) سورة النساء: ١١٤.

(٢) سورة التوبة: ٢٣.

(٣) سورة الممتحنة: ١.

(٤) سورة آل عمران: ٢٨.

(٥) سورة المجادلة: ١٣ / ١٤.

يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.[(١)]

تشير الآية ٥٤ من سورة المائدة إلى صفة مهمّة لا بدّ أن يتحلّى بها المؤمنون أنها صفة الإخلاص في الولاء، فلا بدّ أن يكون ولاء المؤمن لربّه ولرسوله وعقيدته والجماعة المؤمنة التي ينتمي إليها، وإنّ موالاة غير الجماعة المؤمنة معناه الإرتداد عن دين الله، والنكول عن هذا المبدأ الذي فرضه الواقع الذي إختاره هذا الفرد وهو الإنتماء إلى دين الله والإخلاص له. وفي هذا الولاء آيات كثيرة أكّدها القرآن الكريم فراجع.

وعليه، فإنّ القرآن الكريم يريد من المسلم أن يكون صاحب وعي ونباهة، وأن يعرف حقيقة أعدائه، وحقيقة المعركة التي يخوضها معهم، إنّها معركة العقيدة، وهي الحدّ الفاصل بين المسلم وأعدائه في كلّ عصر.

ثمّ الحبّ الذي ترسمه الآية الكريمة هو الحبّ والرضى المتبادل، هو الصلة بين المؤمنين أنفسهم، وهكذا صلة المؤمنين بربّهم.

إنّ حبّ العبد لربّه نعمة لهذا العبد لا يدركها كذلك إلّا من ذاقها، بينما إنعام الله على العبد بهدايته لحبّه هو إنعام هائل عظيم لا يمكن وصفه، وإنّه عطاء لا يعرف قدره إلّا الذي يعرف حقيقة المعطي.

وهذه العصبة ـ المؤمنون ـ يسودهم روح الأخوة، وهذه الأخوة هي المعبّرة عنها في الآية: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فالمؤمن ذلول للمؤمن، غير عصي عليه، ولا صعب، بل سمح ودود.

---

(١) سورة المائدة: ٥٤.

وأمّا الآية ٨١ التي تقدّم ذكرها إنّها تنطبق على أهل الكتاب الذين كانوا يتولّون المشركين ويؤلّبونهم على المسلمين، وقد تجلّى هذا الأمر في غزوة الأحزاب ببيان واضح، بل أنّ أهل الكتاب على طول التاريخ كانوا يتعاونون مع الإلحاد كلّما ظهرت للمسلمين قوّة ضاربة ونصرٌ مؤزّر، فهم يتعاونون مع الوثنية المشركة كلّما كانت الغلبة في المعركة مع المسلمين، وهذا ديدنهم إلى يومنا الحاضر.

ولا يخفى أنّ الآية الكريمة أيضاً تنطبق على المنافقين في كلّ زمان، لأنّهم لم يؤمنوا بالله وبرسوله حقّاً، فهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر لذا تراهم يوادّون أهل الشرك والإلحاد....

الخامس عشر: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾.[1]

السادس عشر: قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.[2]

هذه جملة من الآيات وغيرها في هذا المضمون كثير التي تنهىٰ عن الركون إلىٰ المشركين لأنّهم ظالمون، قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾.

كما تنهى المؤمنين في أن يتخذوا أعداء الله أولياء من دون الله.

هذه هي تعاليم السماء، وها هي الآيات صريحة في منطوقها وأدائها ومعانيها، فدعنا نسأل أرباب المذاهب ما ذا لديكم في تفسير هذه الآيات؟ وما هي تخريجاتكم فيما كان يعامل به النبيّ صلى الله عليه وآله عمّه أبا طالب عليه السلام؟

فهل وجدتم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله تغافل عن هذه الآيات؟

---

(١) سورة النساء: ١٣٩.

(٢) سورة الفتح: ٢٩.

أم غفل عن معناها؟!

وهل عقل ما يفعل تجاه عمّه أبي طالب عليه السلام، أم تقولون كانت بينهما رحم وقرابة؟ أم ماذا، أرشدونا وفق منطق القرآن المجيد...!

فهل يجوز للنبيّ حامل رسالة السماء، والمبعوث للناس كافة ليبلّغهم تعاليم الإسلام؛ هل يجوز له أن يحابي أحداً خلافاً لمنطق القرآن وتعاليمه، فيعقد عرى الحبّ بينه وبين مشرك أو كافر إنطلاقاً من أواصر القرابة والنسب؟!

أم هل يجوز أن يستسلم لمن أسدى إليه معروفاً ووقف إلى جنبه مناصراً ومدافعاً وحامياً وهو لا يقرّ بما يحمله إبن أخيه من تعاليم ونصح وإرشاد؟!

كيف يتقبّل النبيّ صلى الله عليه وآله من عمّه ذاك السخاء وتلك النصرة وتلك المحبّة وهو منكر لدينه؛ ينأى عن التوحيد، ويرفض عبادة الله... ولا يذعن لشهادة الإيمان؟!

هذه تساؤلات، كلّها تقيّدك، بل تلزمك ـ حقّاً ـ بالإعتراف بإيمان أبي طالب لا محالة، لما في سيرته من برهان سديد ودليل قاطع، على أنّه ما خالف ظاهره باطنه، وما حاد عن المنهج السوي، ولا توجّه نحو صنم أو عبادة وثن، بل ورث الإيمان بالله لمّا كان وصيّاً لأبيه وجدّه، الذين فارقوا الدنيا جميعاً وهم على سُنّة الآباء والأجداد، وعلى دينهم، دين جدّهم إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام، إنّ الإذعان بهذا الرأي نخلص فيه إلى سلامة عمل النبيّ وصحّته، وسلامة سيرته تجاه عمّه، ومطابقته لكلّ تعاليم القرآن الكريم.

إلى هنا تبيّن ضوء الصبح أبلجاً وضّاء لا يستره غشاوة العمىٰ، ولا يحجبه سقم ذوي الضلال....

بقي أن نذكّر أولئك الذين لجّ بهم العناد وشاقوا الله ورسوله، فنقول لهم وما شكّكم في إيمان أبي طالب عليه السلام إلّا زيادة في الضلال، وبعداً عن الحقّ، ثمّ أنّكم في عملكم ذاك ليس فيه إلّا سخط الله وسخط رسوله لأنّكم آذيتم الله وآذيتم الرسول، والقرآن صريح في بيانه قد أعدّ الله سبحانه العذاب الشديد لمن يؤذي الرسول صلى الله عليه وآله

بل ولعنهم في الدنيا والآخرة وجعل مأواهم جهنّم وبئس المصير.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾.[١]

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[٢]

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾.[٣]

كانت هذه الآية في سياق الجواب الذي كتبه الإمام الرضا عليه السلام لأبان بن محمّد ـ البجلي ـ عند ما سأله: جعلت فداك: إنّي قد شككت في إسلام أبي طالب عليه السلام.

قال: فكتب «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾[٤]، إنّك إن لم تقرّ بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار».[٥]

فقد أوضح له الإمام بجواب شافٍ وصريح، وهو أنّ الشك في إيمان أبي طالب عليه السلام شيء يتنافى والإيمان بالرسول صلى الله عليه وآله فإنّ إيمان أبي طالب عليه السلام من مستلزمات العقيدة، ومن متبنّيات أهل البيت عليهم السلام، بحيث لا يتسرّب إليهما الشك، ومن داخله الشك فإنّه من الإيمان على مفارقة وسقوط، بل هو مشاقة للرسول، وتعامٍ عن الهدى، ومن يتعامىٰ عن الهدى فقد سلك سبيل الضلال، ونأىٰ عن جادة الحقّ، وزلّت به القدم.

أمّا جواب الإمام الرضا عليه السلام لعبد العظيم العلوي الحسني ـ المدفون بالري ـ

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٧.

(٢) سورة التوبة: ٦١.

(٣) سورة النساء: ١١٥.

(٤) سورة النساء: ١١٤.

(٥) الحجة على الذاهب: ص ٩٩، وشرح نهج البلاغة، إبن أبي الحديد: ١٤/٦٨، دار إحياء التراث العربي.

حيث سأله عن أبي طالب عليه السلام ... فقال عليه السلام: إنّك إنْ شككت في إيمان أبي طالب عليه السلام، كان مصيرك إلى النار.(١)

مَنْ آذى النبيّ صلى الله عليه وآله

أمّا فيمن آذى الرسول فهم أصناف، وفي مقدّمتهم قريش.

كان خمسة من زعماء قريش يستهزئون بالنبيّ صلى الله عليه وآله وبلغ أذاهم له حدّاً لا يوصف وهم:

الوليد بن المغيرة.

العاصي بن وائل.

الحارث بن قيس.

الأسود بن عبد يغوث.

الأسود بن المطلب.

كانوا يبالغون في إيذاء النبيّ صلى الله عليه وآله.

وإنّ أحدهم قد ألقى السلا على عاتق النبيّ صلى الله عليه وآله وهو يصلي، فلمّا قضى رسول الله صلاته قال: اللّهم عليك بقريش ثمّ سمّى، فقال: اللّهم عليك: بعمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وثيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأميّة بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد، ثمّ لمّا قتلوا في يوم بدر سحبوا وألقوهم في القليب، واتبع أصحاب القليب لعنة....(٢)

أقول: وأشدّ الناس عداوة للنبيّ صلى الله عليه وآله هم:

أبو جهل بن هشام بن المغيرة.

أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب (عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله).

---

(١) الغدير: ٧/ ٤٣٩، مؤسسة الأعلمي.

(٢) المواهب اللدنية: ١/ ٤٨.

الأسود بن عبد يغوث بن وهب الزهري (إبن خال النبيّ صلى الله عليه وآله).

الحارث بن قيس بن عدي السهمي.

الوليد بن المغيرة المخزومي.

أميّة بن خلف وأخوه أبيّ.

أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة.

العاص بن وائل بن هاشم السهمي (والد عمرو بن العاص).

النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة.

منبّه بن الحجاج بن عامر وأخوه نُبيه.

زهير بن أبي أميّة، حذيفة بن المغيرة (إبن عمّة الرسول).

العاص بن سعيد بن العاص بن أميّة.

عدي بن الحمراء الخزاعي.

أبو البختري العاص بن هشام بن الحارث.

عقبة بن أبي معيط.

الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى.

إبن الاصداء الهذلي.

الحكم بن أبي العاص بن أميّة (والد مروان بن الحكم).

عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف.

شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف.

الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف.

الحارث بن مالك بن عمرو بن الحارث.

رُكانة بن عبد يزيد بن هشام.

هُبير بن أبي وهب المخزومي.[١]

فبعض هؤلاء مات كافراً بحتفه، وبعضهم ناله حرّ السيوف فإلى جهنّم وبئس المصير، وفيهم نزل قرآن يبشّرهم بالهلاك في الدنيا وبسوء المنقلب في الأخرة....

(١) إمتاع الأسماع، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ): ١/٤١ـ٤٢، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٩م.

الفصل الخامس

إيمان أبي طالب عليه السلام من خلال السُّنّة

* **النبيّ صلى الله عليه وآله يشفع لعمّه**
* **إيمان أبي طالب عليه السلام من خلال السُنّة.**
* **السيرة حاكمة على إيمان أبي طالب عليه السلام.**

من الأدلّة التي سنتناولها هي الأحاديث التي صدرت من النبيّ الأكـرم ﷺ بحقّ إيمان عمّه أبي طالب عليه السلام، وما في ذلك من براهين ساطعة، بـل إنّ السّـنّة النبوية في مراحلها المختلفة هي خير دليل على إيمان هذا العمّ المجاهد، وذلك الصحابي الكبير، الذي نذر حياته وحياة ولده من أجل صاحب الرسالة، والداعي إلى الله سبحانه.

إنّه ضحّى بكلّ ما لديه من أجل ارساء قواعد التوحيد في المجتمع الجاهلي، وبالذات في المجتمع القريشي الذي طالما وقف مناهضاً لرسالة السماء، فكان العناد منهم، والحقد، والحسد، والبغضاء، يلفّ زعماء المشركين وكبار قريش....

النبيّ ﷺ يشفع لعمّه

سيرة النبيّ ﷺ تكشف لنا اللثام عن وجهين بارزين؛ وجه قـريش الحـالك المكفهّر الطافح بالكفر، ووجه أبي طالب المشرق الوضّاء الذي يسطع منه نـور الإيمان والوصاية والولاية، فإليك جملة من تلك الأحاديث الصحيحة والمعتبرة عند علماء الجمهور.

١ ـ روى السيوطي بسنده عن النبيّ ﷺ وفي مصادر عديدة أنّه قال: هـبط عليّ جبرئيل فقال لي يا محمّد: إنّ الله عزّ وجلّ مشفّعك في ستة: بطن حملتك آمنة بنت وهب، وصلب أنزلك، عبد الله بن عبد المطلب، وحجر كفلك، أبو طالب، وبيت آواك، عبد المطلب، وأخ كان لك في الجاهلية، قيل يا رسول الله وما كان فعله؟

قال: كان سخيّا يطعم الطعام، ويجود بالنوال وثدي أرضعك، حليمة بنت أبي ذؤيب.[1]

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٤/ ٦٧، والتعظيم والمنة للسيوطي: ص ٢٥، وقريب منه في

قال الغفاري: إنّ الشفاعة لأهل الكبائر والمعاصي من المسلمين، أمّا الكافر لا سبيل له ولا نصيب له من الشفاعة، أمّا شفاعة النبيّ صلى الله عليه وآله لعمّه فهذا يدلل أوّلاً على أنّه كان من أهل الإيمان. وثانياً أنّ تلك الشفاعة من النبيّ صلى الله عليه وآله لعمّه إنّما هي لرفع منزلته عند الله سبحانه ولإعلاء مقامه بين الخلائق يوم القيامة.

٢ ـ أخرج إبن سعد في طبقاته، عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي قال: أخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله بموت أبي طالب فبكى ثمّ قال: إذهب فاغسله وكفّنه وواره، غفر الله له ورحمه.

وفي لفظ إبن الجوزي: فبكى بكاء شديداً ثمّ قال: إذهب فاغسله....[١]

٣ ـ قال اليعقوبي في تاريخه: لمّا قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أبا طالب قد مات، عظم ذلك في قلبه، واشتدّ له جزعه، ثمّ دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرّات، وجبينه الأيسر ثلاث مرّات، ثمّ قال: يا عمّ! ربّيت صغيراً، وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً، فجزاك الله عنّي خيراً، ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول: وصلتك رحم، وجُزيت خيراً.[٢]

٤ ـ إنّه لمّا قبض أبو طالب عليه السلام أتى الإمام علي عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره بموته فتوجّع لذلك النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: امضِ يا علي فتولّ غسله وتكفينه وتحنيطه، فإذا رفعته على سريره فأعلمني.

ففعل ذلك علي عليه السلام، فلمّا رفعه على السرير اعترضه النبيّ صلى الله عليه وآله فرقّ له، وقال: «وصلتك رحم يا عمّ، وجزيت خيراً، فلقد ربّيت وكفلت صغيراً، ونصرت وآزرت كبيراً».[٣]

تاريخ اليعقوبي: ١ / ٣٥٥.

(١) سبط إبن الجوزي في التذكرة: ص ١٩، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، بيروت ١٤٠١هـ. وشرح النهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٤ / ٧٦. والسيرة النبوية للحلبي: ١ / ٣٥١. وعلى هامش السيرة الحلبية: ١ / ٩٠. ونجاة أبي طالب كما في أسنى المطالب: ص ٣٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ١ / ٣٥٥، منشورات مؤسسة الأعلمي، ط ١، بيروت ١٤١٣هـ.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٤ / ٧٦، وشيخ الأبطح: ٤٣. والحجة على الذاهب: ٦٧، ومعجم

ثمّ تبعه إلى حفرته فوقف عليه (ثمّ أقبل على الناس) فقال: «أما والله، لأستغفرنّ لك و لأشفعنّ فيك شفاعة يعجب لها الثقلان».

في هذا الحديث عدّة أدلّة على إيمان أبي طالب عليه السلام:

أوّلاً: ما توجُّعُ النبيّ على عمّه أبي طالب إلّا لكونه فارق الحياة وهو مؤمن بالله وبرسوله، وفقدانه ثلمة في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وخسارة له، حيث كان الدرع الواقي له طيلة فترة وجوده مع النبيّ صلى الله عليه وآله.

ثانياً: ما أمر النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام في تغسيل أبي طالب وتكفينه وتحنيطه إلّا لكونه عليه السلام من أهل القبلة والتوحيد بالله.

ثالثاً: قول النبيّ صلى الله عليه وآله وهو معترضاً جنازة أبي طالب عليه السلام: (وصلتك رحم، وجزيت خيراً ونصرت وآزرت كبيراً)، إنّما تُنبيء عن كون المخاطب ـ أبو طالب ـ ذا منزلة وقدر كبير عند النبيّ صلى الله عليه وآله وما هذا الجزاء الخير من النبيّ إلّا لكون أبي طالب عليه السلام قد فارق الدنيا وهو على ملّة الإسلام، وإلّا كان دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله عبثاً ولغواً، حيث لا يجوز الإستغفار والدعاء لمن مات وهو كافر.

رابعاً: أمرَ رسول الله عليّاً عليه السلام بتجهيز والده بعد الغسل والكفن دون بقيّة أولاده؛ إذ كان مَنْ حضره من ولده عقيل وطالب، وكلاهما يومئذ لم يدخلا في الإسلام، بينما كان أمير المؤمنين عليه السلام وحده ممّن حظر وهو مؤمن بالله ورسوله، أمّا جعفر فقد كان مهاجراً إلى الحبشة. لذا خصّ رسول الله صلى الله عليه وآله المؤمن من ولد أبي طالب بولاية أمره لموافقة إيمانه إيمان أبيه.

ولو كان أبو طالب مات كما يزعم الخصوم من النواصب لكان عقيل وطالب أحقّ بتولية أمر أبي طالب وتكفينه من عليّ عليه السلام، ولما جاز للمسلم من ولده القيام بأمره، لإنقطاع العصمة بينهما.

القبور: ١٩١ و٢٠٤، وتفسير علي بن إبراهيم: ٣٥٥، وتذكرة الخواص: ١٩، والأعيان: ٣٩/ ١٣٩ و١٦١، ودلائل النبوة للبيهقي: ٢/ ٣٤٩.

خامساً: في حكم رسول الله صلى الله عليه وآله بإجراء أحكام المسلمين على إبي طالب من الغسل والتطهير والتحنيط والتكفين والمواراة شاهد صدق علىٰ إيمانه.

سادساً: الصلاة على الميّت المسلم في ذلك الوقت لم تشرّع بعد، وإنّما كان الحمد والدعاء والثناء فحسب فلو كان أبو طالب عليه السلام مات كافراً لما وسع رسول الله صلى الله عليه وآله الثناء عليه بعد الموت، والدعاء له بشيء من الخير، بل كان على الرسول صلى الله عليه وآله أن يتجنّب الصلاة عليه (الدعاء) لما ورد في الذكر الحكيم: **﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مٰاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾**.(١)

وقوله تعالى: **﴿وَمٰا كٰانَ إِسْتِغْفٰارُ إِبْرٰاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاّٰ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهٰا إِيّٰاهُ فَلَمّٰا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّٰهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾**.(٢)

إذاً فعل الرسول صلى الله عليه وآله حجة قاطعة فيما تصدّى له من أمر، وما صدر منه صلى الله عليه وآله من الثناء والحمد والدعاء، لعمّه إنّما لكونه مؤمناً وما وعده من الخير، حيث قال صلى الله عليه وآله: «لأشفعنّ لعمّي شفاعة يعجب منها أهل الثقلين».(٣) (وقد عرفت فيما تقدّم أنّ الشفاعة هنا لرفع المنزلة والمقام العالي بين الخلائق في يوم القيامة.

٥ ـ ممّا قاله النبيّ صلى الله عليه وآله في حقّ عمّه أبي طالب عليه السلام:

«لله درّ أبي طالب، لو كان حيّاً لقرّت عيناه، مَنْ الذي ينشدنا شعره...»،

لله درّه: دعاء وإطراء معروف، أي لله ما أخرج منه من خير وهو يستعمل في مورد التعجب والإحترام والتقدير.

قال أبو هلال العسكري: الأصل فيه أن الرجل إذا كثر خيره وعطاؤه قيل: «لله دَرّه» أي له إحمادُ ما يُنيلُه، كما يقولون لمن حمدوه: لله هو، والدَّرُّ عندهم: الخير،

---

(١) التوبة: ٨٥.

(٢) سورة التوبة: ١١٥.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ١٤/ ٧٧، وشيخ الأبطح: ٤٣. والحجة على الذاهب: ٦٧. ومعجم القبور: ١/ ١٩١ و٢٠٤، وتذكرة الخواص: ١٠، وإيمان أبي طالب: ١٠، وفي بعض النسخ (يعجب لها الثقلان).

وأصله اللبن، ثمّ كثُر المثلُ حتّى قالوا لكلّ ما تعجّبوا منه: «لله دَرّه»... ويقولون عند المدح: درّ درّك، وعند الذمّ: لا درّ درُّه.[١]

قال الغفاري: هل ترى الرسول يطري على أحد بالثناء وهو ليس أهلاً له؟! أو أنّه يحمده من دون إستحقاق؟!

بل يتابع الرسول حمده وثناءه لعمّه متابعة متواصلة يتّبعها إستغفار، فإن لم يكن أبو طالب قلبه عامراً بالايمان لما أثنى عليه النبيّ، ولما صدر منه ذلك الإستغفار فتدّبر.

ولمّا سأل صلى الله عليه وآله من الذي ينشدنا شعره...، قام الإمام علي عليه السلام فقال: يا رسول الله لعلّك أردت قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى، عصمة للأرامل

قال له النبيّ صلى الله عليه وآله: أجل.

راح الإمام عليّ عليه السلام ينشده الأبيات إلى آخرها والرسول صلى الله عليه وآله من على المنبر يتابع إستغفاره لعمّه... وفي الإثناء قام شاعر كنانه ينشده:

لك الحمد، والحمد ممّن شكر سقينا بوجه النبيّ المطر
دعا الله خالقه دعوةً إليه، وأشخص منه البصر
فلم يك إلّا كإلقاء الرّدا وأسرعَ حتّى رأينا الدرر
دفاق العزاليّ جمُّ البعاق أغاث به الله عليا مضر
فكان كما قاله عمّه أبو طالب: أبيض ذو غرر
به الله يسقيه صوب الغمام وهذا العيان لذاك الخبر[٢]

٦ ـ وأخرج البيهقي عن إبن عباس: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله عاد من جنازة أبي طالب فقال: وصلتك رحم، وجزيت خيراً يا عمّ، وفي لفظ الخطيب: عارض النبيّ جنازة

---

(١) كتاب جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري: ص ١٧٢، طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) أبو طالب شيخ الأبطح: ٤٥. وشرح نهج البلاغة للمعتزلي: ١٤ / ٨١. والغدير: ٧ / ٣٧٥.

أبي طالب، فقال: وصلتك رحم، جزاك الله خيراً يا عمّ.(١)

٧ـوفي تاريخ اليعقوبي، روى أنّه صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله عزّ وجلّ وعدني في أربعة في أبي وأمي وعمّي وأخ كان لي في الجاهلية.(٢)

وأخرج إبن الجوزي بإسناده عن الإمام علي عليه السلام مرفوعاً عن النبيّ قال صلى الله عليه وآله: هبط جبرئيل عليه السلام عليّ فقال: إنّ الله يقرئك السلام ويقول حرّمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك، أمّا الصلب فعبد الله، وأمّا البطن فآمنة، وأمّا الحجر فعمّه يعني أبا طالب عليه السلام وفاطمة بنت أسد عليها السلام.(٣)

٨ـروى أصحاب الحديث عن رجالهم الثقات من أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سُئل فقيل له: ما تقول في عمّك أبي طالب يا رسول الله، وترجو له؟

قال: «أرجو له كلّ خير من ربّي».(٤)

أقول: فإن لم يكن مات على الإيمان لما جاز من رسول الله صلى الله عليه وآله رجاء كلّ الخيرات له من الله سبحانه، مع ما قطع له تعالى به في القرآن وعلى لسان مبعوثه الأكرم صلى الله عليه وآله من خلود الكفّار في النار وتأبيدهم في العذاب....

٩ـ وعن العباس بن عبد المطلب أنّه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ما ترجو لأبي طالب؟ فقال: «كلّ خير أرجو من ربّي عزّ وجلّ».(٥)

١٠ـ جاء في ذخائر العقبى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعقيل بن أبي طالب: يا

---

(١) دلائل النبوة: ٢/٣٤٩. وتاريخ الخطيب البغدادي: ١٣/١٩٦. وتاريخ إبن كثير: ٣/١٢٥. وتذكرة سبط إبن الجوزي: ص ١٩. ونهاية الطلب للشيخ إبراهيم الحنفي كما في الطرائف: ص ٨٦. والإصابة في تميز الصحابة: ٤/١١٦ـ١١٩. وشرح شواهد المغنى: ص ١٣٦.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ١/٣٥٥.

(٣) التعظيم والمنة للسيوطي: ص ٢٥. والغدير: ٧/٤٢٠.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي: ١/١٣٨. وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد: ١٤/٦٨. وإيمان أبي طالب للمفيد: ص ٢٧.

(٥) تاريخ الذهبي: ١/١٣٨. وطبقات إبن سعد: ١/١٢٣، دار بيروت ١٩٨٥م.

أبا يزيد أنّي أحبّك حُبّين حبّاً لقرابتك منّي، وحبّاً لما كنتُ أعلم من حبِّ عمّي أبي طالب عليه السلام إيّاك.(١)

قال الغفاري: ما كان حبّ النبيّ صلى الله عليه وآله لعقيل إلّا لحبّين أحدهما القرابة والآخر حبّ أبي طالب عليه السلام لعقيل، فإنّ نصف هذا الحبّ ـ حبّ النبيّ لعقيل ـ سببه هو أبو طالب عليه السلام، فلو كان أبو طالب غير مؤمن فما أحبّه الرسول صلى الله عليه وآله. فتدبّر.

إذاً الحبّ لا يستقر في قلب المؤمن تجاه الكافر، والآيات في ذلك صريحة وقد تقدّم ذكرها.

ثمّ ما قيمة حبّ كافرٍ لشخص ما كعقيل حتّى يكون سبباً لحبّ النبيّ صلى الله عليه وآله عقيلاً؟!

١١ ـ وروى البيهقي بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما زالت قريش كاعّين عنّي حتّى مات أبو طالب عليه السلام.(٢)

١٢ ـ وروى البيهقي بسنده عن عروة بن الزبير عن عبد الله بن جعفر قال: لمّا مات أبو طالب عرض لرسول الله صلى الله عليه وآله سفيه من سفهاء قريش فألقى عليه تراباً فرجع إلى بيته فأتت امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكي، قال فجعل يقول صلى الله عليه وآله: أي بنيّة لا تبكين فإنّ الله عزّ وجلّ مانع أباك، ويقول ما بين ذاك ما نالت منّي قريش شيئاً أكرهه حتّى مات أبو طالب عليه السلام.(٣)

١٣ ـ في حديث جابر أنّه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: الناس يقولون إنّ أبا طالب

---

(١) وأخرجه إبن عبد البرّ في الإستيعاب: ٢/١٠٧٨، ترجمة ٣٨٣٤، نهضة مصر للطباعة، القاهرة. وذخائر العقبى: ص ٢٢٢، مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٦هـ. والطبراني كما في الذخائر، وتاريخ الخميس: ١/١٦٣، دار صادر ومؤسسة شعبان، بيروت. وعماد الدين العامري في بهجة المحافل: ١/٣٢٧. والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/٢٧٣، ط ٣، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٢م. وقال: رجاله ثقات.

(٢) دلائل الصدق، أحمد بن الحسين البيهقي: ٢/٣٤٩، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م.

(٣) المصدر السابق: ٢/٣٥٠.

مات كافراً، قال يا جابر: الله أعلم بالغيب، إنّه لمّا كانت الليلة التي أسري بي فيها إلى السماء إنتهيت إلى العرش فرأيت أربعة أنوار، فقلت إلهي ما هذه الأنوار؟

فقال يا محمّد: هذا عبد المطلب، وهذا أبو طالب، وهذا أبوك عبد الله، وهذا أخوك طالب.

فقلت: إلهي وسيّدي فبما نالوا هذه الدرجة؟

قال: بكتمانهم الإيمان وإظهارهم الكفر، وصبرهم على ذلك حتّى ماتوا عليه.[1]

أقول: كلّ الذي تقدّم من مواقف ومن كلام قد صدر من النبيّ صلى الله عليه وآله إنّما أدلّة تؤكّد لنا إيمان أبي طالب عليه السلام.

ثمّ لا يخفاك أنّ هذا الإسراء ليس هو الأوّل من نوعه، لأنّ الإسراء الأوّل قد حصل للنبيّ صلى الله عليه وآله في مكة في السنة الثالثة من البعثة وقال بعضهم كان الإسراء في أوائل البعثة.

السيرة الشرعية حاكمة على إيمان أبي طالب عليه السلام

لو اعرضنا صفحاً عن كلّ ما تقدّم، نقول هناك الدليل الشرعي الذي لا يختلف فيه المسلمون، علينا أن نقف عنده حتّى يتبيّن الأمر للخصم، فمنه:

أوّلاً: بقاء فاطمة بنت أسد عليها السلام على عصمة زوجها

من الأحكام الشرعية التي عرفها كلّ فقهاء المسلمين أنّ الكافر لا ولاية له على المؤمن، ومن هنا فرّق النبيّ صلى الله عليه وآله بين الأزواج المؤمنات وأزواجهنّ الكافرين، كما فعله بالنسبة لربائبه.

وفي ذلك نزل قرآن.

---

(١) روضة الواعظين، لابن الفتال: ١/٣٢١، حديث (٤/٣٣٢)، وفيه أحاديث أخرى في إيمان أبي طالب عليه السلام، ط ١، تحقيق غلام حسين المجيدي، قم ١٤٢٣هـ.

قال تعالى: ﴿...وَلَنْ يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾.[(١)]

وقال تعالى: ﴿...وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ...﴾.[(٢)]

وقال تعالى: ﴿...وَلا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ﴾.[(٣)]

١ ـ أورد العلامة السيوطي في تفسيره للآية: ﴿وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ وَسْئَلُوا ما أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُوا ما أَنْفَقُوا ذلِكُمْ حُكْمُ اللّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، قال: فطلّق عمر بن الخطاب امرأته بنت أبي أميّة بن المغيرة من بني مخزوم فتزوّجها معاوية بن أبي سفيان، وبنت جرول من خزاعة فزوّجها رسول الله ﷺ لأبي جهم بن حذيفة العدوّي، وجعل ذلك حكماً، حكم به بين المؤمنين وبين المشركين في مدّة العهد....[(٤)]

٢ ـ وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن مجاهد: ﴿وَإِنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْواجِكُمْ إِلَى الْكُفّارِ فَعاقَبْتُمْ﴾ إن امرأة من أهل مكّة أتت المسلمين فعوّضوا زوجها، وإن امرأة من المسلمين أتت المشركين فعوّضوا زوجها، وإن امرأة من المسلمين ذهبت إلى من ليس له عهد من المشركين ﴿فَعاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْواجُهُمْ مِثْلَ ما أَنْفَقُوا﴾....[(٥)]

٣ ـ وأخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن أبي حبيب أنّه بلغه أنّه نزلت: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا جاءَكُمُ الْمُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ﴾ الآية، في امرأة أبي حسان بن الدحداحة، وهي أميمة بنت بسر امرأة من بني عمرو بن عوف، وأنّ سهل بن حنيف تزوّجها حين فرّت إلى رسول الله ﷺ، فولدت له عبد الله بن سهل.

---

(١) النساء: ١٤١.

(٢) الممتحنة: ١٠.

(٣) سورة البقرة: ٢٢١.

(٤) الدر المنثور، السيوطي: ٨/١٣٥، طبعة دار الفكر، بيروت ١٩٨٣م.

(٥) المصدر السابق: ٨/١٣٦.

٤ ـ وأخرج إبن أبي حاتم عن مقاتل قال: كان بين رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل مكّة عهد شرط في أن يرد النساء فجاءت امرأة تسمىٰ سعيدة، وكانت تحت صيفي بن الراهب، وهو مشرك من أهل مكّة، وطلبوا ردّها فأنزل الله: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ الآية.(١)

٥ ـ وأخرج إبن منيع من طريق الكلبي عن أبي صالح عن إبن عباس قال: أسلم عمر بن الخطاب وتأخرت امرأته في المشركين فأنزل الله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ...﴾.(٢)

٦ ـ وأخرج الطبراني وأبو نعيم وإبن عساكر عن يزيد بن الأخنس أنّه لمّا أسلم، أسلم معه جميع أهله إلّا امرأة واحدة أبت أن تسلم فأنزل الله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ...﴾ فقيل له: قد أنزل الله أنّه فرّق بينها وبين زوجها إلّا أن تسلم، فضرب لها أجل سنة، فلمّا مضت السنة إلّا يوماً جلست تنظر الشمس حتّى إذا دنت للغروب أسلمت.(٣)

٧ ـ وأخرج إبن أبي حاتم عن طلحة قال: لمّا نزلت: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ طلّقت امرأتي أروى بنت ربيعة، وطلّق عمر قريبه بنت أبي أميّة، وأم كلثوم بنت جرول الخزاعية.(٤)

٨ ـ وأخرج إبن أبي حاتم عن الحسن في قوله: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ قال: نزلت في امرأة الحكم بنت أبي سفيان إرتدت فتزوّجها رجل ثقفي، ولم ترتد امرأة من قريش غيرها، فأسلمت مع ثقيف حين أسلموا.(٥)

هذه بعض الأخبار وهي صحيحة متناً وسنداً تنبؤك إنّ الكافر لا سبيل له على

---

(١) الدر المنثور: ٨ / ١٣٦.

(٢) المصدر السابق: ٨ / ١٣٧.

(٣) المصدر السابق: ٨ / ١٣٧.

(٤) المصدر السابق: ٨ / ١٣٨.

(٥) المصدر السابق: ٨ / ١٣٨.

المؤمن. ولا عصمة بين كافر ومسلم، فالمرأة المسلمة تبين عن زوجها الكافر، وهكذا الرجل المؤمن تبين منه زوجه الكافرة....

أمّا أبو طالب فلكونه مؤمناً لم تنفصل عنه فاطمة بنت أسد، و إلى هذا أشار الإمام زين العابدين عليه السلام حين قيل له: إنّ هاهنا قوماً يزعمون أنّ أبا طالب كافر، فأجاب عليه السلام: واعجباً كلّ العجب يطعنون على أبي طالب أو على رسول الله صلى الله عليه وآله وقد نهاه الله تعالى أن يقرّ مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن، ولا يشك أحد أنّ فاطمة بنت أسد عليها السلام من المؤمنات السابقات، فإنّها لم تزل تحت أبي طالب حتّى مات عليه السلام.[1]

وفي ذلك يقول السيد عبد العزيز سيّد الأهل: إنّ هذا الحكم كان موجوداً في حياة أبي طالب عليه السلام، قال: وعند خروج بني هاشم من الشّعب حرّم الدين الجديد المشركة على المسلم، والمشرك على المسلمة.[2]

من سيرة فاطمة بنت أسد عليها السلام:

فاطمة صحابية جليلة، أبوها أسد بن هاشم بن عبد مناف، حظيت برعاية النبيّ صلى الله عليه وآله حينما كفله عمّه أبو طالب بناء على وصيّة أبيه عبد المطلب، فكانت له أمّاً بعد آمنة، تقوم على شؤونه، وترعىٰ أموره ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وقد كان المصطفى صلى الله عليه وآله في كنفها قرابة العقدين من حياته، ذلك قبل زواجه من خديجة، وأمّا بعد زواجه فكانت ترعاه كذلك إلى أن صدع بالرسالة.

وعند ما أمر الله سبحانه النبيّ صلى الله عليه وآله بإظهار دينه، وإنذار عشيرته الأقربين قال

---

(١) الغدير: ٧/ ٥٢٤، طبعة مركز الغدير، بيروت. وشرح النهج: ١٤/ ٩٢. والحجة على الذاهب: ١٢٣. وأعيان الشيعة: ٣٩/ ١٣٦.

(٢) أبو طالب عليه السلام عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله: ص ٩.

تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾.(١)

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، عندها جهر بالدعوة إلى الله فاستجابت فاطمة بنت أسد، وأسلمت فحظيت بشرف الصحبة منذ بدء الرسالة المباركة، فهي من السابقات الأوليات في الإسلام، بل هي من الصفوة المباركة، ثمّ كانت من المهاجرات الأوليات، ولفضلها وصلاحها وإيمانها وتقواها وبرّها للرسول كان النبيّ ﷺ يكرمها ويعطف عليها حيث بلغت من العمر تضاهي السبعين، وكان يزورها ويقيل في بيتها بالمدينة، كما كان بيتها بمكة مآباً طيباً للنبيّ وسكناً آمناً.

ذكر سبط إبن الجوزي في فصل تحدّث فيه عن فاطمة بنت أسد، فقال: قال إبن عباس: وفيها ـ أي في فاطمة بنت أسد ـ نزلت: ﴿يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا جاءَكَ الْمُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ﴾ الآية.

قال: وهي أوّل امرأة هاجرت من مكة إلى المدينة ماشية حافية، وهي أوّل امرأة بايعت محمّداً رسول الله ﷺ بمكّة بعد خديجة.

قال الزهري: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الناس يوم القيامة عراة فقالت: واسوأتاه. فقال لها رسول الله ﷺ فأنّي اسأل الله أن يبعثك كاسية. قال: وسمعته يقول أو يذكر عذاب القبر فقالت: واضعفاه. فقال ﷺ: أنّي اسأل الله أن يكفيك ذلك.(٢)

ولمّا توفّيت خصّها النبيّ ﷺ بكلمات الرحمة والمغفرة والدعاء والإستغفار لها، فجلس عند رأسها فقال: رحمك الله يا أمّي، كنت أمّي بعد أمّي، تجوعين و تشبعينني، وتعرين وتكسينني، وتمنعين نفسك طيبها وتطعميني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة، ثمّ إنّ رسول الله ﷺ صبّ الماء الذي فيه الكافور عليها

---

(١) الحجر: ٩٤.

(٢) تذكرة الخواص لسبط إبن الجوزي: ص ٢٠، طبعة مؤسسة أهل البيت ﷺ، بيروت.

بيده، وخلع قميصه فألبسها إيّاه وكفّنها ببُردٍ فوقه، ولمّا حفر قبرها، وبلغوا اللحد حفره رسول الله صلى الله عليه وآله بيده وأخرج ترابه، فلمّا فرغ منه صلى الله عليه وآله دخل فاضطجع فيه، ثمّ قال: الله الذي يحيي ويميت وهو حيّ لا يموت، اللّهم إغفر لأمّي فاطمة بنت أسد ـ ولقّنها حجّتها، ووسّع عليها مدخلها ـ بحقّ نبيّك والأنبياء الذين من قبلي فإنّك أرحم الراحمين، ثمّ كبّر عليها أربعاً وأدخلها لحدها، وقيل كبّر عليها سبعاً وقيل تسعاً.

وتعجّب الصحابة من صنع الرسول صلى الله عليه وآله، فقالوا له: فعلت على هذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحدٍ؟

فقال صلى الله عليه وآله: إنّه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها، إنّما ألبستها قميصي لتُكسىٰ من حُلَلِ الجنّة، واضطجعت معها ليهون عليها.

رواه أنس بن مالك، وذكره أحمد خليل في كتابه.(١)

قال الغفاري: هذا الحديث الذي رواه لنا أنس بن مالك فيه دلالات عديدة على إيمان أبي طالب وزوجه فاطمة بنت أسد، ثمّ دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله لهما لهو خير دليل نعتمده، فعلىٰ اللبيب المنصف، والمسلم النزيه أن يتجرّد عن العناد ويحكّم عقله ووجدانه فيما يقرأ وفيما يسمع، وألّا يعبأ بصرخات المنافقين ودعوات المضلّين في تشويه صورة الواقع التي سطعت في جبين أبي طالب، والنور الذي تلألأ في وجهه، أنّه نور ولاية علي أمير المؤمنين عليه السلام وسيّد الوصيّين فهو والنبيّ محمّد كانا ينقلان من الأصلاب الشامخة الطاهرة إلى الأرحام المطهرة....

ثانياً: النبيّ يتغذّى من لبن عمّه

روى الكليني بسنده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا ولد النبيّ صلى الله عليه وآله

---

(١) نساء من عصر النبوة، أحمد خليل جمعة: ١/ ٢٥. دار إبن كثير للطباعة والنشر، ط ١، دمشق ١٩٩٢م.

مكث أيّاماً ليس له لبن، فألقاه أبو طالب على ثدي نفسه، فأنزل الله فيه لبناً فرضع منه أيّاماً حتّى وقع أبو طالب على حليمة السعديّة فدفعه إليها.[١]

قال الغفاري: لمّا ولد النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله كان في سنيّه الأولى تحت رعاية جدّه عبد المطلب وهو الذي اهتم في شأن رضاع النبيّ، ولا يستبعد أنّه كلّف إبنه أبا طالب يبحث له عن مرضعة ترضعه، فكانت أيّامه الأولى في حضانة أبي طالب عليه السلام، وقد عرفت من حديث الإمام الصادق عليه السلام كيف أجرى الله سبحانه طعام نبيّه من صدر أبي طالب، وهذا ليس على الله ببعيد، وليس عجيباً أن يفديه أبو طالب بكلّ نفيس، بل وحتّى بأولاده حفاظاً على صاحب الرسالة الغرّاء، وأعلاءً لكلمة التوحيد، وإن ناوأه المشركون.

إذاً اجراء هذه الكرامة لأبي طالب دليل قوي على توحيده وإيمانه الخالص بالله سبحانه، فإفهم وتأمّل.

ثالثاً: الحجّ والطواف عن أبي طالب عليه السلام

وممّا يستدلّ ـ فقهيّاً ـ على إيمان أبي طالب عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يأمر أن يحجّ عن عبد الله والد النبيّ صلى الله عليه وآله، وعن والدته؛ آمنة، وعن أبي طالب في حياته، ثمّ أوصى في وصيته لبنيه (الحسن والحسين) بالحجّ عنهم.[٢]

قال الغفاري: وهل قرأت في كتب الفقه أنّ أحد المسلمين أوصى أحداً أن يحج عن أبيه الكافر؟!

هذه كلّ كتب الفقه عارية عن هكذا شاهد. أمّا فعل أمير المؤمنين عليه السلام فإنّه يؤكّد لك بأنّ آباء النبيّ صلى الله عليه وآله وهكذا أبا طالب كانوا مؤمنين حقّاً.

---

(١) أصول الكافي: ٤٤٨/١، باب مولد النبيّ صلى الله عليه وآله، حديث ٢٧، ط ٤، دار صعب، دار التعارف، بيروت ١٤٠١هـ.

(٢) الحجة على الذاهب: ص١٠٧، طبعة دار الزهراء عليها السلام، بيروت. وبحار الأنوار: ١١٢/٣٥.

الإمام الصادق عليه السلام يأمر داود الرقّي بالطواف عن أبي طالب عليه السلام:

روى فخار بن معد الموسوي (ت ٦٣٠هـ) بإسناده عن داود الرقّي قال: دخلت علىٰ أبي عبد الله عليه السلام ولي علىٰ رجل دين وقد خفت تواه ـ أي هلاك المال ـ فشكوت ذلك إليه، فقال عليه السلام: إذا مررت بمكّة فطف عن عبد المطلب طوافاً، وصلّ عنه ركعتين، وطف عن أبي طالب طوافاً، وصلّ عنه ركعتين، وطف عن عبد الله طوافاً وصلّ عنه ركعتين، وطف عن آمنة طوافاً، وصلّ عنها ركعتين، وطف عن فاطمة بنت أسد طوافاً، وصلّ عنها ركعتين، ثمّ ادع الله عزّ وجلّ أن يردّ عليك مالك، قال: ففعلت ذلك ثمّ خرجت من باب الصفا، فإذا غريمي واقف يقول: يا داود جئني هناك فأقبض حقّك.[١]

أقول: إذا لم يكن أبو طالب مؤمناً بالله، متمسّكاً بعرى الإسلام فهل يصحّ للإمام الصادق عليه السلام أن يأمر داود الرقي بالطواف عنه في الكعبة؟

رابعاً: هدية المشرك

ممّا حرّم النبيّ على نفسه هدية المشرك.

جاء في البحار أنّ البراء بن عامر بن صعصة قدم على النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وهو في المدينة، وأهدى له هدية، فأبىٰ الرسول صلى الله عليه وآله أن يقبلها، وقال: يا أبا براء؛ لا أقبل هدية مشرك، فأسلم إن أردت أن أقبل هديتك.[٢]

وقد ذكروا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد ردّ هدية حكيم بن حزام؛ لأنّه كان مشركاً....[٣]

كما أنّه صلى الله عليه وآله لم يقبل هدية عامر بن الطفيل، لأنّه لم يكن قد أسلم بعد.

---

(١) الحجة على الذاهب لابن معد الموسوي: ص ١٠٤. والغدير: ٥٢٩/٧، مركز الغدير للدراسات الإسلامية. والبحار: ١١٢/٣٥.

(٢) البحار: ١٤٧/٢٠، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) مستدرك الحاكم النيسابوري: ٤٨٤/٣، مجمع الزوائد للهيثمي: ٢٧٨/٨، كنز العمال للمتقي الهندي: ٥٧/٦ و٥٩.

ومثله هدية ملاعب الأسنّة فقد ردّها ﷺ وقال: لا أقبل هدية مشرك.[(١)]

وذكرت مصادر السيرة أنّ عياض المجاشعي أهدى إلىٰ النبيّ ﷺ هدية فأبىٰ قبولها، وقال: إنّي نهيت عن زبد المشركين.[(٢)]

قال الغفاري: لا يخفىٰ عليك أنّ هدية أهل الكتاب غير هدية المشرك الوثني، فهناك عدّة روايات أنّه ﷺ لم يردّ هديةً على يهودي ولا نصراني.[(٣)]

فهل كان أيواء أبي طالب للنبيّ واغداقه عليه من الهبات والكسوة وغيرها له وجه شرعي؟!

حسب المنطوق الشرعي لا بدّ من القول بإيمان أبي طالب وإلّا يكون التناقض والتضاد في سيرة سيّد الكائنات محمّد ﷺ، وهذا محال فتدبّر.

خامساً: عدم أكل طعام المشركين

من الأدلّة الشرعية الأخرىٰ عدم أكل طعام المشركين، فهذا عقبة بن أبي معيط كان يكثر مجالسة الرسول ﷺ، واتّخذ ضيافة، فدعا إليها رسول الله ﷺ فأبى أن يأكل من طعامه حتّى ينطق بالشهادتين، ففعل.[(٤)]

أنظر إلى هذا الحكم الشرعي، حيث دُعي النبيّ لمرة واحدة من قبل هذا المشرك ـ عقبة بن أبي معيط ـ في الوقت الذي عاش في كنف أبي طالب أكثر من أربعين سنة يأكل من طعامه ويسكن إلى جواره وفي حماه... ألا يدلّ ذلك على إيمان أبي طالب وأنّ طعامه كان حلالاً طيباً للآكلين؟!

سادساً: مال المسلم حرام على الكافر

---

(١) كنز العمال: ٣/١٧٧، ط ١. المصنف لعبد الرزاق: ١/٤٤٦، مجمع البيان: م ١/٥٣٥.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وأحمد والطيالسي والبيهقي كما في كنز العمال: ٦/٥٧ و٥٩. والمعجم الصغير: ١/٩، والوسائل للحرّ العاملي: ١٢/٢١٦، والمصنف لعبد الرزاق: ١٠/٤٤٧.

(٣) الوسائل: ١٢/٢١٧، والبحار: ٥٠/١٠٧.

(٤) الغدير: ٨/٣٨٦، طبعة مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت ١٩٩٥م.

لم نجد من بين الأخبار أنّ الرسول تقلّب على فراش أحد المشركين لكونهم رجس نجس، ومال المسلم حرام على المشرك وإليك حادثة تكشف لك عمق هذا الحكم الشرعي:

لقد اخلفت قريش بنود صلح الحديبية واعتدت على حلفاء النبيّ صلى الله عليه وآله من (خزاعة) فجاء أبو سفيان إلى المدينة المنوّرة يلتمس تمديد الصلح ـ أي زيادة في المدّة والمواثيق ـ فدخل على إبنته (أم حبيبة) بنت أبي سفيان وزوجة النبيّ صلى الله عليه وآله فلمّا همّ بالجلوس على فراش النبيّ صلى الله عليه وآله سحبته بقوّة وطوته عنه، فقال: يا بنيّه: ما أدري أرغبتِ بي عن هذا الفراش أم رغبتِ به عنّي؟

قالت: بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت رجل مشرك نجس.(١)

أقول: لا يخفى عليك أنّ ذلك من بديهيات العقيدة والمبدأ، إذاً كيف تفسّر جلوس النبيّ ومبيته وقيامه وقعوده و... على فراش أبي طالب وما يملكه في بيته من وسائل وأثاث وقد عرفت من قبل أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله مكث مع عمّه في بيته أكثر من أربعين سنة.

سابعاً: الحنين إلى أبي طالب عليه السلام وإستصراخ النبيّ صلى الله عليه وآله لعمّه

لقد أجمعت المصادر على أنّ قريش ما كانت تجرأ على أذى النبيّ صلى الله عليه وآله وأبا طالب حيّاً، ولكن بعد وفاته نهضت قريش بوجه النبيّ صلى الله عليه وآله كالأسد الهائج تريد أن تقتله بأي ثمن كانّ وفي أي فرصة سنحت، لذا قال صلى الله عليه وآله: «ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتّى مات أبو طالب عليه السلام».(٢)

وعند تفاقم الخطب كان يستصرخ روح عمّه الطاهرة ويسترعي بالشكوى إليها

(١) سيرة إبن هشام: ٤/ ٣٨، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) السيرة الحلبية: ٢/ ٥٠، طبعة دار المعرفة، بيروت. وتاريخ الطبري: ٢/ ٢٢٩.

فيقول: «يا عمّ ما أسرع ما وجدت فقدك».[١]

وعلى أثر هذه المحن وتجاسر قريش وشراستها في أمر النبيّ صلى الله عليه وآله نزل جبرئيل فقال: «يا محمّد أخرج من مكّة فليس لك بها ناصر...».

وفي رواية إبن أبي الحديد: أن أخرج من مكّة فقد مات ناصرك.[٢]

ثامناً: موقف النبيّ وإستغفاره لعمّه

يروي لنا إبن أبي الحديد ما جرى لأبي عبيدة بن الحرث نقلاً عن كتب السير والمغازي؛ أنّ عتبة بن ربيعة أو شيبة لمّا قطع رجل أبي عبيدة بن الحرث بن المطلب يوم بدر أشبل عليه علي بن أبي طالب وحمزة فاستنقذاه منه و خبطا عتبة بسيفهما حتّى قتلاه، واحتملا صاحبهما من المعركة إلى العريش فألقياه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وإن مخ ساقه ليسيل، فقال يا رسول الله لو كان أبو طالب حيّاً لعلم أنّه كان صادقاً في قوله:

كذبتم وبيت الله نُبزىٰ محمّداً ... ولمّا نطاعن دونه ونناظل

ونصرهُ حتّى نصرّعَ دونَهُ ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل[٣]

فاستغفر رسول الله صلى الله عليه وآله له و لأبي طالب عليه السلام.

قال الغفاري: ماذا تفسّر إستغفار النبيّ صلى الله عليه وآله لعمّه؟!

ثمّ ماذا نفهم من قول أبي طالب عليه السلام: «كذبتم وبيت الله نبزى محمّداً»؟! فهل مثل أبي طالب عليه السلام مَن حامى الرسول ونصره ببذل المال والأنفس؟!

على اللبيب أن يعي ما تقدّم فحسب.

---

(١) السيرة الحلبية: ١ / ٥٠، طبعة دار المعرفة، بيروت.

(٢) شرح النهج: ١ / ٢٩، ط ٢، مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي ١٩٦٥م، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) شرح النهج: ١٤ / ٧٩.

تاسعاً: بكاء النبيّ ﷺ على عمّه أبي طالب لمّا سمع نبأ وفاته

روى سبط إبن الجوزي عن إبن سعد في كتابه الطبقات: قال بالإسناد المتقدّم ـوقد ذكره في الحديث السابق لهذاـ حدّثني الواقدي قال: قال علي ﵇ لمّا توفّي أبو طالب أخبرت رسول الله ﷺ فبكىٰ بكاءاً شديداً، ثمّ قال اذهب فغسّله وكفّنه وواره، غفر الله له، ورحمه.[١]

فقال له العباس: يا رسول الله إنّك لترجو له؟

فقال: إي والله، إنّي لأرجو له.

وجعل رسول الله ﷺ يستغفر له أيّاماً لا يخرج من بيته....[٢]

هل هناك مندوحة من المؤمن أن يبكي على كافر...؟

إنّ بكاء النبيّ لعمّه والإستغفار له دليل شرعي يؤكّد لك إيمان أبي طالب ﵇.

ثمّ من المسلّمات أنّ الترحّم لا يصحّ إلّا على المسلم، ولأجل ذلك قال ﷺ: لسفّانة بنت حاتم الطائي لو كان أبوك مسلماً لترحّمنا عليه.[٣]

عاشراً: شفاعة النبيّ ﷺ

قال رسول الله ﷺ لمّا وقف على قبر عمّه أبي طالب ﵇: «أمَ والله لأشفعنّ لعمّي شفاعة يعجب بها أهل الثقلين».

ذكر هذا الحديث كلّ من:

إبن سعد في الطبقات الكبرىٰ: ١ / ١٠٥.

العلامة البيهقي في دلائل النبوة.

---

(١) تذكرة الخواص لابن الجوزي: ص ١٩، والسيرة النبوية للحلبي: ١ / ٥٠، والسيرة النبوية لزيني دحلان على هامش السيرة، ١ / ٩٠.

(٢) تذكرة الخواص لسبط إبن الجوزي (ت ٦٥٤هـ): ص ١٩، مؤسسة أهل البيت ﵈ ،بيروت ١٩٨١م.

(٣) السيرة الحلبية: ٣ / ٢٠٥.

سبط إبن الجوزي في تذكرة الخواص: ص ١٠.

العلامة إبن أبي الحديد في شرح النهج: ٣/ ٣١٤.

إبن هشام في السيرة الحلبية: ١٠/ ٣٧٣.

إبن كثير في تاريخه: ٣/ ١٢٥.

إبن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة: ٤/ ١١٦.

الأميني في كتابه الغدير: ٧/ ٣٨٦.

الحادي عشر: عليّ عليه السلام يرثي أباه

أبـا طـالب عـصمة المستجير ... وغـيث المـحول ونـور الظـلم

لقـد هـدّ فـقدك أهـل الحـفاظ ... فـصلّى عـليك ولي النـعم

ولقـاك ربّك رضـوانـه ... فقد كـنت للـطهر مـن خـير عـمّ

وقال عليه السلام يرثي أباه:

أرقت لطـير آخـر الليل غـرّدا ... يـذكّرني شـجواً عـظيماً مـجدّداً

أبا طالب مأوى الصعاليك ذا الندى ... جواداً إذا مـا أصـدر الأمـر أوردا

فامست قريش يـفرحـون بـموته ... ولست أرى حيّاً يكون مـخلّدا[1]

قال الغفاري: هل للكافر نور حتّى يستضاء بنوره؟!

هذا أمير المؤمنين علي عليه السلام سيّد المتّقين يصف أبا طالب أنّه نور الظلم، ثمّ يدعو له (صلّى عليك ولي النعم) فهل ترى للكافر مقاماً عند الله سبحانه حتّى يُصلّى عليه...؟ انتبه وتدبّر، وفّقك الله وهداك، فإنّ أبا طالب ملؤه إيماناً وتقىً....

إنّ الميزان الذي يقاس به المرء هو رجحان عقله وثبوت إيمانه وسِعَةِ مداراته للناس، فالعقل والذكاء وحسن التدبير صفات لا يخلو منها الحليم، ولا تنعدم من

---

(١) تذكرة الخواص لسبط إبن الجوزي (ت ٦٥٤هـ): ص ١٨، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، بيروت ١٩٨١م.

الرجل النبيه، وكلّما تركّزت هذه السمات عند أحدهم تراه أليق بالسيادة وأجدر بالقيادة.

وأبو طالب عليه السلام ممّن اجتمعت فيه تلك الخصال العالية، والأخلاق السامية، والمحامد الشريفة، ممّا صيّرته سيّداً في قومه، يلجأ إليه الضعيف، ويهابُه ـ لمقامه ـ الشريف، ويفزع منه كلّ بطل صنديد، ويخافه كلّ جبّار عنيد.

كان أبو طالب عليه السلام ممّن خبر عن نبوّة إبن أخيه، وذلك قبل البعثة بعدّة عقود ـ وكما مرّ عليك ـ أنّ عبد المطلب كان وارثاً للأنبياء ووصيّاً لهم، فقد أبلغ ولده وأهل بيته بشأن محمّد صلى الله عليه وآله، وأنّه كان يقرأ في كتب السماء صفته وشمائله، ممّا كان يحذر عليه أشدّ الحذر، وهذا المعنى ورثه أبو طالب فكان هو الآخر يَحرس النبيّ ويقيه بنفسه وولده من الغوائل والفتن، ومن مكائد اليهود ومخطّطات قريش.

ولمّا بعث النبيّ صلى الله عليه وآله وصدع بالرسالة كان أمام أبي طالب أمران مهمّان:

الأمر الأوّل: هو الحفاظ على شخص الرسول وحمايته من كلّ مكروه، ونصرته في كلّ مواقفه، وخطواته إلى سبيل الحقّ. وهذا الأمر يستوجب من أبي طالب مداراة قريش ومصانعتهم. وبهذه المداراة يتمّ المطلوب.

والأمر الثاني: الإفصاح عن إسلامه لقريش. وهذا يستوجب إستعفاء أبي طالب من السيادة وتركها لغيره ثمّ منافرته لقريش، وهذا أمر لا يحمد عقباه، حيث تكون زمام المبادرة بيد قريش فتستأصل جذور بني هاشم وعبد المطلب بين عشية وضحاها فلا تبقي لهم ذكراً ولا رسماً.

هنا يحتاج المرء إلى العقل الحصيف، والرأي السديد، وذلك أن يجمع العاقل اللبيب بين رضى الله سبحانه ـ وهذا هو الإيمان الذي يطمئن به القلب ـ وبين مداراة الكافر إذا كان لا يقدر عليه، أو يخاف منه القتل أو الضرر الفاحش الذي لا يطاق. وهذا هو الذي عُرف عند الفقهاء بالتقية، وهو إظهار خلاف ما يعتقد لحاجة الجأته إليه أو لضرر محدق به.

من هنا نفهم أنّ إيمان أبي طالب كان مستوراً، وقد أظهر الكفر تقيّة ولا بأس أن تقف قليلاً في معنى التقيّة ومشروعيتها ونماذج منها.

الفصل السادس

الدليل العقلي علىٰ إيمان أبي طالب عليه السلام

* التقيّة وميزانها عند المسلمين
* التقيّة عند المذاهب الأربعة
* خلاصة البحث في التقيّة
* أبو طالب عليه السلام يفرح بإسلام حمزة عليه السلام
* معاوية يخرس أمام أبي طالب عليه السلام
* الدليل العقلي علىٰ إيمان أبي طالب عليه السلام

التقيّة وميزانها عند المسلمين

تعريفها لغة: وقاه: صانه، والوقاية: ما وقيت به، واتقيت الشيء: حذرته. والإسم التقوى. ووقي وقاية على فاعله: صانه وستره عن الأذى وحماه وحفظه فهو واق.[1]

و ضد التقيّة: الإذاعة، ويراد بها: الإشاعة والإفشاء والإظهار.

قولهم ذاع الحديث ذيعاً: إذا انتشر وظهر، وإذاعه غيره: أفشاه وأظهره[2]، وجاء في حديث المعصوم عليه السلام: «من أذاع علينا حديثنا سلبه الله الايمان».

وهناك مصطلح أعمّ من التقيّة هو المداراة: ويراد بها: ملاينة الناس وحسن صحبتهم وإحتمالهم لئلا ينفروا عنك[3]، والمداراة أمر محمود بعكس المداهنة، فهي مذمومة. لأنّ المداهنة مأخوذة من الإدهان أي النفاق وترك المناصحة. من هنا قالوا: المداهنة معصية، والتقيّة غير معصية.

ويؤكّد هذا المعنى إبن الأثير فيقول في كتابه غريب الحديث: ليخرجنّ ناس من قبورهم على صورة القردة، بما داهنوا أهل المعاصي، ثمّ وكفوا عن علمهم وهم يستطيعون.[4]

من هنا نفهم أنّ الإدهان هو الغش والنفاق. وهذا مذموم في الشرع، لكون المداهن يجاري أهل الكفر والمعاصي، ومن هو فاسد في عقيدته لا لشيء إلّا لجلب منفعة لنفسه والتلذذ بها، وإن كان ذلك فيه نسفاً للحقّ.

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور مادّة قوي: ١٥/ ٤٠١. والصحاح للجوهري، مادّة: اتق. والقاموس المحيط للفيروز آبادي: ٤/ ٤٠١.

(٢) ينظر: القاموس المحيط: ٣/ ٢٤. ومجمع البحرين: ٢/ ١١١.

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ٢/ ١١٥، المكتبة العلمية، بيروت.

(٤) غريب الحديث: ٥/ ٢٢٠، المكتبة العلمية، بيروت.

بينما التقيّة والمتقي ليس كذلك، حيث أنّ المتقي قلبه مملوء، بالإيمان واليقين الصادق، وليس فيما يتقيه إلّا لحفظ ذلك الإيمان وذلك المعتقد الحقّ.

ومن بين المصطلحات التي لا بدّ من ذكرها هو مصطلح النفاق؛ وقد ورد ذكره في القرآن كثيراً.

والنفاق يراد به: ستر الكفر وإظهار الإيمان[١] وهو كما ترى على العكس من التقيّة.

أمّا الإيمان فيراد به التصديق[٢] وهو إظهار الإسلام والإعتقاد به والتصديق بالقلب.

إذاً التقيّة هو إستبطان الإيمان بالله والتصديق به قلباً، وهو الذي تعنيه الآيات: ﴿**وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ**﴾[٣] ثمّ قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾.[٤]

ثمّ إنّ المتّقي يتشرّف بعقيدته فيسترها خوفاً، ويظهر خلافها لكونه مجبراً على الإخفاء أو مكرهاً. وهذا على خلاف عقيدة المنافق والمداهن، حيث تجد المنافق يظهر الإسلام وما هو بمسلم، ويخفي الكفر، فظاهره أنيق وباطنه أسود مظلم، والمنافق يظهر عقيدة الإسلام ويخفي الكفر وهو في عمله ذاك خجل، ثمّ أنّه يتشرّف بإخفاء الكفر، و صريح القرآن أجلى دليل، قوله تعالى: ﴿**...وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**﴾.[٥]

---

(١) المصدر نفسه: ٥ / ٩٨.

(٢) ينظر كتاب العين للخليل بن أحمد الزاهيدي، ومختار الصحاح، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، والصحاح للجوهري: مادّة آمن.

(٣) النحل: ١٠٦.

(٤) الحجرات: ١٥.

(٥) سورة البقرة: ١٤.

التقيّة: إصطلاحاً، (عند أهل الشرع):

هي كتمان الحقّ، وستر الإعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا.[١]

قال الشهيد الأوّل: التقيّة مجاملة الناس بما يعرفون، وترك ما ينكرون، حذراً من غوائلهم.[٢]

وَرَدَ في الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «التقيّة ترس المؤمن، والتقيّة حرز المؤمن».[٣]

وفي الذكر الحكيم قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾[٤] فالمؤمن هنا الذي يكتم إيمانه أمام الكفر والطغاة والعتاة المردة.

وقال تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾.[٥]

وقال تعالى: ﴿لاَ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾.[٦]

التقيّة عند المذاهب الأربعة

في الموطأ لمالك جاء التصريح بلفظ التقيّة فقال: وتولّى العباسيّون الأمر، وتتّبعوا الأمويين ومن لاذ بهم قتلاً وتعذيباً، وسقوط دولة وقيام أخرى يؤدي دائماً إلى لون من الإضطراب بين الناس، ويوجد فيهم شيئاً من عدم الطمأنينة، ومن تبلبل

---

(١) تصحيح الإعتقاد للشيخ المفيد: ص ١١٥، منشورات الرضي، قم ١٣٦٣ش.
(٢) القواعد والفوائد القسم: ٢ / ١٥٥، منشورات مكتبة المفيد، قم، ومصورة مطبعة الآداب، النجف.
(٣) وسائل الشيعة: ج ١١ باب ٢٤، من الأمر بالمعروف ح ٦.
(٤) غافر: ٢٨.
(٥) النحل: ١٠٦.
(٦) آل عمران: ٢٨.

الأفكار، فمنهم من يتّخذ التقيّة فيضمر غير ما يظهر، ومنهم من يستسلم للأمر الواقع....[١]

وبمثل مالك كان أحمد بن حنبل يستعمل التقيّة، وقصّته مع المأمون مشهورة، حيث كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم أن يمتحن القضاة والفقهاء والمحدّثين في مسألة خلق القرآن، فبعث وراءهم وكان من بينهم أحمد بن حنبل فقال: ما تقول في القرآن؟ فقال: هو كلام الله، ثمّ سأله أ هو مخلوق؟ فقال: هو كلام الله، لا أزيد عليها.

علماً أنّ المأثور عن أحمد بن حنبل هو عدم خلق القرآن.[٢]

فأي القولين يمكن الإستناد إليه؟!

وخير ما يستدلّ به في هذا المقام قول الجاحظ وردّه على إبن حنبل فقال: قد كان صاحبكم ـ أي أحمد بن حنبل ـ يقول لا تقيّة إلّا في دار الشرك. فلو كان ما أقرّ به من خلق القرآن كان منه على وجه التقيّة، فقد عملها في دار الإسلام.

وقد أكذب نفسه، وإن كان ما أقرّ به على نحو الصحّة والحقيقة فلستم منه وليس منكم....[٣]

ومن التقيّة ما أخرجه الحلبي قال: لمّا فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مدينة خيبر قال الحجاج بن علاط: يا رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ لي بمكة مالاً وإنّ لي بها أهلاً، وأنا أريد أن آتيهم فأنا في حلٍّ إنْ أنا نلت منك وقلت شيئاً؟

فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقول ما يشاء.[٤]

وقال إبن حجر العسقلاني: التقيّة هي الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد

---

(١) الموطأ لمالك: ١/بك؛ المقدمة لمحمّد كامل حسين، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥م.

(٢) ينظر: تاريخ اليعقوبي: ٢/٤٢٧، مؤسسة الأعلمي، بيروت. المدخل إلى مذهب أحمد بن حنبل: ص ٥٩، مؤسسة الرسالة، ط ٣، بيروت.

(٣) ينظر: الكامل: ٦/٤٢٥، وما بعدها في إستدعاء إسحاق بن إبراهيم لأحمد بن حنبل في مسألة خلق القرآن.

(٤) السيرة الحلبية علي بن برهان الدين الحلبي (ت ١٠٤٤هـ).

وغيره للغير.[١]

وأخرج إبن أبي شيبة وإبن جرير وإبن المنذر وإبن أبي حاتم عن مجاهد قال: نزلت هذه الآية (إلّا من أكره) في أناس من أهل مكة آمنوا فكتب إليهم بعض الصحابة بالمدينة أن هاجروا فإنّا لا نرى إنّكم منّا حتّى تهاجروا إلينا، فخرجوا يريدون المدينة، فأدركتهم قريش في الطريق ففتنوهم، فكفروا مكرهين ففيهم نزلت هذه الآية: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾.[٢]

وأخرج إبن أبي شيبة عن الحسن، أنّ مسيلمة الكذّاب أخذ رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ فقال لأحدهما: أ تشهد أنّ محمّداً رسول الله؟

قال: نعم.

قال: أفتشهد أنّي رسول الله؟

قال: نعم.

ثمّ دعا بالأخر فقال: أ تشهد أنّ محمّداً رسول الله؟

قال: نعم. فقال له: أ فتشهد أنّي رسول الله؟

قال: إنّي أصمّ. قالها ثلاثاً، كلّ ذلك يجيبه بمثل الأوّل، فضرب عُنقه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: أمّا ذلك المقتول فقد مضى على صدقه ويقينه، وأخذ بفضله، فهنيئاً له.

وأمّا الأخر فقبلَ رخصة الله فلا تبعةَ عليه.[٣]

قال الغفاري: وقد علق الشيخ الطوسي على الرواية المذكورة فقال: وعلى هذا التقيّة رخصة، والإفصاح بالحقّ فضيلة، وظاهر أخبارنا يدلّ على أنّها واجبة.[٤]

---

(١) فتح الباري لابن حجر: ١٢/ ٢١٤، طبعة المكتبة السلفية.

(٢) الدر المنثور للسيوطي: ٥/ ١٧١، وتفسير آية: ١٠٦/النحل، طبعة دار الفكر، بيروت.

(٣) مسند إبن أبي شيبة: ١٢/ ٣٥٨، طبعة السلفية.

(٤) التبيان، للشيخ الطوسي: ٢/ ٤٥٣.

إجماع المذاهب على الأخذ بالتقيّة

قال الشعراني: قلت والمداراة تكون بإسقاط جزء من الدنيا، والمداهنة تكون بإسقاط شطر من الدين، فالمداراة مستحبّة، والمداهنة حرام في حرام ومكروه في مكروه.[١]

وقال السرخسي: وعن الحسن البصري: التقيّة جائزة للمؤمن إلى يوم القيامة أن يقي نفسه من العقوبة بما أظهره، وإن كان يضمر خلافه. وقد كان بعض الناس يأبى ذلك ويقول إنّه من النفاق، والصحيح أنّ ذلك جائز لقوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾، وإجراء كلمة الشرك على اللسان مكرهاً مع طمأنينة القلب بالإيمان من باب التقيّة....[٢]

وأخرج إبن جرير وإبن حاتم من طريق العوفي عن إبن عباس في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ قال: التقيّة باللسان، مَن حمل على أمر يتكلّم به وهو معصية لله فيتكلّم به مخافة الناس وقلبه مطمئنّ بالإيمان، فإنّ ذلك لا يضرّه، إنّما التقيّة باللسان.[٣]

وأخرج الحاكم النيسابوري والبيهقي في سننه من طريق عطاء، عن إبن عباس في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ قال: التقاة هي التكلّم باللسان والقلب مطمئنّ بالإيمان.[٤]

وأخرج إبن سعد في الطبقات وإبن جرير وصحّحه الحاكم في المستدرك والبيهقي في الدلائل قال: أخذ المشركون عمّار بن ياسر، فلم يتركوه حتّى سبّ النبيّ صلى الله عليه وآله وذكر آلهتهم بخير، ثمّ تركوه، فلمّا أتى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما وراءك شيء؟ قال:

---

(١) العهود المحمّدية: ص ٣٣٤.

(٢) المبسوط للسرخسي: ٢٤ / ٤٥، وما بعدها. دار المعرفة، بيروت.

(٣) الدر المنثور للسيوطي، تفسير آية: ٢٨ من سورة آل عمران.

(٤) مستدرك الحاكم: ٢ / ٢٩١، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت (رحلي). وسنن البيهقي: ٨ / ٢٠٩، طبعة دار المعرفة، بيروت ١٣٥٤هـ.

شرّ، ما تُرِكْتُ حتّى نلتُ منك، وذكرت آلهتهم بخير.

قال: كيف تجد قلبك؟

قال: مطمئنّ بالإيمان.

قال إن عادوا فعد، فنزلت: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾.

وعن محمّد بن سيرين: إنّ النبيّ ﷺ لقي عمّاراً وهو يبكي، فجعل يمسح عن عينيه ويقول: أخذك الكفار فغطّوك في الماء، فقلت كذا وكذا، فإنْ عادوا فقل ذلك لهم.[1]

وأخرج أبو بكر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ قال: يعني إن تخافوا تلف النفس أو بعض الأعضاء فتتقوهم بإظهار الموالاة من غير إعتقاد لها، وهذا هو ظاهر ما يقتضيه اللفظ، وعليه الجمهور من أهل العلم، كما جاء عن قتادة في قوله تعالى: ﴿لاَ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللّهِ﴾ قال: ولا يحلّ لمؤمن أن يتخذ كافراً وليّاً في دينه، وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ يقتضي جواز إظهار الكفر عند التقيّة.[2]

وذكر الغزالي في الإحياء: إنّ عصمة دم المسلمين واجبة، فمهما كان القصد سفك دم المسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب.[3]

ولو أردنا أن نجاري القوم في الحوار والمناقشة العلمية، عليهم أن يذعنوا أوّلاً بما ورد في مصادرهم، ذلك أنّ كلمة (تقيّة) قد جاءت في أحاديثهم وكتبهم بما يضارعها ـ في المفهوم ـ حيث استخدموا بدلها كلمة (الإكراه) و(الخشية على النفس) و(الاضطرار) و(المداراة)و....

والمناسبات التي استخدموا فيها هذه الكلمات المارّة الذكر، أو ما يضارعها هي

---

(١) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد: ٣/ ٢٤٩، دار بيروت للطباعة ١٩٨٥م.

(٢) أحكام القرآن لأبي بكر الرازي: ٢/ ١٠.

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي: ٣/ ١٣٧، دار المعرفة، بيروت ١٩٨٢م.

كثيرة جدّاً، وإنّما استخدموها عندما كانوا يخافون بطش السلطان وسطوته، من ذلك: أنّ الصحابي عبد الله بن عمر كان يستعمل التقيّة مع امراء بني أميّة. ومثله كان الحسن البصري وهو متوارٍ زمان الحجاج، وعبد الله بن مسعود كان يقول: ما من كلام كان يدرأ عنّي سوطين من سلطان إلّا كنت متكلّماً به.[١]

روى البيهقي في سننه فقال: فأمّا من أكره فتكلّم بلسانه وخالفه قلبه بالإيمان ينجو بذلك من عدوّه فلا حرج عليه، إنّ الله سبحانه إنّما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم.[٢]

التقيّة وعلماء التفسير

قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾[٣]، قال أبو العالية: التقيّة باللسان، وليس بالعمل، حدّثت عن الحسين قال: سمعت أبا معاذ قال: أخبرنا عبيد قال: سمعت الضحّاك يقول في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ قال: التقيّة باللسان من حُمِل على أمر يتكلّم به وهو لله معصية، فتكلّم مخافة نفسه ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ فلا اثم عليه، إنّما التقيّة باللسان.[٤]

وقال القرطبي: قال الحسن: التقيّة جائزة للإنسان إلى يوم القيامة، ثمّ قال: أجمع أهل العلم على أنّ من أكره على الكفر حتّى خشي على نفسه القتل إنّه لا اثم عليه إن كفر وقلبه مطمئنّ بالإيمان، ولا تبين منه زوجته، ولا يُحكم عليه بالكفر، هذا قول مالك والكوفيين والشافعي.[٥]

---

(١) المدونة الكبرى: ٣/ ٢٩.

(٢) سنن البيهقي: ٨/ ٢٠٩، دار المعرفة. والدر المنثور للسيوطي: ١٦٩ـ ١٧٢. ينظر: تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ أُكْرِهَ...﴾، النحل/ ١٠٦.

(٣) آل عمران: ٢٨.

(٤) جامع البيان للطبري: ٣/ ١٥٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٤/ ٥٧.

وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾: رخّص لهم في موالاتهم إذا خافوهم، والمراد بتلك الموالاة: مخالفة ومعاشرة ظاهرة، والقلب مطمئنّ بالعداوة والبغضاء وإنتظار زوال المانع.[١]

وقال أيضاً: إنّ أناساً من أهل مكّة فُتِنوا فارتدوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه، وكان فيهم من أكره وأجرى كلمة الكفر على لسانه، وهو معتقد للإيمان، منهم عمّار بن ياسر وأبواه: ياسر وسميّة، وصهيب وبلال وخبّاب. أمّا عمّار فأعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً.[٢]

وقال الخازن في تفسيره: التقيّة لا تكون إلّا مع خوف القتل مع سلامة النيّة، قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ ثمّ هذه التقيّة رخصة.[٣]

وقال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾، المسألة الرابعة، إعلم أنّ للتقيّة أحكاماً كثيرة ونحن نذكر بعضها:

أ ـ إنّ التقيّة إنّما تكون إذا كان الرجل في قوم كفّار، ويخاف منهم على نفسه وماله، فيداريهم باللسان، وذلك بأن لا يظهر العداوة باللسان، بل يجوز أيضاً أن يظهر الكلام الموهم للمحبّة والموالاة، ولكن بشرط أن يضمر خلافه، وأن يعرض في كلّ ما يقول، فإنّ للتقيّة تأثيرها في الظاهر لا في أحوال القلوب.

ب ـ التقيّة جائزة لصون النفس، وهل هي جائزة لصون المال؟

يحتمل أن يحكم فيها بالجواز لقوله صلى الله عليه وآله: «حرمة مال المسلم كحرمة دمه». ولقوله صلى الله عليه وآله: «من قتل دون ماله فهو شهيد».[٤]

قال الغفاري: هذه بعض تصريحات مفسّري علماء الجمهور في مشروعية

---

(١) الكشاف، الزمخشري: ١ / ٤٢٢.

(٢) المصدر السابق: ٢ / ٤٣٠.

(٣) تفسير الخازن: ١ / ٢٧٧.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي: ٨ / ١٣.

التقيّة، وتركنا التفصيل لمناسبة أخرى إن شاء الله.

صحابة الرسول صلى الله عليه وآله والتقيّة

كان حذيفة بن اليمان يستعمل التقيّة مع الخليفة عثمان؛ عن النزال بن سيدة قال: جعل حذيفة يحلف ـ لعثمان على أشياء ـ بالله ما قالها، وقد سمعناه يقولها، فقلنا له: يا أبا عبد الله سمعناك تحلف لعثمان على أشياء ما قلتها وقد سمعناك قلتها.

فقال حذيفة: ولكنّي اشتري ديني بعضه ببعض، مخافة أن يذهب كلّه.[١]

وهذا يعني أنّ حذيفة كان يستعمل التقيّة مع عثمان خوفاً من سطوته التي أخاف بها الكثير من الصحابة الأجلاء، والجميع يعلم ما فعله الخليفة عثمان مع عمّار بن ياسر، حيث رفسه بقدميه، وعمل فيه الفتق حتّى أغمي عليه، وأثار هذا الإعتداء أمّهات المؤمنين؛ زوجات النبيّ صلى الله عليه وآله.

وهكذا لا يخفى على الجميع ما فعله عثمان بأبي ذر الغفاري رضي الله عنه فنفاه إلى الربذة و...و....

وقد مرّ عليك عن عبد الله بن عمر بن الخطاب حيث استعمل التقيّة مع امراء بني أميّة.

الصحابي عمّار والتقيّة

قصّة عمّار وأبويه تنقلها كتب التاريخ والحديث والفقه، وقد أقرّ النبيّ صلى الله عليه وآله عمل عمّار، وهذا التقرير يدلّل على مشروعية التقيّة، بل هي لازمة، ودليلها العقل والشرع.

فهذا عمّار ـ لمّا وجد الكفّار اجهزوا على أبويه فقتلوهما ـ طلبوا منه أن يتبرّأ من هذا الدين الجديد، ولو بكلمة ينطق بها، كان ذلك له باباً للفرج يستطيع أن

---

(١) المبسوط: ٣٠ / ٢١٤، دار المعرفة، بيروت.

يلجه حتّى ينجو بنفسه، إنّ كلمة يريدها المشركون أن يقولها عمّار باللسان وقلبه مطمئنّ بالإيمان في قبال نجاته من القتل امرٌ هيّنٌ، وليس عليه غضاضة. وفي النهاية تلفّظ بما يريدون، وحصل على ما يريد؛ وهو أتباع الرسول، وبعمله هذا ادّخر نفسه لما هو أهمّ، فبدلاً من أن يستشهد في ذلك الوقت، ومن دون أن يعطي لإيمانه ثماراً ينتفع منه المسلمون، فقد ادّخر نفسه لموقف بالغ الأهميّة؛ وهو الإستشهاد في صفوف جند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، بل كان له موقف آخر في مسيره إلى صفّين غير الإستشهاد هو فضح معاوية وجنده، والذي عبّر عنهم النبيّ صلى الله عليه وآله بالفئة الباغية، وهذا ممّا صرّحت به كتب الفقه أن عمل الصحابي -عند القوم- حجّة.

وعليه لمّا كان حفظ نفس المؤمن وحرمته عند الله سبحانه أهمّ من الظاهر الذي يريده المشركون، جعل سبحانه للمؤمنين مخرجاً ألا وهو التقيّة.

ثمّ لا يخفىٰ عليك أنّ فقهاء المسلمين اسسّوا جملة من القواعد الفقهية تستند إلىٰ مفهوم التقيّة، منها قاعدة: (الضرورات تبيح المحظورات)، ومنها (قاعدة إرتكاب أقلّ الضررين)، وغيرهما من القواعد.

وممّا يساند هذه القواعد الفقهية الآيات البيّنات كقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾.(١)

وقوله تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾.(٢)

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.(٣)

وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾.(٤)

---

(١) المائدة: ٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٣) النحل: ١١٥.

(٤) آل عمران: ٢٨.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.[١]

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾.[٢]

وقوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.[٣]

الصحابي أبو الدرداء والتقيّة

صرّح الذهبي في كتابه (الرواة الثقاة) أنّ الصحابة كان بعضهم يكفّر بعضاً[٤] وهذا يعني أنّ المجتمع الإسلامي بعد وفاة النبيّ ﷺ قد ساده جوّ من الإضطراب والفتن ما لا يحمد عقباه، ومن أبرز تلك الفتن الحروب الدامية التي قادها جملة من الصحابة في ضمنهم عائشة؛ فكانت فتنة حرب الجمل في البصرة، ثمّ فتنة معاوية وحرب صفين، ثمّ فتنة الخوارج وحرب النهروان، وتوالت الفتن والمصائب والمحن على المجتمع الإسلامي، وكان على رأس هذه الفتن بعض الصحابة ذوي الإطماع والنزوات، لذا كفّر بعضهم بعضاً. وفي ذلك جاء عن أبي الدرداء فقال: إنّا لنكشّر في وجوه أقوام ونضحك إليهم وإنّ قلوبنا تلعنهم.

من هذا الخبر ومن غيره قد عرفت أنّ التكشير هو إظهار المودّة، أمّا الواقع الذي هو عليه أبو الدرداء هو البغض والعداوة.

قال الغفاري: وفي تفسير الألوسي ـ روح المعاني ـ كلام مفصّل في التقيّة أورده في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾، فراجع.

---

(١) سورة البقرة: ١٨٥.

(٢) سورة البقرة: ١٧٣.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٤) شعب الإيمان للبيهقي: ٦/ ٢٦٦، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م. ومداراة الناس لابن أبي الدنيا: ص ٣٦. ومقدّمة فتح الباري لابن حجر: ص ١٧٩، ط دار المعرفة، بيروت. وروح المعاني: ٣/ ١٢٢، دار أحياء التراث العربي، بيروت. وحلية الأولياء للأصبهاني: ١/ ٢٢٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨م.

وذكر العلامة البيهقي بسنده عن إبن المنكدر أنّه سمع عروة بن الزبير يقول: حدّثتنا عائشة أنّ رجلاً استأذن على النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: ائـذنوا له، فـبئس رجـل العشيرة، أو بئس إبن العشيرة، فلمّا دخل ألان له القول، فـلمّا خـرج قـلت يـا رسول الله صلى الله عليه وآله: قلت بئس إبن العشيرة، فلمّا دخل ألنت له القول!

قال: يا عائشة إنّ شرّ الناس منزلة يوم القيامة من ودّعه الناس أو تركه إتقاء فحشه. أخرجاه في الصحيح من حديث سفيان.[1]

من هنا قسّم أصحابنا التقيّة إلى ثلاثة أقسام:

الأوّل: حرام؛ وهو في الدماء، فإنّه لا تقيّة فيها، لأنّها إنّما وجبت حقناً للدم فلا تكون سبباً في إباحته.

والثاني: مباح؛ وهو في إظهار كلمة الكفر، فإنّه يباح الأمران، إستدلالاً بقصّة عمّار وأبويه، فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله صوّب الفعلين معاً على ما نقل.

والثالث: الواجب؛ وهو فيما عدا هذين القسمين، وللدلالة على ذلك إجماع الطائفة؛ هذا مع تحقق الضرر فتدبّر.

خلاصة البحث في التقيّة

التقيّة هي إجراء كلمة الكفر في حالة الإكراه والإضطرار، والخشية على النفس؛ في كلّ هذه الموارد جائز ومباح، أمّا الإقدام على القتل في تلك الحالات غير جائز، بل حرام، لكونه حرمة المؤمن عند الله عظيمة جدّاً وحرمته فوق حرمة الكعبة.

قال الغفاري: لو عدلنا عن جميع هذه الأدلّة أ فلا يكفينا ما ورد في القرآن الكريم ممّا تقدّم من الآيات، ومن غيرها التي لم نذكرها خوف الإطالة؟

أقول: لو تمسّكنا بما يقوله البخاري في الصحيح، في كتاب الإكراه لكفانا دليلاً وإغناناً عن كلّ مؤنة.

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي: ٦/٢٦٦، فصل في حسن العشرة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.

حيث أورد عدّة آيات في كتاب الإكراه، منها قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ...﴾.

لهذه الآية تعليق من أغلب علماء المذاهب الأربعة، والجميع متّفقون على أنّ من أظهر الكفر ـ لساناً فقط ـ وأنّ قلبه مطمئنّ بالإيمان لا شيء عليه، ولا تبين منه زوجته، ولا يحكم عليه بحكم الكفر، وهذا قول مالك والشافعي والكوفيين وبمثله قاله النووي.[1]

وقد خالف من بين الكوفيين محمّد بن الحسن، وللقرطبي ردّ متين أورده عليه حيث إستند إلى قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ﴾[2]، ثمّ نقل كلام البخاري وقال: فلمّا سمح الله تعالى بالكفر به لمن أكره وهو أصل الشريعة، ولم يؤاخذ به، حمل عليه أهل العلم.

وممّا ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله قوله: «رفع عن أمّتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ...».

وهذا المعنى لا يحيد عن مفهوم التقيّة. وعليه أنّ روايات التقيّة تكون مفسّرة لحديث الإكراه، وقد جرت كتب عامة الجمهور إلى هذا البيان وعليك مراجعة مصادرهم منها:

كتاب الإمّ للشافعي: ٧ / ٣٤٧.

المجموع لمحي الدين النووي: ٦ / ٥٢٠ و٨ / ٤٥٠ و١٨ / ٨ و٩.

المبسوط للسرخسي: ١ / ١٧٠ و٣ / ٦٦ و٢٤ / ٢٥ و٣٠ / ٢١٤.

المغني لعبد الله بن قدامة: ٥ / ٢٧٣ و٩ / ٣٣٩.

المحلّى لإبن حزم: ٣ / ٢٠٧ و٤ / ١٥٨.

نظم درر السمطين للحنفي: ٢٧.

---

(١) المجموع لمحي الدين النووي، كتاب الإيمان، طبعة دار الفكر.

(٢) النحل: ١٠٦.

الجامع الصغير للسيوطي: ٢ / ١٦.

كنز العمال للمتّقي الهندي: ٤ / ٢٣٣.

جامع العلوم والحكم لابن رجب الخليلي: ٣٧١.

فتح الباري لابن حجر: ٥ / ١١٦.

نصب الراية للزيعلي: ٢ / ٧٥.

أحكام القرآن للجصاص: ١ / ٦ و٥ / ١٤.

وهناك عشرات المصادر.

نتابع في بيان الأدلّة الأخرىٰ على إيمان أبي طالب عليه السلام من السيرة والعقل:

أبو طالب عليه السلام يفرح بإسلام حمزة عليه السلام

روى إبن شهر آشوب فقال: أقبل حمزة متوشّحاً بقوسه راجعاً من قنص له، فوجد النبيّ صلى الله عليه وآله في دار أخته محموماً وهي باكية، فقال: ما شأنك؟

قالت: ذل الحمى يا أبا عمارة؟ لو لقيت ما لقي إبن أخيك محمّداً آنفاً من أبي الحكم بن هشام، وجده هاهنا جالساً فآذاه وسبّه، وبلغ منه ما يكره، فانصرف ودخل المسجد وشجّ رأسه شجة منكرة، فهمّ أقرباؤه بضربه فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة لكيلا يسلم، ثمّ عاد حمزة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: غرّ بما صنع بك، ثمّ أخبره بصنيعه، فلم يهش النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: «يا عمّ لأنت منهم»، فأسلم حمزة، فعرفت قريش أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد عزّ وأنّ حمزة سيمنعه، قال إبن عباس: فنزل قوله تعالى: ﴿أَ وَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ﴾.[1]

وسرّ أبو طالب عليه السلام بإسلامه وأنشأ يقول:

صبراً أبا يعلىٰ على دين أحمد وكن مظهراً للدين وفّقت صابراً[2]

---

(١) سورة الأنعام: ١٢٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ١ / ٩٣، طبعة دار الأضواء، ط ٢، بيروت، ١٤١٢هـ.

حديث النبيّ صلى الله عليه وآله في النهي عن السبّ

روى الطبراني والبيهقي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لا تؤذوا الأحياء بسبّ الأموات.

ولمّا أخبرته بنت أبي لهب أنّ الناس يقولون لها بنت حطب النار، قام مغضباً وقال: ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي، من آذىٰ قرابتي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذىٰ الله تعالى.(١)

قال الغفاري: فهل كان أبو طالب عليه السلام أشرّ من أبي لهب؟!

وهل قول بعضهم في أبي لهب (حطب النار) يكون سبباً لغضب النبيّ ولا يتحاشى من قول مَن يشين إلى عمّه أبي طالب الذي كفله صغيراً، وربّاه يافعاً، وحاماه كبيراً؟!

علماً أنّ أبا لهب كان العقبة الكبرىٰ في طريق الإسلام والمسلمين، وقد كان يؤلّب مشركي قريش على أذىٰ النبيّ والفتك به... ومع كلّ هذا وذاك فقد غضب النبيّ صلى الله عليه وآله لبنت أبي لهب لمّا نبزوها بأبيها....

معاوية يخرس أمام إيمان أبي طالب عليه السلام

الجميع يعلم علم اليقين أنّ معاوية بن أبي سفيان هو أشدّ عداوة لعلي عليه السلام، لقد اصطنع الفِرى، وتفنّن في صياغة الأخاديع والأضاليل، وقد خاض حملات من التضليل للنيل من مكانة أمير المؤمنين علي عليه السلام، حتّى خاض في كلّ منقصة وعيب وتهمة وبهتان محاولاً إلصاقها بعلي عليه السلام، فمن التهم التي الصقها به ادّعى أنّ علياً عليه السلام لا يصلّي، وأمر عصبة في الشام بلعنه ولعن بنيه الأطهار على المنابر في كلّ صلاة.

فما كان من معاوية إلّا تزييف الحقائق، وإلصاق التهم، والإنتقاص من

---

(١) أسنى المطالب: ٢٣.

أمير المؤمنين عليه السلام، لأنّ الخلافة آلت إلى بني هاشم، إلى علي بن أبي طالب، وهذا ممّا يسوء معاوية والعصبة المتشرذمة من بني أميّة.

ولمّا لم يجد معاوية من حيلة في إقتطاع الشام بصورة رسمية من أمير المؤمنين علي عليه السلام لجأ إلى التهديد مرّة، وإلى دغدغة العواطف مرّة أخرى، فكتب إلى علي عليه السلام يقول: ونحن بنو عبد مناف، ليس لبعضنا على بعض فضل إلّا فضل يُستذل به عزيز، ولا يُسترق حرّ....

فكان جواب أمير المؤمنين عليه السلام على كتاب معاوية أنْ قال: «كنّا ونحن وأنتم على ما ذكرت من الإلفة والجماعة، ففرّق بيننا وبينكم أمس، إنّا آمنا وكفرتم، واليوم أنا استقمنا وفتنتم».

وزاده بياناً فقال: وإنّك والله لأغلق القلب... وقريب ما أشبهت من أعمام وأخوال، حملتهم الشقاوة وتمنّي الباطل على الجحود بمحمّد صلى الله عليه وآله، فصُرعوا مصارعهم حيث علمت.

بل وزاده صراحة فقال عليه السلام: «منّا النبيّ ومنكم المكذّب، ومنّا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف، ومنا سيّد شباب أهل الجنّة ومنكم صبية النار، ومنا خير نساء العالمين ومنكم حمّالة الحطب».

بل كشف عليه السلام عن خبايا قد انطلت على أهل الشام وهي غير خفيّة عن إبن هند (آكلة الأكباد)، فقال عليه السلام: «وأمّا قولك: إنّا بنو عبد مناف، فكذلك نحن... ولكن ليس أميّة كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق...».

أقول: هذه مفاضلة تغني عن كلّ تعليق....

وقد أخرس فيها معاوية، ولم يلفظ ببنت شفة، ولم نسمع منه ردّاً يدرء عنه هذا التصريح بما جاء به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من الحقائق التي ذهبت بها الركبان.

وهل يُقاس أميّة بهاشم؟!

أمْ هل يُقاس حربٌ بعبد المطلب؟!

أمْ هل يقاس أبو سفيان بأبي طالب عليه السلام؟!

أمْ هل يقاس علي أمير المؤمنين عليه السلام بمعاوية؟!

فالحكم إليك أيّها المنصف الغيور فحسب.

فلو وسع المقام لمعاوية أن يخوض في إيمان أبي طالب لفعل، ولو وسعه أن ينسبه إلى الكفر لما قصّر، بل لرأيته يستنفر كلّ قواه وما لديه من حيلة للإنتقاص من أبي طالب عليه السلام ومن ولده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ولكال له الصاع بصاعين.

غير أنّ معاوية أحجم عن الجواب لا تعفّفا، ولا ورعاً، ولا رعاية لنواميس الأخلاق... بل لأنّه لم يجد في عليّ عليه السلام ولا في أبيه (أبي طالب) أي منقصة تعيبه، لذا أخرسّ إتجاه الحقيقة، والتاريخ خير شاهد على عجز معاوية واذ نابه.

نعم، أنّ الروايات المختلقة في أبي طالب التي صنعتها السياسة الأموية كانت في أواخر عهد معاوية، أي بعد إستشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام، وذلك لمّا أراد معاوية إرساء قواعد ملكه ثمّ صرفها إلى خَلَفِه يزيد، ومن ثمّ إلى بني أميّة واحداً بعد واحد، من هنا وضّف الأُجراء وصنّاع الحديث في ذمّ بني هاشم والمدح بسخاء لبني أميّة، فكان من جرّاء ذلك أن اختلقوا أحاديث كفر أبي طالب ونسبوها إلى النبيّ أو إلى بعض الصحابة، وهي كلّها مفتريات على الرسول صلى الله عليه وآله.

إسلام فاطمة بنت أسد عليها السلام زوجة أبي طالب عليه السلام

هذا أبو طالب يحضّ زوجه فاطمة بنت أسد للدخول في الإسلام.

كانت فاطمة عليها السلام من السابقات للإسلام؛ أسلمت بعد عشرة أشخاص، فكانت هي الحادية عشر ممّن اعتنق الدين الحنيف، وهي أوّل من بايعت رسول الله من النساء بعد خديجة، وقد بذلت كلّ ما لديها في خدمة الرسول ورعايته، وقد أحبّته

حبّاً شديداً، بل قدّمته على أولادها في الطعام والملبس... حتّى أنّ الرسول ﷺ كان يقول عنها: أمّي.

ولمّا أسلمت بنت أسد فرح أبو طالب فرحاً شديداً لإسلامها، وكان يوصيها بالنبي محمّد ﷺ في أن ترعاه، وتقدّم له كلّ ما يسرّه ويأنسه، ولم يكن شيء يفرحه ﷺ كإسلامها وإسلام زوجها أبي طالب عليه السلام.

قال سبط إبن الجوزي، قال إبن عباس وفيها ـ فاطمة بنت أسد ـ نزلت: ﴿**يا أيُّهَا النَّبِيُّ إِذا جاءَكَ الْمُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ...**﴾.

قال وهي أوّل امرأة هاجرت من مكة إلى المدينة ماشية حافية، وهي أوّل امرأة بايعت محمّداً رسول الله ﷺ بمكّة بعد خديجة....[(١)]

قال الغفاري: إن لم يكن أبو طالب كذلك مؤمناً بالله وبنبيّه محمّد ﷺ لما دفع بفاطمة بنت أسد لئن تسلم، والمرء إذا أراد أن يدّخر الجميل والإحسان والخير لأحد فإنّ أقربهم صلة به هو أولى به من غيره.

الدليل العقلي على إيمان أبي طالب عليه السلام

لو استعرضنا سيرة أبي طالب لوجدنا فيها أدلّة عديدة ـ عقلية ـ تكشف لنا عن عقيدته وإيمانه الخالص بالله سبحانه، ستقف على بعضها في هذه الصفحات.

خاتَم أبي طالب عليه السلام

ممّا يستدل به على إيمان أبي طالب عليه السلام، ما ورد في دعوة النبيّ لعشيرته بعد ما نزل قوله تعالى: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾ والحادثة كما فصّلناها، فقد أخذ النبيّ ﷺ برقبة الإمام علي عليه السلام وقال للقوم: هذا أخي ووصيّ وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب عليه السلام قد أمرك أن

---

(١) تذكرة الخواص، سبط إبن الجوزي: ص ٢٠، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، بيروت ١٩٨١م.

تسمع لإبنك وتطيع....

قال السيّد المدني: فإن قلت: من أين ثبت عندكم أنّ أبا طالب عليه السلام أذعن بذلك وقبل تأمير إبنه عليه؟

قلت: ثبت ذلك عندنا لِما رويناه عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه قال: كان نقش خاتم أبي طالب عليه السلام: «رضيت بالله ربّاً وإبن أخي محمّد نبيّاً وبإبني عليّ له وصيّاً».[١]

أقول: ولا يحتاج المقام إلى شرح أو تعليق فتدبّر.

دعاء أبي طالب عليه السلام

لمّا كان من أمر الصحيفة وإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخبر عمّه أبا طالب أنّ دابة الأرض أكلت الصحيفة الظالمة ولم يبق منها إلّا إسم الله سبحانه، فجاء أبو طالب مع لمّة من قومه وأخبر قريش، ولمّا فتحت قريش الصحيفة وجدت كما أخبرهم أبو طالب فأزدادوا بغياً، وقالوا هذا سحر إبن أخيك، وزادهم بغياً وعدواناً، فقال أبو طالب: معشر قريش على مَ نحصر ونحبس وقد بان الأمر، وقد تبيّن أنّكم أولى بالظلم والقطيعة، ثمّ دخل هو وأصحابه بين إستار الكعبة وقال:

«اللّهم إنصرنا على من ظلمنا، وقطع أرحامنا، واستحلّ ما يحرم عليه منّا ثمّ انصرف إلى الشعب».[٢]

قال الغفاري: إنْ لم يكن أبو طالب موحّداً فكيف يلوذ بالكعبة؛ بيت الله، ويدعو الله سبحانه أن ينتصف له ممّن ظلمه وقطع رحمه...؟!

تدبّر أيّها المنصف، وانعم النظر في كلمات ودعاء أبي طالب المار الذكر.

---

(١) الدرجات الرفيعة: ص ٦٠.

(٢) الدرجات الرفيعة: ص ٤٧.

وفيما يخصّ دعاء أبي طالب عليه السلام:

أخرج إبن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال قدمت مكّة وهم في قحط، فقالت قريش: يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال فهلم لنستسقي، فخرج أبو طالب ومعه غلام كان وجهه شمس دجى، تجلّت عنه سحابة قتماء وحوله أغيلمة، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام بأصبعه وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من ههنا وههنا، وأغدق، وانفجر الوادي وأخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول أبو طالب عليه السلام.

وأبيض يستسقىٰ الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للأرامل
تطوف به الهلاك من آل هاشم   فهم عنده في نعمة وفواضل

قال الغفاري: إذا لم تكن لأبي طالب عقيدة خالصة بإبن أخيه وإنّه نبيّ لما أخرجه يطلب بوجهه الكريم مطر السماء ورحمة الله تعالى، إذاً ما عمل أبي طالب ذاك إلّا لإعتقاده الكامل بما يؤول إليه إبن أخيه محمّد صلى الله عليه وآله وليكن هو أيضاً المحامي عنه والمدافع ولا يعمل ذلك إلّا من محّض بالإيمان.[1]

وأقول أيضاً: لو كان أبو طالب عليه السلام عابداً للوثن والصنم لتوسّل باللآت والعزّىٰ ومناة وهبل، وسائر الآلهة المنصوبة من قبل المشركين حول الكعبة....

ولما استمسك بمحمّد صلى الله عليه وآله وهو غلام، ولما جاء به وألصق ظهره بالكعبة ولاذ بأصبعه وهو يشير نحو السماء وهو يشاركه في ذلك.

فماذا يدلّ هذا التوجّه؟! ألا يكون هذا العمل دافعه هو الإيمان الحقيقي، واليقين الذي انطبع عليه قلب هذا الشيخ أبي طالب...؟!

هذا أمر صريح نقلته كتب التاريخ والسيرة بلا منازع مؤكّدة إيمانه وتوحيده لله سبحانه.

---

(١) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة لصدر الدين السيّد علي خان المدني (ت ١١٢٠هـ): ص ٤٢، طبعة بصيرتي، قم ١٣٩٧هـ.

فيما صنعه النبيّ صلى الله عليه وآله في أبي طالب عليه السلام بعد وفاته

ذكر اليعقوبي وفاة أبي طالب عليه السلام ثمّ قال: لمّا قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: أنّ أبا طالب قد مات، عظم ذلك في قلبه، واشتدّ له جزعه، ثمّ دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرّات، وجبينه الأيسر ثلاث مرّات، ثمّ قال: «يا عمّ ربّيت صغيراً، وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً فجزاك الله عنّي خيراً».(١)

وفي السنة التي توفّي فيها أبو طالب توفّيت فيها خديجة عليها السلام وقد سمّاه النبيّ صلى الله عليه وآله ـ ذلك العام ـ بعام الحزن.

قال الغفاري: هل ترى فيما صنعه النبيّ صلى الله عليه وآله بعمّه ـ حيث مسح جبينه سبع مرّات ـ من عذر وجيه إن لم يكن قد مات على الإيمان؟!

ثمّ هل يصحّ له صلى الله عليه وآله أن يشتدّ جزعه على أبي طالب وهو على غير ملّة الإسلام؟! ثمّ ألا يلتفت أولئك المعاندون إلى دعاء النبيّ لعمّه حيث قال: «فجزاك الله عنّي خيراً»؟!

على الفطن اللبيب أن ينظر بعين الحقّ والإنصاف وإلّا سوف يقع في شَرَك المعاندين والمنافقين.

النبيّ صلى الله عليه وآله يكره الإقامة عند مشرك

لمّا كانت عودة النبيّ صلى الله عليه وآله من الطائف دخل مكّة بجوار المطعم بن عدي ليطوف بالكعبة، ثمّ ردّ عليه جواره لأنّه لم يسلم وقال: إنّي لأكره أن أقيم في جوار مشرك لأكثر من يوم وفي رواية: لثلاثة أيّام.

قال الغفاري: إذا كان النبيّ صلى الله عليه وآله لا يستحل جوار المطعم بن عدي ليوم أو لثلاثة أيّام فكيف طابت نفسه أن يكون بجوار عمّه أبي طالب؟ أنّه كان بجواره قبل البعثة أكثر من ثلاثين سنة وبعد البعثة كان بجواره عشر سنوات؟!

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٥، ط دار صادر، بيروت ١٩٦٠م.

لطالما أمسى وأصبح في بيت عمّه وهو يرتع وينعم في المأكل والملبس والمسكن، ولطالما حظى النبيّ صلى الله عليه وآله بالعناية والرعاية من عمّه والنبيّ صلى الله عليه وآله في غاية السرور والإبتهاج، وراحة البال، وفي إطمئنان كامل لأنّه في جوار عمّه وفي حمايته، فلم يصدر من النبيّ تذمّر أو أي نوع من أنواع الكره، بل كان سعيداً في كلّ تلك الأيّام، حتّى أنّه صلى الله عليه وآله تأسّف على فقده وكان يستصرخه بعد وفاته.

النار محرّمة على أبي طالب عليه السلام

روىٰ السيّد فخار بن معد بسنده إلىٰ علي بن أسباط عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله تعالى إلى النبيّ صلى الله عليه وآله: أنّي حرّمت النار علىٰ: صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك، وأهل بيت آواك؛ فعبد الله بن عبد المطلب الصلب الذي أنزله، والبطن الذي حمله آمنة بنت وهب، والحجر الذي كفّله فاطمة بنت أسد، وأمّا أهل البيت الذي آواه فأبو طالب عليه السلام.

وفي خبر آخر يروي إبن معد الموسوي بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد إنّ الله تعالى يقرئك السلام، ويقول لك: إنّي قد حرّمت النار على صلب أنزلك، وعلى بطن حملك، وحِجر كفلك، فقال: يا جبرئيل لمن تقول ذلك؟

فقال: أمّا الصلب الذي أنزلك فصلب عبد الله بن عبد المطلب. وأمّا البطن الذي حملك فآمنة بنت وهب. وأمّا الحجر الذي كفلك فعبد مناف بن عبد المطلب، وفاطمة بنت أسد.

قال إبن معد: وعبد مناف بن عبد المطلب هو: أبو طالب عليه السلام فكيف يحرّم الله النار على هؤلاء المذكورين وهم به مشركون، وبوحدانيته كافرون، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾.[1]

---

(١) النساء: ٤٧ و١١٥. ينظر: الحجة على الذاهب: ص ٧٥.

إذن تعيّن أن أبا طالب كان مؤمناً موحدّاً، صادقاً في عقيدته، ولكن أخفى إيمانه خوفاً على إبن أخيه محمّد صلى الله عليه وآله فهو كمؤمن آل فرعون.

أقول: سوف يأتي البحث مفصّلاً في دليل الإجماع في الفصل القادم، وهو حلقة أخرى نَستكمل بها بحثنا المتقدّم في إيمان أبي طالب عليه السلام من خلال السُنّة والعقل، وكلاهما قد تقدّم، وبالخصوص في البيان المتعلّق بالسيرة، والسيرة كما تعلم حاكمة فتدبّر.

-٣-
حديث الشفاعة

إنّ حسد قريش أخذ يتزايد كلّما سما وعلا نجم النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله بل كلّما علا الإسلام وسطع نور النبوة في سماء الجزيرة العربية، بل كلّما امتدّ عزّ الدعوة إلى الله سبحانه في أرجاء المعمورة بكلمة لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، فكانت بنو أميّة أشدّ عداءً لهذه الأسرة الكريمة؛ أسرة النبيّ وآبائه وأجداده حتّى طفح هذا العداء لترمي آباء وعمومة النبيّ بالكفر والفجور، وأنّهم في جهنم كأبي طالب عليه السلام، وأمّا بنو أميّة وما ولدوا هم أسياد في الجنة، كهولهم وشبّانهم، وأنّ شفاعة النبيّ تشمل هؤلاء، بل وتسري شفاعته إلى اليهود والنصارى... أمّا شفاعته لأهل بيته ولأبويه وأجداده وأعمامه فذلك محذور عليهم، بل هم في ضحضاح من نار ـ كما زعموا ـ وفي ذلك وضعوا الأحاديث المختلقة كذبوا فيها على رسول السماء، وكذّبوا جبرئيل وسائر الملائكة، بل كذبوا على الله سبحانه وتعالى.

وربّما بحثت عن سبب هذا الكذب والإفتراء. أقول: إنّ السبب لا يخفىٰ على كلّ لبيب حيث أنّ دولة بني أميّة وعلى رأسها معاوية بن أبي سفيان ـ الذي لعنهما الرسول في حياته ـ كانت بحاجة إلى إثبات شرعية حكمهم، وهذالا يتمّ مالم تنفِ الشرعية عن آباء النبيّ وأهل بيته وأعمامه، لذا عمد بنو سفيان ومنهم معاوية على

خلق الأحاديث والكذب على الرسول صلى الله عليه وآله لأجل تقوية سلطانهم من خلال رجال عُرفوا بالكذب والتزوير، أمثال: بُسر بن أرطاة، وسمرة بن جندب، وأبي موسى الأشعري، وأبي هريرة الدوسي، وعمرو بن العاص، ومحمّد بن شهاب الزهري، وعروة بن الزبير، وحريز بن عثمان، وأبو بردة عامر بن أبي موسى الأشعري، وحكيم بن العباس الكلبي واضراب هؤلاء بالعشرات.

وفي مقدّمة عملهم في الوضع والتزوير هو نفي الشرعية عن آباء النبيّ صلى الله عليه وآله وأعمامه، والسعي على أنّهم لا يمثّلون خطّ التوحيد في أبناء إسماعيل عليه السلام، فلو اعترفوا بحقّ بني هاشم لكان بنو عبد المطلب ورثة إبراهيم، وكان علي عليه السلام وارثهم الشرعي.

لهذا زعموا وأشاعوا أنّ عمّ النبيّ ـ أبا طالب ـ وأباه وجدّه ماتوا على الشرك ولا يوجد وارث للنبيّ صلى الله عليه وآله إلّا أبو بكر وعمر، أمّا عليّ عليه السلام فليس له التصدّي للخلافة لكونه يمثّل ثقل بني هاشم ولا تجتمع النبوة والخلافة فيهم!

وإنّ قريش تبغضهم[1]، والبعض ادّعى عدم صلاحيّة عليّ عليه السلام لصغر سنّه!

كلّ ذلك أشاعوه، وكمّوا الأفواه، ورفعوا السلاح بوجه من يخالفهم.

وممّا يخصّ حديث الشفاعة، ترى أنّ الاحداث تترى والنبيّ صلى الله عليه وآله بين حين وآخر يؤكّد على منزلة بني عبد المطلب، حتّى أخبرهم مراراً وعلى مرأى ومسمع من المسلمين بأنّه سيشفع يوم القيامة لبني عبد المطلب، وبالخصوص لأبويه وعمّه

---

(١) جاء في نثر الدرر: أنّ عثمان بن عفان في خلافته قال لعلي عليه السلام: ما أصنع بكم إن كانت قريش لا تحبّكم، وقد قتلتم منهم يوم بدر سبعين كأنّ وجوههم شنوف الذهب تشرب آنافهم قبل شفاههم.

نثر الدرر: ص ٢٥٩، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي: ٩ / ٢٢، وقد عبّر أبو جهل المخزومي عمّا في صدره من حسد فطفح على لسانه، قال: كنّا وبني هاشم كفرسي رهان، نحمل أذا حملوا، ونظعن إذا ظعنوا، ونوقد اذا أوقدوا، فلمّا استوى بنا وبهم الركب قال قائل منهم: منّا نبيّ!

ثمّ أكّد أبو جهل هذا العداء بقوله: لا نرضى بذلك أن يكون ـ نبيّ ـ في بني هاشم، ولا يكون في بني مخزوم. أنظر: الدر المنثور: ٤ / ١٨٧، وتفسير القمي: ١ / ٢٧٦.

أبي طالب عليه السلام؛ فما كان من حسّاد النبيّ وأسرته الكريمة إلّا أن يردّوا على النبيّ صلى الله عليه وآله في حياته، وأشاعوا عدم شفاعته لهم!

روى الهيثمي أنّ العباس بن عبد المطلب جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إنّي انتهيت إلى قوم يتحدّثون، فلمّا رأوني سكتوا، وما ذاك إلّا لأنّهم يبغضونا! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوقد فعلوها؟!

والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدهم حتّى يحبّكم، أيرجون أن يدخلوا الجنّة بشفاعتي، ولا يرجوها بنو عبد المطلب؟![1]

وروى الهيثمي قال: جلس النبيّ صلى الله عليه وآله على المنبر ساعة وقال: أيّها الناس ما لي أوذى في أهلي؟ فوالله إنّ شفاعتي لتنال حي حا، وحكم، وصدا، وسلهب يوم القيامة....[2]

تتابع حديث الشفاعة

روى المجلسي: أنّ عمر بن الخطاب لقى أمّ هاني بنت أبي طالب فقال لها: غطّي قرطك، فإنّ قرابتك من محمّد لا تنفعك شيئاً! فقالت له: هل رأيت لي قرطاً يا إبن اللخناء! ثمّ دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته بذلك وبكت.[3]

قال الهيثمي في قصّة أمّ هاني بسنده عن عبد الرحمن بن أبي رافع أنّ أمّ هاني بنت أبي طالب خرجت متبرّجة قد بدأ قرطاها، فقال لها عمر بن الخطاب: إعلمي فإنّ محمّداً لا يغني عنك شيئاً، فجاءت إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فأخبرته به، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بال أقوام يزعمون أنّ شفاعتي لا تنال أهل بيتي؟! وإنّ شفاعتي

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي: ٩/ ١٧٠، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ط ٣، ١٩٨٢م.

(٢) المصدر نفسه: ٩/ ٢٥٨. أمّا الأسماء التي ذكرت فهي أسماء قبائل وأحياء يمنية.

(٣) البحار للمجلسي: ٩٣/ ٢١٩.

تنال حا وحكم! وحا وحكم قبيلتان.[١]

أنظر إلى تدليس الراوي في هذه الرواية حيث ادّعى تبرّج أمّ هاني في الوقت الذي كانت معروفة بإيمانها وتقواها وأنّ النبيّ ثأر لها فصعد المنبر وحذّر القوم من أن يؤذوه بأهل بيته.

ثمّ الرواية السابقة تكشف حقد الرجل واساءته لأمّ هاني لمّا قال لهـا غـطّي قرطك... فأجابته أمّ هاني بشدّة و ردّت عليه بصرامة: هل رأيت لي قرطاً يا إبن اللخناء!

قال الغفاري: لَخِنَ: أنتن، ولَخِنَ الرجل: تكلّم بقبيح، ولَخِن كان منتن الجسد، واللَّخن: القبيح في القول والصفات. ولخنه قال له: يا إبن اللخناء وهو ذمّ، أي يا إبن القبيحة في أفعالها وصفاتها.

هذه أمّ هاني التي آمنت بالله وبرسوله منذ بدء الدعوة ترى فـي نـظر عـمر ـ مدّعياً ـ أنّ الرسول لا يغني عنها شيئاً يوم القيامة... أمّا أبو سفيان زعيم الشرك والنفاق والذي سعىٰ بكلّ ما يملك على إطفاء نور الله ونـور الإسـلام بـتجهيزه لجيوش الشرك والكفر، ومحاربة الرسول حتّى النفس الأخير، هذا وأمثاله ـ كما يزعمون ـ تنالهم شفاعة الرسول ﷺ ...؟!

يا للعجب من حسدهم وحقدهم ذاك!

روى المتّقي الهندي بسنده عن عمرو بـن العـاص: أنّ النـبيّ ﷺ قـال: إنّ لأبي طالب عندي رحماً سأبلها ببلالها[٢] ومعنىٰ بلال الرحم: صلتها حتّى تروى....

قال الغفاري: إذا كان النبيّ ﷺ لم يصل رحمه فمن الذي أولى به من وصلها؟!

قال إبن ماجه: بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: يُصفُّ الناس يوم القيامة صفوفاً، وقال إبن نمير في أهل الجنة؛ فيمرّ الرجل من أهل النار على

---

(١) مجمع الزوائد: ٩/ ٢٥٧.

(٢) كنز العمال: ١٢/ ١٥٢ و١٦/ ١٠، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩م.

الرجل فيقول: يا فلان أما تذكر يوم استسقيت فسقيتك شربة؟

قال فيشفع له. ويمرّ الرجل فيقول: أما تذكر يوم ناولتك طهوراً؟ فيشفع له. قال إبن نمير ويقول: يا فلان أما تذكر يوم بعثتني في حاجة كذا وكذا فذهبت لك؟ فيشفع له.(١)

قال الغفاري: ألا ترى في هذا الذي رووه أنّ مَن -هو من أهل النار- يقدّم شربةً لرجل من أهل الجنّة يكون شفيعه فيدخل معه الجنّة، وأنّ من يقدّم خدمة ولو بسيطة أو تافهة فيشفّع له.

هذا العمل الحقير لصغره، والبسيط في ذاته يكون سبباً لصاحبه في دخول الجنّة وهو من أهل النار والعذاب. وأبو طالب الذي أوقف حياته وحياة وِلْدِه من أجل النبيّ صلى الله عليه وآله ومن أجل رسالة السماء وتوحيد الله سبحانه فلا يدخل الجنّة، ولا يشفع له النبيّ صلى الله عليه وآله، ولا كرامة له؟!

إنّه أمر عجيب. الويل لكم يا أهل الشنان والبغضاء، وأهل الحقد والحسد، علماً إنّ بعضهم قد أورد في حقّ أبي طالب الروايات والأحاديث الصحاح بنجاته، فأي ذمّة عند القوم! بل الحسد أنّه كاد يقتل صاحبه.

روى الهيثمي -بسنده- موقف عمر بن الخطاب وما قاله لصفية بنت عبد المطلب -عمّة النبيّ- قال: فغضب النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: يا بلال هجّر بالصلاة، فهجّر بلال بالصلاة فصعد المنبر صلى الله عليه وآله فحمد الله، وأثنى عليه ثمّ قال: ما بال أقوام يزعمون أنّ قرابتي لا تنفع؟ كلّ سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلّا سببي ونسبي فإنّها موصولة في الدنيا والآخرة.(٢)

وروى إبن الأثير بسنده عن شهر بن حوشب قال: أقام فلان -ويقصد معاوية-

---

(١) سنن إبن ماجه: ١/١٢١٥، حديث ٣٦٨٥، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) مجمع الزوائد: ٨/٢١٦، وفردوس الأخبار للديلمي: ٤/٣٩٩، حديث ٦٦٨٣.

خطباء يشتمون علياً(عليه السلام) ويقعون فيه، حتّى كان آخرهم رجل من الأنصار أو غيرهم يقال له أنيس، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: إنّكم قد أكثرتم اليوم في سبّ هذا الرجل وشتمه، وإنّي أقسم بالله أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّي لأشفع يوم القيامة لأكثر ممّا على الأرض من مدر وشجر، وأقسم بالله ما أحدٌ أوصل لرحمه منه، أ فترون شفاعته تصل إليكم وتعجز عن أهل بيته.[1]

وممّا يؤكّد هذه الشفاعة ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إنّ أناساً من بني هاشم أتوا رسول الله ﷺ فسألوه أن يستعملهم على صدقات المواشي، وقالوا: يكون لنا هذا السهم الذي جعله الله للعالمين عليها، فنحن أولىٰ به، فقال رسول الله ﷺ: يا بني عبد المطلب إنّ الصدقة لا تحلّ لي ولا لكم، ولكنّي قد وعدت الشفاعة، فما ظنّكم يا بني عبد المطلب إذا أخذت بحلقة باب الجنّة أ تروني مؤثراً عليكم غيركم...؟![2]

ومن أقوال النبيّ في حقّ عمّه:

سأله العباس: يا رسول الله! أ ترجو لأبي طالب؟

قال ﷺ بكلّ صدق وإطمئنان: «كلّ الخير أرجو من ربّي».

وأنّك ترى هذا النصّ في عشرات المصادر نذكر على سبيل الإختصار:

شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي: ٣ / ٣١١.

تذكرة الخواص لسبط إبن الجوزي: ص ١٠.

معجم القبور للسيّد محمّد مهدي الموسوي: ١ / ١٨٩.

الغدير للعلامة الأميني (نقلاً عن طبقات إبن سعد)، أنظر كتاب العلامة:

---

(١) أسد الغابة لابن الأثير: ١ / ١٣٤، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) تهذيب الأحكام: ٤ / ٥٨، حديث ١٥٤، طبعة دار الأضواء، بيروت. والكافي: ٤ / ٥٨، ط ٣، دار التعارف، بيروت ١٤٠١هـ. وتفسير العياشي: ٢ / ٩٩، حديث ٧٥، طبعة مؤسسة الأعلمي، بيروت. ونور الثقلين: ٢ / ٢٣٥، رقم ٢١٣، و٣ / ٢١٠، رقم ٤٠١، مطبعة الحكمة، قم.

٧ / ٣٧٤ و٣٨٧، وفيه مصادر أخرى، وأعيان الشيعة: ٣٩ / ١٣٦.

قال الغفاري: وحديث الشفاعة ورد في مصادر القوم بكثرة، فراجع وتدبّر.

سخريّة القوم من رسول الله ﷺ

تفوّه بعض ـ ممّن له صحبة كما يزعمون ـ فقال: «ما محمّد إلّا كمثل نخلة نبتت في كناسة».

عن أبي ذر والمقداد وسلمان قالوا: قال لنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: إنّي مررت بفلان يوماً فقال لي: ما مثل محمّد في أهل بيته إلّا كمثل نخلة نبتت في كناسة![1] قال: فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فغضب غضباً شديداً، فقام فخرج مغضباً، وصعد المنبر، ففزعت الأنصار، ولبسوا السلاح لمّا رأوا من غضبه، ثمّ قال: ما بال أقوام يعيّرون أهل بيتي؟ وقد سمعوني أقول في فضلهم ما أقول، وخصصتهم بما خصّهم الله تعالى به، وفضّل علياً عليهم بالكرامة وسبقه إلى الإسلام وبلائه، وأنّه منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي! ثمّ أنّهم يزعمون أنّ مثلي في أهل بيتي كمثل نخلة نبتت في كناسة! ألا إنّ الله سبحانه وتعالى خلق خلقه وفرقهم فرقتين، وجعلني في خيرها شعباً، وخيرها قبيلة، ثمّ جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً، حتّى حصلت في أهل بيتي وعشيرتي وبني أبي، أنا وأخي علي بن أبي طالب عليه السلام.

ثمّ أخذ النبيّ ﷺ يفصح عن أصله وطهارة محتده، ونسبه فقال: أنا خير النبيّين والمرسلين، وعلي خير الوصيين، وأهل بيتي خير بيوت أهل النبيّين، وفاطمة إبنتي سيدة نساء أهل الجنّة أجمعين.

أيّها الناس: أ ترجون شفاعتي لكم وأعجز عن أهل بيتي....

أيّها الناس: لو أخذت بحلقة باب الجنّة ثمّ تجلّى لي الله عزّ وجلّ، فسجدت بين

---

(١) الكناسة: المزبلة.

يديه، ثمّ أذن لي في الشفاعة، لم أوثر على أهل بيتي أحداً....

أيّها الناس: عظّموا أهل بيتي في حياتي وبعد مماتي، وأكرموهم، وفضّلوهم، لا يحلّ لأحد أن يقوم لأحدٍ غير أهل بيتي، فأنسبوني من أنا؟!

قال: فقام الأنصار وقد أخذوا بأيديهم السلاح، وقالوا: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، أخبرنا يا رسول الله من آذاك في أهل بيتك حتّى نضرب عنقه؟!!

قال صلى الله عليه وآله: أنا محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب، ثمّ انتهى بالنسب إلى نزار، ثمّ مضى إلى إسماعيل بن إبراهيم خليل الله، ثمّ مضى منه إلى نوح، ثمّ قال: أنا وأهل بيتي كطينة آدم عليه السلام نكاح غير سفاح.

سلوني، والله لا يسألني رجل إلّا أخبرته عن نسبه وعن أبيه! فقام إليه رجل فقال: من أنا يا رسول الله؟

فقال صلى الله عليه وآله: أبوك فلان [ليس فلان] الذي تدعىٰ إليه.

قال: فارتدّ الرجل عن الإسلام.

ثمّ قال صلى الله عليه وآله والغضب ظاهر في وجهه: ما يمنع هذا الرجل الذي يعيب على أهل بيتي وأهلي وأخي ووزيري وخليفتي من بعدي وولي كلّ مؤمن ومؤمنة بعدي، أن يقوم ويسألني عن أبيه، وأين هو في جنّة أم في نار.

قال: فعند ذلك خشي فلان على نفسه أن يذكره رسول الله صلى الله عليه وآله ويفضحه بين الناس فقام وقال: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، ونعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، أعف عنّا عفى الله عنك، أقلنا أقا لك الله، استرنا سترك الله، إصفح عنّا جعلنا الله فداك.

فاستحيا النبيّ صلى الله عليه وآله وسكت، فإنّه كان من أهل الحلم وأهل الكرم، وأهل العفو ثمّ نزل صلى الله عليه وآله.[1]

قال الغفاري: لا يخفاك أنّ الرجل الذي قام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وطلب منه العفو

(١) كتاب الفضائل للنيسابوري: ص ١٣٤.

والصفح قد ذكره البخاري في باب (الغضب في الموعظة والتعليم)، وفي باب (من برك على ركبتيه عند الإمام أو المحدّث) والرجل هو عمر بن الخطاب، قد ذكر البخاري عدّة روايات وحاول أن يبتر قصّة غضب النبيّ صلى الله عليه وآله وإليك واحدة من تلك الروايات، قال: عن أبي بردة عن أبي موسى قال: سئل النبيّ صلى الله عليه وآله عن أشياء كرهها فلمّا أكثر عليه غضب، ثمّ قال للناس: سلوني عمّا شئتم! قال رجل: (إسمه عبد الله) مَنْ أبي؟ قال صلى الله عليه وآله: أبوك حذافة! فقام آخر فقال: مَن أبي يا رسول الله؟ فقال: أبوك سالم مولى شيبة! فلمّا رأى عمر ما في وجهه قال: يا رسول الله إنّا نتوب إلى الله عزّ وجلّ.

وفي رواية أخرى: فبرك عمر على ركبتيه فقال: رضينا بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمّد صلى الله عليه وآله نبيّاً.(١)

قال الغفاري: هناك عدّة أسئلة:

أوّلاً: لماذا هذا الغضب الذي علا وجه الرسول صلى الله عليه وآله؟ ألِسؤال فقط، أم ماذا؟

ثانياً: ألم يَرد في نصوصهم ـ والتي عرفت بعضها الآن وقرأت ـ أنّه صلى الله عليه وآله هو الذي بادرهم بالقول سلوني، سلوني،...!

ثالثاً: قال البخاري: لقد أكثروا السؤال على النبيّ فغضب، وقد عنون الباب في (الغضب في التربية والتعليم) فهل هناك سنخية بين الغضب والتربية؟

رابعاً: ألم يبعث النبيّ لأجل التعليم والتربية والهداية، فعلام هذا الغضب؟

خامساً: ألم يصف القرآن الكريم أنّ النبيّ على خلق عظيم فأين ذلك الخلق من هذا الغضب؟

سادساً: ما هي الأسئلة التي سألوها فكانت مثار حفيظة النبيّ وغضبه؟

سابعاً: كيف أجاب النبيّ صلى الله عليه وآله بعض السائلين حتّى فضحه على رؤوس الأشهاد

---

(١) صحيح البخاري: ١/ ٣٢، كتاب العلم باب الغضب في الموعظة والتعليم وباب من برك على ركبتيه عند الإمام أو المحدّث. طبعة دار الجيل، بيروت (رحلي).

وأعلن للملأ أنّ هذا السائل ولد من أبٍ غير شرعي وتستّر على آخرين.

ثامناً: إذا كان السائل يبحث عن أصله وعموده النسبي ـ سواء كان سؤاله سخريّة من النبيّ، أو تحدّياً لعلم النبيّ، أو كان حقيقة في طلب المعرفة ـ فعلام يتبرّع الخليفة عمر فيعتذر إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، ويبرك أمامه، ويطلب العفو منه؟! وأنت عليم بما جاء فيه القرآن الكريم حيث قال: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾؟!

تاسعاً: ثمّ أنّك تجد في حديث البخاري أنّ النصّ مبتور في عدّة مواضع بحيث لم يستقم المعنىٰ لكون الحادثة في قصّة، فأين هي فصول هذا الحدث الذي واجهه النبيّ بغضب شديد؟!

عليك أن تعرف أيّها القارىء الكريم كم كان أولئك أمناء علىٰ تراث النبيّ وأحاديثه!

فهذه واحدة من الأخبار والقصص التي تلاعب بها الرواة، وبتروا فصولها، وحذفوا نصوصها، حتّى كادت القضية تنصهر في بودقّة كذبهم وزورهم. والذي خفي علينا وعلى الناس آلاف من الاحداث وآلاف من النصوص، فتدبّر.

من الأدلّة الأخرى: حبّ النبيّ صلى الله عليه وآله لعمّه أبي طالب عليه السلام

أجمع أهل السير والتاريخ والمفسّرون أنّ النبيّ كان يحبّ عمّه أبا طالب، وبالمثل كان أبو طالب يحبّ محمّداً حبّاً شديداً ويحنو عليه، والكلّ يشهد مواقف أبي طالب ودفاعه المستميت عن النبيّ صلى الله عليه وآله وعن الإسلام، هذان أمران لا نقاش فيهما قط....

قال الغفاري: إنّ هذا الحبّ كان متبادلاً بين العمّ وإبن أخيه على مستوى غير قابل الإنفكاك، وهذا يدلّ على إيمان أبي طالب، وذلك إن لم يكن أبو طالب مؤمناً فلا يجوز للنبيّ أن يحبّه ذلك الحبّ الذي شهد به الخاص والعام، حتّى أن قريش أرهبها ذلك، وأمّا المسلمون فهم كذلك أشفقوا من ذلك الحبّ الذي كان يكنّه النبيّ لعمّه. ثمّ إنّ الله سبحانه وتعالى قد نهى عن حبّ الكافرين في قوله وعزّ من قائل:

﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾.(١)

فمعنى يوادون: يحبّون. يقال: وددت فلاناً أودّه ودّاً إذا أحببته. والنبيّ صلى الله عليه وآله لا يجوز أن يرتكب ما نهاه الله عنه من حبّ الكفار.

فثبت أنّ أبا طالب ـ لمّا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبّه فهو ـ مؤمن بحسب الآية من سورة المجادلة.

ثمّ من جانب آخر لم يرد في تاريخ المسلمين ولا في جميع كتبهم أنّ أبا طالب كان يُناوىء الرسول، أو يبغضه، أو كان مسيئاً لله ولرسوله، وعلى هذا فإنّ محبّة النبيّ صلى الله عليه وآله لعمّه أبي طالب لم تكن محبّة لكافر، بل هي محبّة لمن محّض في الإيمان.

وأمّا المصادر التي أكّدت حبّ النبيّ صلى الله عليه وآله لعمّه فهي كثيرة منها:

الإستيعاب لإبن عبد البرّ: ٢ / ٥٠٩.

ذخائر العقبى لمحبّ الدين الطبري: ص ٢٢٢.

مجمع الزوائد للهيثمي: ٩ / ٢٧٣، باب ما جاء في عقيل بن أبي طالب عليه السلام.

تاريخ الخميس: ١ / ١٦٣.

بهجة المحافل عماد الدين يحيىٰ العامري: ١ / ٣٢٧.

شرح النهج للمعتزلي: ٣ / ٣١٢.

هذه المصادر، وغيرها كثيرة، ذكرت أخباراً وأحاديث تنصّ على محبة النبيّ لعمّه أبي طالب عليه السلام، فراجع.(٢)

---

(١) المجادلة: ٢٢.

(٢) الغدير: ٧ / ٣٧٧ و٣٨٧. والإستيعاب: ٣ / ١٠٧٨، رقم ١٨٣٤، طبعة نهضة، مصر. وتذكرة الخواص سبط إبن الجوزي: ص ٢٢، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، بيروت ١٩٨١م. ومعجم القبور: ٢٠٢.

حبّ الرسول ﷺ للرجل دليل على صلاحه وإيمانه

روى أحمد بن حنبل في مسنده قال: حدّثنا عبد الله حدّثني أبي، حدّثنا أسود بن عامر قال: حدّثنا جرير يعني إبن حازم قال: سمعت الحسن قال: قال رجل لعمرو بن العاص أرأيت رجلاً مات، وكان رسول الله ﷺ يحبّه، أليس رجلاً صالحاً؟

قال: بلىٰ....[1]

قال الغفاري: فما بالك في محبّة النبيّ ﷺ لعمّه أبي طالب؟ ألا يعني أنّ أبا طالب رجل صالح؟!

وألا تدلّ نصرته للرسول على صلاحه وإيمانه؟! فاحكم إن كنت تنصف إيّها الحكم!

قصّة تخفيف العذاب عن أبي لهب الكافر لأنّه أعتق ثويبة مولاته لمّا بشرته بمولد النبيّ ﷺ

روى القسطلاني في المواهب اللدنية بسنده قال: لقد رُؤي أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له ما حالك؟ فقال: في النار إلّا أنّه خفّف عنّي كلّ ليلة إثنين، وأمصّ من بين أصبعي هاتين ماء، وأشار برأس أصبعه، وإنّ ذلك باعتاقي لثويبة، عند ما بشّرتني بولادة النبيّ ﷺ وبإرضاعها له.

قال إبن الجَزري فإذا كان هذا أبو لهب الكافر الذي أنزل القرآن بذمّه جُوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبيّ ﷺ به فما حال المسلم الموحّد من أمّته عليه السلام الذي يسرّ بمولده....[2]

قال الغفاري: إذا كان حال أبو لهب الكافر أنّه يخفف عنه العذاب كلّ ليلة

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ٤/٢٠٣، ط دار الفكر، بيروت.

(٢) المواهب اللدنية للقسطلاني: ١/٢٧.

إثنين لا لشيء إلّا لأنّه فرح بمولد محمّد صلى الله عليه وآله فما بالك بعمّ النبيّ صلى الله عليه وآله: الذي لولاه لما استقام للدين شخصاً، ولما شيّد للهدىٰ صرحاً، ولألفيت الناس في ضلالهم يهيمون، وفي الذلّ والكفر قابعون. ألا يستحقّ أبو طالب الفوز بالجنّة ...؟!

روى القسطلاني حديث الرسول صلى الله عليه وآله: «لا تؤذوا الأحياء بسبّ الأموات». رواه الطبراني في الصغير ثمّ قال: ولا ريب أن أذاه عليه السلام كفر يقتل فاعله إن لم يتب عندنا.(١)

قال الغفاري: لقد عرفت من مصادر القوم، بل من جميع مصادر المسلمين أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يحبّ عمّه أبا طالب كثيراً، وقد بكىٰ عليه لمّا سمع نبأ وفاته، وحزن عليه حزناً شديداً، فهل التعرّض إلى أبي طالب بسوء يفلح فاعله، أم أنّه يدخل في عموم قوله «لا تؤذوا الأحياء...»، ولا ريب أنّ التعرض لأبي طالب كما يفعله القوم فيه أذىً للنبيّ صلى الله عليه وآله وعلى قول القسطلاني من يؤذي الرسول فهو كافر يستحقّ فاعله القتل إن لم يتب.

---

(١) المواهب اللدنية: ١ / ٣٦.

الفصل السابع

إيمان أبي طالب عليه السلام بدليل الإجماع

* دليل الإجماع
* أوّلاً: إجماع الأئمة عليهم السلام
* ثانياً: إجماع علمائنا

دليل الإجماع

من الأدلّة المعتبرة بعد القرآن والسنّة النبوية الإجماع، ولا يختلف المسلمون في حجيّة هذه الأدلّة الثلاثة، وقد اتفقت كلمة أهل البيت عليهم السلام على إيمان جدّهم أبي طالب عليه السلام وهذا الإتفاق هو الذي يطلق عليه بالإجماع، وليس هناك محدّث أو خبير رجالي أو فقيه في جميع فرق المسلمين ومذاهبهم إلّا وقد أثنىٰ علىٰ هؤلاء الائمة فلا نجد من بينهم من يقدح في سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام فرداً فرداً.

إذاً تحصيل الإجماع على صدق أئمة أهل البيت عليهم السلام أمر مفروغ عنه و من خطابات الائمة عليهم السلام حصل الإجماع على إيمان أبي طالب عليه السلام.

من هنا وجدنا سرد أقوالهم أمراً ضرورياً حتّى يطّلع الباحث على حقائق قد أخفاها وعّاظ السلاطين والمرتزقة من حاشية السلطان في كلّ زمان.

أوّلاً: إجماع الائمة عليهم السلام

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام

روىٰ أبو الفتح الكراجكي بإسناده عن الإمام الحسين عن أمير المؤمنين عليهما السلام أنّه كان جالساً في الرحبة والناس حوله، فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين إنّك بالمكان الذي أنزلك الله، وأبوك معذّب في النار.

فقال عليه السلام: «مه، فضّ الله فاك، والذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً، لو شفع أبي في كلّ مذنب على وجه الأرض لشفّعه الله فيهم، أبي يعذّب في النار وإبنه قسيم الجنّة والنار؟ والذي بعث محمّداً بالحقّ إنّ نور أبي طالب ليطفيء أنوار الخلائق إلّا خمسة أنوار: نور محمّد، ونور فاطمة، ونور الحسن، ونور الحسين، ونور ولْده من الائمة، ألا

أنّ نوره من نورنا خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام».[(١)]

حديث «قسيم النار ...»

هذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخي رسوله، والبائت على فراشه، والذائد عنه، والمجاهد في الله حقّ جهاد و...، وقد عرفه جمهور الصحابة والتابعين وسائر المسلمين، فهو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، أي هو الصادق وهو الأمين على الدين كذلك، فلا يحتاج إلى تزكية لأقواله وأفعاله طالماً مدحه الله في كتابه العزيز في موارد شتى، فآية التطهير، وآية التبليغ، وآية المودّة، وآية الولاية، و...، كلّها شهود صدق على طهارته من كلّ سوء ورجس وكذب....

فإذا عرفت سمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وعلى لسان النبيّ صلى الله عليه وآله المؤكّد لما نزل فيه من قرآن... إذاً لا بدّ من تصديقه في كلّ ما يقول وما يفعل... والحديث المتقدّم الذي كان في صدد جواب السائل... «والذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً لو شفع أبي في كلّ مذنب على وجه الأرض لشفّعه الله فيهم...».

ترىٰ هل يشفع الكافر في كلّ مذنب على وجه الأرض؟! وبمعنىً آخر هل يشفع الكافر في المسلم؟

الجواب: حسب عقائد المسلمين أنّ الكافر لا يشفع، ولا كرامة. بل المؤمن هو الذي تقبل شفاعته، وقول أمير المؤمنين عليه السلام ينبؤك أن أبا طالب عليه السلام لو تقدّم للشفاعة لشفّعه الله، ولمّا كانت الشفاعة لا تقبل إلّا من مؤمن، إذاً أبو طالب عليه السلام ـ حسب المقدّمتين ـ مؤمن بحكم العقل والمنطق.

---

(١) كنز الفوائد للكراجكي: ١ / ١٨٣، منشورات دار الذخائر، قم ١٤١٠هـ. وأمالي الشيخ الطوسي: ٣٠٥، حديث ٦١٣ / ٥٩، طبعة مؤسسة البعثة، قم ١٤١٤. وتفسير أبي الفتوح: ٤ / ٢١١، انتشارات مكتبة المرعشي، قم ١٤٠٤ (رحلي). والدرجات الرفيعة: ٥٠، منشورات بصيرتي، قم. والمناقب المائة للشيخ أبي الحسن بن شاذان.

نعم، هذا هو المنطق السليم الذي عليه العقلاء.

أمّا من زاغ عن هذا الطريق، وسار بإتجاهٍ معاكس تبعاً لهواه، فلا نعبأ بما يقول، لأنّه يندرج فيمن وصفهم القرآن: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾**.[1]

أمّا إذا لم يكن هذا وأمثاله ممّن يشتري لهو الحديث، فنقول ألا يبصر إلى كلام أمير المؤمنين عليه السلام ....

ألا يبصر إلى كلام أمير المؤمنين ويعسوب الدين وإمام المتّقين حيث يـؤكّد شفاعة أبي طالب عليه السلام لكلّ مذنب على وجه الأرض فماذا تعني هذه الشفاعة؟!

ألا تعني أنّ صاحب هذه الشفاعة في ذروة الإيمان ومن سادة الموحّدين...؟

ألا يعني أنّ صاحبها ـ أبا طالب عليه السلام ـ له جاهٌ ومنزلة عظيمة عند الله بـحيث يشفع للخلائق...؟!

تأمّل أيّها المسلم، لا يغرّك بالله الغرور، ولا تذهب بك المذاهب فتخسر دنياك وآخرتك، عليك أن تجعل كلام أمير المؤمنين عليه السلام نصب عينيك وتحكّم عـقلك وتنسلخ من أهواء المغرضين والعاقبة للمتّقين.

أمّا قوله عليه السلام: «وابنه قسيم الجنّة والنار»

هذا الحديث الشريف ورد بعبارات متقاربة أطلقها الرسـول صلى الله عليه وآله لعـلي عليه السلام، وطرقه كثيرة جدّاً فاقت حدّ الشهرة والتواتر عند الفريقين، أمّا عند الطائفة المحقّة فالإجماع محقق في روايته في كلّ طبقة، وروته جميع مصادرهم الحديثيّة والتأريخية والتفسيريّة، ولو أردنا سردها بنصوصها لجاوز المجلد، لذا أعرضنا عن ذكـرها خوف الإطالة. وقد اكتفينا أن نذكر بعض مصادر علماء الجمهور، حـتى يـدرك القاريء منزلة أبي طالب عليه السلام عند العامة أيضاً.

---

(١) سورة لقمان: ٦.

البحث الروائي

مصادر حديث النبيّ صلى الله عليه وآله

«يا عليّ أنت قسيم النار والجنّة»

رواه إبن المغازلي في (المناقب): ص ٦٧، ط ٢، طهران.

ورواه إبن كثير في (البداية والنهاية): ٧ / ٣٥٥، ط دار الفكر، بيروت.

ورواه إبن حجر العسقلاني في (لسان الميزان): ٣ / ٢٤٧ و٦ / ١١٣.

ورواه الحافظ الذهبي الدمشقي في (ميزان الإعتدال): ٤ / ٢٠٨.

ورواه الامرتسري في (أرجح المطالب): ص ٣٢، ط لاهور.

ورواه البيهقي في (دلائل النبوة)، باب ذكر شرف أصل رسول الله صلى الله عليه وآله ونسبه: ١ / ١٧١، ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م.

ورواه المقريزي في (إمتاع الأسماع)، باب شرف أصله وتكريم حسبه ونسبه: ٣ / ٢٠٨، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٩م.

ورواه إبراهيم بن محمّد الثقفي الكوفي في (الغارات): هامش ١ / ٢٢٩، ط طهران، ١٣٥٣هـ ش.

ورواه يعقوب بن سفيان البسوي في (المعرفة والتاريخ): ٢ / ٧٦٤ و٣ / ١٩٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١م.

ورواه إبن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة)، باب قصة التحكيم ثمّ ظهور أمر الخوارج: ٢ / ٢٦٠ و٩ / ١٦٥، في خطبة: ١٥٤ و١٩ / ١٣٩، باب نبذ من غريب كلام الإمام علي عليه السلام وشرحه، طبعة مكتبة المرعشي، قم ١٤٠٤هـ.

أقول: وهناك عشرات المصادر لعلماء الجمهور ذكرت هذا الحديث وقد اكتفينا بهذا المقدار مراعاةً للإختصار.

وستأتي الإشارة ـ تكملة ـ إلى مصادر هذا الحديث في آخر البحث الدلالي، فراجع.

والعلّة في كون الإمام عليّ عليه السلام قسيم الجنّة والنار إنّما هو الحبّ والبغض له.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:
«الفوز بالجنّة: حبّ عليّ عليه السلام»

الأحاديث الواردة في حبّ عليّ عليه السلام كثيرة جدّاً ويمكن أن نصنّفها إلى مجاميع:

المجموعة الأولى: روى الحافظ إبن أبي الفوارس في كتابه (الأربعين) الحديث الثالث والثلاثون بسنده إلى سعد بن عبادة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا عرج بي إلى السماء فكنت من ربّي كقاب قوسين أو أدنى، إذ سمعت النداء من قبل الله تعالى يقول: يا محمّد مَنْ تحبّ أن يكون معك في الأرض؟

فقلت: أحبّ من يحبّه العزيز الجبّار ويأمر بمحبّته.

فسمعت النداء من قبل الله تعالى يقول: ﴿يا محمّد أحبّ عليّاً فإنّي أحبّه وأحبّ من يحبّه﴾.

قال: فبكى جبرئيل عليه السلام حتى علا نحيبه وقال: والذي بعثك بالحقّ نبيّاً لو أنّ أهل الأرض يحبّون عليّاً كما تحبّه أهل السماء ما خلق الله النار يعذب بها أحداً من عباده.(١)

رواه قريباً من هذا المعنى كلّ من:

السيوطي الشافعي في (ذيل اللئالي): ص ٦٢، ط لكنهو.

رروا الأمرتسري في (أرجح المطالب): ص ٥٢٢، ط لاهور.

ورواه الخوارزمي في (المناقب): ص ٣٩، ط تبريز.

ورواه إبن حجر العسقلاني في (الإصابة): ٣/٦١٣.

ورواه إبن الأثير الجزري في (أسد الغابة): ٥/١٠١، ط مصر.

---

(١) كتاب الأربعين (مخطوط): ص ٤٤.

ورواه عبد الرحمن الصفوري في (نزهة المجالس): ٢ / ٢٠٥، ط القاهرة.

ورواه القندوزي في (ينابيع المودّة): ص ١٢٤، ط إسلامبول.

وهناك عشرات المصادر روت الحديث المتقدّم بألفاظ متقاربة.

قال النبيّ صلى الله عليه وآله:
«الجواز على النار حبّ علي بن أبي طالب عليه السلام»

المجموعة الثانية: روى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، باسناده عن مجاهد عن طاووس عن إبن عباس قال: «قلت للنبيّ صلى الله عليه وآله: يا رسول الله للنار جواز؟

قال: نعم. قلت وما هو؟ قال: حبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام».

أنظر: الخطيب في تاريخ بغداد: ٣ / ١٦١، طبعة القاهرة.

ورواه الحافظ محمّد بن يوسف الكنجي في (كفاية الطالب): ص ١٨٤، ط الغري.

ورواه الحافظ إبن حجر العسقلاني في (لسان الميزان): ٤ / ٤٢٤، طبعة حيدر آباد، الدكن.

ورواه الحافظ الذهبي في (ميزان الإعتدال): ٤ / ٣٢٤، ط القاهرة.

ورواه آخرون عزفنا عن ذكرهم خوف الإطالة.

قال النبيّ صلى الله عليه وآله:
«حبّ علي عليه السلام براءة من النار»

المجموعة الثالثة: روى إبن شيرويه الديلمي في (فردوس الأخيار)، عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حبّ عليّ عليه السلام براءة من النار».(١)

ورواه القندوزي في (ينابيع المودّة): ص ١٨٠، ط إسلامبول.

---

(١) فردوس الأخيار (المخطوط).

ورواه الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد): ٤ / ٢١٠، ط مصر.

ورواه المناوي في (كنوز الحقائق): ص ٦٧، ط بولاق ومصادر أُخر.

قال النبيّ صلى الله عليه وآله:
«يا علي أحبّاءك... من أهل الجنّة»

المجموعة الرابعة: روى المولى صالح الترمذي في (المناقب المرتضويّة عليه السلام)، قال: روي من بشائر المصطفىٰ صلى الله عليه وآله بإسناد طويل أنّه دخل رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ضاحكاً في بيت عليّ عليه السلام فقال: «قدمت لأبشّرك يا أخي بأنّ جبرئيل نزل بي من ساعتي هذه برسالةٍ من عند الله وهي أنّ الله تعالى يقول: يا أحمد بشّر عليّاً بأنّ أحبّاءك مطيعهم وعاصيهم من أهل الجنّة. فسجد عليّ عليه السلام شكراً لله وقال: اللّهم أشهد فإنّي قد أعطيتهم نصف حسناتي، فقالت فاطمة عليها السلام: اللّهم أشهد وأنا قد أعطيتهم نصف حسناتي. فقال الحسن والحسين عليهما السلام: ونحن قد أعطيناهم نصف حسناتنا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تبارك وتعالى يقول: لستم بأكرم منّي وقد غفرت سيّئات محبّي عليّ وأرزقهم الجنّة ونعيمها».

أنظر: المناقب المرتضويّة: ص ٢٠٦، ط بمبيء.

قال النبيّ صلى الله عليه وآله:
«يا علي أنت قسيم النار والجنّة»

المجموعة الخامسة: روى الأمرتسري في (أرجح المطالب)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا عليّ أنت قسيم النار والجنّة، وأنت تقرع باب الجنّة، وتدخلها أحبّاءك بغير حساب».

في المجموعات السابقة بلفظ متقارب.

أنظر: أرجح المطالب: ص ٥٢٩ و٣٢، ط لاهور.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله:
«يا علي طوبىٰ لمن أحبّك»

المجموعة السادسة: روى الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد)، بإسناده عن علي بن الحزور قال: سمعت أبا مريم الثقفي يقول: سمعت عمار بن ياسر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ عليه السلام: «يا عليّ طوبىٰ لمن أحبّك وصدّق فيك، وويل لمن أبغضك وكذّب فيك». رواه عدّة من علماء الجمهور والمفسّرين.

ينظر: تفسير قوله تعالى: ﴿طُوبىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾.[1]

وينظر: تاريخ بغداد: ٩ / ٧١، ط السعادة، مصر.

ورویٰ الحديث المتقدّم العلامة علي المتقي الهندي في (منتخب كنز العمال)، المطبوع بهامش المسند: ٥ / ٣٤، ط مصر.

ورواه العلامة محب الدين الطبري في (الرياض النضرة): ص ٢١٥، ط محمّد أمين الخانجي، مصر.

ورواه مير محمّد صالح الترمذي الحنفي في (المناقب المرتضوية عليه السلام): ص ٥٨، ط المحمّدي، بمبيء.

ورواه السيوطي بلفظ مشابه في (الدر المنثور): ٤ / ٥٩، ط مصر.

ورواه إبن حجر العسقلاني في (الصواعق المحرقة): ص ١٤٨، ط مصر.

ورواه سليمان القندوزي في (ينابيع المودّة): ص ١٣١، ط إسلامبول.

قال النبيّ صلى الله عليه وآله:
«بغض عليّ عليه السلام نفاق وكفر»

المجموعة السابعة: في شأن نزول الآية الكريمة: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ

---

(١) سورة الرعد: ٢٩.

الْقَوْلِ﴾.[١]

روى علماء الجمهور عن إبن عباس، وعن أبي سعيد الخدري، وعن جابر بن عبد الله الأنصاري، وعن أبي ذر الغفاري، وعن إبن مسعود، وعن غيرهم قال هؤلاء الصحابة: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ ببغضهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

رواه إبن عبد البرّ في (الإستيعاب): ٢ / ٤٦٤، ط حيدر آباد الدكن.

ورواه بلفظ مشابه الحافظ الذهبي في (تاريخ دول الإسلام): ١ / ٢٠، ط حيدر آباد الدكن، جاء فيه:

قال النبيّ صلى الله عليه وآله:
«لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق»

المجموعة الثامنة: قال النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق.

رواه قريب منه إبن الأثير في (جامع الأصول): ٩ / ٤٧٣، ط مصر.

ورواه أيضاً في (أسد الغابة): ٤ / ٢٩، ط جمعية المعارف، مصر.

ورواه العلامة الكنجي في (كفاية الطالب): ص ١١١، ط الغري.

ورواه العلامة محب الدين الطبري في (الرياض النضرة): ص ٢١٤، ط محمّد أمين الخانجي.

ورواه العلامة المتقي الهندي في (كنز العمال): ٦ / ١٥٢.

ورواه أبو زكريا محي الدين النوري في (تهذيب الأسماء واللغات): ص ٢٤٨، ط المنيرية، مصر.

ورواه العلامة إبن حجر العسقلاني في (الصواعق المحرقة): ص ١٧٢، ط المحمّدية، مصر.

---

(١) سورة محمّد صلى الله عليه وآله: ٣٠.

ورواه عبد الرؤوف المناوي في (الكواكب الدريّة): ص ٣٩، ط الأزهر، مصر.
ورواه الشوكاني في (فتح القدير): ٥ / ٣٩، ط مصطفى الحلبي.
ورواه الألوسي في (روح المعاني): ٢٦ / ٧١، ط مصر.

قال النبيّ صلى الله عليه وآله:
«يا علي، كذب من زعم أنّه يحبّني ويبغضك»

المجموعة التاسعة: روى الحمويني في (فرائد السمطين) بسنده عن سعيد بن جبير عن إبن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: «يا علي أنا مدينة الحكمة وأنت بابها ولن تؤتى المدينة إلّا من قبل الباب، وكذب من زعم أنّه يحبّني ويبغضك لأنّك منّي وأنا منك، لحمك من لحمي، ودمك من دمي، وروحك من روحي وسريرتك من سريرتي وعلّانيتك من علانيتي، وأنت إمام أمّتي وخليفتي عليها بعدي...» الخ.

ينظر: فرائد السمطين للحمويني. وهناك مصادر عديدة أعرضنا عن ذكرها خوف الإطالة.

البحث الدلالي لحديث: «أنت قسيم النار»

أقول: إنّ حبّ عليّ عليه السلام إيمان، وبغضه كفر ونفاق، كما جاء في حديث النبيّ صلى الله عليه وآله وقد تقدّم ذكره، وهو ممّا روته مصادر الجمهور، وستقف على تفاصيل أُخرى عن قريب إن شاء الله.

إنّ مرجع كلّ العقائد الحقّة والطاعات إنّما تكون إلى حبّه عليه السلام، وكلّ الكفر والمعاصي ترجع إلى بغضه، فالإيمان والكفر هما الحبّ والبغض، والحبّ لا يقتصر عليه فحسب بل يشمل الائمة من ولده عليهم السلام، فالمراد حبّهم المستلزم للإيمان، إذْ من لم يعرفهم ولم يعتقد بإمامتهم فهو عدوّهم على الحقيقة، فالمراد من المحبّ: المؤمن. فلو

أحبّهم الكافر لا أثر له هنا، وإنْ أثّر في منع العذاب بعد خلق النار، فلو اجتمعوا على حبّه لم يخلق النار، لأنّ الجنّة للمؤمنين والنار للكافرين، ويفصّل هذه الحقيقة الإمام الرضا عليه السلام في جوابه للمأمون بأحسن بيان قال عليه السلام فيما كتبه للمأمون: من محض الإسلام وشرائع الدين، والله عزّ وجلّ لا يدخل النار مؤمناً وقد وعده الجنّة، ولا يخرج من النار كافراً وقد أوعده النار والخلود فيها، ولا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومذنبو أهل التوحيد لا يخلّدون في النار ويخرجون عنها، والشفاعة جائزة لهم.(١)

قال القاضي إبن أبي يعلى الحنفي: سمعت محمّد بن منصور يقول: كنّا عند أحمد بن حنبل فقال له رجل: يا أبا عبد الله ما تقول في هذا الحديث الذي يروى أنّ عليّاً عليه السلام قال: «أنا قسيم النار»؟

فقال: وما تنكرون من ذا؟ أليس روينا أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعليّ عليه السلام: «لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق»؟

قلنا: بلى.

قال: فأين المؤمن؟

قلنا: في الجنّة.

قال: وأين المنافق؟

قلنا: في النار.

قال: فعليّ قسيم النار.(٢)

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ١٢٤.

(٢) طبقات الحنابلة، للقاضي إبن أبي يعلى الحنفي: ١ / ٣٢٠.

قال النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام:
«إنّك قسيم النار»

روى الحافظ الخطيب علي بن محمّد الواسطي الشافعي الشهير بإبن المغازلي (ت ٤٨٣ هـ) بإسناده عن عليّ عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّك قسيم النار، وإنّك تقرع باب الجنّة وتدخلها بغير حساب».[١]

أخرجه بهذا الإسناد واللفظ: الخطيب الخوارزمي في المناقب: ص ٢٣٤، وأخرجه الحمويني في فرائد السمطين.

وأخرجه إبن الأثير في البداية والنهاية: ٧ / ٣٥٥.

وأخرجه الحافظ إبن حجر في لسان الميزان: ٣ / ٢٤٧ و٦ / ١١٣.

وأخرجه الذهبي في ميزان الإعتدال: ٤ / ٢٠٨ و٢ / ٣٧٧.

وأخرجه الزمخشري في الفائق.

وفي لسان الميزان، في حديث عليّ عليه السلام: «أنا قسيم النار».

قال القتيبي: أراد أنّ الناس فريقان؛ فريق معي وهم على هُدىٰ. وفريق عَليَّ وهم علىٰ ضلال كالخوارج، فأنا قسيم النار. نصف في الجنّة معي، ونصف عليَّ في النار.

وقسيم: فعيل في معنى مقاسم.

أقول: لا يخفى على البصير والمتتبع النبيه أنّ حديث «أنت قسيم النار» قد ورد في عشرات المصادر، من كتب الفريقين وجميع المذاهب الإسلامية، والكلّ يعترف ويقرّ على أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو قسيم الجنّة والنار. حيث ورد من طرق الفريقين أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً قال: أنا قسيم النار، أقول للنار هذا لك فخذيه، وهذا لي فذريه.

---

(١) مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لإبن المغازلي الشافعي: ص ٦٧، حديث ٩٧، ط ٢، المكتبة الإسلامية، طهران ١٤٠٢ هـ.

وقد رواه الأعمش عن موسى بن طريف عن عباية عن عليّ عليه السلام وقد كان يرويه الأعمش، ولما أنكروا عليه وعابوا بأنّ رواية هذا الحديث يقوّي الرافضة والزيدية والشيعة، أمسك عن روايته.[1]

ومعنى كونه قسيم الجنّة والنار قوله عليه السلام للنار: خذي هذا واتركي هذا، وإدخاله في الجنّة مَن محّض للإيمان، والمحبّ هو ذلك الذي محّض للإيمان باتباع سيرته وسنّته.

روى الصدوق رحمه الله في العيون عن تميم بن عبد الله بن تميم القرشي قال: حدّثني أبي، عن أحمد بن علي الأنصاري، عن أبي الصلت الهروي، قال: قال المأمون للرضا عليه السلام يا أبا الحسن أخبرني عن جدّك أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام بأي وجه هو قسيم الجنّة والنار، وبأي معنى؟

فقد كثر فكري في ذلك، فقال له الرضا عليه السلام: يا أمير المؤمنين أ لم ترو عن أبيك عن آبائه، عن عبد الله بن عباس أنّه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: حبّ عليّ عليه السلام إيمان وبغضه كفر؟

فقال: بلى.

فقال الرضا عليه السلام فقسمة الجنّة والنار إذا كانت على حبّه وبغضه فهو قسيم الجنّة والنار.

فقال المأمون لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن، أشهد أنّك وارث علم رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال أبو الصلت الهروي: فلمّا انصرف الرضا عليه السلام إلى منزله أتيته، فقلت له: يا إبن رسول الله صلى الله عليه وآله ما أحسن ما أجبت به أمير المؤمنين! فقال الرضا عليه السلام: يا أبا الصلت إنّما كلّمته من حيث هو، ولقد سمعت أبي يحدّث عن آبائه، عن عليّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي أنت قسيم الجنّة والنار يوم القيامة، تقول للنار هذا

---

(١) ينظر: لسان الميزان: ٣/ ٢٤٧.

لي وهذا لك.[١]

وفي كتاب العلل بإسناده عن المفضّل بن عمر، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام بما صار علي بن أبي طالب عليه السلام قسيم الجنّة والنار؟

قال: لأنّ حبّه إيمان وبغضه كفر، وإنّما خلقت الجنّة لأهل الايمان وخلقت النار لأهل الكفر، فهو قسيم الجنّة والنار لهذه العلّة، والجنّة لا يدخلها إلّا أهل محبّته، والنار لا يدخلها إلّا أهل بغضه... الخ.[٢]

فالخير كلّ الخير أصله نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وأوصياؤه، عليّ وأبناؤه الطاهرين فإنْ ذُكر الخير كانوا أوّله وأصله ومأواه ومنتهاه، وأصل الشرّ أعداؤهم ومن تابعهم. فمن اهتدى ونجا فإنّما هو بهم، ومن ضلّ فإنّما هو بواسطة أعدائهم.

فلو خوطب قوم بمكرمة كانوا هم عليهم السلام داخلون فيه.

وهم المقصود، وكذا الحال في أعدائهم في كلّ خطاب بسوءٍ نسب إلى قوم.

فمن أحبّ مؤمناً فقد أحبّهم، ومن أحبّهم فقد أحبّ الله، ومن أبغض مؤمناً فقد أبغضهم ومن أبغضهم فقد أبغض الله.

فالمحبّ لهم من أهل الإيمان وهو كذلك من أهل الجنّة.

والمبغض لهم من أهل الكفر والنفاق وهو كذلك من أهل النار.

وحاصل ما تقدّم: هم الصراط المستقيم، الواجب معرفتهم وولايتهم والإهتداء بهداهم.

وقد ورد في الأحاديث الشريفة لا بدّ من إجتماع كلّ الناس على محبّة عليّ عليه السلام وأبنائه عليهم السلام الطاهرين، والمراد من إجتماع الناس على ولايته أي إجتماعهم على الايمان وعلى طاعة الله تعالى والسلوك في الصراط المستقيم، فهو طريق النجاة، فمن أحبّه وعمل بسيرته كان من الفائزين بجنّة أعدّها الله لعبادة المؤمنين.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ٨٤، حديث ٣٠.

(٢) علل الشرائع: ص ١٦١.

ومن لم يسلك سبيل عليّ عليه السلام ولم يهتدِ بهداه بل سلك مسلك الجبت والطاغوت فهو من مبغضي عليّ وأبنائه عليهم السلام الغرّ الميامين، ومبغضي عليّ عليه السلام هم أعـداؤه فمصيرهم إلى النار لا محالة أبداً.

وفي هذا قال عليه السلام: والله لو صببت الدنيا على منافق صبّاً ما أحبّني، ولو ضربت بسيفي هذا خيشوم المؤمن لأحبّني، وذلك أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا عليّ لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق.

أخرجه إبن المغازلي بالإسناد إلى محمّد بن يـونس بـن مـوسى، والحـافظ الإصبهاني أبو نعيم في حلية الأولياء: ٤ / ١٨٥.

قال أبو نعيم: وهذا حديث صحيح متفقٌ عليه رواه الخـريبي وعـبد الله بـن محمّد بن عائشة، ورواه جمع غفير عن الأعمش، ورواه شعبة بن الحجّاج عن عدي بن ثابت.

وممّن روى هذا الحديث عن عدي بن ثابت، الحكم بن عتيبة وجابر بن يزيد الجعفي والحسن بن عمرو الفقيمي وسليمان الشيباني وسالم الفراء ومسلم الملائي والوليد بن عقبة وأبو مريم وأبو الجهم وسلمة بن سويد الجعفي وأيوب وعمّار إبنا شعيب الضبي.

وأخرجه الحافظ الخطيب البغدادي في تاريخه بالإسناد عن محمّد بن يحيى الأزدي، قال: حدّثنا عبد الله بن داود ـ الخريبي ـ وعبيد الله بن موسى ومحاضر بن المورع عن الأعمش.

أنظر: تاريخ بغداد: ١٤ / ٤٢٦. ومسند أحمد بن حنبل: ١ / ٩٥. وسنن إبن ماجه: ١ / ٥٥، (المقدّمة بالرقم ٢٠). وسنن البيهقي الكبرىٰ: ٢ / ٢٧١. والإستيعاب لإبن عبد البرّ: ٢ / ٤٦١. والخـصائص للـنسائي: ص ٢٧. وتـاريخ بـغداد: ٨ / ٤١٧. والحافظ الذهبي في ميزان الإعتدال: ٢ / ٤١، رقم ٢٧٤٠. والحافظ إبـن حـجر العسقلاني في لسان الميزان: ٢ / ٤٦٦.

وأخرجه محبّ الدين الطبري في الرياض النضرة، والقندوزي الحنفي في ينابيع المودّة: ص ٦١. والفصول المختارة: ص ٢١٠، طبعة الغري.

والحافظ مسلم بن الحجّاج في صحيحه، كتاب الايمان: ص ٨٦، رقم ١٣١، طبعة محمّد فؤاد، و١ / ٦٠ طبعة صبيح.

وأخرجه إبن الأثير الجزري في جامع الأصول: ٩ / ٤٧٣. وإبن البديع في تيسير الوصول: ٣ / ٢٧٢. والحافظ الكنجي في الكفاية: باب ٣، ص ٦٨. ومحبّ الدين الطبري في ذخائر العقبىٰ: ص ٩١. وفي الرياض النضرة: ٢ / ٢١٤.

نتابع إجماع الأئمّة عليهم السلام .

عن الإمام الحسين الشهيد عليه السلام

روىٰ صاحب المناقب المائة للشيخ أبي الحسن بن شاذان وغيره عن الإمام السبط الحسين بن عليّ عليهما السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام الحديث المتقدّم وهو سؤال الرجل من أمير المؤمنين لمّا كان في الرحبة... الخ.[1]

عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام

روىٰ الشريف النسابة أبي علي الموضح بإسناده، قال: تواترت الأخبار عن علي بن الحسين عليهما السلام أنّه سُئل عن أبي طالب عليه السلام أكان مؤمناً؟

فقال: نعم.

فقيل له: إنّ هاهنا قوماً يزعمون أنّه كافر.

فقال عليه السلام: واعجباً كلّ العجب أيطعنون على أبي طالب، أو على رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد نهاه الله تعالى أن يقرّ مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن، ولا يشك أحد أنّ فاطمة بنت أسد من المؤمنات السابقات، فإنّها لم تزل تحت أبي طالب حتّى مات أبو طالب عليه السلام.[2]

---

(١) المصادر السابقة نفسها.

(٢) الحجة على الذاهب: ١٤٦.

عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام

روىٰ إبن معد الموسوي بإسناده عن أبي بصير ليث المرادي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: سيّدي أنّ الناس يقولون إنّ أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه. فقال عليه السلام: كذبوا والله. إنّ إيمان أبي طالب لو وضع في كفّة ميزان، وإيمان هذا الخلق في كفّة ميزان لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم. ثمّ قال: كان والله أمير المؤمنين يأمر أن يحجّ عن أبي النبيّ وأمّه وعن أبي طالب حياته، ولقد أوصى في وصيته بالحجّ عنهم بعد مماته.(١)

وروىٰ النقيب أبو جعفر يحيى بن أبي زيد العلوي الحسني بإسناده عن أبي بصير عن محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام أنّه قال: مات أبو طالب بن عبد المطلب مسلماً مؤمناً، وشعره في ديوانه يدلّ على إيمانه، ثمّ محبّته وتربيته ونصرته، ومعاداة أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وموالاة أوليائه، وتصديقه إيّاه، فيما جاء به من ربّه... إلى آخر الحديث.(٢)

عن الإمام الصادق عليه السلام

روىٰ محمّد بن أحمد بن إدريس بسنده إلى علي بن أسياط قال: إنّ أبا عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله تعالى إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أنّي حرمت النار على: صلب أنزلك، وبطن حملك وحجر كفلك، وأهل بيت آواك، فعبد الله بن عبد المطلب الصلب الذي أنزله، والبطن الذي حمله آمنة بنت وهب، والحجر الذين كفّله فاطمة بنت أسد عليها السلام، وأمّا أهل بيت الذي آواه فأبو طالب عليه السلام.(٣)

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٤/ ٦٨، والدرجات الرفيعة: ص ٤٩.

(٢) الحجّة على الذاهب: ص ١٦٢.

(٣) الحجّة على الذاهب: ٧٠. والتعظيم والمنّة: ٢٥. والغدير: ٧/ ٣٧٩. روى الأميني بهذا المضمون وقد أخرجه إبن الجوزي بإسناده عن الإمام علي عليه السلام.

أنظر إلى هذا الحديث ومثله يُعدّ بالعشرات، فكيف يحرّم الله النار على هؤلاء المذكورين وهم به مشركون وبوحدانيته كافرون؟ والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.[1]

ثمّ إنّ المشركين نجس لا يحقّ لهم أن يدخلوا الجنّة، فلو كان أبو طالب على ما يزعم مدّعي الشرك فكيف تحرم عليه النار؟

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾.[2]

بينما قال الرسول ﷺ في معرض تزكية عمّه وأمّه وأبيه وجدّه ومن أرضعه قال عنهم: تحرم النار عليهم....

وقال في عدّة روايات منقولة عنه ﷺ: «لم يزل الله تعالى ينقلني من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتّى أخرجني إلى عالمكم هذا».

وقال ﷺ: «نُقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية».[3]

وهنا الطهارة عامّة تشمل طهارة الإيمان والمناكح الصحيحة.

ثمّ لا يخفى عليك أنّ ألعم عند العرب هو ينزل منزلة الأب وخاصة عند ما يتولّى أمر إبن أخيه اليتيم، بل كانت العرب تطلق على كلّ من ربّىٰ يتيماً أباً لذلك اليتيم، وقد نطق القرآن بذلك في قضية إبراهيم وعمّه الذي ربّاه وكان إسمه آزر بن ناحور، أمّا إسم أبيه هو تارخ.

فالسنّة في ذلك العصر بل منذ أقدم العصور إلى مبعث النبيّ، بل إلى يومنا هذا أنّ كلّ من ربّىٰ يتيماً في حجره سمّي إبناً له، وجعل من يربّيه له أباً ثمّ أنّ العرب تسمي العمّ أباً، وإبن الأخ إبناً، وقد نطق القرآن بذلك وتكلّمت به العرب، والقرآن خير دليل في إثبات هذا، قال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ

---

(١) النساء: ٤٧ و١١٥.

(٢) التوبة: ٢٨.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٤/ ٦٧.

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.(١)

فجعل إسماعيل أباً ليعقوب، وهو عمّ يعقوب، لأنّ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام وإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

عن الكراجكي بإسناده إلى أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: يا يونس ما تقول الناس في أبي طالب عليه السلام، قلت: جعلت فداك يقولون هو في ضحضاح من نار، وفي رجليه نعلان من نار تغلي منهما أم رأسه.

فقال: كذب أعداء الله، أنّ أبا طالب من رفقاء النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.(٢)

وروى شمس الدين فخار بن معد الموسوي بإسناده، عن عبد الرحمن بن كثير قال: قلت: لأبي عبد الله عليه السلام إنّ الناس يزعمون أنّ أبا طالب في ضحضاح من نار، فقال عليه السلام: كذبوا ما بهذا نزل جبرئيل على النبيّ صلى الله عليه وآله، قلت: وبما نزل؟ قال: أتى جبرئيل في بعض ما كان عليه فقال: يا محمّد إنّ ربّك يقرئك السلام، ويقول لك: إنّ أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان، وأظهروا الشرك فأتاهم الله أجرهم مرّتين، وإنّ أبا طالب أسرّ الإيمان وأظهر الشرك فأتاه الله أجره مرّتين، وما خرج من الدنيا حتّى أتته البشارة من الله تعالى بالجنّة، ثمّ قال: كيف يصفونه بهذا الملاعين وقد نزل جبرئيل ليلة مات أبو طالب. فقال: يا محمّد أخرج من مكة فما لك بها ناصر بعد أبي طالب عليه السلام.(٣)

---

(١) سورة البقرة: ١٣٣.

(٢) الغدير: ٧/ ٣٩٢. وكنز الفوائد للكراجكي: ١/ ١٨٣.

(٣) رواه الصدوق في أماليه: ص ٤٩٢، المجلس التاسع والثمانون، حديث ١٢، ط ٥، طبعة مؤسسة الأعلمي، بيروت. والفتال في روضة الواعظين: ١/ ١٣٨ـ١٤٢، منشورات الرضي، قم. والأميني في الغدير: ٧/ ٣٩٠. والحجّة على الذاهب: ص١٠٦. ورواه بإختصار إبن أبي الحديد: ١٤/ ٧٠. وأبو الفتوح الرازي في تفسيره: ٤/ ٢١٢. والسيد علي خان في الدرجات الرفيعة: ٤٩.

الإمام الكاظم عليه السلام

دخل داوود الرقي علىٰ الإمام الكاظم عليه السلام فسأله: مولاي يا إبن رسول الله جعلت فداك، ما حال جدّك أبي طالب عليه السلام بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وآله؟

قال الإمام عليه السلام: يا داوود إنّ جدّنا أبا طالب كان قبل البعثة ينتظر رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله وأيّام نبوّته، حتّى إذا تحقق له ذلك آمن به وأقرّ بكلّ ما جاء به من ربّه، كما دفع إليه وصايا الأنبياء السالفين من آبائه، الوصايا التي انتقلت إليه بطريق الوراثة، وكيف لا يكون كذلك وهو القائل:

قل لمن كان من كنانة بالعزّ   وأهل الندى وأهل المعالي
قد أتاكم من المليك رسول   فأقبلوه بصالح الأعمال
وانصروا أحمد فإنّ من الله   رداءً عليه غير مدال

يا داوود لو لم يكن أبو طالب مؤمن بالنبيّ لما كان مندفعاً نحو رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك الإندفاع الغريب، الإندفاع الذي قلّ أن يصادف لأي مؤمن أو مسلم نظيره، حتّى تحمّل مرارة الإعتقال والإقامة الجبرية مدّة ثلاث سنين، وحتّى استمات في سبيل إعلاء كلمة الله وفي سبيل الحفاظ على حياة رسول الله زهاء الخمسين عاماً.

وهل رأيت يا داوود أو سمعت أنّ إنساناً يدين بدين قد تمكّن منه قلبه وعاش عليه مدّة من الزمن، ومع إحتفاظه به يدعو إلى دين آخر يقاومه ويناهضه، بل يقلعه من الأساس ويزيّفه؟

وأبو طالب يا داوود لا يخاف محمّداً ولا يرهبه، بل النبيّ يحتاجه وينتدبه في كثير من الحالات والمجالات، وعليه لا بدّ وأن يكون إندفاع جدّنا أبي طالب إندفاع إيمان وتصديق بالنبوّة، لذا آوىٰ وحامىٰ وجاهد وكافح، فلا تعتني يا داوود بالأقاويل المغرضة والتهويلات المبغضة. فالله بالمرصاد لكلّ باغ وظالم، فلا تكن تقابل رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة وأنت قد مسست عمّه ومربّيه وآذيته، ولقد ثبت عن جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: من آذى أهل بيتي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فقد دخل النار.[١]

---

(١) أبو طالب عليه السلام وبنوه: ص ١٤٠.

عن الإمام الرضا عليه السلام

روىٰ الكراجكي بإسناده عن أبان بن محمّد قال: كتبت إلى الإمام الرضا علي بن موسى عليهما السلام جعلت فداك إنّي شككت في إيمان أبي طالب عليه السلام، قال: فكتب «بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، **﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلّٰى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾**[1]، يا أبان وأنّك إن لم تقرّ بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار والسلام».[2]

وعنه بإسناده عن الإمام الرضا عليه السلام لمّا كتب إليه عبد العظيم الحسني قال فيما كتب: عرّفني يا إبن رسول الله عن الخبر المروي أنّ أبا طالب عليه السلام في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه، فكتب إليه الرضا عليه السلام: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، أمّا بعد فإنّك إن شككت في إيمان أبي طالب عليه السلام كان مصيرك إلى النار».[3]

وفي رواية السيد علي خان: «... فتبوّأ مقعدك من النار».[4]

وروى أبو الفتوح الرازي عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: إنّ نقش خاتم أبي طالب عليه السلام كان: (رضيت بالله ربّاً، وبإبن أخي محمّد نبيّاً، وبإبني علي له وصيّاً).

رواه السيّد علي خان الشيرازى في الدرجات الرفيعة والأشكوري في محبوب القلوب.

---

(١) النساء: ١١٤.

(٢) الغدير: ٧ / ٣٨١. والدرجات الرفيعة: ٥٠. وشرح نهج البلاغة للمعتزلي: ١٤ / ٦٨.

(٣) الغدير: ٧ / ٣٩٥.

(٤) أبوطالب عليه السلام وبنوه: ص ١٤٣.

الإمام علي الهادي ؏

من الأخبار الماضية والآثار المرويّة ذات الدلالات العجيبة ما أخرجه حسين بن حمدان الحضيني والمرحوم السيد هاشم البحراني في مدينة المعاجز في معاجز الإمام الهادي علي النقي ؏، عن علي بن عبيد الله الحسيني قال: ركبنا مع سيدنا أبي الحسن ؏ إلى دار المتوكل في يوم السلام، فسلّم سيدنا أبو الحسن ؏ وأراد أن ينهض، فقال له المتوكّل: إجلس يا أبا الحسن إنّي أريد أن أسألك. فقال له ؏: سل. فقال له: ما في الآخرة شيء غير الجنة أو النار يحلّون في الناس؟ فقال أبو الحسن ؏: ما يعلمه إلّا الله. فقال له: فعن علم أسألك. فقال له: ومن علم الله أخبرك. قال: يا أبا الحسن ما رواه الناس أنّ أبا طالب يوقف إذا حوسب الخلائق بين الجنّة والنار، وفي رجليه نعلان من نار يغلي منهما دماغه، لا يدخل الجنّة لكفره، ولا يدخل النار لكفالته رسول الله ﷺ وصدّه قريشاً عنه، والسرّ على يده حتّى ظهر أمره؟

قال له أبو الحسن ؏: ويحك لو وضع إيمان أبي طالب في كفةٍ، ووضع إيمان الخلائق في الكفة الأخرىٰ، لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم جميعاً.

قال له المتوكّل: ومتى كان مؤمنا؟

قال له: دع ما لا تعلم واسمع ما لا ترده المسلمون جميعاً ولا يكذبون به: إعلم: إنّ رسول الله ﷺ حجّ حجة الوداع، فنزل بالأبطح بعد فتح مكّة، فلمّا جنّ عليه الليل أتى القبور ـ قبور بني هاشم ـ وقد ذكر أباه وأمّه وعمّه أبا طالب، فداخله حزن عظيم عليهم ورقة، فأوحى الله إليه أنّ الجنّة محرمة على من أشرك بي، وإنّي أعطيك يا محمّد ما لم أعطه أحداً غيرك، فادعُ أباك وأمّك فإنّهم يجيبونك، ويخرجون من قبورهم أحياء لم يمسّهم عذابي لكرامتك علي، فادعهم إلى الايمان بالله، وإلى

رسالتك، وإلى موالاة أخيك علي والأوصياء منه إلى يوم القيامة، فيجيبونك ويؤمنون بك، فأهب لك كلّ ما سألت، وأجعلهم ملوك الجنّة كرامة لك يا محمّد، فرجع النبيّ صلى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له: قم يا أبا الحسن فقد أعطاني ربّي هذه الليلة ما لم يعطه أحداً من خلقه في أبي وأمّي وأبيك عمّي، وحدّثه بما أوحى الله إليه وخاطبه به، وأخذ بيده، وصار إلى قبورهم، فدعاهم إلى الإيمان بالله وبه وبآله عليهم السلام، والإقرار بولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين والأوصياء منه عليهم السلام، فآمنوا بالله وبرسوله وأمير المؤمنين والأئمة منه واحداً بعد واحد إلى يوم القيامة.

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: عودوا إلى الله ربّكم وإلى الجنّة، فقد جعلكم الله ملوكها، فعادوا إلى قبورهم، فكان والله أمير المؤمنين عليه السلام يحجّ عن أبيه وأمّه وعن أب رسول الله صلى الله عليه وآله وأمّه حتّى مضى، ووصّى الحسن والحسين عليهما السلام بمثل ذلك، وكلّ إمام منّا يفعل ذلك إلى أن يظهره الله أمره.

فقال له المتوكّل: قد سمعت هذا الحديث: إنّ أبا طالب في ضحضاح من نار، فتقدر يا أبا الحسن أن تريني أبا طالب بصفته حتّى أقول له ويقول لي؟

قال أبو الحسن عليه السلام: إنّ الله سيريك أبا طالب في منامك الليلة وتقول له ويقول لك.

قال له المتوكّل: سيظهر صدق ما تقول، فإن كان حقّاً، صدّقتك في كلّ ما تقول.

قال له أبو الحسن عليه السلام: ما أقول لك إلّا حقّاً، ولا تسمع منّي إلّا صدقاً.

قال له المتوكّل: أ ليس في هذه الليلة في منامي؟

قال له: بلى.

قال: فلما أقبل الليل قال المتوكّل: أريد أن لا أرى أبا طالب الليلة في منامي، فأقتل علي بن محمّد بادعائه الغيب وكذبه، فماذا أصنع؟

فما لي إلّا أن أشرب الخمر وآتي الذكور من الرجال والحرام من النساء، فلعّل أبا طالب لا يأتيني، ففعل ذلك كلّه وبات في جنابات، فرأى أبا طالب في النوم فقال

له: يا عمّ حدّثني كيف كان إيمانك بالله وبرسوله بعد موتك؟

قال: ما حدّثك به إبني علي بن محمّد في يوم كذا وكذا.

فقال: يا عمّ تشرحه لي.

فقال له أبو طالب عليه السلام: فإن لم أشرحه لك تقتل علياً والله قاتلك، فحدّثه، فأصبح فأخّر أبو الحسن عليه السلام ثلاثاً لا يطلبه ولا يسأله، فحدّثنا أبو الحسن عليه السلام بما رآه المتوكّل في منامه وما فعله من القبائح لئلا يرى أبا طالب في نومه، فلمّا كان بعد ثلاثة أيّام أحضره فقال له: يا أبا الحسن قد حلّ لي دمك.

قال له: ولم؟ قال: في ادعائك الغيب وكذبك على الله، أليس قلت لي: إنّي أرى أبا طالب في منامي، وعقبت لكي أرى أبا طالب في منامي فأسأله، فلم أره في ليلتي، وعملت هذه الأعمال الصالحة في الليلة الثانية والثالثة فلم أره، فقد حلّ لي قتلك وسفك دمك.

فقال له أبو الحسن عليه السلام: يا سبحان الله، ويحك، ما أجرأك على الله؟ ويحك سوّلت لك نفسك اللّوّامة حتّى أتيت الذكور من الغلمان، والمحرّمات من النساء، وشربت الخمر لئلّا ترى أبا طالب في منامك فتقتلني، فأتاك وقال لك وقلت له، وقص عليه ما كان بينه وبين أبي طالب في منامه حتّى لم يغادر منه حرفاً.

فأطرق المتوكّل ثمّ قال: كلّنا بنو هاشم، وسحركم يا آل أبي طالب من دوننا عظيم، فنهض عنه أبو الحسن عليه السلام.[1]

الإمام العسكري عليه السلام

نقل أرباب الحديث والتاريخ، منهم السيد علي خان في الدرجات الرفيعة، والسيد فخار في الحجة، والنقدي في مواهبه، وآخرون، بطريقهم إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن آبائه عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: أوحى الله تعالى إليّ أنّ

---

(١) الخصائص الفاطميّة عليها السلام، الشيخ محمّد باقر الكجوري: ٢/٧٢ـ٧٧.

يا محمّد إنّي قد أيّدتك بشيعتين؛ شيعة تنصرك سرّاً، وشيعة تنصرك علانية. أمّا الشيعة التي تنصرك سرّاً فسيّدهم وأفضلهم عمّك أبو طالب، وأمّا الشيعة التي تنصرك علانية فسيّدهم وأفضلهم إبنه علي بن أبي طالب عليهما السلام.

ثمّ قال صلى الله عليه وآله: كما أوحي إليّ بعد موت عمّي أبي طالب عليه السلام: أنّ يا محمّد أخرج من مكّة فما لك بها من ناصر بعد أبي طالب عليه السلام.[1]

ثانياً: إجماع علماء الإمامية

الشيخ الصدوق (٣٨١ هـ)

روى الشيخ الصدوق بسنده عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جهنم عن أبيه عن جدّه قال: سمعت أبا طالب يحدّث عن عبد المطلب قال: بينا أنا نائم في الحِجر ـ حِجر إسماعيل ـ إذ رأيت رؤيا هالتني فأتيت كاهنة قريش وعليّ مطرف خزٍّ، وجمّتي تضرب منكبي[2]، فلما نظرت إليّ عرفت في وجهي التغيّر فاستوت وأنا يومئذ سيّد قومي، فقالت: ما شأن سيّد العرب متغيّر اللون هل رابه من حدثان الدهر ريب؟[3]

فقلت لها: بلى إنّي رأيت الليلة وأنا قائم في الحِجر كأنّ شجرة قد نبتت على ظهري، قد نال رأسها السماء، وضربت أغصانها الشرق والغرب، ورأيت نوراً يظهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً، ورأيت العرب والعجم ساجدة لها، وهي كلّ يوم تزداد عظماً ونوراً، ورأيت رهطاً من قريش يريدون قطعها، فأذا دنوا منها أخذهم شاب من أحسن الناس وجهاً، وأنظفهم ثياباً فيأخذهم ويكسّر ظهورهم، ويقلع أعينهم، فرفعت يدي لِأتناول غصناً من أغصانها، فصاح بي الشابُّ وقال:

---

(١) الحجة على الذاهب: ص ٤٠٧. وأبوطالب عليه السلام وبنوه: ص ١٤٣.

(٢) الجُمّة بالضمّ: مجتمع شعر الرأس وما سقط على المنكبين منها.

(٣) رابهُ أمرٌ يُريبه: رأى منه ما يكرهه ويزعجه.

مهلاً ليس لك منها نصيبٌ، فقلت: لمن النصيب والشجرة منّي؟

فقال: النصيب لهؤلاء الذين قد تعلّقوا بها وستعود إليها، فانتبهت مذعوراً فزعاً متغيّر اللون، فرأيت لونَ الكاهنة قد تغيّر، ثمّ قالت: لئن صدقت رؤياك ليخرجنّ من صلبك ولد يملك الشرق والغرب، ينبّأ في الناس، فسرىٰ عنّي غمّي.[1]

فأنظر يا أبا طالب لعلّك تكون أنت، فكان أبو طالب يحدّث الناس بهذا الحديث والنبيّ صلى الله عليه وآله قد خرج ويقول: كانت الشجرة والله أبا القاسم الأمين... الخ.

قال أبو جعفر محمّد بن علي الصدوق رحمه الله: إنّ أبا طالب كان مؤمناً ولكنّه يظهر الشرك ويستتر الايمان ليكون أشدّ تمكّناً من نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله.

الشيخ المفيد (٤١٣ هـ)

قال الشيخ المفيد: اتفقت الإمامية أنّ آباء الرسول صلى الله عليه وآله من لدن آدم إلى عبد الله مؤمنون بالله عزّ وجلّ، موحّدون... إلى أن قال: وأجمعوا على أنّ أبا طالب مات مؤمناً.[2]

السيد المرتضى علم الهدى (٤٣٦ هـ)

نقلاً عن أستاذه الشيخ المفيد (٤١٣ هـ): قال السيد المرتضى في كتاب الفصول ناقلاً عن شيخه المفيد رحمه الله، أنّه قال: ممّا يدلّ على إيمان أبي طالب إخلاصه في الود لرسول الله صلى الله عليه وآله، والنصرة له بقلبه ويده ولسانه، وأمر ولديه عليّاً وجعفراً بإتباعه، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله فيه عند وفاته: «وصلتك رحم، وجزيت خيراً يا عمّ»، فدعا له، وليس يجوز أن يدعو بعد الموت لكافر، ولا يسأل الله عزّ وجلّ خيراً، ثمّ أمر عليّاً عليه السلام خاصة من بين أولاده الحاضرين بتغسيله وتكفينه وتوريثه دون عقيل

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق: ص ١٧٥، حديث ٣٠، طهران ١٣٩٠هـ.

(٢) الغدير، الأميني: ٧/ ٣٨٤.

إبنه، وقد كان حاضراً، ودون طالب أيضاً، ولم يكن من أولاده مَن قد آمن في تلك الحال إلّا أمير المؤمنين عليه السلام وجعفر، وكان جعفر غائباً في بلاد الحبشة، فلم يحضر من أولاده مؤمن إلّا أمير المؤمنين عليه السلام فأمره بتولّي أمره دون مَن لم يكن على الإيمان، ولو كان كافراً لما أمر إبنه المؤمن بتولّيه، ولكان الكافر أحقّ به، مع أنّ الخبر قد ورد على الإستفاضة بأنّ جبرئيل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله عند موت أبي طالب فقال له: يا محمّد إنّ ربّك يقرؤك السلام ويقول لك: أخرج من مكّة فقد مات ناصرك. وهذا يُبرهن عن إيمانه لتحققه بنصرة رسول الله صلى الله عليه وآله.(١)

أبو الفتح الكراجكي الطرابلس (٤٤٩ هـ)

أورد الشيخ محمّد بن علي بن عثمان الكراجكي في كنز الفوائد جملة من أشعار أبي طالب عليه السلام منها قوله:

مـليك النـاس ليس له شـريك   هـو الوهـاب والمـبدي المـعيدُ
ومـن فـوق السـماء له بـحقٍّ   ومـن تـحت السـماء له عـبيدُ

ثمّ قال: وهذا كلّه دليل واضح على إيمانه عليه السلام بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وآله ثمّ ذكر عدّة أخبار يرويها عن شيخه أبي عبد الله الحسين بن عبد الله بن علي المعروف بإبن الواسطي.(٢)

الشيخ الطوسي (٤٦٠ هـ)

قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله: إعتقادنا في آباء النبيّ صلى الله عليه وآله أنّهم مسلمون من آدم إلى أبيه عبد الله، وأنّ أبا طالب كان مسلماً، وآمنة بنت وهب بن عبد مناف أمّ

---

(١) البحار، للمجلسي: ١٧٣/٣٥، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٩٨٣م.

(٢) كنز الفوائد، لأبي الفتح محمّد الكراجكي: ١٨٢/١، دار الأضواء، بيروت ١٩٨٥م. ومنشورات دار الذخائر، قم.

رسول الله صلى الله عليه وآله كانت مسلمة.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم.[١]

وقد روى أنّ عبد المطلب كان حجّة، وأبو طالب كان وصيّه.[٢]

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾.[٣]

قال الشيخ المفيد: يريد به تنقّله في أصلاب الموحّدين.[٤]

وأورد الشيخ الطوسي الكلام الذي دار بين أمير المؤمنين عليه السلام والرجل الذي سأله في الرحبة[٥] وقد تقدّم، فراجع.

أمين الدين الطبرسي من علماء القرن الخامس الهجري

قال العلامة الطبرسي رحمه الله في مجمع البيان: قال أصحابنا: إنّ آزر كان جدّ إبراهيم عليه السلام لأمّه، أو كان عمّه من حيث صحّ عندهم أنّ آباء النبيّ صلى الله عليه وآله إلى آدم كلّهم كانوا موحّدين، وأجمعت الطائفة على ذلك، ورووا عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: لم يزل ينقلني الله سبحانه من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهّرات، حتىٰ أخرجني في عالمكم هذا، لم يدنّسني بدنس الجاهلية.

ولو كان في آبائه صلى الله عليه وآله كافر لم يصف جميعهم بالطهارة مع قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾.[٦]

وقال في المجمع في تفسير الآية (٢٦) من سورة الأنعام:

وقد ثبت إجماع أهل البيت عليهم السلام على إيمان أبي طالب وإجماعهم حجّة لأنّهم

---

(١) البحار، للمجلسي: ١١٧/١٥، ط مؤسسة الوفاء، بيروت.

(٢) الإعتقادات: ١١٦.

(٣) الشعراء: ٢١٨ و٢١٩.

(٤) تصحيح الإعتقاد: ص ١١٧، منشورات الرضي، قم.

(٥) أمالي، الشيخ الطوسي: ٣١٢/١، منشورات الداوري، قم.

(٦) البحار: ١١٧/١٥، ط مؤسسة الوفاء، بيروت.

أحد الثقلين اللذين أمر النبيّ صلى الله عليه وآله بالتمسّك بهما؛ بقوله إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، ويدلّ على ذلك أيضاً ما رواه إبن عمر أنّ أبا بكر جاء بأبيه؛ أبي قحافة يوم الفتح إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلم، فقال صلى الله عليه وآله: ألا تركت الشيخ فأتيته، وكان أعمىٰ، فقال أبو بكر: أردت أن يأجره الله تعالى، والذي بعثك بالحقّ لأنا كنت بإسلام أبي طالب أشدّ فرحاً مني بإسلام أبي، التمس بذلك قرّة عينك.

فقال صلى الله عليه وآله: صدقت.

ثمّ أورد تَتُرُّ أشعاراً لأبي طالب عليه السلام ثمّ قال: وأقواله وأشعاره المنبئة عن إسلامه كثيرة مشهورة لا تحصى....[1]

محمّد بن الفتال النيسابوري الشهيد (سنة ٥٠٨ هـ)

قال الشهيد النيسابوري: إعلم أنّ الطائفة المحقّة قد اجتمعت على أنّ أبا طالب، وعبد الله بن عبد المطلب، وآمنة بنت وهب، كانوا مؤمنين، وإجماعهم حجة على ما ذكر في غير موضع.

وأيضاً فقد ظهر واشتهر عن أبي طالب من الموالاة لرسول الله صلى الله عليه وآله والمحبّة والنصرة، وذلك ظاهر شائع ذائع لا ينكره إلّا جاهل غبي ليس له علم بالسّير....[2]

وذكر الفتال النيسابوري أبيات أبي طالب عليه السلام التي قالها قبل وفاته مخاطباً بني عبد المطلب وبني هاشم، قال: فلمّا سمع النبيّ من عمّه، فقال: يا عمّ كلمة واحدة تجب بها لك شفاعتي يوم القيامة. فقال: يا إبن أخي صدقت، أنت نبيّ حقّ، وربّك إله حقّ، ودينك دين حقّ. قال له: يا عمّ إنّ الله عزّ وجلّ وعدني أنّ قريشاً ستؤمن غداً بما تنكره اليوم، وأنّ الله تعالى سيفتح عليّ الأرض، ويُظهِر دينه على جميع

---

(١) مجمع البيان: م ٤/٢٨٧، ط ٤، طهران ١٣٩٠هـ.

(٢) روضة الواعظين: ١/٣١٩، دليل ما، قم، ١٤٢٣هـ.

الأديان، وأنّك راحل إلى دار المقامة، فقل معي كلمة تستوجب من الله رضوانه ورحمته. فقالوا: إنّ أبا طالب حرّك بها شفتيه، وأشار بأصبعه، فسُرّ النبيّ بذلك، واستغفر له.[١]

قطب الدين الراوندي (٥٧٣ هـ)

قال العلامة الراوندي: وكان أبو طالب وأبوه عبد المطلب من أعرف العلماء، وأعلم بشأن النبيّ صلى الله عليه وآله، وكانا يكتمان الإيمان عن الجهّال والضلال. قال إبن بابويه: حدّثنا أحمد بن محمّد الصايغ بسند عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: والله ما عبد أبي ولا جدّي عبد المطلب صنماً....[٢]

إبن شهر آشوب (٥٨٨ هـ)

قال العلامة إبن شهر آشوب المازندراني في كتابه متشابهات القرآن عند قوله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾، إنّ أشعار أبي طالب الدالّة على إيمانه تزيد على ثلاثة آلاف بيت يكاشف فيها من يكاشف النبيّ صلى الله عليه وآله ويصحّح نبوّته.[٣]

شمس الدين فخار بن معد (٦٣٠ هـ)

روى الإمام إبن معد في كتابه الحجة على الذاهب، بسنده إلى الإمام الصادق عليه السلام قال: نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد إنّ الله تعالى يقرئك السلام، ويقول لك: إنّي قد حرّمت النار على صلب أنزلك، وعلى بطن حملك، وحجر كفلك،

---

(١) روضة الواعظين، للفتال النيسابوري: ١/ ١٤٨، انتشارات دليل ما، ط ١، ١٤٢٣هـ. وحلية الأبرار: ١/ ٧٣. ومناقب إبن شهر آشوب: ١/ ٦١.

(٢) الخرائج والجرائح، لقطب الراوندي: ص ٧١.

(٣) الغدير، للأميني: ٧/ ٣٨٢، ط الأعلمي، بيروت ١٩٩٤م.

فقال: يا جبرئيل من تقول ذلك، فقال: أمّا الصلب الذي أنزلك فصلب عبد الله بن عبد المطلب، وأمّا البطن الذي حملك فآمنة بنت وهب، وأمّا الحِجر الذي كفلك فعبد مناف بن عبد المطلب، وفاطمة بنت أسد.[(١)]

وعبد مناف بن عبد المطلب هو أبو طالب عليه السلام.

قال فخار بن معد الموسوي: فكيف يحرّم الله النار على هؤلاء المذكورين وهم به مشركون، وبوحدانيّته كافرون؟

والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾.

فتأمّل هداك الله هذه الأخبار، فإنّها دالّة على أنّ القوم لله تعالى عارفون، وبوحدانيّته مؤمنون.[(٢)]

السيد إبن طاووس (٦٦٤ هـ)

قال السيد إبن طاووس في كتاب الطرائف: إنّي رأيت المخالفين تظاهروا بالشهادة على أبي طالب عمّ نبيّهم وكفيله بأنّه مات كافراً، وكذّبوا الأخبار الصحيحة المتضمّنة لإيمانه وردّوا شهادة عترة نبيّهم عليهم السلام الذين رووا أنّهم لا يفارقون كتاب ربّهم، وإنّني وجدت علماء هذه العترة مجمعين على إيمان أبي طالب عليه السلام، وما رأيت هؤلاء الأربعة المذاهب كابروا فيمن قيل عنه أنّه مسلم مثل هذه المكابرة، وما زال الناس يشهدون بالإيمان لمن يخبر عنه فخبر بذلك، أو ترى عليه صفة تقتضي الإيمان....[(٣)]

وفي قصّة الإنذار ودعوة كبار قريش وما أعدّ لهم النبيّ صلى الله عليه وآله من طعام وشراب وما كان من إعتراض أبي لهب للنبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ الذي صدر من أبي طالب في الردّ على

(١) نصّ الحديث أخرجه إبن الجوزي بإسناده عن أمير المؤمنين علي عليه السلام.

(٢) الحجة على الذاهب لشمس الدين فخار بن معد: ص ٧٥، ط ٣، بيروت ١٩٨٧م.

(٣) البحار، للمجلسي: ٣٥/ ١٤٤، ط مؤسسة الوفاء، بيروت.

أبي لهب وتوبيخه حتّى شهره بكلمة يا أعور....

قال إبن طاووس: ولو لم يكن لأبي طالب إلّا هذا الحديث وأنّه سبب في تمكين النبيّ من تأدية رسالته، وتصريحه بقوله: «وبلّغ رسالة ربّك فإنّك الصادق المصدّق»، لو لم يكن لكفاه شاهداً بإيمانه وعظيم حقّه على أهل الإسلام وجلالة أمره في الدنيا ودار المقام، وما كان لنا حاجة إلىٰ إيراد حديث سواه، وإنّما نورد الأحاديث إستظهاراً في الحجة لما ذكرناه.

ذكر رضي الدين إبن طاووس أبياتاً لأبي طالب وهي النونية وكان آخرها:

لولا الملامة أو حذاري سُبّة لوجدتني سمحاً بذاك مبينا[١]

قال إبن طاووس: هذا البيت الأخير ما أعرفه في الأبيات، وهي شاهدة صريحة أنّ أبا طالب كان مؤمناً يكتم إيمانه من قومه على حال مؤمن آل فرعون، ويظهر من غيره، فإنّ كلّ مصدّق بالقرآن يعتقد أنّ كتمان مؤمن آل فرعون لإيمانه وإظهار كلمة الكفر لم يضرّ إيمانه، وأنّه صحيح الإيمان، فيكون لأبي طالب أسوة به في هذا الشأن.[٢]

العلامة المجلسي (١١١١ هـ)

قال العلامة المجلسي: أجمعت الشيعة على إسلام أبي طالب عليه السلام وأنّه قد آمن بالنبيّ صلى الله عليه وآله في أوّل الأمر، ولم يعبد صنماً، بل كان من أوصياء إبراهيم عليه السلام ....[٣]
وقال: إنّ أبا طالب كان من أوصياء إبراهيم وإسماعيل، وكان حافظاً لكتبهم ووصاياهم من تلك الجهة لا من جهة بني إسرائيل وموسى وعيسىٰ ولم يكونا

---

(١) الكشاف للزمخشري: ٢/ ١٢، دار المعرفة، بيروت. والطرائف لإبن طاووس: ص ٢٩٧.

(٢) سعد السعود لإبن طاووس: ص ٢٧، ط ١، دليل ما، ١٤٢١هـ.

(٣) البحار: ٣٥/ ١٣٨، طبعة مؤسسة الوفاء، بيروت.

مبعوثين إليهم، بل كانوا على ملّة إبراهيم عليه السلام.[١]

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن آخر أوصياء عيسىٰ فقال: أبي فغيّره الناس فقالوا أُبيّ.[٢]

وفي الكافي بإسناده عن سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباته قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: والله ما عبد أبي ولا جدّي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قطّ.

قيل فما كان يعبدون؟

قال عليه السلام: كانوا يصلّون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسّكين به.[٣]

ملا محمّد شريف بن رضا شيرواني التبريزي

قال في الورقة الثالثة ـ الصفحة الأولى ـ في صدد أبوي أمير المؤمنين عليهما السلام وأبوه عبد مناف، واشتهر بكنيته؛ أبي طالب واسلم النبيّ صلى الله عليه وآله وربّاه بعد جدّه صلى الله عليه وآله وكفله ووقاه وبذل جهده في مرضاته ومع الإغماض عن الإجماع الدالّ على إسلامه يدلّ عليه بعض الأخبار كقوله صلى الله عليه وآله رأيت ليلة المعراج أربعة أنوار حول العرش فسألت الله تعالى عنها فأجابني ربّي بأنّها أنوار جدّك عبد المطلب وعمّك أبي طالب وأبيك عبد الله وأخيك علي بن أبي طالب عليهما السلام.

قلت إلهي بما بلغوا هذه المنزلة؟ قال الله تعالى: بالإيمان الخفي والعبادة غير الجلّي خوفاً من المشركين ومن أوضح الدلايل للمطلوب كلامه عليه السلام الذي كتبه إلى النجاشي ملك الحبشة وحثّه إلى الإسلام ثمّ ذكر شعره:

مـــليك الحـــبش أنّ مــحمّداً   وزير كموسىٰ والمسيح إبن مـريم

---

(١) مواهب الواهب لمحمّد جعفر النقدي: ص ٢٧، ط حجرية المرتضوية، النجف ١٣٤١هـ.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه والكافي.

ثمّ ذكر حديث العباس وأنّه سمع يحرك لسانه وهو ينطق بالشهادة ثمّ قال في الصفحة الأخرى: ولكون إسلامه من ضروريات مذهبنا.[١]

السيد عبد الله شبر (١٢٤٣ هـ)

قال السيد عبد الله شبر ﷺ: ويجب الإيمان بإيمان أبوي النبيّ ﷺ، وأبي طالب لإجماع الشيعة على ذلك، ورووا الروايات في ذلك من طرق العامة والخاصة، ولقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾.[٢]

وقد اتفق المخالف والمؤالف أنّ أوّل من آوى النبيّ ﷺ ونصره أبو طالب ﷺ.[٣]

محمّد باقر الكجوري من علماء القرن الثالث عشر الهجري

قال الكجوري: وأمّا إيمانها ـ فاطمة بنت أسد ﷺ ـ وعبد الله وأبي طالب، وموتهم على الإيمان بالله وبالرسول ﷺ وباليوم الآخر فهو على قسمين: فإمّا أن نقول: إنّهم كانوا مؤمنين يكتمون إيمانهم للتقيّة، أو أن نقول: إنّهم كانوا مؤمنين يتظاهرون بالإيمان دون خوف أو تقيّة، ويتدينون بحنيفية إبراهيم، ويؤدون تعاليم الشريعة، والحجة عليهم عبد المطلب. ولا مانع من التمسّك بتلك الشريعة مع رواج الديانات المختلفة في مكّة يومها. وعلى كلا التقديرين فقد نالوا الأجر الجميل والثناء الجزيل، في حالتي السرّ والعلن، والإخفاء والإفشاء. فمذهب الإمامية وبعض علماء السنة على أنّهم مضوا على الإيمان الكامل، وقصّة إحياءهم كانت لتجديد العهد، كما

---

(١) الشهاب الثاقب لمبغضي الائمة الأطائب ﷺ، مخطوط رقم ٣٩٠٢، فرغ من كتابة النسخة في رجب ١٢٢٩هـ.

(٢) الأنفال: ٧٤.

(٣) حق اليقين، للسيد عبد الله شبر: ص ١٠٠، إنتشارات عابدي، طهران.

رواه الفريقان من المخالف والمؤالف. أمّا ما أعتقده: فقد ذكرت سابقاً في أحوال خديجة وحمزة: أنّ الرسول صلى الله عليه وآله أخذ منهم العهد على قبول ولاية الأئمة المعصومين عليهم السلام وإمامتهم، ورواية تعليمه صلى الله عليه وآله فاطمة بنت أسد عليها السلام مشهورة حينما قال: «إبنك إبنك عليّ، لا جعفر ولا عقيل»، وفي حديث فاطمة الزهراء عليها السلام قال صلى الله عليه وآله: «هذا الجالس على شفير قبري بعلي، وإمامي عليّ بن أبي طالب»، وهذا السؤال والتعليم والتلقين خاص بالكمال في الإيمان والدين. والمراد بالإيمان الواقعي الذي يشكل روح الشهادتين هو الإقرار والإذعان بالولاية، وهو الإيمان بالمعنى الخاص، يعني معرفة أمير المؤمنين وأبناءه ومحبّتهم وولايتهم. فما هو المانع في أن يحيي الله هؤلاء لتكميل درجاتهم بقبولهم الولاية، ليحشروا جميعاً في الفرقة الإمامية، ويكونوا من الشيعة الإثني عشرية، لئلا يفقدوا غداً يوم القيامة شيئاً من الكمالات ويسبقهم الآخرون في جنّة الخلد، ويحرموا من مثوبات الشيعة. حتّى لو لم يكن أمير المؤمنين يومها إماماً إلّا أن قبول ولايته من خصائص الخصّيصين وإمتيازات الكاملين. أمّا الأنبياء العظام فقد عرفوا مقام الولاية بالوحي والإلهام، بل كانت الولاية متّصفة بوجود كلّ واحد منهم سرّاً، وكان أمير المؤمنين عليه السلام معروفاً في كلّ شريعة، موصوفاً بأوصافه الخاصّة في كلّ طريقة، يظهر لهم في كلّ آن شيئاً من برهان حقيقة الولاية. فلا يمكن ـ والحال هذه ـ المصير إلى عقيدة السنة من أنّ آباء النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة كانوا كفرة مشركين، ولا الإعتماد على الأخبار المجعولة والأقوال الموضوعة المخرجة في أمثال (الجمع بين الصحيحين)[١] عن معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وأبي هريرة وعائشة، والخوارج الكذابين، وأهل الشام، وغيرهم ممّن تحقق نصبهم وعداوتهم للعالمين، وبرز حقدهم وشحنائهم في واقعة الجمل وصفّين، ومنها الخبر المجعول الذي رواه المتوكّل[٢]،

---

(١) أي الجمع بين صحيح البخاري وصحيح مسلم.

(٢) الخصائص الفاطميّة عليها السلام: ٢/ ٧٧، ط الرضي، قم ١٣٨٠هـش.

والخبر الآخر ـ وكذبه واضح ـ الذي يقول: «إنّ بلال الحبشي خير من أبي طالب القرشي» وأمثال ذلك.

السيد حسين اليزدي الطهراني

نقل العلامة السيد الطهراني عن صاحب رياض الشهادة (أعلى الله مقامه) قال: وصل إلى نظري أكثر من ثلاثمائة حديث في مدح وثناء وإسلام وإيمان أبي طالب.[1]

أقول: لقد ذكرنا في بداية الفصل الخامس ثلاثة عشر حديثاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حقّ عمّه أبي طالب، وفي جميعها جاء التأكيد على إيمانه، وسلامة عقيدته، وصدقه.

وتابعنا في الفصل السادس وفي هذا الفصل ـ السابع ـ دليل الإجماع ممّا حتّم علينا أن نذكر بعض تلك الأحاديث ثانية فانتبه.

---

(١) منية الطالب، السيد حسين اليزدي الطهراني: ص ٦٩.

الفصل الثامن

شهادات الصحابة علىٰ إيمان أبي طالب عليه السلام

* شهادات لكبار الصحابة والتابعين
وعلماء المذاهب

شهادة الصحابة

العباس بن عبد المطلب

قال إبن أبي الحديد: روي بأسانيد كثيرة بعضها عن العباس بن عبد المطلب، وبعضها عن أبي بكر بن أبي قحافة: إنّ أبا طالب ما مات حتّى قال: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله. والخبر مشهور أنّ أبا طالب عند الموت قال كلاماً خفياً أصغى إليه أخوه العباس بإذنه، وقال للنبيّ ﷺ: والله يا إبن أخي لقد قال الكلمة التي أمرته أن يقولها. فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي هَداك يا عمّ.(١)

أبو بكر بن أبي قحافة

قال أبو بكر: إنّ أبا طالب ما مات حتّى قال: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله.(٢)

وفي حديث أبي بكر، إذ جاء بأبيه: أبي قحافة يقوده، وقد أسن وعمي، ليسلم بين يدي رسول الله ﷺ، فقال الرسول: ألا تركت الشيخ حتّى نأتيه!

قال أبو بكر: أردت يا رسول الله أن يأجرني الله....

ثمّ أضاف: أما والذي بعثك بالحقّ لأنا كنت أشدّ فرحاً بإسلام عمّك أبي طالب منّي بإسلام أبي.

وفي رواية الشبراوي الشافعي قال أبو بكر: والذي بعثك بالحقّ لإسلام أبي طالب كان أقرّ لعيني من إسلامه ـ أي إسلام أبي قحافة ـ وذلك أنّ إسلام

---

(١) البداية والنهاية تاريخ أبي الفداء، إبن كثير: م ٢ ج ٣/ ١٥١ـ١٥٦، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت. وشيخ الأبطح: ٧١ و٧٣، والأعيان: ٨/ ١١٤ـ١٢٦، طبعة دار التعارف، بيروت (رحلي).

(٢) شيخ الأبطح: ص ٧١. وأعيان الشيعة: ٣٩/ ١٣٦. وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٤/ ٧١.

أبي طالب كان أقرّ لعينك.[١]

وجاء في الهامش: إنّ هذا الخبر ذكره القاضي عياض في الشفاء.[٢]

هذا الحديث يثبت لنا أنّ إسلام أبي طالب قد سبق إسلام أبي قحافة والد أبي بكر، لأنّ إسلام أبي قحافة كان في عام الفتح.

أبو الجهم بن حذيفة[٣]

سئل أبو الجهم بن حذيفة: هل صلّى النبيّ على عمّه أبي طالب. فأجاب السائل: وأين الصلاة يومئذ، إنّما فرضت الصلاة بعد موته وموت خديجة، ولقد حزن عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ... الخ.

وقد تقدّم الكلام في بحث: (ممّا تمسّك به الشاك)، فراجع.

أبو ذر الغفاري

في تفسير وكيع من طريق أبي ذر الغفاري أنّه قال: والله الذي لا إله إلّا هو ما مات أبو طالب عليه السلام حتّى أسلم بلسان الحبشة؛ قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: اتفقه الحبشة؟

قال يا عمّ: إنّ الله علّمني جميع الكلام.

قال يا محمّد: «اسدن لمصاقا قاطالاها». يعني أشهد مخلصاً (لا إله إلّا الله) فبكىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: إنّ الله أقرّ عيني بأبي طالب عليه السلام.

رواه الأميني عن ضياء العالمين للشريف أبي الحسن الفتوني، مخطوط عند

---

(١) الإتحاف بحبّ الأشراف: ص ٩، المطبعة الأدبية، بمصر. وتاريخ الإسلام للذهبي: ١/ ١٣٩.

(٢) ينظر: شرح الشفاء لشهاب الدين الخفاجي: ٣/ ٣٩٥.

(٣) أبو الجهم بن حذيفة بن غانم القرشي العدوي، قيل إسمه عامر، وقيل عُبيد، كان من مشايخ قريش وزعمائها، واحد الأربعة الذين كانت قريش تأخذ عنهم النسب، وكان من المعمّرين، قال إبن سعد: مات في آخر خلافة معاوية. ينظر: الإصابة: نسب قريش ٢٦٩، والأعلام: ٤/ ١٧.

الشيخ رحمه الله.[١]

عبد الله بن عباس

سأل رجل إبن عباس، فقال له: يا إبن عمّ رسول الله أخبرني عن أبي طالب عليه السلام هل كان مسلماً؟

فقال: نعم، وكيف لم يكن مسلماً، وهو القائل وأنشد بيتاً من شعره.

ثمّ قال: إنّ أبا طالب كان مثله مثل أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان، وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرّتين.[٢]

حسان بن ثابت

فيما قاله حسان بن ثابت الشاعر:

فإذا ندبتم هالكاً ... فابكوا الوفي أخا الوفي

قال سبط إبن الجوزي: يعني حمزة وأبا طالب عليهما السلام.[٣]

شهادة علماء المذاهب

قيل للأحنف بن قيس التميمي[٤]: من أين اقتبست هذه الحِكَم وتعلّمت هذا الحلم؟

---

(١) الغدير: ٧/ ٤٤٢.

(٢) الحجة على الذاهب: ٤٠٨.

(٣) تذكرة الخواص: ص ٣١. ومؤمن قريش: ٢٧.

(٤) وقيل إسمه الضحاك سيد تميم، ولد في البصرة وأدرك النبيّ ولم يره، شهد صفّين مع الامام علي عليه السلام، وقد سُئل معاوية عنه فقال: هذا الذي إذا غضب غضب له مائة ألف لا يدرون فيم غضب توفّي بالكوفة، سنة ٧٢هـ.

فقال: من حكيم عصره، وحليم دهره قيس بن عاصم المنقري.[١]

ولقد قيل لقيس: حلم مَن رأيت فتحلّمت، وعلم مَن رويت فتعلّمت؟

فقال: من الحليم الذي لم تحلّ قط حبوته، والحكيم الذي لا تنفذ قط حكمته، أكثم بن صيفي التميمي.[٢]

ولقد قيل لاكثم: ممّن تعلمت الحكم، والرياسة، والحلم، والسياسة؟

فقال: من حليف الحلم والأدب، سيّد العجم والعرب، أبي طالب بن عبد المطلب.

أقول: مَن كان من حكماء العرب وأسيادهم وحلمائهم يقتدون بأبي طالب، وينهلون من حِكَمه وكلماته فكيف يكون هذا الحكيم كافراً مجافياً للحقّ؟!

وهل الحلم والأدب والحكمة إلّا هو إتباع الحقّ والتصديق برسالات السماء؟!

فكيف يختار أبو طالب عليه السلام الكفر ـ الذي لا يختاره إلّا الحمقى والأغبياء والجهلاء ـ على الايمان الذي لا يختاره إلّا عاقل لبيب وحكيم حليم؟!

الشعبي

قال الشعبي: لمّا قعدت قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله بالموسم، وزعموا أنّه ساحر، قال أبو طالب عليه السلام في ذلك:

زعمت قريش أنّ أحمد ساحر	كذبوا وربّ الراقصات إلى الحرم
ما زلت أعرفه بصدق حديثه	وهو الأمين على الحرائب والحرم[٣]

---

(١) قيس هذا يكنّى أبا علي، أحد أمراء العرب والموصوفين بالحلم والشجاعة كان شاعراً بارزاً وسيّداً في الجاهلية، وفد على النبيّ صلى الله عليه وآله في وفد تميم سنة ٩هـ فاسلم فقال صلى الله عليه وآله لمّا رآه: هذا سيد أهل الوبر، واستعمله على صدقات قومه، توفّي في البصرة سنة ٢٠هـ.

(٢) هو حكيم العرب في الجاهلية وأحد المعمّرين، أدرك الإسلام وقصد المدينة في مائة من قومه يريدون الإسلام فمات في الطريق ولم ير النبيّ صلى الله عليه وآله.

(٣) ذكر البيتين الكراجكي في كنز الفوائد.

وقال الشعبي -برواية العلامة الفتوني وسبط إبن الجوزي- لما توفّي أبو طالب عليه السلام رثاه علي عليه السلام فقال:

أرقت لطير آخر الليل غرّدا ... يذكّرني شجوا عظيما مجدّدا
أبا طالب مأوى الصعاليك ذا الندى ... جواداً إذا ما أصدر الأمر أوردا
فامست قريش يفرحون بموته ... ولست أرى حيّا يكون مخلدا
أرادوا أموراً زيّنتها حلومهم ... سنوردهم يوماً من الغي موردا
يرجون تكذيب النبيّ وقتله ... وان يفترى قدماً عليه ويجحدا
كذبتم وبيت الله حتّى نذيقكم ... صدور العوالي والحسام المهنّدا
فأمّا تبيدونا وأمّا نبيدكم ... وأمّا تروا سلم العشيرة أرشدا
وإلّا فان الحي دون محمّد ... بني هاشم خير البرية محتدا[1]

أثبت الشعبي صدق إيمان أبي طالب من خلال شعره في النبيّ صلى الله عليه وآله ففي البيت الثاني من الميميّة صريح قوله عليه السلام:

«ما زلت أعرفه بصدق حديثه»، «وهو الأمين»

ليت شعري ماذا تعني كلمته الغراء المتقدّمة؛ وماذا بعد ذلك العرفان...؟

ثمّ قول ولده عليّ وهو يرثيه، هل كان الإمام عليه السلام يحابي أحداً على دينه وإيمانه؟ فهل يصحّ له أن يرثيه ويؤبّنه ويحزن عليه لو كان أبوه مات كافراً؟!

وقد عرفت من سيرة أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه لا تأخذه في الله لومة لائم، فلو كان أبوه مات كافراً لما أبّنه ولا حزن عليه، فافهم.

الزبير بن بكار

قال الزبير بن بكار: لم يكن أحد من قريش يَسود في الجاهلية إلّا بمالٍ غير أبي طالب عليه السلام، وهو أوّل من سنّ القسامة في الجاهلية في دم عمرو بن علقمة، ثمّ

(١) تذكرة الخواص لسبط إبن الجوزي: ص ٦، ط إيران ١٢٨٥هـ.

أثبتتها السنّة في الإسلام، وكانت السقاية بيده فسلّمها إلىٰ أخيه العباس، وكان أكرم قريش نفساً، وأسخاهم يداً وكان يباشر جبر ما انكسر من مواشيه وأنعامه، فإذا جاء الوافد وهبها له مع رعاتها.

المأمون العبّاسي

تظافر النقل عن المأمون العباسي أنّه كان يقول: أسلم أبو طالب والله بقوله:

أذُبُّ وأحـــمِي رســـولَ الإلٰــهِ   حــــمايةَ حــــامٍ عــليه شــفيقِ
ومـــا إنْ أدِبُّ لأعـــدائِــــه   دبــيبَ البِكــار حــذار الفَــنيق
ولكـــن أزيــــرُ لهــم ســامياً   كــما زارَ ليث بــغيل مــضيق[1]

المبرد

روى أبو أيوب اللّغوي فقال: أراني السيد عبد الحميد بن التقي الحسيني النسابة نسخة عتيقة من كتاب (الكامل) للمبرّد وفيها بعد ذكر أبي طالب في بعض الأبواب: وأسلم أبو طالب وحسن إسلامه، وصدّق رسول الله صلى الله عليه وآله في كـلمته، وله شأن عجيب لا يحتمله أهل بغداد، فممّا صدّقه فيه صلى الله عليه وآله قوله:

إذهب بُــني فـما عـليك غـضاضة   وأبشــر بــذاك وقـرّ مـنك عـيونا
والله لن يـــصلوا إليك بـــجمعهم   حتّى أوسّـد فـي التـراب دفـينا[2]

إلى آخر الأبيات وقد ذكرناها في شعره، فراجع.

---

(١) شرح النهج للمعتزلي: ١٤ / ٧٤. والحجة على الذاهب: ٢٥٦. والدرجات الرفيعة: ٥٤. وديوان أبي طالب عليه السلام: ٢٤.

(٢) الحجة على الذاهب: ص ٢٨٩ و٢٩٤، طبعة دار الزهراء عليها السلام.

الثعلبي

ذكر الثعلبي في تفسيره لسورة الأنعام آية ٢٦، في سياق تفسيره أورد الأبيات النونية لأبي طالب عليه السلام التي يقول فيها:

وذكـرت ديـناً قـد عـلمت بأنّـه   مـن خـير أديـان البـرية ديـنا

قال: إنّه قد إتّفق على صحّة نقل هذه الأبيات عن أبي طالب: مقاتل وعبد الله بن عباس والقسم بن محيصرة وعطاء بن دينار.(١)

أبو عمرو الزاهد؛ محمّد بن عبد الواحد الطبري

أورد إبن طاووس خبر (العَوَر) ومعناه اللغوي من كتاب أخبار الطبري اللغوي، أبي عمرو عن أبي العباس أحمد بن يحيى بن تغلب عن إبن الأعرابي الذي ذكرناه في فصول كتابنا هذا.

وكأنّما أراد أبو عمرو أنّ يفصح عن المذمّة التي لحقت أبا لهب وكان الذام له أبو طالب، وقد ترضّى عليه المصنّف وساق حديثه، أي حديث أبي طالب مع النبيّ صلى الله عليه وآله فخاطبه: قم يا سيّدي فتكلّم بما تحبّ وبلّغ رسالة ربّك فإنّك الصادق المصدّق.(٢)

ثمّ عقّب إبن طاووس على الخبر فقال: ولو لم يكن لأبي طالب عليه السلام إلّا هذا الحديث وأنّه سبب في تمكين النبيّ صلى الله عليه وآله من تأدية رسالته وتصريحه بقوله: وبلّغ رسالة ربّك فإنّك الصادق المصدّق، لكفاه شاهداً بإيمانه وعظيم حقّه على أهل الإسلام وجلالة أمره في الدنيا....(٣)

---

(١) الطرائف لإبن طاووس: ص ٣٠٢، مطبعة الخيام، قم ١٤٠٠هـ.
(٢) الطرائف لإبن طاووس: ص ٣٠٠، مطبعة الخيام، قم ١٤٠٠هـ.
(٣) المصدر نفسه.

علي بن حمزة البصري

قال إبن حجر: رأيت لعلي بن حمزة البصري جزءاً جمع فيه شعر أبي طالب عليه السلام، ويزعم أنّه كان مسلماً، ومات على الإسلام....[١]

إبن أبي الحديد المعتزلي

قال إبن أبي الحديد: واختلف الناس في إيمان أبي طالب؛ فقالت الإمامية وأكثر الزيدية: ما مات إلّا مسلماً.[٢]

وقال: قال بعض شيوخنا المعتزلة بذلك، منهم الشيخ أبو القاسم البلخي وأبو جعفر الإسكافي وغيرهما.[٣]

ثمّ قال: وقال أكثر الناس من أهل الحديث والعامّة من شيوخنا البصريين وغيرهم: مات على دين قومه.

وبعد ذلك يشير إلى أنّ أبا طالب قال: أنا على دين عبد المطلب.[٤]

أقول: وممّن قال بإيمان أبي طالب عليه السلام كلّ من:

البلخي والإسكافي وإبن الفضل والواسطي والآمدي

ثمّ قال إبن أبي الحديد المعتزلي: إنّ من جملة من قال: بأنّ أبا طالب مات مسلماً: الشيخ أبا القاسم البلخي، وأبا جعفر الإسكافي وهما من شيوخ المعتزلة وأعلامهم...[٥] وقال العلامة الفتوني في ضياء العالمين: إنّ منهم الحسن بن الفضل، وعلي بن أبي المجد الواسطي، وأبا بشر الآمدي كما يظهر من كلامهم.

---

(١) بلوغ الأدب في معرفة أحوال العرب ١/٣٢٤.

(٢) شرح النهج للمعتزلي: ١٤/٦٥.

(٣) المصدر السابق: ١٤/٦٦.

(٤) المصدر السابق: ١٤/٦٦.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٤/٦٦.

ثمّ قال: وقد قال إبن الأثير في كتاب جامع الأصول: ما أسلم من أعمام النبيّ صلى الله عليه وآله غير حمزة، والعباس، وأبي طالب عند أهل البيت.[١]

أقوال علماء المذاهب

قال إبن أبي الحديد: فأمّا الذين ليسوا بمعطّلة من العرب فالقليل منهم، وهم المتألّهون، أصحاب الورع والتحرّج عن القبائح، كعبد الله، وعبد المطلب، وإبنه أبي طالب، وزيد بن عمرو بن نفيل، وقسّ بن ساعدة الأيادي، وعامر بن الظرب العدواني، وجماعة غير هؤلاء.[٢]

يعرّف لنا إبن أبي الحديد معنى (المتألّهون) بعد ما ساق أنواع العبادات عند العرب... فقال: وقسم قليل منهم هم المتألّهون، أي هم أهل التوحيد، الذين يؤمنون بوحدانيّة الخالق، ومن صفات هؤلاء: الورع والتحرّج عن القبائح، فعدّ منهم جماعة وكان ـ كما قال ـ منهم عبد الله وعبد المطلب وأبو طالب...، الذي تعهّد بتربية النبيّ صلى الله عليه وآله فكفّله يتيماً وآواه ونصره.

تناقض في كلام إبن أبي الحديد

فيما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله قوله: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة».[٣]

وأشار بأصبعه صلى الله عليه وآله. قال إبن أبي الحديد: إنّما عنىٰ به أبا طالب.[٤]

قال الغفاري: غير أنّ إبن أبي الحديد بعد كلّ تلك الأدلّة والشواهد يقول فأمّا أنا فإنّ الحال ملتبسة عندي والأخبار متعارضة، ثمّ بعد صفحة من قوله هذا يقول:

---

(١) جامع الأصول لابن الأثير.

(٢) شرح النهج: ١ / ١٢٠، ط ٢، دار إحياء الكتب العربية، عيسىٰ البابي الحلبي ١٩٦٥م.

(٣) شرح النهج للمعتزلي: ١٤ / ٦٩.

(٤) المصدر السابق.

وصنّف بعض الطالبين في هذا العصر كتاباً في إسلام أبي طالب وبعثه إليّ وسألني أن أكتب عليه بخطّي نظماً أو نثراً، أشهد فيه بصحّة ذلك وبوثاقة الأدلّة عليه، فتحرّجت أن أحكم بذلك حكماً قاطعاً، لما عندي من التوقّف فيه، ولم استجز أن أقعد عن تعظيم أبي طالب، فإنّي أعلم أنّه لولاه لما قامت للإسلام دِعامة.

واعلم أنّ حقّه واجب على كلّ مسلم في الدنيا إلىٰ أن تقوم الساعة، فكتبت على ظاهر المجلد:

ولولا أبو طالبٍ وإبنه ... لما مَثّل الدين شخصاً فقاما
فذاك بمكّة آوى وحامىٰ ... وهذا بيثرب جسّ الحِماما
تكفّل عبدُ منافٍ بأمرٍ ... وأودى فكان عليٌّ تماما

ثمّ قال:

وما ضرُّ مجدَ أبي طالب ... جهول لَغَا أو بصير تعامىٰ

قال الغفاري: أنظر إلى ما صار إليه ـ الرجل بعد توقّفه ـ من القول والإعتراف في حماية أبي طالب للرسول ﷺ وكفالته له منذ صغره حتّى بلغ من العمر خمسين عاماً.

وإنّك تجد عبارات وفقرات بل صفحات عديدة في كتابه شرح نهج البلاغة فيها الحمد والثناء على أبي طالب، صفحات فيها تمجيد وتقدير، فهو ينتقل ـ إبن أبي الحديد ـ من مأثرة إلى أخرى يؤكّد فيها على صدق إيمان أبي طالب ﷺ، ويجعله في طائفة المؤلّهين، الموحّدين وهو القائل: إنّ هؤلاء يحمدون ويثنىٰ عليهم لأنّ الله تعالى أجرى هذه الأمور على أيديهم، ووفّقهم لها، والفاعل بذلك بالحقيقة هو الله تعالى، وهؤلاء آلة مستعملة، ووسائط تجري الأفعال على أيديهم فحمدهم والثناء عليهم، والإعتراف لهم، إنّما هو بإعتبار ذلك، قيل لكم في شأن أبي طالب مثله.[(١)]

بل تجد في تلك الصفحات التي شحنها بالإجلال والتقدير لأبي طالب أنّه كان

---

(١) شرح النهج: ١/ ٤٧.

يردف إسمه غالباً بكلمة (عليه السلام)، إنّها كلمة اختصّت بالأنبياء والأوصياء والأولياء ومن لهم عصمة في القول والعمل، فماذا تفسّر هذا النعت الذي كان يلازم إسم أبي طالب عليه السلام ؟!

إنّ الكاتب ـ إبن أبي الحديد ـ على يقين تامّ من إيمان أبي طالب، ولا أدري كيف ختم كلامه بعد صفحات عديدة ليقول فإنّ الحال ملتبسة عندي وما هذا كلامه الأخير إلّا نوع من الإضطراب والتدليس إن لم نقل أنّه خضع لتأثير مغرض أو حسود أو منافق...

أمّا سبب توقّفه حيث قال: فإنّ الحال ملتبسة عندي ويقف في صدري رسالة النفس الزكية إلى المنصور وقوله فيها: «فأنا إبن خير الأخيار، وأنا إبن شرّ الأشرار، وأنا إبن سيد أهل الجنّة، وأنا إبن سيّد أهل النار».

قال إبن أبي الحديد: فإنّ هذه شهادة منه على أبي طالب بالكفر...

ثمّ قال: وجملة الأمر أنّه قد روي في إسلامه أخبار كثيرة، وروي في موته على دين قومه أخبار كثيرة، فتعارض الجرح والتعديل، فكان كتعارض البيّنتين عند الحاكم، وذلك يقتضي التوقّف، فأنا في أمره من المتوقّفين.

قال الغفاري: لقد أورد الطبري نصّ كتاب أبي جعفر المنصور الدوانيقي والردّ عليه من قبل محمّد بن عبد الله الملقّب بذي النفس الزكية.[1]

وسند هذين الكتابين: محمّد بن يحيى قال: نسخت هذه الرسائل من محمّد بن بشير، وكان بشير يصحّحها، وحدّثنيها أبو عبد الرحمن من كُتّاب أهل العراق والحكم بن صدقة بن نزار، وسمعت إبن أبي حرب يصحّحها ويزعم أنّ رسالة محمّد لما وردت على أبي جعفر، قال أبو أيوب المورياني دعني أجبه، فقال أبو جعفر، لا بل أنا أجيبه عنها، إذ تقارعنا على الأحساب فدعني وإيّاه.[2]

---

(١) تاريخ الطبري: ٧/ ٥٦٦، تحقيق محمّد أبوالفضل، بيروت.

(٢) تاريخ الطبري: ٧/ ٥٦٦.

والرسالتان جاءتا في تاريخ إبن الأثير (الكامل).[١]

وإليك الفقرة التي تبجّح بها إبن أبي الحديد، وهي من قول ذي النفس الزكية ـ كما يزعمون ـ يخاطب بها المنصور الدوانيقي.

(... فما زال الله يختار لي الآباء والأمهات في الجاهلية والإسلام حتّى إختار لي في الأشرار فأنا إبن أرفع الناس درجة في الجنّة وأهونهم عذاباً في النار ولك الله علي إن دخلت في طاعتي... إلى آخر الرسالة).

تنبيه وبيان

جعل المحقق لكتاب الكامل، الدكتور عمر عبد السلام تَدمري العبارة: فأنا إبن أرفع الناس... جعلها في قوسين ثمّ أشار في الهامش من الصفحة ١١٦ أنّها، أي العبارة، من نسخة (ب) كما أشار إلى تاريخ الطبري في ٥٦٨/٧ ثمّ قال: زيادة بعدها: «وأنا إبن خير الأخيار، وإبن خير الاشرار، وإبن خير أهل الجنّة، وإبن خير أهل النار».[٢]

قال الغفاري: إنّ الدكتور عمر عبد السلام ـ المحقق لكتاب الكامل ـ اعتمد في تحقيقه ذاك علىٰ ثلاثة نسخ وهي:

١ ـ الطبعة الاوربية التي نُشِرت بين سنتي ١٨٥١ و ١٨٧١م وهي النسخة التي أشرف عليها المستشرق (كارلوس يوهنس تورنبرغ) وهي طبعة متميّزة أعتمدت على مخطوطات باريس، وبرلين، والمتحف البريطاني، واسطنبول، ومخطوطة (شفري) و(راولنسن).

٢ ـ الطبعة المُنيرية في مصر.

٣ ـ طبعة دار صادر في بيروت.

---

(١) الكامل في التاريخ: ١١٦/٥، دار الكتاب العربي، ط ٢، بيروت ١٩٩٩م.

(٢) المصدر نفسه.

أنظر: كلمة المحقق صفحة آ.

ثمّ أشار إلى النسخ الخطيّة بالرموز الآتية:

نسخة (كلّية تايلور)، رمز إليها بحرف (ت).

نسخة (راولنسن)، رمز إليها بحرف (ر).

نسخة (برلين)، رمز إليها بحرف (ب).

أنظر مقدّمة الكتاب ص ٥.

من خلال هذا العرض نقف على عدّة حقائق، منها:

١ ـ إنّ النسخ الخطيّة لكتاب الكامل وبالخصوص (نسخة برلين) لم توجد فيها العبارة التي أشار إليها إبن أبي الحديد فيما نقله من كلام محمّد ذي النفس الزكية، بل توجد العبارة هكذا: حتّى اختار لي في الأشرار، ولك الله علي إن دخلت في طاعتي... إلى آخر كلامه.

٢ ـ إنّ العبارة التي أضيفت فيما بعد أنّها توجد في النسخ المطبوعة دون الخطيّة.

٣ ـ نسخة دار صادر المطبوعة تجد عبارات الرسالة مضطربة مفكّكة، لا يجمعها الكلام البليغ، في الوقت الذي عرف الناس جميعاً بلاغة بني هاشم، صغيرهم وكبيرهم.

فأين هذه الكلمات من خطبهم البليغة التي ذهبت بها الركبان؟!

٤ ـ كما لا يخفاك أنّ الطبري ذكر الرسالة في تاريخه، وقد أشار المحقق (محمّد أبو الفضل) إلى أنّ الرسالة قد ذكرها المبرّد في كامله[1]، أنظر هامش تاريخ الطبري ٧ / ٥٦٨ إذاً مصدر الرسالة المفتعلة هي الكامل للمبرّد، وهذا معروف ببغضه لأهل البيت عليهم السلام.

٥ ـ إذا عرفت كلّ الذي تقدّم، تبيّن لك أنّ الرسالة مجعولة ومفتعلة على محمّد ذي النفس الزكية، ودليلنا في هذا، أضف إلى ما تقدّم النقاط الآتية:

---

(١) الكامل للمبرد: ٤ / ١١٣ ـ ١١٦.

آ ـ إضطراب النصّ الوارد والمزعوم أنّه من كلام محمّد ذي النفس الزكية، وقد تقدّمت منا الإشارة إلى ذلك الإضطراب.

ب ـ عدم الردّ على عبارات هذه الرسالة من قبل المنصور، في الوقت الذي نشاهده، أنّ رسالة المنصور الجوابية خالية من التشهير أو الانتقاص من نسب ذي النفس الزكية.

ج ـ أورد إبن الأثير نصّاً يكشف لنا حقيقة مهمّة أخرى فقال: وكان المنصور يكتب إلى محمّد على ألسُن قوّاده يدعونه إلى الظهور ويُخبرونه أنّهم معه، فكان محمّد يقول: لو التقينا مال إليّ القوّاد كلّهم.(١)

هذا النصّ يكشف لك أنّ المنصور قد اختلق عدّة رسائل مِن والىٰ محمّد ذي النفس الزكية، وبهذا لم يبق لدينا أي نصٍّ ـ من الرسائل المنسوبة إلى محمّد ـ يسلم من الخدشة، فهي من مفتريات المنصور الدوانيقي الذي عُرف بعدائه الشديد لِبني عليّ وفاطمة ﵉.

د ـ ولو رجعنا إلى سند رواة هذه الرسالة فلم نجد أحداً رواها، بل كانت مكتوبة، ولم يعلم من كتبها، وبخطِّ مَن، ومتى كتبت، وبيد مَن أُرسلت، فقد وجدت هكذا مكتوبة معنونة إلى المنصور الدوانيقي والدوانيقي ردّ عليها....

إنّك ترى أمراً واضحاً للعيان كوضوح الشمس في رابعة النهار أنّها رسائل مختلقة، فهي من إنشاء طاغية العصر (أبو جعفر المنصور العباسي)....

فهل يبقىٰ بعد كلّ هذا وذاك من عذرٍ لابن أبي الحديد حتّى يقول في أبي طالب: أنا في أمره من المتوقّفين...؟!

لقد أورد عشرات الأدلّة في إيمان أبي طالب ﵇ ومع ذلك يتوقف من خلال رسالة مفتعلة مزوّرة؟

أنّه لعجيب أمره، وماذاك إلّا العناد القاتل، وجرياً وراء النزعات النفسية إرضاء

---

(١) الكامل في التاريخ: ٥ / ١١١.

لسادات المدرسة العمرية، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

إبن الأثير

قال إبن الأثير في جامع الأصول: وما أسلم من أعمام النبيّ ﷺ غير حمزة والعباس وأبي طالب عند أهل البيت عليهم السلام.(١)

علماء المذاهب

ممّا يؤيد شهادة العلماء السابقين: علماء آخرون كالقرطبي والسبكي والشعراني والبرزنجي. قال زيني دحلان: وممّا يؤيّد هذا التحقيق الذي حقّقه البرزنجي في نجاة أبي طالب أنّ كثيراً من العلماء المحققين وكثيراً من الأولياء العارفين أرباب الكشف قالوا بنجاة أبي طالب عليه السلام منهم القرطبي والسبكي والشعراني وخلائق كثيرون، وقالوا هذا الذي نعتقده وندين الله به، وإن كان ثبوت ذلك عندهم بطريق غير الطريق الذي سلكه البرزنجي، فقد اتّفق معهم على القول بنجاته، فقول هؤلاء الأئمة بنجاته أسلم للعبد عند الله تعالى، لا سيّما مع قيام هذه الدلائل والبراهين التي أثبتها العلامة البرزنجي.(٢)

العلامة القرافي

جاء في شرح التنقيح للقرافي، عند قول أبي طالب عليه السلام:

وقد علموا أنّ إبننا لا مكذّب لدينا ... ولا يعزى لقول الأباطل

قال: إنّ هذا تصريح باللسان، وإعتقاد بالجنان، وإنّ أبا طالب ممّن آمن بظاهره وباطنه، غير أنّه كفر ظاهراً ولم يذعن للفروع.

---

(١) الغدير، للأميني: ٧ / ٤١٠.

(٢) أسنى المطالب: ص ٦١ وص ٨٢.

وأجيب بأنّه لم يذعن ظاهراً خوفاً من أن قريش لا تقبل حمايته، وليُوهم على قريش أنّه على دينهم....[١]

المحقق السحيمي وأبو طاهر

ورد سؤالٌ إلى جمع من علماء السنّة من بينهم السحيمي في شأن إيمان أبي طالب عليه السلام، ماذا يقول العلماء الأعلام، في هدم قبر أبي طالب عليه السلام؟ وقد ذكر السائل أنّ عدّة من أئمة المذاهب وعلماء السنّة كالسبكي والقرطبي والشعراني كانوا يعتقدون بإيمان أبي طالب عليه السلام ونجاته.

فجاء الجواب من السحيمي بعد نقله ذلك فقال: وهذا هو الذي اعتقده وألقىٰ الله به.

ثمّ أورد عدّة آيات تنصّ على إحترام العترة الطاهرة، ووجوب المودّة لهم **﴿قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ...﴾** ثمّ قال: وفي شرح الشهاب لابن وحشي قال أبو طاهر: من أبغض أبا طالب فهو كافر بالله عزّ وجلّ.[٢]

علماء آخرون يقولون بإيمان أبي طالب عليه السلام، منهم:

المالكي والتلمساني وإبن وحشي الحنفي والاجهوري

ذكر أحمد بن الحسين الموصلي الحنفي المشهور بإبن وحشي في شرحه على الكتاب المسمّى بشهاب الأخبار للعلامة محمّد بن سلامة القضاعي المتوفّى سنة ٤٥٤ هـ: إنّ بغض أبي طالب عليه السلام كفر.

ثمّ قال: ونصّ على ذلك أيضاً من أئمة المالكية العلامة علي الأجهوري في فتاويه، والتلمساني في حاشيته على الشفاء، فقال عند ذكر أبي طالب: لا ينبغي أن يذكر إلّا

---

(١) أبوطالب عليه السلام بطل الإسلام: ص ١٣٩.

(٢) أسنى المطالب: ص ٨٢.

بحماية النبيّ صلى الله عليه وآله لأنّه حماه ونصره بقوله وفعله، وفي ذكره بمكروه أذيّة للنبيّ صلى الله عليه وآله ومؤذي النبيّ كافر، والكافر يقتل.

وممّن قال بنجاة أبي طالب وإيمانه: القرطبي والسبكي والشعراني والسيوطي والسحيمي وأبو القاسم البلخي وأبو جعفر الأسكافي.(١)

الفخر الرازي

أورد الفخر الرازي في تفسيره الكبير في مساق تفسير الآية ٥٦ من سورة القصص ما نقله الزجاج من كلامٍ لأبي طالب وهو يخاطب قومه ويدعوهم إلى إطاعة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وتصديقه،... ثمّ ما جرى بين النبيّ صلى الله عليه وآله وعمّه في صدد النطق بالشهادة، فقال أبو طالب للنبيّ: سوف أموت على ملّة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف....

أودع الرازي في تفسيره فصول هذا الحوار وما قاله البعض من أنّ الآية (٥٦) نزلت في أبي طالب عليه السلام. ثمّ في خاتمة بحثه قال: هذه الآية لا دلالة في ظاهرها على كفر أبي طالب عليه السلام.(٢)

سبط إبن الجوزي

لقد صرّح سبط إبن الجوزي بإيمان أبي طالب فقال: كون أبي طالب من أهل الجنّة ما لا ينبغي التأمّل فيه، وأنّ شواهده أكثر من أن تذكر، منها: إهتمامه بكفالة النبيّ المختار ونصرته له، وإهتمامه بدفع اذى الأشرار والكفّار عنه، وجزع النبيّ صلى الله عليه وآله عند موته، وتسمية عامه بعام الحزن لموته وموت خديجة، وإستغفاره له في طول

---

(١) أسنى المطالب: ص ٦٠.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ٢ / ٥ ـ ٢٥.

أيّام، ولا يرتاب إستجابة دعائه لا سيّما مع الإصرار....[١]

ويتابع سبط إبن الجوزي فيقول: وأيضاً لم يؤرّخ أحد من أعدائه استياء ولده بأنّ أباك من الكفار، هذا معاوية أعدى أعدائه ومنازعيه، وهذا عمرو بن العاص، وهذا عبد الله بن الزبير، وهذا مروان، وغيرهم، مع قدحهم فيه عليه السلام، وإسنادهم ورميهم إليه ما هو بريء منه وما عابوه وما شنّعوا عليه بذلك وهو عليه السلام يذكّرهم بكفر الآباء والأمّهات، ورذالة النسب، وما قابلوه بالمثل. بل هذا أقوى شاهد على إسلامه....[٢]

عبد الواحد السفاقسي

قال السفاقسي في شرح البخاري: إنّ في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنّه كان يعرف بنبوّة النبيّ الكريم قبل أن يبعث لما أخبره به (بَحيرا الراهب) وغيره من شأنه، مع ما شاهده من أحواله، ومنها الإستسقاء به في صغره، ومعرفة أبي طالب بنبوة النبيّ جاءت في كثير من الأخبار.[٣]

أبو الفداء إسماعيل بن علي الشافعي

قال أبو الفداء في تاريخه (المختصر في أخبار البشر): توفّي أبو طالب عليه السلام في شوّال سنة عشرة من النبوّة، ولمّا اشتدّ مرضه قال له رسول الله ﷺ: يا عمّ قلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة ـ يعني الشهادة ـ فقال له أبو طالب: يا إبن أخي لولا مخافة السبة وأن تظن قريش إنّما قلتها جزعاً من الموت لقلتها. فلمّا تقارب من أبي طالب عليه السلام الموت جعل يحرّك شفتيه، فأصغى إليه العباس بإذنه وقال: والله يا

(١) تذكرة الخواص: ١٠.
(٢) المصدر السابق: ١١.
(٣) أمالي الصدوق: ١٥٨.

إبن أخي قال الكلمة التي أمرته أن يقولها ـ يعني لا إلـه إلّا الله ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحمد لله الذي هداك يا عمّ».[(١)]

ثمّ أورد أبو الفداء من شعر أبي طالب عليه السلام ما يدلّ على أنّه كان مصدّقاً للرسول صلى الله عليه وآله منها قوله:

ودعوتني وعلمت أنّك صادق	ولقد صدقت وكنت ثمّ أمينا
ولقد علمتُ بأنّ دينَ محمّدٍ	مِن خيرِ أديانِ البريّةِ دِينا
والله لَنْ يَصلوا إليك بجمعِهم	حتّى أوسّد في التراب دَفينا

نتابع شهادة علماء المذاهب علىٰ إيمان أبي طالب عليه السلام، منهم:

القسطلاني، إبن التين، إبن إسحاق وعلي بن حمزة

نقل العلامة أحمد بن محمّد بن أبي بكر القسطلاني في كتابه المواهب اللدنية بعد ذكره لأبيات من لامية أبي طالب قال: قال إبن التين إنّ في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنّه كان يعرف نبوة النبيّ صلى الله عليه وآله قبل أن يبعث لما أخبره به (بَحيرا) وغيره من شأنه.

وتعقّبه الحافظ أبوالفضل إبن حجر بأنّ إبن إسحاق ذكر أنّ إنشاء أبي طالب لهذا الشعر كان بعد البعثة، ومعرفة أبي طالب بنبوّته صلى الله عليه وآله جاءت في كثير من الأخبار وتمسّك بها الشيعة في أنّه كان مسلماً.

قال: ورأيت لعلي بن حمزة البصري جزءاً جمع فيه شعر أبي طالب وزعم أنّه كان مسلماً وأنّه مات على الإسلام، وأنّ الحشوية تزعم أنّه مات كافراً واستدلّ لدعواه بما لا دلالة فيه انتهى.[(٢)]

---

(١) المختصر: ١ / ١٢٠، ط مصر، ١٣٢٥هـ.

(٢) المواهب اللدنية بالمنح المحمّديّة للخطيب القسطلاني: ١ / ٣٧، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ)

روى السيوطي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بُعِثْتُ ولِي أربعةُ عمومةٍ، فأمّا العباس فيكنّى بأبي الفضل (فله الفضل) إلى يوم القيامة، وأمّا حمزة فيكنّى بأبي يعلىٰ فأعلى الله قدره في الدنيا والآخرة، وأمّا عبد العزّىٰ فيكنّى بأبي لهب فأدخله الله النار، وألهبها عليه، وأمّا عبد مناف فيكنّى بأبي طالب، فله ولولده المطاولة والرفعة إلى يوم القيامة.[١]

عبد الرحمن الإدريسي المغربي

قال السيد علي خان المدني: سُئل العارف بالله السيد الجليل السيد عبد الرحمن ابن أحمد الحسيني الإدريسي المغربي نزيل مكّة المشرّفة والمتوفّى سنة سبع وثمانين وألف (١٠٨٧هـ)؛ وكان من أرباب الحال وأقطاب الرجال سئل عن إسلام أبي طالب فأملى ما صورته: إعلم قرّبك الله منه ورزقك كمال الفهم منه أنّ أبا طالب عليه السلام قد قال بإيمانه جمع من أهل الكشف والشهود، ووردت أحاديث تشهد بإسلامه أوردها الحافظ إبن حجر في الإصابة، وتكلّم عليها وجاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنّ جبرئيل عليه السلام أتىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: إنّ الله يبشّرك ببشارة، فقال: إنّ الله لا يعذّب صلباً أنزلك، وبطناً حملك، وحِجراً كفلك. قال صلى الله عليه وآله: بيّن لي يا جبرئيل: فقال عليه السلام: أمّا الصلب فهو عبد الله، وأمّا البطن فهي آمنة، وأمّا الحجر فهو أبو طالب عليه السلام.[٢]

قال السيد المدني: أورد هذا الحديث المحبّ الطبري في (ذخائر العقبىٰ)، قال السيوطي في (المسالك): وقد ورد هذا الحديث من طريق آخر عن إبن عباس، أخرجه أبو نعيم، وفيه التصريح بأنّ الأخ من الرضاعة، وأخرج الشيخ عبد

---

(١) الدر المنثور للسيوطي: ٦ / ٤٠٩، محمّدوعلي وبنوه الأوصياء عليهم السلام: ٢ / ١٨٩.

(٢) الدرجات الرفيعة: ص ٥٨.

الوهاب الشعراني حديثاً بأنّ الله تعالى أحيىٰ أبا طالب عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله انتهى. وإنّما نقلنا هذا الكلام على هذا الوجه ليعلم أنّ محققي الصوفية وافقونا على إسلامه أيضاً.(١)

رأي البرزنجي الشافعي (١١٠٣ هـ) وأئمة الأشاعرة

استعرض المرحوم السيد أحمد زيني دحلان مفتي الديار في مكّة المشرّفة جملة من براهين العلامة البرزنجي في إثبات إيمان أبي طالب ثمّ كان يعقّب البرزنجي بعد كلّ دليل ما يناسبه من الكلام فمن ذلك قال: فلولا أنّه مصدّق بدينه لما رضي لابنيه أن يكونا معه وأن يصلّيا معه، بل ولا كان يأمرهما بالصلاة فإنّ عداوة الدين أشدّ العداوات كما قيل:

كلّ العداوات قد ترجىٰ أماتتها ... إلّا عداوة من عاداك في الدين

فهذه الأخبار كلّها صريحة في أنّ قلبه طافح وممتليء بالإيمان بالنبيّ صلى الله عليه وآله.(٢)

ثمّ قال بعد صفحات: وهذا الذي اخترناه من كون نجاة أبي طالب لما كان عنده من التصديق الكافي في النجاة في الآخرة هو طريق المتكلّمين من أئمّتنا الأشاعرة وهو ما دلّت عليه أحاديث الشفاعة وأحاديث الشفاعة كثيرة وكلّها فيها التصريح بأنّها لا تنال مشركاً وقد نالت الشفاعة أبا طالب....(٣)

قال السيد البرزنجي: فالظاهر أنّ أبا طالب كان على ملّة آبائه ـ ملّة إبراهيم عليه السلام ـ ولو عبد أبو طالب صنماً يلزم أن يكون أوّل من أشرك من هذه السلسلة المباركة، والأصل عدم ذلك، فهو تبع لعبد المطلب في كلّ أحواله من مكارم الأخلاق، وحماية الذمار والرياسة، حتّى خرج من الدنيا وهو على ملّة عبد المطلب، وهذا هو الذي

---

(١) الدرجات الرفيعة: ص ٥٨.
(٢) أسنى المطالب، للسيد أحمد زيني دحلان: ص ١٧.
(٣) أسنى المطالب: ص ٢٩.

أشار إليه أبو طالب لمّا قال لكفار قريش وهو على ملّة عبد المطلب، فخاطبهم بكلام مجمل له محمل صحيح يخرجه عن الشرك، ويدخله في زمرة الموحّدين، لما استعلمه من مناقب عبد المطلب الدالّة على أنّه كان موحّداً، وعمّىٰ عليهم الأمر ليبقىٰ جاهه وحمايته عندهم.[١]

أحمد الهبراوي الحلبي (١٢٢٤ هـ)

روى العلامة الشافعي الشيخ عبد الله بن محمّد الشبراوي قال: قال أحمد الهبراوي الحلبي المتوفّى سنة ١٢٢٤هـ بمدينة حلب في ترجمة عليّ عليه السلام في كتابه (فتح الرحمن)،... كان أبوه عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله محبّاً له، راداً عنه ضرر قريش، وما نالت قريش من النبيّ صلى الله عليه وآله ما نالت إلّا بعده، ثمّ ذكر أبياته النونية....[٢]

وراوده النبيّ صلى الله عليه وآله حين دنت منه الوفاة على الإسلام والحّ عليه، ولقّنه كلمة التوحيد، وقال له يا عمّ قلها ولو في أذني. وفي رواية أنّ العباس بشّر النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّه حرّك بها شفتيه، وذكر بعض أهل الكشف أنّ الله أحياه للنبيّ صلى الله عليه وآله بعد موته وآمن به كأبويه....[٣]

الآلوسي

ذكر الألوسي في سياق تفسير الآية (٥٦) من سورة القصص، فقال: إن مساق الآية لتسلية النبيّ صلى الله عليه وآله حيث لم ينجع في قومه الذين يحبّهم، ويحرص عليهم أشدّ الحرص إنذاره عليه الصلاة والسلام إيّاهم، وما جاء به إليهم من الحقّ، بل اصرّوا

---

(١) أسنى المطالب.

(٢)

والله لن يصلوا إليك بجمعهم   حتّى أوسّد في التراب دفينا

إلى آخر الأبيات.

(٣) الإتحاف بحبّ الأشراف للشيخ عبد الله الشبراوي: ص ١١، طبعة مصر، المطبعة الأدبية.

على ما هم عليه، وقالوا: لولا أوتي مثل ما أوتي موسىٰ، ثمّ كفروا به وبموسىٰ عليهما الصلاة والسلام، فكانوا على عكس قوم هم أجانب عنه ﷺ.

ثمّ قال: ومسألة إسلامه ـ إسلام أبي طالب ـ خلافيّة، وحكاية إجماع المسلمين أو المفسّرين على أنّ الآية نزلت فيه لا تصحّ، فقد ذهب الشيعة وغير واحد من مفسّريهم إلىٰ إسلامه، وادّعوا إجماع ائمة أهل البيت عليهم السلام على ذلك، وإنّ أكثر قصائده تشهد له بذلك، وكأنّ من يدّعي إجماع المسلمين لا يعتد بخلاف الشيعة، ولا يعوّل على رواياتهم.[1]

العلامة أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية

قال مفتي الشافعية في أسنى المطالب: «أنّ بغض أبي طالب كفر».

ثمّ قال: ونصّ على ذلك أيضاً من أئمة المالكية العلامة علي الأجهوري في فتاويه، والتلمساني في حاشيته على الشفا، فقال: عند ذكر أبي طالب: لا ينبغي أن يذكر إلّا بحماية النبيّ ﷺ، لأنّه حماه ونصره بقوله وفعله، وفي ذكره بمكروه أذية للنبيّ ﷺ، ومؤذي النبيّ ﷺ كافر، والكافر يقتل.

وقال أبو طاهر: من أبغض أبا طالب فهو كافر، والحاصل أنّ إيذاء النبيّ ﷺ كفر يقتل فاعله إن لم يتب.

وعند المالكية يقتل وإن تاب، إلى أن قال: قال العلامة الدحلاني: إنّ كثيراً من العلماء المحققين، وكثيراً من الأولياء العارفين أرباب الكشف، قالوا: بنجاة أبي طالب منهم القرطبي، والسبكي، والشعراني، وخلائق كثيرون، وقالوا هذا الذي نعتقده وندين الله به... ثمّ قال: فقول هؤلاء الائمة بنجاته اسلم للعبد عند الله تعالى.[2]

قال العلامة زيني دحلان الشافعي بعد أن ذكر أبيات أبي طالب ومنها:

---

(١) تفسير روح المعاني للألوسي: ٢٠ / ٨٤.

(٢) أسنى المطالب: ٦٠ و٦١.

ألم تــعلموا إنّـا وَجَـدنا مـحمّداً نبيّاً كموسىٰ خُطَ في أوّل الكـتبِ

قال: وهذا الشعر إذا تأمّله المنصف رآه مـحض الإقـرار بـالنبوة والإعـتراف بالرسالة.

هذا البيت من قصيدة لأبي طالب عليه السلام قالها في زمن محاصرة قريش لهم في الشّعب، وهي قصيدة طويلة بليغة غرّاء تـدلّ غـاية مـحبّته للـنبيّ صلى الله عليه وآله، وعـلى التصديق بنبوته، وشدّة حمايته له، والذبّ عنه.(١)

وقال المرحوم السيد زيني دحلان:... إنْ قلنا أنّه لم ينطق بـها ـأي الشـهادة بالتوحيد ـ وإنّ ترك النطق بها معصية من كبائر المعاصي، وإنّ عذره في ترك النطق بها لا يمنع من صحّة الإيمان، لكنّه لا ينفي كون ذلك الترك معصية، أو نطق بها ولم يسمعها النبيّ صلى الله عليه وآله فلم يعتدّ بها فكأنّه ما نطق بـها، وذلك أنّ النـبيّ صلى الله عليه وآله حـضر أبا طالب عند الموت وعنده أبو جهل وعبد الله بـن أمـيّة المـخزومي، فـقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: أي عمّ قل (لا إله إلّا الله) كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال له أبو جهل وعبد الله بن أميّة يا أبا طالب أترغب عن ملّة عبد المطلب؟ فلم يزالا يردّانه حتّى قال أبو طالب آخر ما كلّمهم: هو على ملّة عبد المطلب، وأبىٰ أن يقول لا إله إلّا الله.

ويعقب السيد زيني دحلان فيقول: وفي رواية: لمّا تقارب من أبي طالب الموت نظر إليه العباس فرآه يحرّك شفتيه فأصغى إليه بأذنه فسمع منه الشـهادة، فـقال للنبيّ صلى الله عليه وآله: يا إبن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها ولم يصرّح العباس بلفظ لا إله إلّا الله.

قال السيد دحلان: فعلى تسليم عدم الإعتداد بنطقه هذا، وإنّ الحديث ضعيف ـعند المنكرين ـ فنقول هو كافر بإعتبار أحكام الدنيا، وأمّا عند الله فهو مؤمن ناج ممتليء قلبه إيماناً بدليل ما تقدّم عنه.

---

(١) أسنى المطالب، زيني دحلان: ص ١٠، ط مصر، ١٣٠٥هـ. وأنظر: السيد محمّد البرزنجي (١١٠٣هـ) في كتابه الذي ألّفه في نجاة أبوي النبيّ صلى الله عليه وآله.

ممّا يدلّ على ذلك أنّه يمكن أنّ عدم نطقه بحضور أبي جهل وعبد الله بن أميّة حرصاً منه على بقاء الحفظ للنبيّ ﷺ وصيانته من أذيّتهم له بعد وفاته، لأنّه كان يرى أنّه إذا أظهر لهم أنّه على دينهم تبقى حرمته وتعظيمه عندهم بعد وفاته، فلا ينال النبيّ ﷺ منهم أذى، وإذا كان هذا قصده كان معذوراً، فتكون إجابته لهما بما أجابهم به مداراة لهما لئلا ينفرهما خشية أن يؤذوا رسول الله ﷺ بعد وفاته، أنّه يمكن الجمع بين إمتناعه ـ لحضور زعماء المشركين عنده وهما أبو جهل وعبد الله بن أميّة ـ ونطقه بأن امتنع بحضورهما مداراة لهما فلما انطلقا وذهبا نطق بهما، وأصغى إليه العباس، فسمعه ينطق بها، ولهذا قال في الحديث السابق ما كلّمهم به، يعني أبا جهل ومن كان معه، ولم يقل آخر ما تكلّم به مطلقاً، فدلّ على أنّ قوله هو على ملّة عبد المطلب دليل على أنّه على التوحيد، لأنّ عبد المطلب كان على التوحيد كبقيّة آبائه ﷺ، كما حقّق ذلك جلال الدين السيوطي وغيره في رسائل متعددة، فأبْهَم أبو طالب عليهم الجواب ليرضيهم ظاهراً، وهو يعلم أنّ عبد المطلب كان على التوحيد.[١]

وقال زيني دحلان بعد صفحات: ولم ينقل عن أبي طالب أنّه اتخذ صنماً إلهاً أو عبد حجراً أو نهى النبيّ ﷺ عن عبادة ربّه، غايته أنّه ترك النطق بالشهادتين أو ترك بعض الواجبات، ومع ذلك قلبه مشحون بتصديق النبيّ ﷺ ومثل هذا ناج في الآخرة على مقتضى ديننا، فلا يليق بالحكمة ولا بمحاسن الشريعة الغرّاء ولا بقواعد الأئمة من أهل الكلام أن يكون هو وآزر عمّ إبراهيم في قرن واحد حاشا من كرم الله تعالى. قال حسان:

أمـــن يـــهجو رسـول الله مـنكم ويـــــمدحه ويــــنصره ســـواء

فإنّ أبا طالب ﷺ ربّاه صغيراً، وآواه كبيراً، ونصره ووقّره، وذبّ عنه، ومدحه

---

(١) أسنى المطالب لزيني دحلان: ص ٣٧، ط ٢.

بقصائد غرر، ورضي بإتباعه....[١]

عبد العزيز سيد الأهل

قال عبد العزيز سيد الأهل:... أمّا بنو عبد مناف وبنو زهرة انضووا جميعاً تحت لواء أبي طالب، ولم يكن لهم شأن بالآلهة والأصنام... ثمّ قال: واشترط أبو طالب عند بناء الكعبة أن لا يدخل في بنائها لبنة ولا طينة إلّا من كسب طيّب، ولا ينفق عليها من كسب امرأةٍ بغي، ولا من ربح جاء من ربا، ومالٍ كانت فيه مظلمة لأحدٍ من الناس، ولا يرش على طينها ماء إلّا في أناء مطهّر، ولا يحمله إلّا كلّ كريم شريف.[٢]

في هذا الخبر يصرّح المؤلف أنّ جميع بني عبد مناف وبني زهرة ـ أي قريش ـ هم تبع لأبي طالب، وهو زعيمهم على وجه الإطلاق بعد أبيه عبد المطلب، ثمّ كونه لم يسجد لصنم ذاك ما صرّح به أيضاً.

ويروي لنا عبد العزيز سيد الأهل قصّة الصحيفة التي كتبتها قريش ضد بني هاشم قال: وكتبت صحيفة الميثاق من هذا المجتمع الشتيت، ودفعت إلى الحكم بن هشام، فحملها ومضى بها يشدّها بحبل إلى جوف الكعبة لتكون في حراسة هُبَل، إله الآلهة العظيم، جاء فيها: لا يُشترى من بني هاشم وبني عبد المطلب، ولا يباع، ولا تخطب فتاة منهم لفتى منّا، ولا فتاة منّا لفتى منهم، ولا يُكلّم أحد منهم ولا يسمع له، ولا يُدخل عليهم بشيء من الرفق حتّى يُسلموا محمّداً، ولا يؤمّن داخل منهم بمكّة إلّا في الموسم، وألقت قريش علىٰ كلّ رجلٍ منها عبئا، وجعلت العيون على الثغور، فإذا نزلت مكّة تجارة في الموسم لم يترك لأهل الشعب أن يشتروها، بل تشتريها قريش مهما غلت أثمانها، وإنْ لم تكن في حاجة إليها، حتّى

---

(١) أسنى المطالب: ص ٤٨.

(٢) أبو طالب عمّ النبيّ، للسيد عبد العزيز سيد الأهل: ص ١٧.

يموت أهل الشعب محاصرين.

وأمّا أبو لهب فقد تبرّع أن يلقى القبائل في السوق ويمنع سِلَعها أن تباع لأهل الشعب، ويشتري هو طعام الموسم إن لم يشتره أحدٌ ويغلي ثمنه لئلا يجد أبو طالب وقومه ما يأكلون.

وسهر القائد الحكيم في الشِّعب على الشَعب وأهله، ولم يكن فيه من يضِنُّ به ويفكر فيه أعظم من محمّد، وجعل أبو طالب يُسهل هضبة كلّ مطلب للمحاصرين إذا توعّر، ويُصفي كدرة الزمان كلّما تكدر، ويوزّع من الطعام على من يفرغ طعامه، ومن اللباس على من يتمزّق ثوبه، فإذا فرغ الناس من هذا وذاك، وفرغ هو وفرغت خديجة أيضاً، دار عليهم بالصبر يدعو إليه والجلد يحثّ عليه، حتّى حلا لهم الجوع والعذاب حلاوة ذاقوا فيها شبع الجنّة وتملأوا تملأ الفردوس.[1]

ثمّ يقول: ولم يكن هذا الطعام وهذا اللباس همّ أبي طالب، ولا همّ محمّد، ولا همّ بني هاشم وبني المطلب، فما من أجل الطعام والشراب دخلوا الشعب، وما من أجل التجارة لجأوا إليه، ولو كان مطلبهم الخبز وسلعة التجارة لرضوا بالهزيمة، أو رضوا بالغنيمة حين عرضت عليهم أكرم العروض، ولكنّهم لجأوا إلى الشعب ودعاهم أبو طالب إليه يحمي رسول الله ﷺ ويحمي دينه فكيف يحميه؟

عليه وحده أن يفكّر، وعليه وحده أن يدبّر، وعليه وحده أن يحتفظ بسرّ التفكير والتدبير، وكان عليه أن يستمر ويدأب ويسهر ويأرق، لأنّ النصر والهزيمة تحت أخمص القائد....

ثمّ يواصل عبد العزيز سيد الأهل كلامه في سيرة أبي طالب إلى أن يقول: وطلب أبو طالب إلى النبيّ أن يغدو إلى فراشه كلّ ليلة مبكّراً قبل أن يلجأ الناس جميعاً إلى فُرُشهم حتّى أهل بيته كي يراه الناس جميعاً في فراشه وآوىٰ إلى مضجعه، ونام الناس جميعاً وهدأ الشعب في سكون الليل وسكون النوم ولف الشيخ الهرم

---

(١) أبو طالب شيخ بني هاشم، لعبد العزيز سيد الأهل: ص ٧١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٥١م.

خفيفا متمهّلا على أطراف قدميه فأيقظ النبيّ وأخذه إلى فراش غير الذي نام فيه، وجعل في فراش النبيّ أحداً من أبنائه أو أخوته أو بني عمّه، فإذا حدّثت أحداً نفسه بشرٍّ لم يهتدِ إليه. وجعل أبو طالب يغيّر موضع النبيّ ومرقده، ويكتم ذلك على الناس جميعاً فلا يعرفه أحد.

وقد يغيّر للنبيّ موضعاً وموضعين في الليلة الواحدة لئلاّ يعلم أحد ممّن ناموا في مرقده أين هو.

يفعل ذلك كلّ ليلة من ليالي الشّعب لا يسأم ولا ينسى، ثلاث سنين فيها مئات طوال من الليالي والأيّام، ضمر فيها الأطفال والصبيان حتّى سمعت أصوات بكائهم من الجوع حزينة حرّىٰ، وأبو طالب لا يفعل ذلك فحسب، وإنّما يغنّي بشعره في رسول الله ﷺ وفي قريش فيقول:

كذبتم وحقّ الله نُبزىٰ محمّداً ... ولمّا نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتّى نصرّع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثلاث سنين عجاف ردّ فيها أبو طالب عوالي الرماح حين اشتجرت، وصبر على الضيم فلم يُضم ولم يخترم، وفي مثل ما صبر عليه أبو طالب تضام رجاحة الجبال وتخترم صدور الأسود.[1]

---

(١) أبو طالب شيخ بني هاشم لعبد العزيز سيد الأهل: ص ٧١ـ٧٤.

الفصل التاسع

شعر أبي طالب عليه السلام يفصح عن إيمانه

* إيمان أبي طالب عليه السلام من خلال شعره

ما جاء عن النبيّ ﷺ والائمة الأطهار فيمن قال فيهم شعراً

نصوص عديدة وردت عن المعصومين عليهم السلام في الثناء على من قال فيهم شعراً لنصرتهم من ذلك:

جاء في عيون الأخبار عن الإمام الرضا عليه السلام قال: ما قال فينا قائل بيتاً من الشعر حتّى يؤيّد بروح القدس.(١)

وقال ﷺ مخاطباً حسان بن ثابت وهو يحضّه على هجاء المشركين: «أهجهم أو هاجهم وروح القدس معك».(٢)

وفي عيون الأخبار عن الحسن بن الجهم قال: سمعت الإمام الرضا عليه السلام يقول: ما قال فينا مؤمن شعراً يمدحنا به إلّا بنىٰ الله تعالى له مدينة في الجنّة أوسع من الدنيا سبع مرّات يزوره فيها كلّ ملك مقرّب وكلّ نبيّ مرسل.(٣)

فما بالك في نصرة أبي طالب للنبيّ ﷺ وحمايته والدفاع عنه ...؟!

وممّا يؤكّد إيمان أبي طالب ـ من خلال شعره ـ قول الإمام الصادق عليه السلام؛ الذي يكشف لنا عن سيرة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يعجبه أن يروىٰ شعر أبي طالب عليه السلام، وأن يدوّن، وقال تعلّموه وعلّموه أولادكم فإنّه كان على دين الله، وفيه علم كثير.(٤)

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، للصدوق: ١/ ٧، ط ٢، قم، رضا مشهدي.

(٢) الأدب السياسي في صدر الإسلام للمؤلف: ص٦٧، ط ١، دار الهادي، بيروت ٢٠٠٣م.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٧.

(٤) الغدير: ٧/ ٣٩٥. ومؤمن قريش: ٢٦٢.

من شعر أبي طالب عليه السلام في التوحيد[١]

إيمانه بالله سبحانه، إيمانه بالنبيّ صلى الله عليه وآله، إيمانه بالإسلام

قال في إيمانه بالله وبالإسلام (دين أحمد):

يـــا شـــاهِدَ اللهِ عـــليَّ فـــاشهَدِ أنّـــي عـــلى ديـن النـبيّ أحـمَدِ
مـن ضَلَّ فِـي الديـن فإنّي مُهْـتَدِ[٢]

قال عبد الواحد السفاقسي في (شرح البخاري): إنّ في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنّه كان يعرف بنبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله قبل أن يبعث لما أخبره به (بـحيرا الراهب) وغيره من شأنه، مع ما شاهده من أحواله ومنها الإستسقاء به في صغره، ومعرفة أبي طالب بنبوّة النبيّ الكريم جاءت في كثير من الأخبار زيادة على أخذها من شعره.[٣]

ومن شعره في التوحيد: إيمانه بالله والقسم به

قال مخاطباً قريش لمّا اصرّت على كفرها:

وما أنْ جَـنينَا مِـنْ قـريشٍ عَـظيمةً سِوى أن مَنَعْنَا خيرَ من وطيءَ التُربا
أخـــا ثِـــقةٍ للـــنائباتِ مُـــؤَزّراً كـــريماً ثـــناهُ لا لئـــيماً ولا ذَرْبـــا
فـــيا أخَـــوَيْنا عـبد شـمسٍ وَنـوفلاً فـــإيّاكُـــما أن تُـســـعرا بـينا حَـربا
وأنْ تُـــصبحوا مـــن بَـعد ودٍّ وأُلفـةٍ أحابيشَ فيها كُلّكم يشـتكي النَّكـبا
ألم تعلموا ما كان في حربِ داحسٍ وَرَهطِ أبي يكسومَ إذ مـلأوا الشّـعبا

---

(١) ذكرنا في بحوثنا السابقة من هذا الكتاب جملة من شعر أبي طالب في مناسبات وحوادث، بعضها سبقت بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله إلّا أنّها تكشف عن إيمان أبي طالب بالله سبحانه وبابن أخيه الذي سيبعث نبيّاً وهادياً للناس، وبعض شعره الآخر قاله وهو يواكب سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله في رسالته ويؤيده ويحامي عنه حتّى وافاه الأجل.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٧٨.

(٣) هامش السيرة الحلبية: ١/ ٨٨. والغدير: ٧/ ٣٤١.

فـــواللهِ لولا اللهُ لا شـــيءَ غـــيرُه　　　لأصْـبَحْتُم لا تـملِكون لنـا سِـرْبا[١]

ومن شعره: في التوحيد وتصديقه بالنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله

قال يصف مكانة النبيّ صلى الله عليه وآله ومنزلته عند الله سبحانه:

لقـــد أكـرمَ اللهُ النـبيَّ مـحمّداً　　　فأكرَمُ خـلقِ اللهِ فـي النـاسِ أحـمدُ
وشـــقَّ لَـــهُ مِـــن إسـمِهِ ليُـجلَّهُ　　　فذُو العَرْشِ محمودٌ وهـذا مـحمَّدُ[٢]

ومن شعره: توحيده لله سبحانه

قال أبو طالب عليه السلام:

مـــليك النـــاسِ ليسَ لَـــهُ شـــريكُ　　　هـــو الوهّـــابُ والمُـــبدي المـــعيدُ
وَمَـــــنْ فــوقَ الســماءِ له بــحقٍّ　　　ومـــن تـــحت الســماء له عـــبيدُ

لو سألت من هو مليك الناس؟

ومن هو الذي ليس له شريك...؟

ومن هو الوهّاب...؟

ومن هو المبدأ ومن هو إليه مآل العباد...؟

لقد فاح لسان أبي طالب بذلك الإيمان الناصع فوحّد الله سبحانه بأوضح بيان.

ومن شعره: إيمانه بالجنّة

قال أبو طالب عليه السلام:

يـــا شـــاهد الله عـــلي فـــاشهدِ　　　آمـــــنت بـــالواحـــد ربّ الأحـــد
مـــن ضـلّ فـي الديـن فـإنّي مـهتد　　　يـا ربّ فـاجعل فـي الجـنان مـورد

أي شاهد بعد هذا البيان الواضح والإيمان الصادق، أنّه عليه السلام وجّه خطابه إلى الله

---

(١) سيرة إبن إسحاق: ١٥٠. وفي العقد الفريد: ٣/ ٢٤٢، بيتاً واحداً.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧٨/١٤، التاريخ الصغير للبخاري ٣٨/١ ذكر فيه البيت الثاني.

وجعله الشاهد الحاضر، فهو يشهد كلّ نجوىٰ، وهو يعلم ما في الضمير وما تخفي الصدور أفلا يسمع، أفلا ينظر، أفلا يعلم ما يقوله أبو طالب...؟!

«يا شاهد الله عليّ، فاشهد...»، ثمّ يفصح بمليء فيه فيقول: «آمنت بالواحد... ربّ واحد...».

هذه الأبيات الأربعة تؤكّد لك إيمان أبي طالب عليه السلام، من أعماق قلبه صدرت لا من طرف لسانه كما فعله أبو سفيان....

إيمان أبي طالب لا يوزن بإيمان الخلائق من سائر الناس، إيمان أبي طالب ليس باللفظ الذي لا يغني عن الحقّ شيئاً، بل خالط دمه وعقله وقلبه وأحاسيسه...، بل عرف الله حقّ معرفته، عرفه أنّه الخالق، الوهّاب، فهو الرزّاق، والمعطي، يهب لمن يشاء، بيده مفاتيح القدرة والعطاء والمِنَح والحياة بكلّ معانيها، فهو المبدي...، كلّ شيء منه، كلّه خير، وهو مبدأ الوجود، ثمّ هو المرجع، إليه تصير الأمور....

هذا هو إيمان أبي طالب عليه السلام بالله سبحانه كما آمن به أوّلاً فقد آمن به آخراً، فهو الأوّل وهو الآخر، وذلك إقرار منه بالمعاد، معاد الخلائق إليه، إنّه إقرار باليوم الأكبر الذي ينصب فيه ميزان العدل، ميزان الجزاء والمكافأة، حيث لا ظلم فيه ولا بخس ولا نكران ولا حيف....

هذا هو قلب ولسان أبي طالب يطفحان بالإيمان الصادق واليقين الثابت....

ثمّ عليك أن تقارن أيّها الغيور بين هذا التصريح من أبي طالب وبين تصريح أبي سفيان لمّا قال للعباس بن عبد المطلب: «لقد أصبح ملك إبن أخيك اليوم عظيماً».[1]

وقارن فيما قاله مع كلام أبي سفيان: ما أيقنت أنّك رسول الله حتّى الساعة.[2]

وقارن كذلك فيما قاله أبو سفيان لمّا طلب منه الرسول صلى الله عليه وآله أن يشهد بأنّه

---

(١) الإمام علي عليه السلام صوت العدالة: ص ٢٠٧.

(٢) الإصابة: ٢ / ١٧٢.

رسول الله...: أمّا هذه ففي النفس منها شيء.[1]

وقارن فيما تقدّم من قول أبي طالب وما كان يتلجلج في قلب أبي سفيان: ليت شعري بأي شيء غلبني محمّد.

أجابه النبيّ ﷺ بعد ما ضربه بيده بين كتفيه: «بالله غلبتك يا أبا سفيان».[2]

بل قارن مع كلام أبي سفيان لمّا آلت الخلافة إلى إبن عمّه عثمان بن عفان خادم الأمويين والمحابي الأوّل لهم....

قال أبو سفيان وهو داخل على مجلس عثمان: أ فيكم من يحتشم؟ وفي رواية أ فيكم أحد من غيركم؟

فلمّا استيقن من الحضور قال والغبطة تملأ قلبه وأحاسيسه: قد صارت إليك ـ الخطاب لعثمان ـ بعد تيم وعدي، فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أميّة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم... ولتصيرن إلىٰ صبيانكم وراثة، وإنّما هو الملك ولا أدري ما جنّة ولا نار....

ثمّ يلتفت إلى قبر حمزة ويركل القبر الشريف برجله حقداً منه وحسداً وتشفّياً وهو يصرخ بكلماته التي سجّلها التاريخ فقال: يا أبا عمارة! إنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف، أمسى في يد غلماننا يتلعبون به.[3]

ومن شعره: إقراره بنبوّة نبيّنا محمّد ﷺ

قال في قصيدته الدالّية:

أنت النبيّ محمّد قرم أغر مسود

---

(١) الإستيعاب: ٤ / ٨٦. ورسائل الجاحظ: ٧٨.

(٢) الإمام علي ﷺ صوت العدالة: ص ٢٠٨.

(٣) النزاع والتخاصم: ص ٢٧. ومروج الذهب: ٢ / ٣٥١. وشرح النهج للمعتزلي: ٤ / ٥١.

لمســـــودين أكـــارم　　طابوا وطاب المـولد[١]

قال الغفاري: ماذا يعني أبو طالب عليه السلام في قوله: «أنت النبيّ محمّد»...؟

أليس هي نفس الشهادة؟ فما الفرق بين هذه العبارة وبين قول من قال: «أشهد أنّ محمّداً رسول الله»؟! ألا يكون المضمون واحداً؟!

وقوله يجيب بَحيرا الراهب:

إنّ إبــــن آمــنة النــبيّ مــحمّداً　　عـــندي بــمثلِ مَـنازلِ الأولادِ

إلى أن يقول:

حتّى إذا مـا القـوم بـصرى عَـايَنوا　　لاقــوا عَـلى شـرفٍ مـن المـرصادِ

حِـبراً فَأَخْـبَرَهم حَـديثاً صـادقاً　　عَـــنه وردَّ مـــعاشر الحسّـــادِ

قــوماً يَـهوداً قـد رَأوا مـا قَـد رأى　　ظَـلَّ الغـمامِ وظَـلَّ ذي الأكـبادِ

صَـــاروا لِــقتلِ مــحمّدٍ فــنَهاهُمُ　　عــنهُ وَأجــهدَ أحســنَ الاجــهادِ

ومن شعره: إيمانه بالأنبياء والكتب السماوية

قال أبو طالب: مؤكّداً نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله ومن سبقه كموسىٰ عليه السلام:

ألم تـعلموا إنّـا وجـدنا مـحمّداً　　نبيّاً كـموسىٰ خـطّ فـي أوّل الكـتب

وأنّ عـــليه فـــي العــبادِ مــحبّةً　　ولا حيفَ فيمنْ خصَّه اللهُ بـالحبِّ[٢]

إقرار صريح من أبي طالب بأنّ محمّداً نبيّ كموسىٰ عليه السلام خطّ في أوّل الكتب. وهذا البيت وما بعده يدلّ علىٰ إيمانه من وجوه:

أوّلاً: إيمانه بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله.

---

(١) من قصيدته قالها في قضية السلا الذي ألقاه عبد الله بن الزبعري على النبيّ صلى الله عليه وآله. ينظر: شيخ الأبطح: ص ٢٨، وهاشم وأميّة: ١٦٢. وشرح النهج للمعتزلي: ١٤ / ٧٩. والحجة على الذاهب: ٧٢. وأعيان الشيعة: ٣٩ / ١٤٣. والغدير: ٧ / ٣٣٦. وديوان أبي طالب عليه السلام: ١٢.

(٢) سيره إبن هشام: ١ / ٣٧٧. والحجة على الذاهب: ٣٩. وشرح نهج البلاغة للمعتزلي: ١٤ / ٧٣. ومجمع البيان للطبرسي: ٧ / ٣٦. وهاشم وأميّة: ١٦١. وشيخ الأبطح: ٣٥.

ثانياً: معرفته بموسىٰ بن عمران عليه السلام فهو نبيّ.

ثالثاً: أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله قد خصّه الله بالنبوّة فهو حبيب الله (خصّه الله بالحبّ).

ومن شعره: إيمانه بالأنبياء؛ موسىٰ عليه السلام وعيسىٰ بن مريم

قال عليه السلام يدعو فيه النجاشي إلى الإسلام:

تعلّم خيار الناس أنّ محمّداً ... نبيٌّ كموسىٰ والمسيح بن مريم

أتى بالهدى مثل الذي أتيا به ... فكلّ بأمر الله يهدي ويعصم

وانّكم تتلونه في كتابكم ... بصدق حديث لا حديث المترجم

فلا تجعلوا لله نداً واسلموا ... فإنّ طريق الحقّ ليس بمظلم

ومن شعره: إيمانه بالنبيّ ذي النون (يونس عليه السلام)

قال حتّى تقرّ رجال لا حلوم لهم ... بعد الصعوبة بالإسماح واللين

أو يؤمنوا بكتابٍ منزلٍ عجب ... على نبيّ كموسىٰ أو كذي النون[1]

كيف تميّز أهل الايمان عن أهل الكفر؟ ألا يكون كلام أحدهم وإقراره حجّة عند العقلاء وذوي الحجىٰ؟ أمعن النظر في قول أبي طالب: «أو يؤمنوا بكتاب منزل».

من أين يعرف الجاهلي الكتاب المنزل، وهل الكافر يصدّق الكتب والرسل؟

وهل يؤمن بالله وبأنبيائه ـ كمحمّد صلى الله عليه وآله وموسىٰ وعيسىٰ ويونس ـ من يشرك به؟! ثمّ لم يكتف أبو طالب بصريح هذا الإقرار ومحض الايمان، بل ذهب يحثّ المشركين على إتّباع محمّد صلى الله عليه وآله والايمان بنبوّته صلى الله عليه وآله.

ولو قرأت قصيدته القافية لوجدت إيمان أبي طالب واضحاً جليّاً فيها؛ يذكر فيها أنّ الله هو ربّ المغارب والمشارق، وهو محكي القرآن الكريم. وقد نبّه قومه

وحذّرهم من أن تنزل فيهم نازلة من السماء كما نزلت على الأمم من قبلهم كثمود وعاد، وهو يذكر فيها الأنبياء كصالح عليه السلام وقصّة الناقة (وناقة ذي العرش إذ تستقى)....

فهل يبتغي أهل الضاد توضيحاً ودليلاً أكثر من هذا الإقرار، وذاك الإعتراف بالأنبياء، وتصديقه بالآيات وبالمعجزات التي أظهرها الله لنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله، وما حلّ بأبي جهل من الذلّ والخزي حيث التصق الحجر بيده لمّا أراد أن يضرب به النبيّ صلى الله عليه وآله ؟!

ومن شعره: إيمانه بالوحي وهو من عند الله سبحانه

قال عليه السلام:

أمينٌ محبٌ في العبادِ مسوم ... بخاتم ربٍّ قاهر للخواتم

يرى الناس برهانا عليه وهيبة ... وما جاهل في فعله مثل عالم

نبيّ أتاه الوحي من عند ربّه ... فمن قال لا يقرع بها سنّ نادم

مصادر الأبيات: شيخ الأبطح: ٣٨، إيمان أبي طالب عليه السلام: ١٤، العباس رضي الله عنه: ٢٢، أعيان الشيعة: ٣٩/١٤١، شرح النهج لابن أبي الحديد: ٣/٣١٣، الحجة على الذاهب: ٤٣، الديوان: ص ٣٢.

أي تصريح أكثر بياناً ووضوحاً بعد هذه الأبيات؟ ومن أين يعرف الكفّار الوحي؟!

ثمّ تبصّر في قوله: «فمن قال: لا يقرع بها سنّ نادم» يكشف لك معتقده الخالص في شأن يوم الحساب وما ادّخره الله للمطيعين والعاصين، فمن لا يقرّ بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله يندم إذا شاهد عذاب الله يوم الجزاء الأكبر.

ثمّ من يعرف خاتم النبوة غير الإنسان المؤمن بالله، المطّلع على سير الأنبياء على مدى الدهور؟ ألم يكن ذلك برهاناً قاطعاً على كون أبي طالب ممّن حباه الله بهذه

المعارف...؟

وقال مخاطباً النبيّ صلى الله عليه وآله ليُسكّن فؤاده، ويأمره بإظهار الدعوة وأنّه ناصرة حتّى ببذل النفس:

لا يَمْنَعَنَّك مِن حقٍّ تقومُ بهِ أيدٍ تصولُ ولا سَلْقٌ بأصواتِ
فإنّ كفَّكَ كفّي إنْ بُليتَ بهم وَدونَ نفسِكَ نفسي في الملمّاتِ[(١)]

ومن شعره: التصديق بنبوّته

قال قصيدة يمدح فيها النبيّ صلى الله عليه وآله، منها:

أنّى تُضامُ ولم أمُتْ وأنا الشُّجاع العِربِدُ[(٢)]
وبِطاحُ مَكّةَ لا يُرى فيها نَجيعٌ أسوَدُ
وبنو أبيكَ كأنّهم أُسدُ العَرينِ تَوقّدُ
ولقد عهدتُكَ صادقاً في القولِ لا تتزيّدُ
ما زلتَ تنطِقُ بالصَوا بِ وأنتَ طِفلٌ أمْرَدُ[(٣)]

ومن شعره: التصديق برسالة النبيّ صلى الله عليه وآله

قال في نصرة النبيّ صلى الله عليه وآله:

مَنَعْنا الرَسولَ رسولَ المليكِ بِبيضٍ تلألأُ لمْعَ البُروقْ
بضربٍ يُذيبُ دون النّهابِ حذارِ الوتائرِ والخنْفَقيق[(٤)]

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٤/ ٧٧، ط ٢، طبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٧م. الحجة على الذاهب: ص ٧٤. أبو طالب عليه السلام وبنوه: ص ٣٣. ديوان أبي طالب عليه السلام: ص ١١. أعيان الشيعة: ٣٩/ ١٥٠. الغدير: ٧/ ٣٣٨.

(٢) العربد: الحيّة.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٤/ ٧٧.

(٤) الوتيرة: الطريقة، وقيل الأوتار. الخنفقيق: الداهية.

أذُبُّ وأحْمِي رسولَ الإلهِ حمايَةَ حامٍ عليهِ شَفيقْ
ومـا إن، أدُبُّ لأعـدائِهِ دَبيبَ البِكارِ حذار الفَنِيق[1]
ولكـن أزيرُ لهم سامياً كما زارَ ليثٌ بِغِيلٍ مَضيق[2]

ومن شعره: قال في نصرة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وكونه نبيّاً فهو يدعو إلى الهدى:

١ ـ ألا مـا لِـهَمٍّ آخِـرَ الليـلِ مُـغْتِمِ
طَـوانـي وأخـرىٰ النَـجْم لمّـا تـقحَّم

٢ ـ طَـوانـي وقـد نـامتْ عـيونٌ كـثيرةٌ
وسـامِرُ أخـرى قـاعدٌ لم يُـنوّم[3]

٣ ـ لأحـلامِ أقـوامٍ أرادوا مُـحمّداً
بـظُلمٍ ومـن لا يـتّقي البَـغي يُـظلمِ

٤ ـ سَعَوا سَفَهاً وأقـتادَهُم سـوءُ أمرِهم
علىٰ خـائلٍ مـن أمرِهم غـيرِ مُحكَم[4]

٥ ـ رجـاةَ أُمـورٍ لم يـنالُوا نِـظامَها
وإنْ نَشَـدوا فـي كـلِّ بـدوٍ ومـوسِم[5]

٦ ـ يُـرَجُّون مِـنّا خُـطّةً دونَ نـيلِها
ضِـرابٌ وطـعنٌ بـالوشيجِ المـقوَّمِ

---

(١) الفنيق: الجمل الفحل.

(٢) سيرة إبن إسحاق: ١٤٩. شرح النهج للمعتزلي: ١٤ / ٧٤.

(٣) السمير: ظلّ القمر، ثم قيل: سامر، كأنّهم يهربون إليه إذا سَمِروا من حرّ القمر.

(٤) على خائل: أي ما تخيّل لهم من أمورهم.

(٥) نشدوا: ذكروا، من نشدتك الله.

٧ـ يُـرَجُّون أن نَسْـخَىٰ بـقتلِ محمّدٍ
ولم تـختضِب سُـمْرُ العـوالي مـن الدَمِ

٨ـ كَـذبتُم وبـيتِ اللهِ حـتّى تُـفرِّقُوا
جَـماجِمَ تُـلقى بـالحطيم وزَمـزمِ

٩ـ وتـقطع أرحـام وتـنسى حـليلة
حـليلاً، ويـغشىٰ مـحرم بـعد مـحرم

١٠ـ هم الأسد أسدُ الزأرتـين إذا غـدت
عـلى حـنق لم تـخشَ إعـلام مـعلم[1]

١١ـ فـيا بـني فـهر أفـيقوا ولم تـقم
نـوائـح قـتلى تـدعى بـالتندّم[2]

١٢ـ على ما مضى من بغيكم وعـقوقكم
وإتـيانكم فـي أمـركم كـلّ مأثـم

١٣ـ وظلمُ نبيّ جـاء يَـدعُو إلى الهُـدى
وأمـرٍ أتـىٰ مِـنْ عـندِ ذي العَـرشِ قـيّمِ

١٤ـ فـلا تـحسبُونا مُسْـلِمِيهِ ومِـثلُهُ
إذا كـانَ فـي قـومٍ فـليسَ بـمُسلمَ

١٥ـ فـهذي مـعاذيرٌ وتـقدمةٌ لكـم
لئـلّا تكـون الحـربُ قـبلَ التـقدّم[3]

أنظر إلى البيت السابع كيف يدافع عن إبن أخيه محمّد ﷺ حتّى ينذر القوم بأنّ

---

(١) الزأرتين: مثنى الزأرة، وهي الغابة، والأجمة، والمعلم الشجاع الذي يعلم بيضته بريشة أو نحوها ممّا يعرف به أقداماً على الحرب.

(٢) ويروى بالتسدّم. والسدم الهم مع ندم.

(٣) ينظر: الديوان: ص ٢٩. وذكر بعض هذه الأبيات إبن أبي الحديد في شرح النهج: ١٤ / ٧١، ط ٢. هاشم وأميّة: ص ١٦٠. الحجة على الذاهب: ص ٣٧. الغدير: ٧ / ٣٣٤.

محمّداً سيبقىٰ عزيزاً منيعاً حتّى لو ادّى هذا الدفاع إلى أراقة الدماء وزهق الأرواح (يرجون منه... دون نيلها ضراب).

(وطعن بالوشيج...).

(بل سوف تختضب سيوفهم بالدماء).

وفي البيت الثامن والتاسع يهدّدهم أبو طالب عليه السلام فيقول:

(...حـــتّى تـــفلقوا جـــماجم...)

وتـــقطع أرحـــام وتـــنسى حـــليلة ... حليلاً ويغشى محرم بـعد مـحرم

وفي البيت الحادي عشر ينذر قريش (يا بني فهر... أفيقوا...) ما لم تقم النوائح والبواكي على قتلاكم، أفيقوا قبل أن يسودكم الهمّ والحزن والندم.

أمّا في البيت الثالث عشر فقول أبي طالب ، يطفح بالإيمان واليقين وأيّد إبن أخيه ـ محمّداً ـ وخصّه بالنبوّة وأنّه يدعو إلى الهدى، فهو مأمور من الله سبحانه، ومرسل من قبله، فإيّاكم ـ يا بني فهر ـ من ظلمه.

وظلمُ نبيّ جاء يَـدعُو إلى الهُـدى ... وأمرٍ أتىٰ مِنْ عندِ ذي العَرشِ قيّمِ

ألا تكون هذه الألفاظ وتلك الأبيات دالّة على إيمان أبي طالب؟!

فما وراء ذلك إلّا اللجاجة والعناد، ولكم الويل ـ أيّها المعاندون ـ مما تصفون.

ومن شعره:

قال قصيدة يذكر فيها أبا جهل بن هشام لمّا جاء إلى الرسول صلى الله عليه وآله وهو ساجد وبيده حجر أراد به أن يرضخ رأس النبيّ صلى الله عليه وآله فلصق الحجر بكفّه فلم يقدر على ما أراد، منها قوله:

وأعـــجبُ مِـــن ذاك مِـن أمـركم ... عـــجائبُ فـــي الحَـجَرِ المُـلْصَقِ

بكـــفٌ الذي قـــامَ مـــن جَـــنْبِه ... إلى الصـــابر الصـــادِق المُـــتَّقي

فأيْـــــبَسَهُ اللهُ فـــــي كـــــفّه ... عـــلى رَغْـمِ ذا الجـائرِ الأحـمَقِ

أُحَيْمِقُ مَخزُمِكُم إذ غَوىٰ لِغَيِّ الغُواةِ ولَم يَصْدُق[١]

المخزومي: الذي أراد أن يضرب الرسول بالحجر فيبست يداه، هو أبو جهل بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي.

ومن شعره:

قال قصيدته الميميّة لمّا أخبره النبيّ ﷺ بأنّ الأرضة ـ الدويبة ـ قد أكلت الصحيفة التي كتبتها قريش:

١ ـ أرِقْتَ وَقَدْ تَصوَّبتِ النُجومُ وَبتَّ ولا تُسالِمُكَ الهُمومُ
٢ ـ لِظُلمِ عَشيرةٍ ظَلَموا وَعَقُّوا وَغِبُّ عُقوقِهم لَهم وخيم
٣ ـ هُم انتَهَكوا المحارمَ مِن أَخيهِم وَلَيس لَهُم بِغَيْر أخٍ حميمُ
٤ ـ إلى الرَحمنِ وَالكَرَم اسْتَذَمُّوا وَكُلّ فَعالهم دَنَسٌ ذَميمُ
٥ ـ بَنُو تَيمٍ توارثها هُصَيْصٌ وَمَخزومٌ لَها مِنّا قَسيمُ
٦ ـ فلا تنهى غُواة بَني هُصَيْصٍ بَنو تيمٍ وَكُلُّهم عَديمُ
٧ ـ وَمَخزوم أقل القَومِ حِلما إذا طاشتْ مِن العِدَة الحُلُومُ
٨ ـ أطاعُوا ابنَ المُغيرة وَابن حَربٍ كِلا الرجُلَين مُتَّهمٌ مَليمُ
٩ ـ وَقالوا: خُطّةٌ جوراً وَظلماً وَبَعضُ القولِ أبلجُ مُستقيم[٢]
١٠ ـ لِتخرج هاشماً فَتصير منها بِلاقِعَ بَطنُ مَكّة والحَطيمُ
١١ ـ فَمهلاً قومَنا لا تركبُونا بِمَظلَمَةٍ لَها أمرٌ عَظيمُ
١٢ ـ فَيندَمُ بعضُكم وَيذِلّ بَعضٌ وَليس بِمُفلِح أبداً ظَلُومُ
١٣ ـ فلا والراقِصاتِ بِكُلّ خَرقٍ إلى مَعمورِ مَكّة لا تَريمُ

---

(١) سيرة إبن إسحاق: ٢١١. شرح إبن أبي الحديد: ١٤ / ٧٤، ط ٢. الحجة على الذاهب: ٦٢. أعيان الشيعة: ٣٩ / ١٤٢.

(٢) الخُطّة: بضمّ الخاء المعجمة وتشديد الطاء المهملة: الجهل أو الأمر المشكل الذي لا يهتدىٰ إليه.

١٤ ـ طِوالَ الدَهر حتّى تَقتلُونا ... وَتقتُلكم وَتلتقي الخُصومُ
١٥ ـ وَيُصرَعَ حَولَهُ مِنّا رِجالٌ ... وَتمنعَهُ الخؤولَةُ وَالعُمومُ
١٦ ـ وَيَعلَمَ معشَرٌ ظَلموا وعقُّوا ... بأنّهم هُم الخَدُّ اللّطِيمُ
١٧ ـ أرادوا قَتلَ أحمَدَ ظالميه ... وليسَ لقتله منهم زَعيمُ
١٨ ـ وَدون مُحمّدٍ مِنّا نديٌّ ... هُم العِرنينُ وَالعضو الصَميم[1]

وقال في قصيدته الميميّة الأخرى يؤكّد على دعوة النبيّ إلى الحقّ:

سَقَى اللهُ رَهطاً هُم بِالحَجُون ... قيامٌ وَقَد هَجَعَ النُوَّمُ
قَضَوا ما قَضَوا في دُجَى لَيلِهم ... وَمُسْتَوْسِنُ الناسِ لا يَعْلَم[2]
بهاليلُ غُرٌّ لهُمْ سَورةٌ ... يُداوي بها الأَبلجُ المحرمُ
كشبهِ المَقاوِلِ عند الحَجُو ... نِ بَلْ هُم أعزُّ وَهُم أعظَمُ
لدى رَجُلٍ مُرشِدٌ أمرُهُ ... إلى الحقِّ يدعو ويَسْتَعْصِمُ

أراد بهذا البيت النبيّ ﷺ حيث يرشد الناس إلى طريق الحقّ.

وقال أيضاً:

إذا أجْمَعَتْ يَوماً قُريشٌ لِمفخَرٍ ... فَعَبدُ منافٍ سِرُّها وَصَميمُها
وإنْ حُصِّلَت أشرافُ كُلِّ قَبيلةٍ ... فَفي هاشمٍ أشرافُها وَقديمُها
وإنْ فَخَرتْ يَوماً فإنّ محمّداً ... هو المُصطفى مِن سِرّها وَكريمها[3]
تداعت قُريش غَثُّها وَسَمينُها ... عَلينا فَلم تظفَر وطاشَتْ حُلومُها
وَكُنّا قَديماً لا نُقِرُّ ظلامَةً ... إذا ما ثَنَوا صُعْرَ الخُدودِ نقيمُها[4]
ونحمي حِماها كُلَّ يَوم كريهةٍ ... وَنَضرِبُ عَن أحجارِها مَن يَرُومُها

---

(١) العرنين: السيد الشريف، وفي رواية ... الانفُ الصَميم.

(٢) الوَسَن: النعاس.

(٣) السرّ من كلّ شيء: أكرمه وخالصه، وسرّ القوم أفضلهم.

(٤) صُعر: جمع أصعر، وهو الذي مال بوجهه تكبّرا.

بِنا إنتعش العودُ الذَويُّ وإنّما ... بأكنافنا تندَى وَتنمي أُرُمها
هُم السادةُ الأعلَون في كُلّ حالةٍ ... لَهم حرمةٌ لا يُستطاع قرومُها
يَدينُ لَهم كُلّ البرية طاعةً ... ويُكرمها ما الأرضُ عِندي أدِيمُها[(١)]

وقال يعرّض بجمع قريش ويعلن نصرته للنبيّ ﷺ في قصيدته الميميّة منها:

وَأنّ سَبيلَ الرُّشدِ يُعْلَم في غدٍ ... وَأنّ نَعيم الدَهر ليسَ بِدائِم
فَلا تسفَهَنْ أحلامُهم في محمَّدٍ ... وَلا تُتبِعوا أمرَ الغُواة الأشائمِ
يُمَنُّوكُمُ أن تقتُلوه وَإنّما ... أمانِيّكم تِلْكُم كأحلامِ نائِم
فإنّكم وَاللهِ لا تقتُلونَهُ ... وَلمّا تَرَوا قَطْفَ اللُّحى والغلاصِمِ[(٢)]

إلى آخر الأبيات.

ومن شعره: عقيدته بالنبيّ وأنّ دينه خير الأديان

قالها لمّا أخافته قريش:

وَاللهِ لَن يَصلُوا إليكَ بِجَمعِهِم ... حتّى أُوَسَّدَ في التُراب دَفينا
فانفذْ لأمرِكَ ما عليك غَضاضَةٌ ... فَكفى بِنا دُنياً لديكَ وَدِينا
وَدعوتني وزَعمت أنّكَ ناصحٌ ... فَلَقد صَدقْتَ وَكُنتَ قَبلُ أمينا
وَعرضت دِيناً قَد علمتُ بأنّه ... مِن خَيرِ أديانِ البريةِ دِينا
لولا المَلامةُ أو حَذاري سُبّةً ... لوجدتني سمحاً بِذاك مُبينا[(٣)]

---

(١) سيرة إبن إسحاق ١٤٩، الروض الأنف ١٠/٢، البداية والنهاية ١١٦/٢و٢٤٠ و٤٧/٣، صبح الأعشى ٣٥٧/١، المجموعة النبهانية ٤٧/١، سيرة إبن هشام ٢٨٨/١، السيرة الحلبية ٣٣/١، الحجة على الذاهب ٧٩، شيخ الأبطح ٣٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧٣/١٤.

(٣) أغلب المصادر التي دوّنت الأبيات الأربعة لم تذكر هذا البيت الأخير، ولا يخفاك أنّه مفتعل قد أضافه بعض الخصوم ثمّ أنّك ترى الفارق الكبير بين بلاغة الأبيات الأربعة وهذا البيت، كما أنّك لا تجد فيه أي ربط مع ما سبقها من أبيات فهو بيت دخيل، بينه وبين ما سبق الهوّة الكبيرة في الأداء الفني، وفي

من هنا نعلم العلّة التي من أجلها أخفى أبو طالب عليه السلام إيمانه ولم يعلنه للملأ.

مصادر النونية:

سيرة إبن إسحاق: ١٥٥، تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٣١، دلائل النبوّة: ٢ / ١٨٨، تذكرة الخواص: ٨، شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد: ١٤ / ٥٥، المغني: ١ / ٣٧٥١ و٢ / ٨٠٥، البداية والنهاية: ٣ / ٤١، تاريخ إبن الوردي: ١ / ١٤٢، شرح شواهد المغني: ٢ / ٦٨٦ / ٤٤٧، خزانة الأدب: ٢ / ٧٦ و٣ / ٢٩٦ و٩ / ٣٩٧، تاريخ أبي الفداء: ١ / ١٢٠، ثمرات الأوراق: ٢ / ٤، الكشاف للزمخشري: ١ / ٤٤٨، العباس: ٤٣، معجم القبور: ١٨٦، ديوان أبي طالب عليه السلام: ص ٧، أعيان الشيعة: ٣٩ / ١٢٨، شيخ الأبطح: ٢٧، السيرة النبوية: ١ / ٨٥ و١٩٧، الإصابة في تمييز الصحابة: ٤ / ١١٦، هاشم وأميّة: ١٥٧.

ومن شعره: قصيدته اللاميّة وهي من عيون الأدب العربي

قال قصيدة مطوّلة ـ وهي اللاميّة ـ ناهزت المائة وعشرة أبيات مطلعها:

خَليليّ ما أُذني لأوّلِ عاذلٍ ... بصغواءَ في حقٍّ ولا عندَ باطِلِ[1]

ومنها قوله:

وَلمّا رأيت القومَ لا ودَّ فيهم ... وَقد قطّعُوا كلَّ العُرىٰ والوسائلِ

وَقد صارحونا بالعَداوةِ وَالأذىٰ ... وَقد طاوعُوا أمرَ العَدوّ المزايلِ[2]

وَقد حالفُوا قَوماً علينا أظنّةً ... يعضّون غيظاً خلفَنا بالأنامل[3]

المحتوىٰ والبعد البلاغي.

قال السيد أحمد زيني دحلان: إنّ هذا البيت موضوع، أدخلوه في شعر أبي طالب عليه السلام، وليس من كلامه. ينظر: أسنى المطالب: ص ١٤. والغدير: ٧ / ٣٣٤.

(١) الصغو: الميل، واصغيتَ إلى فلانٍ: إذا ملتَ سمعك نحوه.

(٢) المزايل: المفارق والمباين.

(٣) الأظنّة: جمع ظنين، وهو الرجل المتهم.

ومنها قوله:

أعوذُ بِربِّ النـاسِ مِـن كـلِّ طـاعنٍ ... عَـلينا بشـرٍّ أو مُـلِحٍّ بِـباطلِ
وَمِـن كـاشحٍ يَسـعى لَـنا بِـمعصيةٍ ... وَمن مفترٍ في الدين ما لم نُحاولِ
وثـورٍ وَمَـن أرسـى ثَـبيراً مَكـانَهُ ... وَعـيرٍ وراقٍ فـي حـراءَ وَنـازِلِ[١]
وَبالبيتِ رُكْنِ البيتِ من بطن مَكَّةٍ ... وَبـالله إنّ الله ليسَ بـغافلِ
وَبـالحَجَرِ المسـوَدِّ إذ يـمسَحُونَهُ ... إذا اكـتنفوه بـالضُحى والأصـائِلِ
وَموطيء إبراهيم فـي الصـخر وطأةً ... عـلى قـدميه حـافيا غـير نـاعلِ
وَأشـواطِ بـينَ المـروَتين إلى الصَـفا ... وَمـا فـيهما مـن صُـورةٍ وَتـماثِلِ[٢]
وَمن حـجّ بـيتَ الله مـن كُـلِّ راكب ... وَمن كلّ ذي نـذرٍ وَمـن كـلِّ راجـلِ
وَبـالمعشر الأقـصىٰ إذا عَـمَدُوا له ... ألالاً إلىٰ مُفضى الشِراجِ القـوابـلِ[٣]

ومنها قوله:

كَـذبتم وَبـيتِ اللهِ نـتركُ مكّـةً ... وَنـظعنُ إلّا أمْـرُكُـم فـي بـلابِلِ[٤]
كَـذبتم وَبـيتِ اللهِ نُـبْزىٰ مـحمّداً ... وَلمّـا نُـطاعِن دَونـه وَنُـناضِلِ[٥]
وَنُسْـلِمُهُ حَـتّى نُـصرَّع حـولَهُ ... وَنَـذْهَلَ عـن أبـنائِنا وَالحـلائِلِ[٦]
ويـنهضَ قـومٌ فـي الحَـديد إليكُـم ... نُهوضَ الرَوايا تَحت ذاتِ الصَلاصِلِ[٧]
وَحتّى يُـرى ذو البَـغي يـركَبُ ردعَـهُ ... من الضِغنِ فِعْلَ الأنكبِ المـتحامِلِ[٨]

---

(١) ثور وثبير وعير وحراء: جبال بمكّة.

(٢) تماثيل: هي صور وأصنام ألقاها رسول الله ﷺ ومعه الإمام علي ﷺ، من علا سطح الكعبة إلى الأرض فكسّرها.

(٣) الألال: الجبل الذي يقوم عليه الإمام علي ﷺ. والشِراج: ما يتعلّق بعضه ببعض من الاكام.

(٤) البلابل: الهموم والوساوس. تناصل: أي تُقاتل بالمناصل وهي السيوف.

(٥) نُبزى: مبني للمجهول: أي تُسلب.

(٦) الحلائل، مفردها الحليلة: الزوجة.

(٧) الصلصلة: بقيّة الماء. الروايا: التي تحملها.

(٨) الضغن: الحقد. أنكب: مشى متطرفاً عن الطريق. والرَدع: العنق، لأنّه بها يرتدع كلّ ذي عنق من

وإنّـا لعـمرُ الله إنْ جـدَّ مـا أرى   لتـلتبِسَنْ أسـيافُنا بـالأماثِلِ[١]

ومنها قوله:

وأبـيض يُسـتسقى الغَـمامُ بِـوجهِهِ   ربـيعُ اليـتامى عِـصْمةٌ للأرامِـلِ[٢]

يَـلوذُ بـه الهُـلّاكُ مِـن آلِ هـاشم   فـهُم عِـنده فـي نـعمةٍ وَفـواضِلِ

لَـعَمْري لقـد أجـرى أسـيدٌ وَرَهـطُهُ   إلى بُـغضِنا وَجـزاً بأكـلةِ آكِـلِ[٣]

قصّة النبيّ ﷺ وأبي جهل في الجاهلية معروفة حيث سمع النبيّ ﷺ أعرابياً يصيح: أما بحرم الله كريم ولا منصف من مظلوم؟

فقال الرسول ﷺ: ما بِك؟

فقال: اشترى منّي إنسان جملاً وأدخله بيته وأغلق بابه ولم يعطني ثمنه.

فقال ﷺ: إمض أمامي حتّى تقفني على منزله.

فجاء به إلى منزل أبي جهل فاستخرجه من منزله، وقال له: يا فاسق، إعط هذا حقّه.

فما تمالك أن دخل فأخرج حقّه فأعطاه. فقالت له قريش في ذلك. فقال: والله ما ملكت من أمري حين أمرني.

ومنها قوله:

لَـعمري لقـد كُـلِّفت وجـداً بأحـمَدٍ   وأخـوتِهِ دأبَ المُـحِبِّ المـواصـل

فـلا زال فـي الدنـيا جَـمالاً لأهـلِها   وزيـناً عـلى رغـمِ العَـدُوّ المـخابلِ

فمن مثلُه في النـاس أو مَـن مـؤمَّلٌ   إذا قـايس الحكّـام أهْـلَ التـفاضُلِ

حـليمٌ رشـيدٌ عـادِلٌ غـيرُ طـائِشٍ   يـوالي إلهـاً ليس عـنْهُ بـذاهِـلِ

الخيل وغيرها، يقال: ركب فلان رَدْعَه إذا رُدِعَ فلم يرتدع.

(١) الأماثل: زعماء القوم وأفاضلهم.

(٢) عنى بهذا البيت الرسول محمّد ﷺ.

(٣) أسيد: هو إبن أبي العاص بن أميّة.

فأيّده ربُّ العبادِ بنصره وأظهرَ ديناً حقُّه غيرُ ناصِلِ
لقد علموا أنّ ابننا لا مُكَذَّبٌ لديهم، ولا يُعنى بقولِ الأباطِلِ
رجالٌ كرامٌ غيرُ ميلٍ نماهُمُ إلى العِزّ آباءٌ كرامُ المخاصِلِ[1]

ومنها قوله:

سَيَعْلَمُ أهلُ الضِغْنِ أيّ وأيّهم يفوزُ ويعلو في ليالٍ قلائِلِ
وأيّهُمُ منّي ومنهم بسيفِهِ يُلاقي إذا ما حانَ وقتُ التنازُلِ
فأصبح منّا أحمدٌ في أُرُومَةٍ تُقصّر مِنها سَورةُ المُتطاولِ
كأنّي بهِ فوقَ الجِيادِ يقودُها إلى معشرٍ زاغوا إلى كُلِّ باطلِ
وجُدتُ بنفسي دُونَه وحَميتُه ودافَعْتُ عنهُ بالطُّلىٰ والكلاكِلِ
كما قد أُري في اليومِ والأمسِ جَدُّهُ ووالِدُه رؤياهما خيرُ آفلِ

قال الغفاري: هذه الأبيات الأخيرة فيها تنبوءات أبي طالب فيما يؤول إليه محمّد ﷺ من العزّ والسؤدد والشرف.

قال إبن كثير: هذه قصيدة عظيمة بليغة جدّاً لا يستطيع أن يقولها إلّا من نسبت إليه، وهي أفحل من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعها.[2]

مصادر القصيدة اللاميّة:

سيرة إبن إسحاق: ١٥٦، المغازي للواقدي: ١ / ٧٠، سيرة إبن هشام: ١ / ٢٩١، تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٥، أعلام النبوة: ١٧٢، البداية والنهاية: ١ / ١٥٤ و٢ / ١٧٨ و٢٣٦ و٣ / ٥١ و٦ / ٤٦ و٩٣ و٢٦٩، السيرة النبويّة للذهبي: ٢٥، الخصائص الكبرىٰ: ١ / ١٤٦، السيرة الحلبية: ١ / ١٠٩، صحيح البخاري: ٢ / ٧٥، سنن إبن ماجة: ١ / ٤٠٥، دلائل النبوة: ٦ / ١٤١، النهاية لابن الأثير: ١ / ١٢٥ و٢٢٢ و٢ / ٢٦٦ و٣ / ٣٤٩ و٥ / ٧٢، الكامل في التاريخ: ٢ / ١٢٥ و١٠ / ٤٤١، شرح

---

(١) المخاصل: جمع مِخْصَل، وهو السيف القاطع.

(٢) الأدب السياسي في صدر الإسلام: ص ٦٣، وتاريخ إبن كثير: ٥ / ٥٧.

النهج لابن أبي الحديد: ٣/ ٢٥٨ و٢٥٩ و١١/ ١١٦ و١٤/ ٦٢ و٧٩ و٨٠ و١٥/ ٢٨٤، الروض الآنف للسهيلي: ٢/ ١٣، المغني: ١/ ١٨٠، شرح شواهد المغني: ١/ ٣٩٥/ ١٩٧، الأغاني: ١٨/ ٢٠٦.

شعره عليه السلام

استطيع أن أوجز الكلام في شعر أبي طالب بمنقبة دلّل عليها عمر بن الخطاب.

عن الحسن بن جمهور العمّي البصري، يرفعه، قال: أنشد عمر بن الخطاب قول زهير بن أبي سلمى:

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ... ليخفى ومهما تكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ... ليوم الحساب أو يعجل فينقم

فقال عمر بن الخطاب: ما رأيت جاهلياً أعلم بالحكم من زهير، ولو قلت: إنّ شعره شعر مؤمن يدخل الجنّة لإقراره بالبعث والنشور لقلت حقّاً.

هذا بيان عمر أنّه يسمع بيتي شعر لزهير في أحدهما ذكر الحساب، فيقطع له بالجنّة، ولا يرتاب، مع شهادته عليه أنّه جاهلي لم يدرك الإسلام، ولم يعرف الإيمان، وهذا أبو طالب له ديوان شعر يضاهي شعر زهير جميعه في الكم والكيف، بل يزيد عليه إذ صرّح أبو طالب عليه السلام بإيمانه بالله وبالنبيّ صلى الله عليه وآله ورسالته وبمن سبقه من الأنبياء، والكتب وأن شعره تظمّن ذكر المعاد والحساب والجنّة و....

فأي مقياس هذا الذي زرعه الخليفة واقتفى أثره المعاندون بنو أميّة الذين نصبوا العداء لبني هاشم وكادوا الإسلام وحاربوا الرسول صلى الله عليه وآله ثمّ يكون هؤلاء الأعداء سادات البرية...!

كيف ينجو أولئك من النار ـ وليس لهم مأثرة تذكر ـ ولا ينجو حامي الرسول وكفيله في طيلة حياته، وفترة نبوته التي عاصرها أبو طالب فكانت عشرة سنين ثمّ رحل من بعدها إلى الرفيق الأعلى.

أترى حاتم الطائي يدفع عنه العذاب لجوده، أم ترى كسرى ينفعه عدله و....

ولا تنفع أبا طالب جهوده وجهاده بين يدي رسول الله ﷺ وذبّه عنه، وتعريضه أولاده للقتل دونه و....

فهل كان مقام أبي طالب ﷺ أسوء مقام وأسوء حالٍ من كسرى وحاتم، في حين أنّ لكلّ واحد منهما صفة واحدة، وفي هذه الصفة يشترك العشرات، بل مئات الناس مع كسرىٰ وحاتم، ثمّ إنّ صفة العدل أو صفة الكرم، لم يخلُ أبو طالب منها ومن أمثالها من الصفات بل كان يحمل من المآثر الحميدة والخصال الكريمة ما لم تكن في غيره قطّ.

وممّا يؤكّد الذي تقدّم الشعر الذي بأيدينا.

قال إبن شهر آشوب في متشابه القرآن في سياق تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾[1]: إنّ أشعار أبي طالب الدالّة على إيمانه تزيد على ثلاثة آلاف بيت يكاشف فيها من كاشف النبيّ الكريم ويصحّح نبوّته.[2]

وقال إبن أبي الحديد، بعد ذكر جملة من أشعار أبي طالب: فكلّ هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر، لأنّه إن لم يكن آحادها متواترة فمجموعها يدلّ على أمر واحد مشترك، وهو تصديق محمّد ﷺ....[3]

وقفة بين شاعرين

روى علماء الجمهور في مصادرهم عن النبيّ ﷺ أنّه قال عن أميّة بن أبي الصلت: إنّه كاد أن يسلم في شعره.[4]

---

(١) الحج: ٤٠.

(٢) أسنى المطالب (هامش): ص ١٢، أبوطالب ﷺ بطل الإسلام: ص ٧٧.

(٣) شرح النهج: ٢ / ٣١٥.

(٤) صحيح مسلم: ٧/ ٤٨ـ٤٩، الأغاني لأبي الفرج: ٣ / ١٩٠، ط ساسي. التراتيب الإدارية: ١ / ٢١٣.

أنظر إلى ما قاله صلى الله عليه وآله: إنّه كاد أن يسلم ـ أميّة بن أبي الصلت ـ وذلك لمجرد سماعه بيتاً من شعره، بينما ديوان أبي طالب عليه السلام من أوّله إلى آخره، وكلّ ما جاء فيه إنّما هو في الإقرار والإعتراف بنبوة محمّد صلى الله عليه وآله وفي الإذعان للدين الحنيف، وإعلان الشهادة لله بالوحدانية ولنبيّه بالرسالة، ألا يكون ذلك دليلاً كافياً للقوم حتى يذعنوا للواقع ويجزموا بإيمان أبي طالب عليه السلام؟!

فماذا تفسّر هذا الفارق فيمن يذهب إلى إسلام أبي سفيان، وزيد بن عمرو بن نفيل ـ إبن عمّ عمر بن الخطاب ـ وإبنه سعيد بن زيد، وصفوان بن أميّة، وهو في نفس الوقت لم يذهب إلى إيمان أبي طالب عليه السلام؟!

فهذا أبو سفيان ما زال حرباً على الرسول محمّد صلى الله عليه وآله طيلة حياته وزعيماً للمشركين، وما أعلن إسلامه إلّا خوفاً من ذهاب المصالح ونعيم الدنيا، فما انفك يكيد للإسلام والمسلمين في السرّ والخفاء، بل حتى في العلن، فهو ما زال كهفاً للمنافقين يتحيّن الفرص للإطاحة بالدين الحنيف بأي ثمن كان.

هكذا تجد القوم اعمتهم العصبية؛ فهم يحكمون لأولئك بالإسلام وهم لم يدركوه، أو أدركوه ولم يسلموا، أو اظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر.

ثمّ يصرّون ـ فيما يكتبون ويروون ـ على كفر أبي طالب عليه السلام الذي ما فارق التوحيد لحظة واحدة، فهو في أفعاله وسيرته ومواقفه وشعره يعلن بملىء فيه أنّه على دين الأشياخ، ودين عبد المطلب وأنّ دين محمّد صلى الله عليه وآله خير أديان البريّة ديناً، وأنّ محمّداً هو الصادق فيما يخبر، وهو الأمين و....

قال الغفاري: هناك وجه شبه بين حال أبي طالب عليه السلام مع الأمويين وأشياعهم، وبين حال النبيّ صلى الله عليه وآله مع المشركين.

المشركون قالوا يا محمّد صلى الله عليه وآله: ﴿... لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيراً، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ

﴿فِي السَّماءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتّٰى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ...﴾.(١)

هذا حال المشركين من النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله.

وهكذا حال الأمويين ومن شايعهم قالوا: لن نقرّ بإيمان أبي طالب عليه السلام مهما كانت الشواهد والأدلّة والآيات والأحاديث، بل حتى لو نصّ عليه الرسول محمّد صلى الله عليه وآله، بل لو اطبقت السماء على الأرض، فموقفنا من أبي طالب عليه السلام لا يتغيّر أبداً.

أقول: وما موقفهم ذاك إلّا صورة واضحة من حقدهم الدفين وبغضهم للوصي علي عليه السلام، وما ذنب أبي طالب عليه السلام إلّا لأنّ ولده الذي وتر صناديد العرب، وأباد زعماء المشركين، قد اختاره الله وصيّاً لنبيّه وخليفة من بعده.

قال الغفاري: إذا عرفت هذا المقدار من عِداء بني أميّة للنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وللإسلام فعليك أن تعرف جيّداً سيرة زعيمهم ـ أبي سفيان ـ كي تقف على إسلامه حقّاً لا كما يدّعون.

قال جمهور السنّة: لم يزل أبو سفيان يدّعي الإسلام إلاّ أنّه يبطن الكفر، وموقفه مكشوف، وكفره صريح ومشهور، ذلك لمّا سار النبيّ صلى الله عليه وآله لفتح مكة فأتى به العباس بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أردفه، وذلك أنّه صديقه ونديمه في الجاهلية ... جاء به ليسلم ولكن أبى الإذعان إلى الرسول صلى الله عليه وآله وكلمته مشهورة، قال له النبيّ صلى الله عليه وآله: يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنّي رسول الله؟

فقال أبو سفيان: أمّا هذه ففي النفس منها شيء.

فقال له العباس: ويلك إشهد لشهادة الحقّ قبل أن تضرب عنقك....

هذا حديث إسلامه، وهذا الذي يذهب إليه الخصم أنّه شيخ قريش نعم، شيخها في كفره ونفاقه....

---

(١) سورة الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣.

وفي خبر عبد الله بن الزبير إنّه رآه يوم اليرموك قال: فكانت الروم إذا ظهرت[١] قال أبو سفيان: إيهٍ بني الأصفر فإذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان:

وبنو الأصفر الملوك ملوك الر ... وم لم يبق منهم مذكور

فحدّث به أباه الزبير فلمّا فتح الله على المسلمين فقال الزبير: قاتله الله يأبى إلّا نفاقاً أو لسنا خيراً من بني الأصفر.[٢]

هذه شهادة الزبير بن العوام في نفاق أبي سفيان، أنّه كان يحرّض النصارى ـ الروم ـ على المسلمين، فهل تعتقد بعد كلّ ذلك أنّه أسلم؟!!

وكان يوم بويع أبو بكر يثير الفتن ويقول: إنّي لأرى عجاجة لا يطفئها إلّا دم، يا آل عبد مناف.

فيم أبو بكر من أموركم، أين المستضعفان؟

أين الاذلّان عليٌّ وعباس؟

ما بال هذا الأمر في أقلّ حيّ من قريش؟

ثمّ قال لعليّ عليه السلام: أبسط يدك أبايعك، فوالله لئن شئت لاملأنّها عليه خيلاً ورجلاً، ثمّ تمثّل بشعر المتلمس:

ولن يقيم على خسفٍ يُراد به ... إلّا الأذلّان غير الحيّ والوتد

هذا على الخسفِ مربوط برمّته ... وذا يشجّ فلا يبكي له أحد

فزجره عليّ عليه السلام وقال: والله ما أردت بهذا إلّا الفتنة وإنّك والله طالماً بغيت للإسلام شرّاً، لا حاجة لنا في نصحك.[٣]

وفي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾.[٤]

---

(١) أي إذا غلبت في سوح القتال.

(٢) الإستيعاب لابن البرّ: ٤ / ١٦٧٩، أسد الغابة: ٥ / ١٤٩، الكامل لابن الأثير: ٢ / ٤١٤، أحاديث أم المؤمنين، للعسكري: ١ / ٢٩٢.

(٣) الكامل لابن الأثير: ٢ / ٣٢٦، ط دار صادر، بيروت ١٩٦٥م.

(٤) سورة الإسراء: ٦٠.

قال الطبري: رأى النبيّ صلى الله عليه وآله في منامه أنّ بني أميّة ينزون علـى مـنبره نـزو القردة والخنازير، فاغتم رسول الله صلى الله عليه وآله لهذه الرؤيا. فما رؤي النبيّ صلى الله عليه وآله بـعدها ضاحكاً طيلة حياته صلى الله عليه وآله من يوم رآهم ينزون على منبره.(١)

فبنو أميّة هي الشجرة الملعونة المتمثّلة بأبي سفيان وذريته الفاسدة.

وعن طريق إبن المبارك عن الحسن: إنّ أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه فقال: صارت إليك بعد تيم وعدي ـ أي بعد أبي بكر وعمر ـ فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أميّة، فإنّما هو الملك، ولا أدري ما جنّة ولا نار.

فصاح به عثمان: قم عنّي فعل الله بك وفعل....(٢)

في الدر المنثور بإسناده عن إبن المسيب قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أُريت بني أميّة يصعدون منبري فشق ذلك علي، فأنزل الله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، في معنىٰ الآية عن الترمذي وإبن جرير والطبراني وإبن مردوية والبيهقي في كتبهم وفي غيرها من المصادر، أنّ الله تعالى سلّى نبيّه بإعطاء ليلة القدر، وجعلها خيراً من ألف شهر وهي مدّة ملك بني أميّة.(٣)

وفي الإصابة، قال إبن حجر يصف أبا سفيان: كان رأس المشركين يوم أحد ويوم الأحزاب.

وقال إبن سعد في إسلامه لمّا رأى الناس يطؤن عقب رسول الله صلى الله عليه وآله حسده فقال في نفسه: لو عاودت الجمع لهذا الرجل. فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله في صدره ثمّ قال: إذن يخزيك الله. وفي رواية قال في نفسه: ماأدري لِمَ يغلبنا محمّد؟

---

(١) أنظر: تفسير الطبري: ١٥ / ٧٧، تاريخ الطبري: ١١ / ٣٠٦، تاريخ بغداد: ٩ / ٤٤ و٨ / ٢٨٠، وتفسير النيسابوري (هامش الطبري): ١٥ / ٥٥، وتفسير القرطبي: ١٠ / ٢٨٣، النزاع والتخاصم: ص ٥٢، وأسد الغابة: ٣ / ١٤، والخصائص الكبرى: ٢ / ١١٨، وتفسير الخازن: ٣ / ١٧٧.

(٢) الإستيعاب: ٢ / ٦٩٠.

(٣) تفسير الميزان: ٢٠ / ٣٣٤.

فضرب في ظهره وقال: بالله يغلبك.[١]

وفيه وفي إبنه معاوية قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: معاوية طليق إبن طليق، حزب من هذه الأحزاب، لم يزل لله عزّ وجلّ ولرسوله صلى الله عليه وآله وللمسلمين عدوّاً هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين.[٢]

علماء وكتاب يتصدّون للدفاع عن أبي طالب عليه السلام منذ القرن الثالث الهجري

بين آونة وأخرى تسمع من هنا وهناك أصواتاً مبحوحة تعلو في هراشها للنيل من مقام أبي طالب عليه السلام والطعن فيه، فكانت تلك الأصوات تخنس أحياناً وتعلو أخرى، وما ذاك إلّا للطعن في وليد الكعبة أخي رسول الله صلى الله عليه وآله وخليفته من بعده، فكلّما امتدّ نور أهل البيت عليهم السلام في الأصقاع والبلدان، وعلا لأحفاد الرسول ضوء يجلي القلوب والأرواح تجد صرخات المأجورين تعود ثانية لتكون حائلاً أمام هداية الناس... وقد مرّت السنون بل القرون وديدن الخصم أن يقتفي سيرة إبن آكلة الأكباد وما سنّه للناس من بدع وأحقاد وأوهام، لهذا ولأسباب موضوعية نهض في كلّ عصر طائفة من العلماء الغيارى وأصحاب العدل والإنصاف من المذاهب الإسلامية يذبّون عن حريم الإسلام ورجاله المؤمنين المجاهدين، الذين أوقفوا حياتهم في نصرة مبدأ التوحيد وارساء مبدأ الإيمان في النفوس، من خلال كتبهم التي ألّفوها، من هنا وجدت أن أضع بين يدي القاريء بعض أسماء تلك المصنّفات التي جادت بها قرائح قوم نذروا أنفسهم لإعلاء كلمة الحقّ والدفاع عن رموز الإسلام والمسلمين بما وسعهم المقام. فإليك عزيزي القاريء ما تيسّر لنا معرفته من تلك المؤلفات والذي لم نذكره فهو أكثر بكثير ممّا نورده في هذه القائمة.

---

(١) الإصابة: ٢/ ١٧٩، ترجمة ٤٠٤٦، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٢٨هـ.

(٢) تاريخ الطبري: ٥/ ٨، تحقيق محمّد أبو الفضل، بيروت، لبنان.

١ ـ أخبار أبي طالب وولده، الحافظ أبوالحسن علي بن محمّد بن عبد الله بن سيف المدائني الأخباري، المتوفّى سنة ٢١٥ هـ.

٢ ـ فضل أبي طالب وعبد المطلب وعبد الله، لسعد بن عبد الله الأشعري القمي، المتوفّى سنة ٢٩٩ هـ أو ٣٠١ هـ.

٣ ـ رتبة أبي طالب وقريش ومراتب ولده في بني هاشم، أبو الحسن النسابة، ألّفه سنة ٣١٠ هـ.

٤ ـ شعر أبي طالب وأخباره، أبو هفّان عبد الله بن أحمد المهزمي العبدي من شيوخ إبن دريد الأزدي ٣٢١ هـ.

٥ ـ إيمان أبي طالب، لأحمد بن محمّد بن عمّار الكوفي ٣٤٦ هـ.

٦ ـ إيمان أبي طالب، القاضي نعمان بن محمّد المصري ٣٦٣ هـ.

٧ ـ إيمان أبي طالب، علي بن حمزة البصري التميمي المتوفّى سنة ٣٧٥ هـ.

٨ ـ إيمان أبي طالب، لسهل بن أحمد بن عبد الله الديباجي البغدادي ٣٨٠ هـ.

٩ ـ أخبار أبي طالب وعبد المطلب وعبد الله وآمنة بنت وهب، محمّد بن علي بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق ت ٣٨١ هـ).

١٠ ـ إيمان أبي طالب، أحمد بن القاسم، المتوفّىٰ سنة ٤١١ هـ.

١١ ـ إيمان أبي طالب، محمّد بن محمّد بن النعمان (الشيخ المفيد ت ٤١٣ هـ).

١٢ ـ تيسير المطالب في أمالي أبي طالب، يحيى بن الحسين بن هارون الزيدي المتوفّىٰ سنة ٤٢٤ هـ.

١٣ ـ إسلام أبي طالب، عبد الرحمن بن أحمد بن حسين الخزاعي النيسابوري (ت ٤٤٥ هـ) وهو أخو محمّد الخزاعي صاحب كتاب منى الطالب (المتقدم).

١٤ ـ إيمان أبي طالب، أحمد بن محمّد بن أحمد بن طرخان الكندي الجرجائي ت ٤٥٠ هـ.

١٥ ـ منىٰ الطالب في إيمان أبي طالب، محمّد بن أحمد بن الحسين الخزاعي

النيسابوري، من أعلام القرن الخامس الهجري.

١٦ ـ البيان عن خيرة الرحمن في إيمان أبي طالب، علي بن بلال المهلبي الأزدي.

١٧ ـ الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب، شمس الدين فخار بن معد الموسوي ت ٦٣٠هـ.

١٨ ـ إيمان أبي طالب، أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسيني ت ٦٧٣هـ.

١٩ ـ بغية الطالب لإيمان أبي طالب وحسن خاتمته، جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ.

٢٠ ـ إيمان أبي طالب، السيد حسين المجتهد الكركي ت ١٠٠١هـ.

٢١ ـ بغية الطالب لإيمان أبي طالب، محمّد بن رسول البرزنجي الشافعي، ألّفه سنة ١٠٨٨هـ (ت سنة ١١٠٣هـ).

٢٢ ـ بغية الطالب في بيان أحوال أبي طالب وإثبات إيمانه وحسن عقيدته، محمّد بن حيدر بن نور الدين علي الموسوي الحسيني العاملي، فرغ من تأليفه سنة ١٠٩٦هـ.

٢٣ ـ ضياء الدين، الشريف أبو الحسن الفتوني (ت ١١٣٨هـ) مخطوط في ثلاثة أجزاء، الجزء الثاني منه فصل فيه عن إيمان أبي طالب عليه السلام.

٢٤ ـ الياقوتة الحمراء في إيمان سيد البطحاء، السيد طالب الحسيني آل علي خان المدني، الشهيد بالخراسان، (مخطوط).

٢٥ ـ فصاحة أبي طالب، الناصر الحسن بن علي الملّقب بالاطروش.

٢٦ ـ إرشاد الهارب من صحة إيمان الأقارب، هاشم بن يحيى بن أحمد الحسيني الشامي الصنعاني (ت ١١٥٨هـ).

٢٧ ـ إثبات إسلام أبي طالب، محمّد معين بن محمّد أمين بن طالب الهندي الحنفي، ت ١١٦١هـ.

٢٨ـ إسلام أبي طالب، أمين الدين محمّد الموسوي الزنجاني ت ١٢٩٢هـ.

٢٩ـ أبو طالب (عليه السلام)، للسيد أحمد خيري الحسني الحنفي.

٣٠ـ إيمان أبي طالب وأحواله وأشعاره، ميرزا محسن إبن ميرزا محمّد التبريزي من علماء القرن الثالث عشر، والمعروف بـ(بالا مجتهد) القره داغي.

٣١ـ أسنى المطالب في نجاة أبي طالب، سيد أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية بمكّة ١٣٠٤هـ.

٣٢ـ بغية الطالب في إيمان أبي طالب، محمّد عباس إبن السيد علي أكبر الموسوي التستري القاضي الهندي ١٣٠٦هـ.

٣٣ـ منية الطالب في إيمان أبي طالب، السيد حسين الطباطبائي الحائري ١٣٠٧هـ.

٣٤ـ مقصد الطالب في إيمان آباء النبيّ وعمّه أبي طالب، ميرزا محمّد حسين الگرگاني، طبع في بمبي سنة ١٣١١هـ.

٣٥ـ فيض الواهب في نجاة أبي طالب، محمّد فيض الجوررومي الحنفي ١٣٢٧هـ.

٣٦ـ أبو طالب شيخ بني هاشم، عبد العزيز سيد الأهل.

٣٧ـ الرغائب في إيمان أبي طالب، السيد مهدي الغريفي البحراني.

٣٨ـ القول الواجب في إيمان أبي طالب عليه السلام، محمّد علي إبن ميرزا جعفر علي الفصيح الهندي.

٣٩ـ شيخ الأبطح (أبو طالب)، محمّد علي آل شرف الدين العاملي الموسوي، بغداد ١٣٤٩هـ.

٤٠ـ مواهب الواهب في فضائل أبي طالب، الشيخ جعفر إبن الحاج محمّد النقدي ١٣٧٠هـ.

٤١ـ الشهاب الثاقب لرجم مكفّر أبي طالب (مخطوط)، ميرزا نجم الدين إبن

ميرزا محمّد الطهراني ١٣٩٥هـ.

٤٢ـ أبو طالب عليه السلام وبنوه، السيد محمّد علي السيد علي خان ١٣٩٠هـ.

٤٣ـ أبو طالب عليه السلام حامي الرسول وناصره، نجم الدين العسكري.

٤٤ـ أبو طالب عليه السلام مظلوم تاريخ، عبد الحسين الأميني.

٤٥ـ منية الراغب في إيمان أبي طالب، محمّد رضا الطبسي.

٤٦ـ زهرة الأدباء في شرح لامية شيخ البطحاء، الشيخ جعفر النقدي.

٤٧ـ إسلام أبي طالب، السيد حسن بن إبراهيم شبّر الحسيني النجفي المولود سنة ١٣٤٨هـ.

٤٨ـ منية الطالب في حياة أبي طالب عليه السلام، السيد حسن إبن السيد علي القبانجي النجفي، الشهيد سنة ١٤١١هـ.

٤٩ـ أبو طالب مؤمن قريش، عبد الله الخنزي القطيفي (معاصر).

٥٠ـ أبو طالب عملاق الإسلام الخالد، الشيخ محمّد علي اسبر (معاصر).

٥١ـ إسلام أبي طالب، لبيب بيضون (معاصر).

٥٢ـ إسلام أبي طالب، السيد مهدي مكّي والأستاذ كناز الأثقر والأستاذ بشير الخياط.

٥٣ـ أبو طالب عليه السلام كفيل الرسول صلى الله عليه وآله، سعيد عسيلي (ملحمة شعرية).

الفصل العاشر

أبو طالب ﵇ وحديث المعراج

* حديث المعراج
* هل المعراج كان مرّة واحدة؟
* زمن الإسراء
* مبدأ الإسراء (مكانه)
* ما قيل في المعراج
* الأماكن التي أسري إليها
* الإسراء بالروح والجسد
* تعدد العروج لجهات...
* المعراج وفرض الصلاة
* سبب الإسراء
* يا محمّد ﷺ سل الرسل علىٰ ماذا أرسلهم الله؟
* أبو طالب ﵇ يستنفر بني هاشم لمّا افتقد النبيّ ﷺ (ليلة أسري به)
* هل أنّ عام الحزن كان سبباً في إسراء النبيّ ﷺ؟

حديث المعراج

حديث الإسراء والمعراج متّفق عليه عند جميع المذاهب الإسلاميّة لِما جاء في القرآن الكريم من التصريح به في كلّ من: سورة الإسراء (آية ١ـ١٧) وسورة النجم (آية ٥ـ١٨) وسورة الزخرف (آية ٤٥).

أمّا الروايات المبثوثة في مصادر المسلمين: لو جمعت في كتاب لكانت عدّة مجلّدات.

هل المعراج كان مرّة واحدة أم أكثر؟

من مسلّمات عقائدنا أنّ المعراج حصل للنبيّ ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ثمّ إلى السماوات، وهذا ما صرّح به القرآن الكريم في أكثر من آية كما تقدّم.

وربّ سائل يقول: كم مرّة عرج بالرسول ﷺ إلى السماء؟

قال العيني في عمدة القاريء: قيل إنّ الإسراء كان مرّتين....[1]

ومنهم قال: إنّه أربع إسراءات.

أمّا أبو شامة من علماء العامة استطاع أن يجمع روايات حديث الإسراء ليقول بالتعدد، فقال: كان الإسراء مرّة من مكة إلى بيت المقدس فقط على البراق، ومرّة من مكة إلى السماوات على البراق أيضاً، ومرّة من مكة إلى بيت المقدس ثمّ إلى السماوات.

وعن إبن عباس أنّ المعراج كان مرّتين، مرّة من المسجد الحرام، ومرّة من بيت أم هانيء: ليلة الإثنين في شهر ربيع الأوّل بعد النبوة ـأي بعد المبعث ـ بسنتين،

---

(١) عمدة القاريء: ٤/ ٣٩، ومجمع البحرين: ٣/ ١٤٨.

فالأوّل معراج العجائب، والثاني معراج الكرامة.[١]

وفي العديد من مصادرنا المعتبرة وبسند صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام قال: عُرج بالنبيّ صلى الله عليه وآله إلى السماء مائة وعشرين مرّة، ما من مرّة إلّا وقد أوصى الله النبيّ صلى الله عليه وآله بولاية علي والائمة من بعده، أكثر ممّا أوصاه بالفرائض.[٢]

وقد عرفت ممّا سبق أنّ علماء العامة ومحدّثيهم اقرّوا أنّ المعراج قد حدث للنبيّ صلى الله عليه وآله مرّات عديدة.

ويؤيّد ذلك أنّ أحاديث المعراج لا يمكن تفسيرها إلّا بتعدده.

وممّا يؤكّد قولنا المتقدّم في تعدد المعراج هو:

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حيث أسري به إلى السماء، لم يمرّ بخلق من خلق الله إلّا رأى منه ما يحبّ من البِشر واللطف والسرور به، حتى مرّ بخلق من خلق الله فلم يلتفت إليه، ولم يقل له شيئاً، فوجده قاطباً عابساً، فقال: يا جبرئيل، ما مررت بخلق من خلق الله إلّا رأيت البِشر واللطف والسرور منه إلّا هذا، فمن هذا؟

قال: هذا مالك خازن النار، وهكذا خلقه ربّه!

قال صلى الله عليه وآله: فإنّي أحبّ أن تطلب إليه أن يريني النار.

فقال له جبرئيل: إنّ هذا محمّد رسول الله، وقد سألني أن أطلب إليك أن تريه النار.

قال: فأخرج له عنقاً منها فرآها، فما افترّ ضاحكاً حتى قبضه الله عزّ وجلّ.[٣]

قال الغفاري: نفهم من هذه الرواية أنّ هذا المعراج كان في المدينة، وفي أواخر حياة النبيّ صلى الله عليه وآله حيث بعد هذا المعراج لم يُرَ ضاحكاً حتى توفّي، بينما معراجه الأوّل

---

(١) ينظر: مناقب آل أبي طالب عليه السلام: ١/١٥٣.

(٢) الخصال: ص ٦٠٠، وبصائر الدرجات: ص ٩٩، والمحتضر: ص ٤٤.

(٣) أمالي الصدوق: ص ٦٩٦، وكتاب الحسين بن سعيد: ص ٩٩، وفيه: فكشف له طبقاً من أطباقها.

كان في مكة أوائل البعثة، وقد رؤي فيها ضاحكاً وفي مناسبات عديدة لا تحصى.

زمن الإسراء

لما كان مختارنا في المعراج هو التعدد إذن لا طائل في بحث الأزمان التي تشرّفت بهذا الحدث الرباني العظيم، فهو من معجزات النبيّ ﷺ ومن كرامته على الله سبحانه وتعالى، كما أنّ له نتائج وأهدافاً عديدة قد نشير إلى بعضها في بحوثنا اللاحقة.

ومع هذا المختار الذي نحن عليه سنذكر طائفة من الروايات التي صرّحت بزمن العروج.

قال مغلطاي بعد ما ذكر بعض الأقوال: وقيل كان بعد النبوة بخمسة أعوام.

وقيل: بعام ونصف عام.

وقال عياض: بعد مبعثه بخمسة عشر شهراً.[١]

وقال ملا علي القاري: وذكر النووي أنّ معظم السلف وجمهور المحدّثين والفقهاء على أنّ الإسراء والمعراج كان بعد البعثة بستة عشر شهراً.[٢]

وقال الديار بكري: فأمّا سنة الإسراء فقال الزهري: كان ذلك بعد المبعث بخمس سنين. وبه قال كلّ من القاضي عياض، والنووي، ورجّحه القرطبي.[٣]

الإسراء سنة خمس أو ستّ من الهجرة

سُئل النووي عن الإسراء وصورته: هل ثبت أنّ النبيّ ﷺ صلّى بالأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ببيت المقدس أم لا؟ وهل كانت الصلاة قد وجبت؟

---

(١) سيرة مغلطاي: ص ٢٧.

(٢) شرح الشفا للقاري: ١ /٢٢٢.

(٣) تاريخ الخميس: ١ /٣٠٧.

وهل هي الصلاة المعهودة أم الدعاء؟ وهل كان الإسراء في المنام أو اليقظه؟ وهل كان مرّة أو مرّتين؟ وهل رأىٰ النبيّ صلى الله عليه وآله ربّه سبحانه ليلة الإسراء بعيني رأسه أم لا؟ ومتى كان الإسراء.

فأجاب: نعم ثبت أنّ نبيّنا صلى الله عليه وآله صلى بالأنبياء صلوات الله عليهم ليلة الأسراء، ببيت المقدس، ثمّ يحتمل أنّه كان قبل صعوده إلى السماء، ويحتمل أنّه بعد نزوله منها، واختلف العلماء في هذه الصلاة، فقيل: أنّها صلاة لُغوية وهي الدعاء والذكر، وقيل: هي الصلاة المعروفة وهي أصحّ، لأنّ اللفظ يحمل على حقيقته الشرعية قبل اللغوية وإنّما يحمل على اللغوية إذا تعذّر حمله على الشرعية، ولم يتعذّر هنا، فوجب الحمل على حقيقته الشرعية، هي الصلاة المعروفة. وكانت الصلاة واجبة قبل الإسراء، وكان الواجب قيام الليل كما نصّ الله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ، قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً، نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**﴾، ثمّ نسخ قيام الليل ليلة الإسراء، ووجبت فيها الصلوات الخمس.

وكان الإسراء سنة خمس أو ستّ من النبوّة، وقيل سنة إثنتى عشرة منها، وقيل بعد سنة وثلاثة أشهر، وقيل غير ذلك. وكان ليلاً، ليلة السابع والعشرين من رجب الفرد، وكان الإسراء مرّتين... الخ.[(١)]

والذي ذهب إليه القاضي عياض هو بعد المبعث بخمس سنين،[(٢)] وهو الأشبه وعليه جمع غفير من الفقهاء والمسلمين الأوائل.

أمّا صاحب الخرائج والجرايح فقد أورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّ الإسراء كان بعد ثلاث سنين من مبعثه.[(٣)]

---

(١) السراج الوهّاج، أبو سفيان محمّد بن إبراهيم (ت ٨١٩هـ): ص ١٩، مكتبة الإعتصام.

(٢) السراج الوهّاج: ص ٢٦.

(٣) البحار: ١٨ / ٣٧٩.

بينما يذهب إبن عباس إلى أنّ ذلك كان بعد البعثة بسنتين.[١]

الإسراء بعد البعثة بعام ونصف

قال محمّد بن إبراهيم النعماني الشافعي (ت ٨١٩هـ): وأمّا قول عائشة: ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وآله، فعائشة لم تحدّث به عن مشاهدة، لأنّها لم تكن حينئذٍ زوجة، ولا في سن من يضبط، ولأنّها لم تكن ولدت بعد، على الخلاف في الإسراء متى كان. فإنّ الإسراء كان في أوّل الإسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد البعث بعام ونصف عام. وكانت عائشة في الهجرة بنت نحو ثمان سنين، فإذا لم تشاهد ذلك عائشة، دلّ ذلك على أنّها حدّثت به عن غيره صلى الله عليه وآله.[٢]

ومن بين الآراء نجد قولاً لإبن شهر آشوب، قال: ثمّ فرضت الصلوات الخمس بعد إسرائه في السنة التاسعة من نبوّته صلى الله عليه وآله.[٣]

مبدأ الإسراء (مكانه)

كما في صريح القرآن الكريم أنّه كان من المسجد الحرام، قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى...﴾.[٤]

وقول أم هاني بنت أبي طالب عليها السلام: ما أُسري بالنبيّ صلى الله عليه وآله إلّا وهو في بيتي تلك الليلة[٥] وهو عليه أكثر المفسّرين، ومنهم السدّي والواقدي.

وبعض الأقوال يدل على أنّه عرج به من منزله حيث فرج سقف بيته وهو

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢٦، والمناقب لإبن شهر آشوب: ١/ ١٧٧.

(٢) السراج الوهّاج: ص ١١، مكتبة الإعتصام، القاهرة.

(٣) المناقب لإبن شهر آشوب: ١/ ٤٣.

(٤) سورة الإسراء: ١٧.

(٥) أخرجه مسلم في الإيمان عن أم هانيء.

بمكة، قال صلى الله عليه وآله: «فرج سقف بيتي».[١]

ونقل عنه صلى الله عليه وآله: بينا أنا في المسجد الحرام عند البيت في الحطيم أو في الحجر....[٢]

وقول يدلّ على أنّه عرج به من الأبطح؛ كما في سعد السعود لابن طاووس.

قال بعضهم: ليس بين قوله صلى الله عليه وآله: «بينا أنا في المسجد الحرام»، وبين قوله: «في بيتي» أو «بيت أم هانيء» تناف[٣].

وقال بعضهم: أنّه عرج به من شعب أبي طالب عليه السلام.[٤]

وهناك أقوال أخر.

نستظهر من المجموع أنّ الإسراء والمعراج وقع مراراً، ويؤيده ما رواه الشيخ الصدوق رحمه الله باسناده عن الإمام الصادق عليه السلام: أنّه عرج رسول الله صلى الله عليه وآله مائة وعشرين مرّة.[٥]

وفي السيرة الحلبية، روى الحاتمي: أنّه عرج برسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثين مرّة.[٦]

وروي عن إبن الوليد بالاسناد إلى أبي الصباح المزني عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: عرج بالنبيّ صلى الله عليه وآله إلى السماء أكثر من مائة وعشرين مرّة.[٧]

وقال الديار بكري: والصحيح أنّ الإسراء كان في اليقظة بجسده وأنّه مرّات

---

(١) أخرجه البخاري في الصلاة، ومسلم في الإيمان عن أم هانيء. والخصائص الكبرىٰ للسيوطي: ١٦٦/١.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد عن أنس.

(٣) السراج الوهّاج: ص ٢٧.

(٤) طبقات إبن سعد: ١ / ٢١٤.

(٥) أنظر: كتاب علل الشرائع: ص ١٤٩، وفي الخصال: ٢ / ٢٣، والبحار: ١٨ / ٣٨٧، والصراط المستقيم للبياضي: ٢ / ٤٠.

(٦) أنظر: السيرة الحلبية: ١ / ٣٦٥.

(٧) الصراط المستقيم للبياضي: ٢ / ٤٠.

متعددة.[(١)]

مكان الإسراء

قال أكثر المفسّرين، أُسري به صلى الله عليه وآله من دار أم هانيء[(٢)] أخت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وكان النبيّ صلى الله عليه وآله نائماً (في تلك الليلة) في بيتها. وإنّ المراد بالمسجد الحرام هنا مكة، ومكة والحرم كلّها مسجد.

أمّا من قال بالعروج الروحاني دون الجسد وهكذا من قال بالعروج في منامه دون يقظته فهو واضح البطلان للأمور الآتية:

١ ـ إنّ كلمة سبحان ـ للتنزيه والتعظيم ـ لا تناسب أمر العروج في النوم، ولا تناسب العروج بالروح فحسب، فأي تعجب لهذا العروج وقد يحصل للغير أيضاً حيث الرؤيا والأحلام تحصل لكلّ فرد، فلا إعجاز في الأمر.

٢ ـ كلمة ـ أُسري ـ هي حقيقة في التسيير بالليل.

٣ ـ كلمة ـ بعبده ـ هي حقيقة في الروح والجسد.

٤ ـ لنريه، فلو كان الأمر في النوم لكان الأمر عادياً لأنّه يمكن حصوله لكلّ واحد من الناس. فلا معنىً للتعظيم أو الأعجاب.

٥ ـ الآيات الواردة في سورة النجم صريحة في أنّه صلى الله عليه وآله رأى جبرئيل عند سدرة المنتهى، عندها جنّة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربّه الكبرى.

وفي قوله ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ تصريح بأنّ ذلك لم يكن في النوم، بل كان في الشهود. أنّه صلى الله عليه وآله رآه رؤية صحيحة حقيقية.

٦ ـ إذا كان عروج النبيّ صلى الله عليه وآله ممتنعاً في صعوده من الأرض ـ مركز العالم ـ إلى ما

---

(١) تاريخ الخميس: ١/ ٣٠٧.

(٢) زوجها هبيرة بن أبي وهب المخزومي.

فوق العرش ـإلى السماء ـ في الليلة الواحدة فإنّ القول بنزول جبرئيل من السماء ـمن العرش ـإلى مكة في اللحظة الواحدة ممتنعٌ أيضاً. ولو حكمنا بهذا الإمتناع كان طعناً في نبوة جميع الأنبياء عليهم السلام.

٧ـ وبالنسبة إلى الحركة وسرعتها، فإنّ أرباب الملل جميعاً يسلّمون بوجود إبليس ويسلّمون أنّه هو الذي يتولّى إلقاء الوسوسة في قلوب بني آدم، فلمّا سلّموا جواز مثل هذه الحركة السريعة في حقّ إبليس فمن باب أولى أن يسلّموا جوازها في حقّ الأنبياء، كرفع عيسىٰ إلى السماء، وهكذا نبي الله إدريس عليه السلام وهبوط آدم من الجنّة، والتسليم في عروج النبيّ محمّد ﷺ وصعوده إلى السماء لا يختلف عن التسليم في شأن عيسىٰ وغيره من الأنبياء؛ هو تسليم واحد.

٨ـ وممّا يستدلّ بصحّة عروج النبيّ محمّد ﷺ ما صرّح به القرآن الكريم من إحضار عرش بلقيس من أقصى اليمن إلى أقصى الشام في مقدار لمح البصر، أنّها حركة واقعية.

٩ـ وممّا يستدلّ على تلك الحركة السريعة ما صرّح القرآن به في شأن الرياح كانت تسير بسليمان إلى المواضع البعيدة في زمن قليل، بل تلك الرياح كانت تنتقل عند شدّة هبوبها من مكان إلى مكان في غاية البعد في اللحظة الواحدة، وهذا يعني أنّ مثل هذه الحركة السريعة في نفسها ممكنة، فالذي حصل للنبيّ ﷺ في إسرائه ومعراجه إذن هو ممكن حسّاً وعقلاً، ولا يدفعه أي معترض.

ما قيل في المعراج

١ ـ كان ذلك بمكة؛ صلّى النبيّ ﷺ المغرب في المسجد ثمّ أُسري به في ليلته ثمّ رجع فصلّى الصبح في المسجد الحرام.

٢ ـ قال بعضهم: إنّ ذلك كان في النوم، وهذا ظاهر البطلان إذ لا معجز فيه ولا برهان.

٣ـ قال بعضهم: أنّه أُسري بروحه دون جسده.

أمّا الذين رووا حدث المعراج هم كثيرون من الصحابة، منهم: إبن عباس، إبن مسعود، أنس، جابر بن عبد الله، حذيفة، عائشة، أم هاني و....

والأخبار الواردة في قصّة المعراج هي على أربعة أقسام:

آ ـ ما يقطع على صحّته لتواتر الأخبار به والقطع بصحّته.

ب ـ ما ورد في كون المعراج حقيقة ثابتة ونقطع به على أنّه حصل في يقظة النبيّ ﷺ دون منامه، وهذا ما تجوّزه العقول.

ج ـ ما ورد في بعض الأخبار التي ظاهرها مخالفاً لبعض الأصول إلّا أنّه يمكن تأويلها بما يوافق العقل.

د ـ ما ورد في بعض الأخبار الذي لا تقبل التأويل إلّا بتعسّف لأنّ تلك الأخبار تخالف منطق العقل وتعارضها أخبار أخر.

الأماكن التي أُسري إليها النبيّ ﷺ (أو مروراً بها)

في خبر طويل يرويه الكليني في الكافي عن المفضل بن عمر لمّا كان عند أبي عبد الله الصادق ﷺ بالكوفة أيّام قدم على أبي العباس السفاح فلمّا انتهيا إلى الكناسة قال الإمام ﷺ: هاهنا صلب عمّي زيد ﷺ... إلى أن يذكر جملة من خطط الكوفة ومحالها، يقول المفضل فقلت له: إنّ مسجد الكوفة قديم؟

فقال: نعم، وهو مصلّى الأنبياء ﷺ ولقد صلّى فيه رسول الله ﷺ حين أُسري به إلى السماء، فقال له جبرئيل: يا محمّد هذا مسجد أبيك آدم ومصلّى الأنبياء ﷺ فصَلِّ فيه فنزل فصلّى فيه... ثمّ إنّ جبرئيل عرج به إلى السماء.(١)

إذاً الكوفة إحدى الأماكن التي أسري إليها النبيّ ﷺ.

---

(١) الكافي: ٨/ ٢٧٩.

وعرج به إلى بيت المقدس، وإلى بيت لحم في بعض الروايات، وإلى البيت المعمور و....

الإسراء بالروح والجسد

ورد في الآية الكريمة كلمة ﴿عَبْده﴾، وعبودية الإنسان لله سبحانه تكون مزيجة من الروح والجسد، لذا قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾، فلا يمكن التفكيك بين الروح والجسد لأنّ العبد وهو الإنسان مركب من حقيقتين هما الروح والجسد، لذا فإنّ الإسراء إنّما كان لهاتين الحقيقتين معاً، كما أنّ الإسراء كان في اليقظة وليس في المنام، وبهذا السفر رأى النبيّ ﷺ الملكوت الأعلى رؤية حقيقية. وعليه فإنّ كلمة عبد لا تطلق إلّا عند التقاء الروح والجسد.

من هنا جاء نقاش الكفّار وعلى رأسهم قريش فانكروا هذه الرحلة السماوية، لأنّ هكذا سفر في المقياس ـالزمني ـ الطبيعي يحتاج إلى مدّة شهر، فكيف حصل النبيّ ﷺ ذلك خلال ليلة واحدة؟!

لذا أنكروا على النبيّ ﷺ ما قاله وما أخبرهم به. أمّا نقاش البعض حيث ذهب إلى أنّ الإسراء كان في المنام.

فهذا ما لا يحتاج إلى نقاش، وهل يناقش النائم على ما يراه؟!

ولو كان مناماً لما استبعده الكفار ولا كذّبوه فيه، ولا أراد به ضعفاً من اسلم فافتتنوا به، إذ مثل هذه المنامات لا تنكر، بل لم يكن ذلك منهم إلّا وقد علموا أنّ خبره إنّما يكون عن جسمه في حال يقظته.

وربّ سائل يقول متى يتحقق العبد بالعبودية؟

جوابه متى سلّم القياد من نفسه إلى ربّه، وتبرأ من حوله وقوّته.

فالعبودية صفة العبد، وهي أصدق أسماء الإنسان، ولهذا سمّى الله به نبيّه في

أشرف الأحوال وهو الإسراء.

وعلى هذا فليس للمؤمن صفة أتمّ من العبودية، ولهذا أطلقها الله على نبيّه في أشرف المواطن بقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ...﴾ والعبودية أتمّ من العبادة لأرباب المشاهدات.

لِمَ تعدد العروج بالنبيّ محمّد ﷺ؟

إنّما هو لجهات:

١ ـ لجهة تعدد مكان العروج.

٢ ـ لجهة تعدد زمان العروج.

٣ ـ لجهة تعدد مركوب النبيّ ﷺ في سفر العروج.

٤ ـ لجهة المنتهى والمقصد، فمنها إلى بيت المقدس، ومنها أنّه صعد إلى السماوات السبع، ومنها أنّه صعد من المسجد الحرام إلى البيت المعمور.

قال الطبرسي: صلّى النبيّ ﷺ المغرب في المسجد الحرام ثمّ أُسري به في ليلته.(١)

وفي الخصائص: أنّه عرج به من الحِجْر.(٢)

وفي الطبقات: أنّه عرج به من شعب أبي طالب عليه السلام.(٣)

٥ ـ لبيان الغرض والهدف من العروج، كما قال تعالىٰ: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا...﴾.

---

(١) مجمع البيان، الطبرسي: ٦/ ٣٩٥.

(٢) الخصائص الكبرىٰ، السيوطي: ١/ ١٦٥.

(٣) طبقات إبن سعد: ١/ ٢١٤.

المعراج وفرض الصلاة

في روايات عديدة: أنّ الرسول صلى الله عليه وآله عُرج به في أوّل البعثة، وفي عُروجه فرضت عليه الصلاة.

سُئل الإمام الصادق عليه السلام: لأي علّة يجهر في صلاة الفجر وصلاة المغرب والعشاء الآخرة، وسائر الصلوات مثل الظهر والعصر لا يجهر فيها؟

ولأي علّة صار التسبيح في الركعتين الأخيرتين أفضل من القرآءة؟

قال عليه السلام في جوابه: لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لما أُسري به إلى السماء كان أوّل صلاة فرضها الله صلاة الظهر يوم الجمعة، فأضاف الله عزّ وجلّ إليه الملائكة تصلي خلفه، وأمر الله عزّ وجلّ نبيّه أن يجهر بالقراءة ليبيّن لهم فضله، ثمّ افترض عليه العصر ولم يضف إليه أحداً من الملائكة فأمره أن يخفي القراءة لأنّه لم يكن وراءه أحد ثمّ افترض عليه المغرب، ثمّ أضاف إليه الملائكة فأمره بالاجهار، وكذلك العشاء الآخرة. فلمّا كان قرب الفجر افترض الله عزّ وجلّ عليه الفجر وأمره بالإجهار ليبيّن للناس فضله كما بين للملائكة. فلهذه العلّة يجهر فيها....[1]

أقول: وهناك روايات عديدة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بُعث يوم الإثنين وصلّى علي عليه السلام خلفه يوم الثلاثاء.

فهل كانت هذه الصلاة التي صلّاها عليّ والنبيّ عليهما السلام في أوّل البعثة هي الصلاة المفروضة؟

أم أنّها كانت صلاة توحيد وشكر؟!

ممّا يبدو من بعض الروايات أنّ الصلاة الواجبة لم تكن فرضاً في اليوم الأوّل من البعثة، كما أنّ المعراج كذلك لم يكن في ذلك اليوم الأوّل من البعثة، لذا يمكن الجمع بين هذه الروايات، فتكون الصلاة المفروضة الواجبة على المؤمنين من حين عروج النبيّ صلى الله عليه وآله إلى السماء وصلاته بالأنبياء والملائكة جماعةً.

---

(١) علل الشرائع، الصدوق: ص ٣٢٢.

العروج وفَرض الصلاة في حياة خديجة عليها السلام

روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لما أُسري بي نزل جبرئيل عليه السلام بالبراق وهو أصغر من البغل وأكبر من الحمار مضطرب الأذنين عيناه في حوافره، خطوه مدّ بصره، له جناحان يحفزانه من خلفه، عليه سرج من ياقوت فيه من كلّ لون، أهدب العرف الأيمن، فوقف على باب خديجة عليها السلام، ودخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فمرح البراق، فخرج إليه جبرئيل، فقال له أسكن! فإنّما يركبك خير البشر، أحبّ خلق الله إليه فسكن.

فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فركب ليلاً وتوجّه نحو بيت المقدس، فاستقبل شيخاً فقال: هذا أبوك إبراهيم فثنى رجله وهمّ بالنزول. فقال جبرئيل كما أنت فجمع ما شاء الله من أنبيائه ببيت المقدس فأذّن جبرئيل فتقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله فصلّى بهم.(١)

نستدلّ من هذه الرواية وروايات أُخر أنّ الإسراء والمعراج حصل مرّات عديدة، فبعضه ليلاً ـ كما هو صريح القرآن ـ وبعضه من مكة، وبعضه من المدينة، وبعضه في السنة الثانية أو الثالثة من البعثة، وبعضه بعد الهجرة أو في أواخر حياة النبيّ صلى الله عليه وآله.

وروي أنّ المعراج وقع في السنة الرابعة بعد البعثة، وهو المروي عن الإمام الصادق عليه السلام وابن عباس، وسعد بن مالك، وسعد بن أبي وقّاص، وعمر بن الخطاب، وعائشة، من أنّه صلى الله عليه وآله قال لعائشة لمّا عاتبته على كثرة تقبيل فاطمة عليها السلام، قال: نعم يا عائشة لمّا أسري بي إلى السماء ادخلني جبرئيل الجنّة فناولني منها تفاحة فأكلتها فصارت نطفة في صلبي، فلمّا نزلت واقعت خديجة عليها السلام، ففاطمة عليها السلام من تلك النطفة، ففاطمة عليها السلام حوراء إنسية، وكلّما اشتقت إلى الجنّة قبّلتها.(٢)

---

(١) الخرايج للراوندي ١/ ٨٤.

(٢) تاريخ بغداد، للخطيب: ٥/ ٨٧، وميزان الإعتدال: ٢/ ٢٩٧، ومستدرك الحاكم: ٣/ ١٦٥، ومجمع الزوائد: ٩/ ٢٠٢، ونور الأبصار: ص ٤٤، والمواهب اللدنيّة: ٢/ ٢٩، وذخائر العقبى: ٣٦.

قال الغفاري: أجمعت مصادر الإماميّة علىٰ أنّ فاطمة عليها السلام قد ولدت بعد البعثة بخمس سنوات، والإسراء والمعراج كان قبل ذلك بأكثر من تسعة أشهر، كما في الرواية المتقدّمة.

ثمّ هناك أدلّة تؤكّد على أنّ المعراج كان قبل ولادة الزهراء، أي في حياة خديجة عليها السلام، منها:

أوّلاً: أنّ سورة الإسراء قد نزلت في أوائل البعثة. ويعزّز هذا الكلام ما رواه البخاري وغيره من أنّ قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا﴾.[1]

قد نزل بمكة ورسول الله صلى الله عليه وآله مختفي فيها، كان إذا صلّى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون سبّوا القرآن ومن أنزله، ومن جاء به.[2]

ومعلوم أنّ إختفاء النبيّ صلى الله عليه وآله كان في دار الأرقم وفي أوائل البعثة.

ثانياً: ومن الأدلّة الأخرى على أنّ المعراج كان في أوّل البعثة ما جاء في التفاسير؛ أنّ سورة الإسراء قد نزلت بعد الحِجر بثلاث سور، وسورة الحجر قد نزلت في المرحلة السريّة، أي قبل إسلام أبي بكر بمدّة طويلة، حيث أسلم أبو بكر

في روايات عديدة تجد أنّ الثمرة التي تناولها النبيّ صلى الله عليه وآله كانت تفاحة. لكن في روايات أخرى أنّها الرطبة، وقسم ثالث من الروايات أشارت إلى ثمرة دون تعينها، وقسم رابع أنّ جبرئيل أدخل النبيّ صلى الله عليه وآله الجنّة ليلة أُسري به إلى السماء فاطعمه من جميع ثمارها فصار ماءً في صلبه فحملت خديجة عليها السلام بفاطمة عليها السلام ....

أنظر إلى هذا التعدد: فرائد السمطين للحمويني: ٢/ ٥١ و٦٢، ونور الأبصار للشبلخي: ص ٤٤، والخصائص الكبرىٰ للسيوطي: ١/ ١٧٦، وكشف الغمّة في معرفة الائمّة للاربلي: ٢/ ٨٥، واسعاف الراغبين للصبّان: ١٧٢، بهامش نور الأبصار.

أقول: وهذا يعني أنّ المعراج كان متعدداً، وهو قبل ميلاد فاطمة عليها السلام، وفي كلّ مرّة أكل من ثمار الجنّة بما عرفت من الروايات السابقة.

(١) سورة الإسراء: ١١٠.

(٢) صحيح البخاري: ٣/ ٩٩، ط ١٣٠٩، الدر المنثور: ٤/ ٢٠٦، رواه السيوطي عن أصحاب الصحاح والسنن؛ عن مسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وابن مردوية والطبراني والبيهقي.

بعد أكثر من خمسين رجلاً، أي بعد وقوع المواجهة بين قريش وبين النبيّ صلى الله عليه وآله، أو قل بعد الهجرة إلى الحبشة.(١)

فكان إسلام أبي بكر بعد حادثة المعراج بأكثر من سنتين، فما ورد في بعض الروايات عند العامة أنّ قريش جاءت تسأل أبا بكر في شأن المعراج لم يصحّ عندنا، كما عرفت أنّ إسلام أبي بكر متأخّر عن حادثة المعراج.

ثالثاً: وممّا يستدلّ على أنّ المعراج كان في أوائل البعثة قالوا: إنّ سورة النجم التي يذكرونها أنّها تذكر المعراج في آياتها، قد نزلت هي الأخرى في أوائل البعثة، فإنّها نزلت بعد ثلاث وعشرين سورة، ونزل بعدها أربعة وستون سورة في مكة،(٢) والهجرة إلى الحبشة كانت في السنة الخامسة، بل لقد قيل إنّ سورة النجم هي أوّل سورة أعلن النبيّ صلى الله عليه وآله بقراءتها، فقرأها على المؤمنين والمشركين جميعاً.(٣)

ويؤكّد هذا المعنى قوله تعالى من سورة الحجر: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾.(٤)

رابعاً: وممّا يستدلّ على أنّ المعراج كان قبل وفاة خديجة عليها السلام وأبي طالب عليه السلام:

الروايات العديدة، منها: أنّ أبا طالب عليه السلام لمّا افتقد النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله ليلة أُسري به إلى السماء، فلم يدر أين ذهب وماذا حصل له من مشركي قريش أو غيرهم فقد استنفر بني هاشم وأعدّ لهم المُدى ـ السكاكين ـ ليحملوا على زعماء المشركين... وقد مرّ عليك تفصيل الخبر فراجع(٥).

خامساً: وممّا يستدلّ على أنّ المعراج كان في زمن خديجة عليها السلام وأبي طالب عليه السلام:

ما روي عن الصحابة: أنّ جبرئيل قال للنبيّ صلى الله عليه وآله حين رجوعه من الإسراء

---

(١) كانت الهجرة إلى الحبشة في السنة الخامسة من البعثة.

(٢) الإتقان للسيوطي: ١/ ١٠ـ٢٥.

(٣) الميزان للطباطبائي: ١٩/ ٢٦.

(٤) الحجر: ٩٤.

(٥) ينظر: مناقب آل أبي طالب عليه السلام: ١/ ١٣٥ـ١٥٦.

حـــاجتي أن تـــقرأ عـــلى خـــديجة عليها السلام مـــن الله ومـــني الســـلام.... وهذا يعني أنّ الإسراء كان قبل عام الحزن بسنين، فافهم.

سادساً: ومن الأدلّة الأخرىٰ: عن عمر بن الخطاب أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ثمّ رجعت إلى خديجة عليها السلام وما تحولت عن جـانبها...[1] ومـن ذلك كـانت نـطفة الزهراء عليها السلام.

سبب الإسراء والمعراج

أهداف عديدة تكمن وراء حادثة الإسراء، والآيات صرّحت بها جملة حيث قال تعالى: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا﴾.

وقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوىٰ﴾، ﴿وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلىٰ﴾، ﴿فَأَوْحىٰ إِلىٰ عَبْدِهِ ما أَوْحىٰ﴾، ﴿أَ فَتُمارُونَهُ عَلىٰ ما يَرىٰ﴾، ﴿لَقَدْ رَأىٰ مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرىٰ﴾.

عن ثابت بن دينار قال: سألت زين العابدين علي بن الحسين بن عـلي بـن أبي طالب عليهم السلام عن الله جلّ جلاله هل يوصف بمكان؟ فقال: تعالى الله عن ذلك.

قلت: فَلِمَ اسري بنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله إلى السماء؟

قال: ليريه ملكوت السماوات وما فيها من عجائب صنعه وبدائع خلقه.

قلت: فقول الله عزّ وجلّ: ثمّ دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنىٰ؟

قال: ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله دنا من الأرض حتى ظنّ أنّه في القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى....[2]

وأهمّ غرض في حادثة الإسراء هو التأكيد على ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وأنّه الخلف من بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وعلى ذلك أُخذ الميثاق من النبيّين وأشهد الله على ذلك.

---

(١) تاريخ الخميس: ١/ ٣١٥.

(٢) علل الشرائع: ١/ ١٣١، وأمالي الصدوق: ٢١٣.

في نوادر المعجزات عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لمّا أُسري بـالنبيّ صلى الله عليه وآله أمـر بالصلاة، فلمّا قام قال جبرئيل: يا محمّد فصلّ بهم ـ أي بالأنبياء والملائكة ـ واجهر بالقرآن إلى خلفك وزمرٍ من الملائكة والنبيّين، لا يـعلم عـددهم إلّا الله، فـتقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله فصلّى بهم جميعاً ركعتين، فجهر بهما بالقراءة بـ(بِسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيم)، فلمّا سلّم وانصرف من صلاته أوحى الله تعالى إليه كـلمح البـصر: يـا محمّد صلى الله عليه وآله: **﴿وَاسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَ جَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾**.[١]

فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى من خلفه من الأنبياء فقال: على ما تشهدون؟

قالوا: نشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّك رسول الله، وأنّ لكلّ نبيّ منّا خلفاً وصياً من أهله، ما خلا هذا فإنّه لا عصبة له يعنون بذلك عيسى بن مريم عليهما السلام ونشهد أنّك سيّد النبيّين ونشهد أنّ عليّاً وصيّك سيّد الأوصياء، وعلى ذلك أُخذت مواثيقنا.[٢]

ويؤكّد هذا الخبر ما رواه الكليني في الكافي عن أبي الربيع في خبر مفصّل قال: حججنا مع أبي جعفر الباقر عليه السلام في السنة التي كان حجّ فيها هشام بن عبد الملك وكان معه نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب، فنظر نافع إلى أبي جعفر عليه السلام في ركن البيت وقد اجتمع عليه الناس.

فقال نافع: يا أمير المؤمنين من هذا الذي قد تداك عليه الناس؟

فقال: هذا نبي أهل الكوفة؛ هذا محمّد بن علي عليهما السلام!

فقال: أشهد لآتينّه فلأسألنّه عن مسائل لا يجيبني فيها إلّا نبيّ أو إبن نبيّ، أو وصي نبيّ!

قال: فاذهب إليه وسله لعلّك تخجله.

فجاء نافع حتّى اتكأ على الناس ثمّ اشرف على أبي جـعفر عليه السلام فـقال: يـا

---

(١) سورة الزخرف: ٤٥.

(٢) نوادر المعجزات: ص ٧٢، وتفسير العياشي: ٢ / ١٢٨.

محمّد بن علي عليه السلام إنّي قرأت التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وقد عرفت حلالها وحرامها[١] وقد جئت أسألك عن مسائل لا يجيب فيها إلّا نبيّ أو وصي نبيّ، أو إبن نبيّ.

قال: فرفع أبو جعفر عليه السلام رأسه فقال: سل عمّا بدا لك.

فقال: أخبرني كم بين عيسىٰ وبين محمّد من سنة؟

قال: أُخبرك بقولي أو بقولك؟

قال: أخبرني بالقولين جميعاً.

قال: أمّا في قولي فخمس مائة سنة، وأمّا في قولك فست مائة سنة.

قال: فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ لنبيّه: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَ جَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾.[٢]

من الذي سأل محمّد، وكان بينه وبين عيسىٰ خمسمائة سنة؟

قال: فتلا أبو جعفر عليه السلام هذه الآية: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ فكان من الآيات التي أراها الله تبارك وتعالى محمّد صلى الله عليه وآله حيث أسري به إلى بيت المقدس أن حشر الله عزّ ذكره الأولين والآخرين من النبيّين والمرسلين، ثمّ أمر جبرئيل فأذّن شفعاً وأقام شفعاً وقال في أذانه: حيّ على خير العمل، ثمّ تقدم محمّد صلى الله عليه وآله فصلّى بالقوم فلمّا انصرف قال لهم: على ما تشهدون، وما كنتم تعبدون؟

قالوا: نشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّك رسول الله أخذ على ذلك عهودنا ومواثيقنا... الحديث.

وعن عبد الله بن عمر قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا عبد الله أتاني ملك فقال: يا محمّد واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا على ما بعثوا؟

---

(١) كان نافع هذا من علماء النصارى واحد المقرّبين إلى السلطة الأموية.

(٢) سورة الزخرف: ٤٥.

قال: قلت على ما بعثوا؟

قال: على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال الحاكم: ولم نكتبه إلّا عن إبن مظفر، وهو عندنا حافظ ثقة مأمون.[١]

مصادر القوم وحديث «يا محمّد سل الرسل على ماذا أرسلهم الله؟»

عشرات المصادر تنقل حادثة المعراج وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا عُرج به إلى السماء مرّ بالبيت المعمور[٢]، أمر الله سبحانه أن تجتمع الرسل والأنبياء والملائكة وقد صفّهم جبرئيل خلف النبيّ وصلّوا بصلاة النبيّ صلى الله عليه وآله، وإذا بآتٍ يأتي النبيّ صلى الله عليه وآله فيقول له إنّ ربّك يقرؤك السلام ويقول لك: سل الرسل على ما ذا أرسلتهم قبلك فسألهم النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله على ماذا بعثكم ربّي قبلي؟

فقالت الرسل: على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

أنظر ذلك في المصادر الآية:

مائة منقبة لإبن أحمد القمي: ص ١٥٠.

وكتاب اليقين لإبن طاووس: ص ٢٩٤.

وكتاب المحتضر للحسن بن سليمان الحلي: ص ٤٣ و٢٦٦.

وتفسير القمي: ١ / ٢٤٦، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾.[٣]

---

(١) كتاب المعرفة للحاكم النيسابوري: ص ٩٦.

(٢) في بعض الروايات أنّ البيت المعمور هو المسجد الأقصى، وهو خطأ. وفي روايات أخرى أنّه في السماء الرابعة ويسمى: الضراح وهو مقابل العرش ومقابل الكعبة وهو الصحيح.

(٣) سورة آل عمران: ٨١.

وعن أبي هريرة روى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال ـ لمّا أسري به ليلة المعراج ـ: اجتمع عليّ الأنبياء في السماء فأوحى الله إليّ: سلهم يا محمّد بماذا بعثتم؟

قالوا: بعثنا على شهادة أن لا إله إلّا الله وعلى الإقرار بنبوتك، والولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام.(١)

وروى البياضي العاملي بإسناده إلى إبن جبير عن الإمام الباقر عليه السلام: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سُئل عن قوله تعالى: ﴿فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾.(٢)

من المسؤول؟

قال: الملائكة والنبيّون والشهداء والصديقون حين صلّيت بهم في السماء، قال لي جبرئيل: قل لهم: بِمَ تشهدون؟

قالوا: نشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّك رسول الله، وأنّ عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام....(٣)

وعن أبي إسحاق محمّد بن إبراهيم الشافعي بإسناده إلى عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا عبد الله أتاني ملك فقال: يا محمّد ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا﴾(٤) على ما بعثوا؟

قال: قلت: على ما بعثوا؟

قالوا: على ولايتك وولاية عليّ بن أبي طالب صلى الله عليهما.(٥)

---

(١) رواه أبو نعيم كما في خصائص الوحي المبين: ص ١٧٠، ومثله في الطرائف: ص ١٠١، ورواه أبو هريرة كما في ينابيع المودّة: ٢/٢٤٦، وتفسير الثعلبي والزمخشري في الكشاف: ٤/٩٤، وكفاية الطالب للكنجي: ص ١٣٦، ونفحات الأزهار: ٥/٢٦٠ و١٦/٣٦٦ و٢٠/٣٩٢ و٣٩٦، وفيه ردّ مفصّل على إبن تيمية، كما فيه بحث تناول سنده....

(٢) سورة يونس: ٩٤.

(٣) الصراط المستقيم: ٢/٥٥.

(٤) سورة الزخرف: ٤٥.

(٥) فرائد السمطين: ١/٨١، ومثله في مناقب الخوارزمي: ص ٢٢١، وينابيع المودّة: ١/٨٠، و٢/٦٢.

وروى إبن عساكر عن الأسود عن عبد الله قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله يا عبد الله أتاني ملك فقال: يا محمّد ﴿وَ سْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ على ما بعثوا؟

قال: قلت: على ما بعثوا؟

قال: على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب عليهما السلام.(١)

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾.(٢)

قال القاضي عياض: وروى إبن قانع القاضي عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أسري بي إلى السماء إذا على العرش مكتوب: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، أيّدته بعليّ عليه السلام.(٣)

رواه أيضاً الحسكاني عن أنس بطرق متعددة في شواهد التنزيل: ١ / ٢٩٨ و١ / ٢٩٣ و٢٩٤.

وفي ١ / ٢٩٥ رواه عن جابر الأنصاري.

وفي ١ / ٢٩٧ رواه عن أبي الحمراء.

ورواه السيوطي في الدر المنثور عن إبن عساكر عن أبي هريرة: ٣ / ١٩٩.

وفي ٤ / ١٥٣ عن أنس.

ورواه الخطيب البغدادي في تاريخه: ١١ / ١٧٣ عن أبي الحمراء.

ورواه إبن عساكر في تاريخ دمشق: ١٦ / ٤٥٦.

وفي ٤٢ / ٣٣٦ عن جابر الأنصاري.

وفي ٤٢ / ٣٦٠ عن أبي هريرة.

وفي ٤٧ / ٣٤٤ عن أنس.

وفي الكافي عن علي بن أبي حمزة قال: سأل أبو بصير أبا عبد الله عليه السلام وأنا

---

(١) تاريخ إبن عساكر، ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام، بتحقيق المحمودي: ٢ / ٩٢.

(٢) سورة الأنفال: ٦٢.

(٣) الشفاء: ١ / ١٧٤.

حاضر فقال: جعلت فداك كم عرج برسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقال: مرّتين فأوقفه جبرئيل موقفاً فقال له: مكانك يا محمّد، فلقد وقفت موقفاً ما وقفه ملك قطّ ولا نبيّ....

وكان كما قال الله: قاب قوسين أو أدنى!

فقال له أبو بصير: جعلت فداك ما قاب قوسين أو أدنىٰ؟

قال ما بين سِيَتِها إلى رأسها[١]، فقال: كان بينهما حجاب يتلألأ يخفق، ولا أعلمه إلّا وقد قال: زبرجد، فنظر في مثل سمّ الابرة إلى ما شاء الله من نور العظمة، فقال الله تبارك وتعالى: يا محمّد، قال: لبيّك ربّي قال: من لأمّتك من بعدك؟

قال: الله أعلم.

قال: عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام، وسيّد المسلمين وقائد الغرّ المحجّلين.

قال: ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام لأبي بصير: يا أبا محمّد والله ما جاءت ولاية علي عليه السلام من الأرض، ولكن جاءت من السماء مشافهة.[٢]

أبو طالب عليه السلام يستنفر بني هاشم ليلة الإسراء لمّا افتقد النبيّ صلى الله عليه وآله

جاء في كتاب الخرائج: لمّا رجع من السُّرى نزل علىٰ أم هاني بنت أبي طالب فأخبرها، فقالت: بأبي أنت وأمّي والله لئن أخبرت الناس بهذا ليكذّبنك من صدقك.

وكان أبو طالب عليه السلام قد فقده تلك الليلة فجعل يطلبه وجمع بني هاشم، ثمّ أعطاهم المدى، وقال لهم: إذا رأيتموني قد دخلت وليس معي محمّد فليضرب كلّ

---

(١) سية القوس: طرفها.

(٢) الكافي: ١ / ٤٤٣.

رجل منكم جليسه، والله لا نعيش نحن ولاهم وقد قتلوا محمّداً.

فخرج في طلبه وهو يقول: يا لها عظيمة إن لم يواف رسول الله صلى الله عليه وآله مع الفجر، فتلقّاه على باب أم هاني حين نزل من البراق فقال: يا إبن أخي انطلق فادخل بين يدي المسجد وسلّ سيفه عند الحجر وقال: يا بني هاشم أخرجوا مُداكم.

فقال: لو لم أره ما بقي منكم شفر أحد أو عشنا، فاتقته قريش منذ يوم أن يغتالوه.

ثمّ حدّثهم محمّد صلى الله عليه وآله، فقالوا: صف لنا بيت المقدس.

قال: إنّما دخلته ليلاً، فأتاه جبرئيل فقال: أنظر إلى هناك فنظر إلى البيت فوصفه وهو ينظر إليه. ثمّ نعت لهم ما كان لهم من عير ما بينهم وبين الشام.[1]

وفي طبقات إبن سعد أنّ الحادثة التي استنفر فيها أبو طالب عليه السلام بني هاشم عند ما جاء زعماء قريش إلى أبي طالب وعرضوا عليه أن يعطوه رجلاً بدل النبيّ صلى الله عليه وآله ... والحادثة قد مرّت في هذا الكتاب، وفيها نزلت سورة (صاد)، ولمّا سمعها القوم اشمأزوا منها.

قال إبن سعد: فلمّا كان مساء تلك الليلة فُقد رسول الله صلى الله عليه وآله وجاء أبو طالب وعمومته إلى منزله فلم يجدوه فجمع فتياناً من بني هاشم وبني المطلب، ثمّ قال: ليأخذ كلّ واحد منكم حديدة صارمة ثمّ ليتبعني فإذا دخلت المسجد فلينظر كلّ فتى منكم فليجلس إلى عظيم من عظمائهم فيهم إبن الحنظلية يعني أبا جهل، فإنّه لم يغب عن شرّ، إن كان محمّد قد قتل! فقال الفتيان نفعل.[2]

وبمثل ذلك نقل عن إبن الجوزي عن الواقدي قال: كان أبو طالب بن عبد المطلب عليه السلام لا يغيب صباح النبيّ ولا مساءه ويحرسه من أعدائه ويخاف أن يغتالوه، فلمّا كان ذات يوم فقده فلم يره....

---

(١) الخرائج للراوندي: ١ / ٨٥.

(٢) طبقات إبن سعد: ١ / ٢٠٢.

فلمّا وقف عليهم والغضب في وجهه قال لعبيده: أبرزوا ما في أيديكم فأبرز كلّ واحد منهم ما في يده، فلمّا رأوا السكاكين قالوا: ما هذا يا أبا طالب عليه السلام؟

قال: ما ترون، إنّي طلبت محمّداً فلم أره منذ يومين فخفت أن تكونوا كدتموه ببعض شأنكم، فأمرت هؤلاء أن يجلسوا حيث ترون وقلت لهم: إن جئت وليس محمّد معي فليضرب كلّ منكم صاحبه الذي إلى جنبه، ولا يستأذني فيه، ولو كان هاشمياً.

فقالوا: وهل كنت فاعلاً؟

فقال: أي وربّ هذه وأومى إلى الكعبة.

فقال له المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف وكان من أحلافه: لقد كدت تأتي على قومك؟

قال: هو ذلك. ومضى به صلى الله عليه وآله وهو ينشد أبياته:

إذهب بُنيَّ فما عليك غضاضةٌ ... إذهب وقَرّ بذاك منك عيونا

إلى آخر الأبيات.

فرجعت قريش على أبي طالب عليه السلام بالعتب والإستعطاف وهو لا يحفل بهم.(١)

عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلى العشاء الأخرة وصلى الفجر في الليلة التي أسريَ به فيها بمكة. وكان أبو طالب عليه السلام أمر عليّاً وجعفر وحمزة بالتناوب لحراسته، وكان يتفقّد مكانه في الليل، ولمّا لم يجده خاف أن يكون القريشيّون قتلوه، فبعث من يبحث عنه، واستدعى شباب بني هاشم ووزّع عليهم سيوفاً قصيرة أو شفاراً، وأمرهم أن يكون كلّ واحد منهم بجانب زعيم قريش، فإذا أمرهم فليقتل كلّ منهم من بجنبه من الزعماء، وأوّلهم أبو جهل.(٢)

وفي تاريخ اليعقوبي: فاعظموا ذلك وجلّ في صدورهم وعاهدوه وعاقدوه أنّهم

---

(١) الغدير: ٧/ ٣٥٠.

(٢) مناقب إبن شهر آشوب: ١/ ١٥٦.

لا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يكون منهم إليه شيء يكرهه أبداً.[(١)]

هل أنّ عام الحزن كان سبباً في إسراء النبيّ صلى الله عليه وآله؟

إنّ عام الحزن هو السنة العاشرة من البعثة، وفيها كانت وفاة أبي طالب عليه السلام وبعده توفّيت خديجة بنت خويلد عليها السلام، فسمّي هذا العام، بعام الحزن، ولا ريب أنّ فقدان هاتين الشخصيّتين كان لهما الأثر الكبير على حياة الرسول صلى الله عليه وآله والرسالة والدعوة إلى الله سبحانه، حيث إنّ فقدان أبي طالب عليه السلام كان سبباً في تجرّؤ قريش على النبيّ صلى الله عليه وآله، حتّى وصل بها المقام أن تغتال النبيّ صلى الله عليه وآله فجاءه الوحي أن أخرج من مكة فقد مات ناصرك.

أمّا كون عام الحزن هو السبب في الإسراء والمعراج، فهذا الإدّعاء الذي قال به بعض المهوّسين لا ينسجم مع سير الاحداث، ولا توافقه النصوص القرآنية.

وقد أشرت في مقدّمة الكتاب أنّ بعض اتباع الشجرة الملعونة والحاقدين على أمير المؤمنين عليه السلام القاطنين في شرق آسيا ـ ماليزيا ـ وما حاذاها من البلدان الأسيوية التي انتشرت فيها أخيراً الأفكار المسمومة من اتباع محمّد بن عبد الوهاب، والنواصب والشذّاذ من أبناء المذاهب، أنّهم في شهر رجب من كلّ عام تستعر عندهم أحقادهم فتطفح مقالاتهم بالسبّ والشتم لأبناء الطائفة الإماميّة، ولا يكتفون بذلك حتّى ينالوا من مكانة أهل البيت من خلال تكفيرهم لأبي طالب عليه السلام!

ثمّ في كلامهم المسعور ذاك في خطب الجمعة، وفي مساجدهم يعلنون حرباً شعواء على المذهب الإمامي في سائر البقاع من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب.

وأصبح هذا الهجوم في كثير من البلدان السنيّة، وتبرّع للحديث العديد من

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٦.

المأجورين والحاقدين الذين تغدق عليهم الوهابية بآلاف الدولارات....

بل تجد هذا الهجوم على صفحات الإنترنيت والفضائيات، وفي الجرائد والكتب والدوريات و....

والادهىٰ من ذلك أنّهم جعلوا سبب الإسراء والمعراج هو ذلك الحزن الذي دخل رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا فقد كلّ من عمّه أبي طالب عليه السلام وزوجه خديجة عليها السلام، حيث أصابه الغم الشديد، لهذا أراد الله سبحانه أن يطيّب خاطر نبيّه فعرج به إلى السماء.

ولا أدري كيف استساغ هؤلاء ـ دعاة الجاهلية وحماتهم في هذا القرن ـ أن يجعلوا سبب الإسراء هو عام الحزن؛ حيث غيّب فيه ـ عن الوجود ـ المحامي والكفيل والناصر الوحيد للنبيّ صلى الله عليه وآله وهو عمّه أبو طالب عليه السلام.

فإنّ وفاة أبي طالب عليه السلام قد اصابت قلب النبيّ صلى الله عليه وآله فحزن عليه حزناً كبيراً ـ على حدّ زعمكم ـ وهذا ممّا لا شكّ فيه...، فإذا كان الأمر كذلك فكيف صيّرتم هذا العمّ ـ أبا طالب عليه السلام ـ كافراً؟!

وهل يجوز للنبيّ صلى الله عليه وآله أن يغتم ويحزن لكافر؟!

ألا يكون كلامكم ذاك ضرباً من التناقض؟!

حقيقة الإسراء

لكي تعرف حقيقة الإسراء عليك أن تبحث في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾.[١]

ويحسن بنا أن ننقل لك نصّاً من أحد التفاسير ثمّ نتبعه بالمصادر المؤيّدة لما نذكره هنا.

قال أبو حيان الأندلسي: قال الجمهور هي رؤيا عين ويقظة، وهي ما رأى في

---

(١) سورة الإسراء: ٦٠.

ليلة الإسراء من العجائب، قال الكفار: إنّ هذا لعجب نخبّ إلى بيت المقدس شهرين إقبالاً وإدباراً ويقول محمّد جاءه من ليلته وانصرف منه، فافتتن بهذا التلبيس قوم من ضعفاء المسلمين فارتدوا وشقّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت هذه الآية، فعلى هذا يحسن أن يكون معنى قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾، أي في إضلالهم وهدايتهم، وإنّ كلّ واحد ميسر لما خلق له أي فلا تهتم أنت بكفر من كفر، ولا تحزن عليهم، فقد قيل لك إنّ الله محيط بهم، مالك لأمرهم، وهو جعل رؤياك هذه فتنة ليكفر من سبق عليه الكفر، وسمّيت الرؤية في هذا التأويل رؤيا إذ هما مصدران من رأى.

وقال النقاش: جاء ذلك من إعتقاد من اعتقد أنّها منامية وإن كانت الحقيقة غير ذلك انتهى.

وعن إبن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم: هو قصة الإسراء والمعراج عياناً آمن به الموفّقون وكفر به المخذولون، وسمّاه رؤيا لوقوعه في الليل وسرعة تقضيه كأنّه منام.

وعن إبن عباس أيضاً هو رؤياه أنّه يدخل مكة فعجل في سنته الحديبية وردّ فافتتن الناس، وهذا مناسب لصدر الآية فإنّ الإحاطة بمكة أكثر ما كانت.

وعن سهل بن سعد: هي رؤياه بني أميّة ينزون على منبره نزو القردة فاهتم (فاغتم) لذلك وما استجمع ضاحكاً من يومئذ حتى مات، فنزلت الآية مخبرة أنّ ذلك من ملكهم وصعودهم المنابر إنّما يجعلها الله فتنة الناس....

وقال الحسن بن عليّ عليهما السلام في خطبته في شأن بيتعه لمعاوية: وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين....

وقيل: رأى في المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة.[1]

إذن الرؤيا التي رآها النبيّ صلى الله عليه وآله هي رؤياه بني أميّة ينزون على منبره نزو القردة

---

(١) البحر المحيط في التفسير: ٧ / ٧٥.

والخنازير....[١]

وإليك أهمّ مصادر التفسير التي ذكرت سبب نزول هذه الآية (٦٠) من سورة الإسراء، ورؤيا النبيّ صلى الله عليه وآله بني أميّة ينزون على منبره وهي:

١ ـ إيجاز البيان عن معاني القرآن لمحمود النيسابوري: ٢ / ٥٠٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤١٥هـ.

٢ ـ تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن عمرو المعروف بإبن كثير الدمشقي: ٥ / ٨٥، دار الكتب العلميّة، منشورات محمّد علي بيضون، بيروت، ١٤١٩هـ.

٣ ـ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين النيسابوري، (تفسير سورة الإسراء آية ٦٠): ٤ / ٣٦٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٦هـ.

٤ ـ جامع البيان، لمحمّد بن جرير الطبري: ١٥ / ٧٨، دار المعرفة، بيروت ١٤١٢هـ.

٥ ـ جامع أحكام القرآن، للقرطبي: ١١ / ٢٨٣، طبعة ناصر خسرو، طهران ١٣٦٤هـ.

٦ ـ الدر المنثور، للسيوطي: ٤ / ١٩١، مكتبة السيد المرعشي، قم ١٤٠٤هـ.

٧ ـ روح المعاني، لمحمود شكري الألوسي: ٨ / ١٠٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ.

٨ ـ فتح القدير، لمحمّد بن علي الشوكاني: ٣ / ٢٨٤، ط ١، دار إبن كثير، دمشق ١٤١٤هـ.

٩ ـ الكشف والبيان، لأحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري: ٦ / ١١١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢٢هـ.

١٠ ـ مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي: ٢٠ / ٣٦١، دار إحياء التراث العربي،

---

(١) هذا ما ذكره أبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط: م ٧ / ٧٤، طبعة دار الفكر، بيروت ١٤٢٠هـ.

بيروت ١٤٢٠ هـ.

هذه بعض الموارد من كتب الجمهور وهناك عشرات الكتب والتفاسير التي أكّدت سبب نزول الآية ٦٠ من سورة الإسراء للرؤيا التي رآها النبيّ ﷺ في بني أميّة أنّهم ينزون على منبره نزو القرود و....

وتأكيداً لما تقدّم أنّ تلك الرؤيا أورثت حزناً وكآبة عند الرسول ﷺ لا يمكن وصفها حتى أنّه لم يُر ضاحكاً بعدها، لذا أراد الله سبحانه أن يطيب خاطر النبيّ ﷺ وأن يزيده رفعة وكرامة أنزل عليه سورة القدر وقد أخترنا لك نصّاً من كتاب التسهيل لعلوم التنزيل.

قال إبن جزي الغرناطي: وسمّيت ليلة القدْر من تقدير الأمور فيها، أو من القدر بمعنى الشرف، ويترجّح الأوّل بقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ هذا تعظيم لها، قال بعضهم: كلّ ما قال فيه ما أدراك فقد علّمه النبيّ ﷺ وما قال فيه ما يدريك فإنّه لا يعلمه.

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، معناه أنّ من قامها كتب الله له أجر العبادة في ألف شهر.

قال بعضهم: يعني في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وفي الحديث الصحيح أنّ رسول الله ﷺ قال: من قام ليلة القدر إيماناً وإحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه.

وسبب الآية أنّ رسول الله ﷺ ذكر رجلاً ممّن تقدّم عبد الله ألف شهر، فعجب المسلمون من ذلك ورأوا أنّ أعمارهم تنقص عن ذلك، فأعطاهم الله ليلة القدر، وجعلها خيراً من العبادة في تلك المدّة الطويلة.

وروي أنّ الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام عوتب حين بايع معاوية فقال: إنّ رسول الله ﷺ رأى في المنام بني أميّة ينزون على منبره نزو القردة، وأعلمه أنّهم يملكون أمر الناس ألف شهر، فاهتم (فاغتم) لذلك، فأعطاه الله ليلة القدر، وهي خير من ملك بني أميّة ألف شهر، ثمّ كشف الغيب أنّه كان من بيعة الحسن عليه السلام

لمعاوية إلى قتل مروان الجعدي آخر ملوك بني أميّة بالمشرق ألف شهر.[1]

أقول: وهناك مصادر عديدة صرّحت أنّ سبب نزول سورة القدر هي الرؤيا التي رآها النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ بني أميّة ينزون على منبره نذكر بعضها:

١ ـ شواهد التنزيل، للحاكم الحسكاني: ٢ / ٤٥٧، طبعة وزارة الإرشاد، طهران ١٤١١هـ.

٢ ـ تفسير روح البيان، لإسماعيل حقي: ١٠ / ٤٨٣، طبعة دار الفكر، بيروت.

٣ ـ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين النيسابوري: ٦ / ٥٣٨، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٦هـ.

٤ ـ كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الغرناطي: ٢ / ٥٠٠، طبعة دار الأرقم، بيروت ١٤١٦هـ.

٥ ـ مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي: ٣٢ / ٢٣١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢٠هـ.

أمّا مصادر الإماميّة فهي كثيرة وفي مقدّمتها كتب التفاسير حيث ذكرت أنّ سبب نزول الآية ٦٠ من سورة الإسراء، وهكذا سورة القدر هي تلك الرؤيا التي رآها النبيّ صلى الله عليه وآله في بني أميّة؛ أنّهم ينزون على منبره نزو القردة والخنازير، نذكر بعضها:

إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن للسبزواري: ص ٢٩٣.

الأصفى في تفسير القرآن، للفيض الكاشاني: ١ / ٦٨٦.

البرهان في تفسير القرآن، للسيد هاشم البحراني: ٣ / ٥٤٤.

الميزان في تفسير القرآن، للسيد الطباطبائي: ٢٠ / سورة القدر.

وهناك عشرات المصادر أعرضنا عن ذكرها خوف الإطالة.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ٢ / ٥٠٠، طبعة دار الأرقم، بيروت ١٤١٦هـ.

الفهارس

فهرس الآيات

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة يونس عليه السلام

سورة هود عليه السلام

سورة الرعد

سورة إبراهيم عليه السلام

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة الأنبياء

سورة الحجّ

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة القصص

سورة لقمان

سورة الأحزاب

سورة الفاطر

رقم الآية رقم الصفحة

سورة الصافات

رقم الآية رقم الصفحة

سورة ص

رقم الآية رقم الصفحة

سورة غافر

رقم الآية رقم الصفحة

سورة الشورىٰ

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة محمّد ﷺ

سورة الفتح

سورة الحجرات

سورة النجم

سورة المجادلة

سورة الممتحنة

سورة المعارج

سورة المزمل

سورة المدثر

سورة التكوير

سورة المطففين

سورة الليل

سورة الضحىٰ

سورة القدر

سورة البينة

سورة قريش

سورة المسد

سورة الكوثر

فهرس الأحاديث

«الف»

«ب»

«ت»

«ث»

«ج»

«ح»

«خ»

«ر»

«ص»

«ع»

«ق»

«ف»

«ك»

«ل»

«م»

«ن»

«و»

«ي»

فهرس الأعلام

«ح»

«ن»

* * *

فهرس البلدان والأماكن

فهرس المصادر

«ألف»

إبطال الباطل، الفضل بن روز بهان الحنفي، ردّ عليه محمّد حسن آل المظفر في دلائل الصدق.

أبو طالب بطل الإسلام، حيدر محمّد سعيد العرفي، ط ١، ١٩٩٠م.

أبو طالب حامي الرسول و ناصره، نجم الدين العسكري، الآداب، ١٣٨٠هـ.

أبو طالب شيخ بني هاشم، عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٥١م.

أبو طالب عمّ الرسول، محمّد كامل حسن المحامي، ضمن سلسلة عظماء الإسلام، المكتب العالمي، بيروت ١٩٧٧م.

أبو طالب عمّ النبيّ، عبد العزيز سيد الأهل، طبعة بيروت.

أبو طالب مؤمن قريش، عبد الله الخنيزي، دار التعارف، بيروت ١٩٧٨م، وط ٢، المؤسسة الثقافية، بيروت ١٩٦٤م.

أبو طالب وبنوه، محمّد علي السيد علي خان، مطبعة الأدب، النجف ١٩٦٩م.

أبو هريرة، عبد الحسين شرف الدين، ط ٤، دار التعارف، بيروت.

أبو هريرة راوية الإسلام، محمّد عجاج الخطيب (سلسلة أعلام العرب) تسلسل ١٢٦، الهيئة المصرية العامّة للكتاب ١٩٨٧م.

أبو هريرة (شيخ المغيرة)، محمود أبو ريّة، ط ٣، طبعة دار المعارف بمصر.

أبو هريرة في ضوء مرويّاته، محمّد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط ١، ١٩٧٩م.

الاتحاف بحبّ الأشراف، الشبراوي، المطبعة الأدبية بمصر.

الاتقان في علوم القران، السيوطي (ت ٩١١هـ)، منشورات الرضي وبيدار، قم

١٣٦٧هـ.ش.
أحكام القران، محمّد بن أبي بكر الرازي (ت ٦٦٦هـ)، الناشر محمّد علي الأنصاري، قم.
إحياء علوم الدين، الغزالي، دار المعرفة، بيروت ١٩٨٥م.
آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي (ت ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٤م.
الأدب السياسي في صدر الإسلام، عبد الرسول الغفاري، ط ١، دار الهادي، بيروت ٢٠٠٣م.
أربعون حديثاً، منتجب الدين إبن بابويه (ت بعد ٥٨٩هـ)، طبعة مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم ١٤٠٨هـ.
الأربعين في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، جمال الدين الشيرازي (١٠٠٠هـ)، (مخطوط).
أرجح المطالب، الامرتسري، طبعة لاهور.
أسباب النزول، الواحدي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٥م.
الإستيعاب، إبن عبد البرّ، طبعة الهند. وطبعة نهضة مصر للطباعة، القاهرة.
أُسد الغابة، إبن الأثير الجزري، دار إحياء التراث العربي، بيروت. وطبعة مصر، طبعة جمعية المعارف.
اسعاف المبطأ برجال الموطأ، السيوطي، (ملحق بتنوير الحوالك)، دار الفكر، بيروت.
أسنى المطالب، السيد أحمد زيني دحلان، ط ٢، مطبعة ذات التحرير، محمّد افندي، مصر ١٣٠٥هـ.
الإصابة في تمييز الصحابة، إبن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي، ومطبعة العادة، مصر ١٣٢٨هـ، ودار الكتب العلمية، بيروت.
أُصول الكافي، محمّد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران.
أعيان الشيعة، العاملي محمّد أمين، طبعة بيروت، ط ١، وطبعة دار التعارف، بيروت (رحلي) ١٩٨٣م.

اغاثة اللهفان، إبن القيم الجوزية، المكتبة الثقافية، بيروت ١٩٨٧م.
الأغاني، أبو الفرج الاصبهاني، طبعة دار إحياء التراث العربي، وطبعة مصر ١٣٢٣هـ.
الاكتفاء في فضل الأربعة الخلفاء، إبراهيم بن عبد الله الوصابي الشافعي.
الإكمال، الحافظ علي بن هبة الله بن ماكولا (ت ٤٧٥هـ)، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.
إكمال تهذيب الكمال، مغلطاي، علاء الدين (ت ٧٦٢هـ)، مطبعة الفاروق الحديثة، ط ١، القاهرة ٢٠٠١م.
الإكمال في تهذيب الكمال، الحافظ أبي المحاسن محمّد بن علي الحسيني الشافعي (ت ٧٦٥هـ)، ط ١، منشورات الجامعة الإسلامية، كراچي ١٩٨٩م.
الزام الناصب، علي اليزدي الحائري (ت ١٣٣٣هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
الأمالي، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، ط ٥، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٨٠م.
أمالي الشيخ الطوسي، أبو جعفر، تحقيق مؤسسة البعثة، قم ١٤١٤هـ، ومنشورات الداوري، قم.
الأمالي، الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، منشورات جامعة المدرسين، قم ١٤٠٣هـ.
الإمام علي‬ صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٠م.
امتاع الأسماع، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٩م.
أنساب الأشراف، البلاذري، تحقيق إحسان عباس، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٧٩م.
إيمان أبي طالب، المفيد (ت ٤١٣هـ)، المؤتر العالمي لذكرى الفيّة الشيخ المفيد، قم ١٤١٣هـ.

«ب»

بحار الأنوار، محمّد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، طبعة مؤسسة الوفاء، بيروت. وط ٣، دار إحياء التراث العربي ١٩٨٣م.

البداية والنهاية، إبن كثير الدمشقي، طبعة القاهرة. وطبعة مكتبة المعارف ١٩٦٦م. وطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت. وطبعة دار الفكر، بيروت.

البرهان في تفسير القران، السيد هاشم البحراني، ط ٣، قم ١٣٩٣هـ.

بلوغ الأدب، محمود شكري الالوسي، ط ٢، طبعة مصر، ١٣٤٢هـ.

بهجة المحافل، عماد الدين العامري (ت ٨٩٣هـ)، المكتبة العلمية، المدينة ١٣٣٠هـ.

«ت»

تاج العروس، مرتضى الزبيدي، دار الفكر، بيروت ١٩٩٤م.

تاريخ إبن كثير، أبو الفداء، تحقيق علي شري، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م.

تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت. وطبعة القاهرة، مطبعة السعادة.

تاريخ الخميس، الديار بكري، حسين بن محمّد، دار صادر ومؤسسة شعبان، بيروت.

تاريخ دول الإسلام، الذهبي؛ محمّد بن أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت ٢٠٠٠م. وطبعة حيدر آباد الهند.

تاريخ مدينة دمشق، إبن عساكر، دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ.

تاريخ الأمم والملوك، محمّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، دار المعارف بمصر ١٩٦٧م.

تاريخ اليعقوبي، إبن واضح، طبعة دار صادر، بيروت ١٩٦٠م، وطبعة مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤١٣هـ.

تأويل مختلف الحديث، إبن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، دار الجيل، بيروت ١٩٩١م.

التبيان في تفسير القران، الشيخ الطوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
تذكرة الحفاظ، الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين، دار الفكر العربي، الأصل طبعة حيدر آباد الدكن، الهند ١٩٥٦م.
تذكرة الخواص، أبو المظفر سبط إبن الجوزي الحنفي (ت ٦٥٤هـ)، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، بيروت ١٤٠١هـ.
تصحيح الإعتقاد، الشيخ المفيد، منشورات الرضي، قم ١٣٦٣هـ‍ش.
تفسير إبن كثير، أبوالفداء، ط ٢، دار المعرفة، بيروت.
تفسير أبي السعود، أبو السعود العمادي (ت ٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
تفسير أبي الفتوح، إنتشارات مكتبة المرعشي، قم ١٤٠٤هـ (رحلي).
تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، دار الرشيد، بيروت.
تفسير الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمّد البغدادي المعروف بـ(الخازن)، دار الكتب العربية الكبرى، مصطفى البابي الحلبي، مصر.
تفسير روح المعاني، الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت. وطبعة مصر.
تفسير السراج المنير، شمس الدين الشربيني القاهري الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، ط ٢، دار المعرفة، بيروت.
تفسير شاهي، أبو الفتح الحسيني الجرجاني (ت ٩٧٦هـ)، طبعة شفق، تبريز ١٣٨٠هـ.
تفسير الشوكاني (الفتح القدير)، محمّد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار المعرفة، بيروت.
تفسير الطبري (جامع البيان)، محمّد بن جرير الطبري، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٩م.
تفسير العياشي، السمرقندي، طبعة مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٩١م.

تفسير القرآن العظيم، الحافظ أبي الفداء (إبن كثير الدمشقي)، دار المعرفة، بيروت ١٩٨٧م.

تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، أبو بكر يحيى القرطبي (ت ٥٦٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٦م.

تفسير القمي، علي بن إبراهيم، طبعة سيد طيب الجزائري، النجف. وطبعة مؤسسة دار الكتاب، قم، أفست النجف ١٣٨٧هـ.

التفسير الكبير، الفخر الرازي، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٥هـ.

تفسير (الكشف والبيان)، أبو إسحاق أحمد بن محمّد التعلبي النيسابوري (ت ٤٢٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢٢هـ.

تفسير الكوفي، فرات بن إبراهيم، مؤسسة النعمان، بيروت ١٩٩٢م. وطبعة النجف، المطبعة الحيدرية.

تفسير المنار، محمّد عبده، رشيد رضا، ط ٢، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٣م.

الترغيب والترهيب، الحافظ عبد العظيم المنذري (ت ٦٥٦هـ)، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٨م.

الفوائد الكامنة في إيمان السيدة آمنة ﷺ والتعظيم والمنة في أبوي رسول الله ﷺ في الجنة، السيوطي (ت ٩١١هـ)، مكتبة الساعي، الرياض ١٩٨٨م.

تقريب التهذيب، إبن حجر العسقلاني، ط ٢، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٥م.

تلخيص المستدرك، للحافظ الذهبي (بذيل المستدرك)، دار الكتاب العربي، بيروت (طبعة رحلية).

تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، طبعة دار الأضواء، بيروت.

تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محي الدين النوري، مطبعة المنيرية، مصر.

تهذيب التهذيب، إبن حجر العسقلاني، ط ١، طبعة دار صادر، بيروت.

تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف المزي (ت ٧٤٢هـ)، ط ١، مؤسسة الرسالة ١٩٨٨م.

«ث»

الثقات، إبن حبان، محمّد بن أحمد التميمي، (ت ٣٥٤هـ)، ط ١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند ١٩٧٣م.

ثمرات الأوراق، أبو بكر بن علي الحموي القادري (ت ٨٣٧هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧١م.

«ج»

جامع الأصول، إبن الأثير، طبعة مصر.

جامع البيان، محمّد بن جرير الطبري، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٩م.

الجامع الصغير، السيوطي، وشرح الكتاب شمس الدين الحنفي الشافعي (ت ١١٨١هـ)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

الجامع لأحكام القران، القرطبي، محمّد بن أحمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

جامع العلوم والحكم، إبن رجب الحنبلي (ق ٨هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٩٩٠م.

الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٥٢م.

جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

الجواهر السنيّة، الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٨٢م.

جواهر العقدين، نور الدين الحسني السمهودي الشافعي (ت ٩١١هـ)، وزارة الأوقاف، العراق، مطبعة العاني، بغداد ١٩٨٤م.

دلائل الصدق، محمّد الحسن المظفر (ت ١٣٧٥هـ)، مؤسسة آل البيت، قم ١٤٢٢هـ.
وطبعة دار العلم للطباعة، القاهرة ١٩٧٦م.
دلائل النبوّة، أحمد بن الحسين البيهقي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م.
ديوان أبي طالب، جمع أبي هفان عبد الله بن أحمد المهزمي العبدي؛ من شيوخ إبن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، مكتبة نينوىٰ الحديثة، طهران.

«ذ»

ذخائر العقبى، محبّ الدين طبري، مكتبة القدسي، مصر ١٣٥٦هـ.
ذخيرة المآل في شرح عقد جواهر اللآل (مخطوط)، أحمد بن عبد القادر الحفظي الشافعي.
الذيل على ميزان الإعتدال، الحافظ العراقي (ت ٨٠٤هـ)، تحقيق السامرائي، مكتبة النهضة العربية، بيروت ١٩٨٧م.
ذيل اللئالي، السيوطي الشافعي (ت ٩١١هـ)، ط لكنهو.

«ر»

الرسائل التسع، المحقق الحلي، جعفر بن الحسن (ت ٦٧٦هـ)، ط ١، مكتبة المرعشي، قم ١٤١٣هـ.
رسائل الجاحظ، عمر بن بحر (ت ٢٥٥هـ)، طبعة دار الجيل، بيروت.
الروض الأنف في شرح السيرة النبوية عبد الرحمن السهيلي، مؤسسة مختار ومكتبة الكليّات الأزهرية، القاهرة، وطبعة مكتبة إبن تيمية، القاهرة ١٩٩٣م.
الروضة الندية في شرح التحفة العلوية، محمّد بن إسماعيل اليماني (ت ١١٨٢هـ)، مكتبة مركز بدر العلمي، صعصاء ٢٠٠٢م.
روضة الواعظين، الشهيد إبن الفتال النيسابوري (ت ٥٠٨هـ)، تحقيق غلام حسين، طبعة دليل ما، قم ١٤٢٣هـ.

الرياض النظرة، محبّ الدين الطبري، ط محمّد أمين الخانجي.

«ز»

زهرة الأدباء في شرح لامية شيخ البطحاء، إبن هفان، طبعة طهران، ناصر خسرو مروي.

«س»

السراج المنير، شمس الدين محمّد بن أحمد الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، مكتبة بولاق ١٢٩٥هـ.

سعد السعود، إبن طاووس، ط ١، دليل ما، ١٤٢١هـ.

سفينة البحار، عباس القمي، دار الأسوة، قم ١٤١٤هـ.

سنن إبن ماجة، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

سنن البيهقي، أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ)، طبعة دار المعرفة، بيروت.

سنن الترمذي، محمّد بن عيسىٰ (ت ٢٩٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، طبعة حيدر آباد الدكن.

سير أعلام النبلاء، محمّد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١م.

سيرة إبن إسحاق، محمّد بن إسحاق (ت ١٥٦هـ)، طبعة دار الفكر ١٩٧٨م.

السيرة النبوية، إبن هشام، طبعة دار المعرفة، بيروت، وطبعة دار إحياء التراث العربي، وطبعة مصطفى الحلبي، مصر ١٩٣٦م.

السيرة النبوية للحلبي، علي بن برهان الدين الشافعي (ت ١٠٤٤هـ)، طبعة مصر، وطبعة دار المعرفة، بيروت.

السيرة النبوية، زيني دحلان، بهامش السيرة النبوية للحلبي، طبعة دار القلم العربي، سورية، حلب ١٩٩٦م.

«ش»

شرح الشفاء، شهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ)، طبع في ١٣١٢هـ.
شرح الكرماني على صحيح البخاري، الكرماني، ط ٢، دار إحياء التراث العربي ١٩٨١م.
شرح المواهب اللدنية، أبو عبد الله الزرقاني المالكي (ت ١١٢٢هـ)، مصر ١٣٢٥هـ.
شرح نهج البلاغة، إبن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق محمّد أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، بيروت ١٩٦٧م. وطبعة بيروت (رحلي) وطبعة عيسىٰ الحلبي ١٩٦٥م. وطبعة المرعشي، قم.
شعب الايمان، أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.
الشفاء، القاضي عياض، أبو الفضل، عياض بن موسىٰ اليحصبي، طبع في سنة ١٢٩٣هـ.
شفاء الصدور (مخطوط)، أبو بكر النقاش الموصلي (ت ٣٥١هـ)، تفسير.
الشهاب الثاقب لمبغضي الائمة الأطائب (مخطوط)، تأليف ملا محمّد شريف بن رضا الشيرواني التبريزي، رقم ٣٩٠٣، مكتبة العلامة الأميني، النجف.
شيخ الأبطح أبو طالب، محمّد علي شرف الدين، دار السلام، بغداد ١٣٤٩هـ، وط ١، دار الأرقم، بغداد ١٩٨٧م.

«ص»

صبح الأعشى، أحمد بن علي القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت.
صحيح البخاري، محمّد بن إسماعيل البخاري، طبعة دار الفكر، بيروت ١٤١٤هـ. والمطبعة الميمنية والمطبعة الخيرية، مصر ١٣٠٤هـ. والمطبعة المنيرية بمصر، ومطبعة دار الجبل، بيروت.
صحيح مسلم، محمّد بن مسلم القشيري، طبعة بولاق، مصر. وط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٢م.
صحيح مسلم، بشرح النووي، وط ٢، دار الفكر، بيروت ١٩٧٨م.

الصحيح من السيرة، جعفر مرتضى العاملي، ط ٤، دار الهادي، بيروت ١٤١٥هـ.
الصراط السوي في مناقب آل النبيّ ﷺ (مخطوط)، محمود بن محمّد القادري المدني، الشيخاني.
الصواعق المحرقة، إبن حجر العسقلاني، ط المحمدية، مصر.

«ض»

الضعفاء الكبير، محمّد بن عمر العقيلي المكي، دار المكتبة العلمية، بيروت ١٩٨٤م.

«ط»

طبقات المنابلة، القاضي إبن أبي يعلى الحنفي.
طبقات الشافعية، عبد الوهاب بن تقي السبكي، طبعة مصر ١٣٢٤هـ.
الطبقات الكبرى، إبن سعد، دار بيروت للطباعة ١٩٨٥م.
الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيد رضي الدين إبن طاووس، مطبعة الخيام، قم ١٤٠٠هـ.
طرق حديث الائمة الإثنا عشر، كاظم آل نوح (ت ١٣٧٩هـ)، مكتبة القرآن والعترة، بغداد ١٣٧٤هـ.

«ع»

العقد الفريد، إبن عبد ربّه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣م. ودار الكتاب العربي ١٩٨٦م.
العقد النبوي والسرّ المصطفوي، السيد إبن العيدروس الحسيني اليمني (ت ١٠٤١هـ).
علل الشرائع، الشيخ الصدوق، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وطبعة النجف ١٩٦٦م.
العلل ومعرفة الرجال، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، الرياض ١٩٨٨م.

علي وبنوه، طه حسين (ت ١٩٧٣م)، ط ١٢، دار المعارف بمصر، القاهرة.
عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، طبعة الآستانة، تركيا.
لواقع الأنوار القدسية في بيان العهود المحمّدية، عبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣هـ)، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٣م.
عيون أخبار الرضاﷺ، الشيخ الصدوق، ط ٢، قم طبعة رضا مشهدي.

«غ»

الغارات، إبراهيم بن محمّد الثقفي، طبعة طهران ١٣٥٣هـش.
غاية المرام، هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ)، معارف الإسلامي، طهران.
الغدير في الكتاب والسنّة، عبد الحسين الأميني، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٩٤م، وطبعة مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٩٩٥م.

«ف»

الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، ط ٣، دار الفكر ١٩٧٩م.
فتح الباري، إبن حجر، طبعة دار المعرفة، بيروت. وطبعة المكتبة السلفية.
الفتح القدير، محمّد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار المعرفة، بيروت. وطبعة مصطفى الحلبي.
فتوح البلدان، أحمد بن يحيىٰ البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، طبعة مصر ١٣١٩هـ.
فرائد السمطين، شيخ الإسلام الحمويني (ت ٧٢٢هـ)، ط ١، طبعة بيروت ١٩٧٨م.
فردوس الأخبار، الديلمي، شيرويه بن شهردار (ت ٥٠٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م.
الفصول المختارة، طبعة الغري، النجف.
الفصول المهمّة، نور الدين إبن الصبّاغ المالكي المكي (ت ٨٥٥هـ)، مؤسسة الأعلمي،

بيروت ١٩٨٨م.
الفهرست، الشيخ الطوسي، محمّد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، منشورات الرضي، قم.
فيض القدير في شرح الجامع الصغير، زين الدين المناوي الشافعي (ت ١٠٣١هـ)، دار الفكر.

«ق»

القاموس المحيط، الفيروز آبادي، محمّد بن يعقوب، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
القواعد والفوائد، الشهيد الأوّل، منشورات مكتبة المفيد، قم، مصوّرة مطبعة الآداب، النجف.

«ك»

الكامل في البهائي، عماد الدين الطبري، دار العلم، قم.
الكامل في التاريخ، إبن الأثير، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت ١٩٨٩م. وطبعة دار صادر بيروت ١٣٨٥هـ.
الكامل في الضعفاء الرجال، عبد الله بن عَدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ)، ط ٣، دار الفكر، بيروت ١٩٨٨م.
كتاب الأربعين، محمّد طاهر القمي الشيرازي (ت ١١٠٠هـ)، قم، ١٤١٨هـ.
كتاب الأربعين، الشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزي (ت ١١٢١هـ)، قم ١٤١٧هـ.
كتاب الأم، الشافعي محمّد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ)، دار المعرفة، بيروت.
كتاب الغيبة، الشيخ الطوسي (٤٦٠هـ)، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم ١٤١١هـ، وطبعة طهران، مكتبة نينوىٰ الحديثة، ناصر خسرو.
كتاب المجروحين، البستي (ت ٣٥٤هـ) ،تحقيق محمّد إبراهيم زايد، طبعة عباس أحمد الباز، مكة المكرمة. وطبعة دار المعرفة، بيروت.

كتاب المعارف، إبن قتيبة الدينوري، منشورات الرضي، قم ١٤١٥هـ.
الكشاف ف، الزمخشري، محمود بن عمر، دار الكتاب، وطبعة دار المعرفة، بيروت.
الكشف والبيان، أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري (ت ٤٢٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢٢هـ.
كفاية الطالب، الحافظ محمّد بن يوسف الكنجي، ط الغري.
كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، طهران ١٣٩٠هـ.
الكنى والألقاب، عباس القمي، المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٥٦م. وطبعة صيدا.
كنز الفوائد، أبو الفتح محمّد الكراجكي، منشورات دار الذخائر، قم ١٤١٠هـ. ودار الاضواء، بيروت ١٩٨٥م.
كنوز الحقائق، المناوي، ط بولاق.
الكواكب الدرّية، عبد الرؤوف المناوي، ط الأزهر، مصر.

«ل»

لسان العرب، إبن منظور المصري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م.
لسان الميزان، إبن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، ط ٣، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٨٦م. وطبعة حيدر آباد، الهند.

«م»

مائة منقبة، محمّد بن أحمد القمي، المعروف بإبن شاذان، مدرسة الإمام المهدي، قم ١٤٠٧هـ.
مؤمن قريش، عبد الله الخنيزي، طبعة دار التعارف، بيروت.
المبسوط، شمس الدين السرخسي، دار المعرفة، بيروت ١٩٨٦م.
مجمع البيان، الطبرسي، ط ١، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٩٥م.

مجمع الزوائد، الحافظ الهيثمي، ط ٣، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٢م.
المجموع، محي الدين النووي، طبعة دار الفكر، بيروت.
المحتضر، حسن بن سليمان الحلي (ت ١١٨٤هـ)، مطبعة الحيدرية، النجف ١٩٥١م.
المحلى، إبن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)، طبعة دار الآفاق الجديدة، بيروت.
محمّد وعلي وبنوه الأوصياء، العسكري، جعفر بن محمّد (ت ١٣٩٥هـ)، النجف ١٩٥٩م.
المختصر في أحوال البشر، أبو الفداء، طبعة مصر ١٣٢٥هـ.
مداراة الناس، إبن أبي الدنيا. (المولود ببغداد سنة ٤٦١هـ وسنة وفاته ٥٣٦هـ)
المدخل إلى مذهب أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، ط ٣، بيروت.
مدينة المعاجز، هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ)، طبعة قم، بنياد معارف، ١٤١٣هـ وطبقات أخرىٰ.
المدونة الكبرى، مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ)، دار الكتب العلمية ١٩٩٥م.
مروج الذهب، المسعودي، طبعة دار المعرفة، بيروت ١٩٨٢م.
المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م. وطبعة حيدر آباد الدكن ١٣٤١هـ.
المستطرف من كلّ فن مستظرف، الابشيهي محمّد بن أحمد، دار إحياء التراث العربي.
مصنف إبن أبي شيبة، عبد الله بن محمّد (ت ٢٣٥هـ)، طبعة السلفية.
مسند إبن حنبل، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، ط ٢، دار الفكر، بيروت ١٩٩٤م.
معارج العلىٰ في مناقب المرتضى عليه السلام، محمّد صدر العالم سبط الشيخ أبي الرضا، (مخطوط) خزانة الأميني.
معارج الوصول، محمّد الزرندي الحنفي، (مخطوط) خزانة مكتبة الأميني، النجف.
معالم التنزيل، البغوي (ت ٥١٠هـ)، دار الفكر، بيروت ١٩٨٥م.
معاني الأخبار، الصدوق، طبعة جامعة المدرسين، قم ١٣٧٩هـ ش.
معجم البلدان، ياقوت الحموي، طبعة دار صادر، بيروت ١٩٧٧م.

معجم القبور، السيد محمّد مهدي الموسوي (ت ١٢٨٠هـ)، طبعة عبد العزيز دباس، بغداد ١٩٣٩م.

المعجم الكبير، الطبراني، سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ)، ط ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

المعرفة والتاريخ، يعقوب بن سفيان البسوي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١م.

المغني، عبد الله بن قدامة (ت ٣٣٤هـ)، ط ١، دار الفكر، بيروت.

مقتل الحسين، الخطيب الخوارزمي، طبعة النجف. وطبعة تبريز.

مناقب آل أبي طالب، إبن شهر آشوب المازندراني، طبعة دار الأضواء، بيروت ١٩٩١م.

مناقب علي بن أبي طالب، علي بن محمّد الواسطي، الشهير بإبن المغازلي (ت ٤٨٣هـ)، المكتبة الإسلامية، طهران ١٤٠٤هـ.

المناقب المرتضوية، المولى صالح الترمذي، ط بمبيء.

مناهل الصفا، السيوطي، طبعة دار الجنان، بيروت ١٩٨٨م.

مقتضب الأثر في الائمة الإثنى عشر، أحمد بن عياش الجوهري (من أعلام القرن الرابع الهجري ٤٠١هـ)، مكتبة الطباطبائي (مخطوط)، قم.

منتخب كنز العمال، (بهامش مسند أحمد بن حنبل)، المتقي الهندي، طبعة مصر ١٣١٣هـ.

منهاج البراعة، ميرزا حبيب الله الخوئي، المكتبة الإسلامية، طهران.

منية الطالب في إيمان أبي طالب، السيد حسين اليزدي الطهراني (ت ١٣٠٧هـ)، طبعة فارسية.

المواهب اللدنية، القسطلاني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٢٦هـ. وطبعة المطبعة الشرقية في مصر.

مواهب الواهب، محمّد جعفر النقدي، طبعة حجرية المرتضوية، النجف ١٣٤١هـ.

الموطأ، الإمام مالك، مقدمة محمّد كامل حسين، دار إحياء التراث العربي ١٩٨٥م.

ميزان الإعتدال، الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، ط ١، دار المعرفة، بيروت ١٩٦٣م. وطبعة بيروت ١٤١٦هـ. وطبعة القاهرة.

«ن»

نثر الدرر، منصور بن الحسين الآبي (ت ٤٢١هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

النزاع والتخاصم، المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)، مكتبة الأهرام، مصر. وطبعة قم.

النزهة، عبد الرحمن الصفوري (ت ٨٩٤هـ)، دار الجيل، بيروت ١٩٨٨م، وط ٢، القاهرة.

نساء من عصر النبوة، أحمد خليل جمعة، دار إبن كثير للطباعة والنشر، ط ١، دمشق ١٩٩٢م.

نصب الراية، الزيعلي، عبد الله بن يوسف (ت ٧٦٢هـ)، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٧م.

نظم درر السمطين، الحنفي، محمّد بن يوسف (ت ٧٤٧هـ)، (مخطوط)، مكتبة الأميني، النجف.

نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار صلى الله عليه وآله، السيد مؤمن الشبلنجي الشافعي المدني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

نور الثقلين، إبن جمعة الحويزي (ت ١١١٢هـ)، المطبعة العلمية، قم، ومطبعة الحكمة، قم.

نهاية الطلب وغاية السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام، إبراهيم بن علي الدينوري الحنبلي، (مخطوط) ألّفه سنة ١٠٩٦هـ، نسخة قديمة في مدرسة فاضل خان، مشهد الإمام الرضا عليه السلام.

النهاية في غريب الحديث، إبن الأثير الجزري، المكتبة العلمية، بيروت.

«و»

وسائل الشيعة، الحرّ العاملي (ت ١١٠٤هـ)، المكتبة الإسلامية، طهران ١٤٠١هـ. وطبعة مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم.

وسيلة المآل في عدّ مناقب الآلﷺ (مخطوط)، أحمد بن باكثير المكي الشافعي (ت ١٠٤٧هـ).

«هـ»

هاشم وأميّة في الجاهلية، صدر الدين شرف الدين، بيروت.
هداية السعداء (مخطوط)، شهاب الدين أحمد دولت آبادي (ت ٨٤٩هـ).

«ي»

ينابيع المودة، القندوزي الحنفي، طبعة إعتماد ١٩٦٦م. وطبعة إسلامبول.

فهرس المندرجات

● الفصل السادس ٢٨١

البحوث والمقالات والكتب التي صدرت للمؤلّف

١ـ المشكلة الكردية حتى عام ١٩٣٢م

AL - MASSAR - NO.2 - 1989 INDIA.

٢ـ البنت والزوجة في القرآن الكريم

AL - BILAD, NO.55, 1411, Beirut, Lebanan.

٣ـ الأولاد زينة للحياة... وفتنة

AL - BILAD, NO.58, 1411, Beirut, Lebanan.

٤ـ بين المعجزة والكرامة، مجلة التوحيد، طهران، العدد ٥٥، سنة ١٤١٢هـ.

٥ـ رأي الشيخ المفيد في الغلو، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم، ج ٢٥، ١٤١٣هـ.

٦ـ البرهان السديد في (الردّ علىٰ من قال بسهو النبيّ ﷺ)، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم، ج ٢٥، سنة ١٤١٣هـ.

٧ـ معايير الجرح والتعديل، مجلة الفكر الإسلامي، قم، العدد ٦، سنة ١٤١٥هـ.

٨ـ الثورة الإسلامية وأثرها في العالم، مجلة الذكر، قم، العدد ١٩، سنة ١٤١٥هـ.

٩ـ فضيلة الحديث وروايته، مجلة الكوثر، قم، العدد ١، سنة ١٤١٥هـ.

١٠ـ السيد سبط الحسن (الفاضل الهندي)، مجلة الذكر، قم، العدد ١٩، سنة ١٤١٥هـ.

١١ـ المستشرقون والسيرة، مؤتمر السيرة النبوية العالمي، السنة الثانية،دمشق، سوريا ١٩٩٥م، ومجلة الثقافة الإسلامية، العدد ٦٦، سنة ١٤١٦هـ.

١٢ـ مصادر السيرة النبوية، المؤتمر العالمي للسيرة، دمشق ومجلة

الفكر الإسلامي، قم، العدد ١٧، سنة ١٤١٨هـ.

١٣ـ فضائل فاطمة عليها السلام، مقدمة كتاب (مولد فاطمة عليها السلام)، الطبعة الأولى، دمشق، سوريا، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٤ـ نبوغ الإيرانيين في الشعر العربي خلال القرنين الأخيرين، مجلة اللغة العربية، دمشق.

١٥ـ فن الرثاء عند ديك الجن، مجلة تراثنا، العدد ٨٥، قم.

١٦ـ شبهات حول نهج البلاغة، مجلة تراثنا، العدد ٩٢.

١٧ـ شعر المنصور النمري، يقظة بعد غفلة، مجلة تراثنا، العدد ٨٧.

١٨ـ البعد الجغرافي في شعر دعبل الخزاعي، جامعة إصفهان، مجلة اللغات الأجنبية، العدد ١، سنة ٢٠١٠م.

١٩ـ المرأة المعاصرة، ط بيروت، دار الزهراء عليها السلام، ١٩٧٧ و١٩٨٢ و١٩٨٣ و١٩٨٤م.

٢٠ـ شاعر العقيدة المفجّع البصري، ط بيروت، دار الزهراء عليها السلام، ١٩٨٥م.

٢١ـ ملامح من شخصية الإمام عليّ عليه السلام، ط بيروت، مؤسسة النعمان، ١٩٨٨م.

٢٢ـ شرح الاشباه، ط الأولى بيروت، ١٩٨٨م، وط الرابعة قم، نشر جمال، ٢٠٠٢م.

٢٣ـ فصول من العقيدة، ط بيروت، دار الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ١٩٩٢م.

٢٤ـ الكليني والكافي (رسالة الدكتوراه)، ط قم، جامعة مدرسين، ١٩٩٥م.

٢٥ـ الميسّر في علوم القرآن، ط بيروت، دار الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ١٩٩٥م.

٢٦ـ شبهة الغلو عند الشيعة، ط بيروت، دار المحجّة البيضاء، ١٩٩٥م.

٢٧ـ الكليني وخصومه، ط بيروت، دار المحجّة البيضاء، ١٩٩٥م.

٢٨ـ الحسين عليه السلام من خلال القرآن الكريم، ط بيروت، دار الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله، ١٩٩٦م.

٢٩ـ الخبر اليقين في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، ط قم، أنصاريان، ١٩٩٦م.

٣٠ـ قبس من كرامات الإمام الحسين عليه السلام، ط بيروت، دار المعارف، ٢٠٠٢م.

٣١ـ الأدب السياسي في صدر الإسلام، ط بيروت، دار الهادي، ٢٠٠٣م.
٣٢ـ النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، ط بيروت، دار الهادي، ٢٠٠٣م.
٣٣ـ كرامات الإمام الحسين عليه السلام، الطبعة الثانية في (٣ أجزاء) ط بيروت، الدار الإسلامية.
٣٤ـ المنتخب من الكنوز والأوراد، ط بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٣م.
٣٥ـ صيانة العلوم الإسلامية ودور علم الرجال فيها رسالة الماجستير و[M.phil]، ط بيروت، دار الهادي، ٢٠٠٤م.
٣٦ـ أمير المؤمنين عليه السلام في شعر السيد الحميري، ط بيروت، دار القاري، ٢٠٠٥م.
٣٧ـ الإمام علي عليه السلام، رحمة وذكرى، ط بيروت، دار القاري، ٢٠٠٥م.
٣٨ـ حقيقة الزهد عند أبي العتاهيّة، دار الولاء، بيروت، ٢٠٠٨م.
٣٩ـ نشوء القراءات، طبعة دليل ما، قم، ١٤٣١هـ.
٤٠ـ القنوت من وجهة نظر الصحابة وأهل البيت عليهم السلام، طبعة دليل ما، قم، ١٤٣١هـ.
٤١ـ المرأة في الإسلام، انتشارات جامعة المصطفى، قم، ١٤٣١هـ.
٤٢ـ شرح الاشباه، الطبعة الثامنة، دليل ما، قم، ١٤٣١هـ.
٤٣ـ أصول القراءة والتجويد، طبعة أنصاريان، قم، ١٤٣١هـ.
٤٤ـ جمع القرآن، طبعة أنصاريان، قم، ١٤٣١هـ.
٤٥ـ البعد الفكري والتربوي في نهج البلاغة، طبعة أنصاريان، قم، ١٤٣١هـ.
٤٦ـ الشقشقية، طبعة مركز بحوث الإسلامية، قم، ١٤٣١هـ.
٤٧ـ النسخ بين المفسّرين والأصوليين، قم، مركز المصطفى، ١٤٣١هـ.
٤٨ـ المحكم والمتشابه، قم، مركز المصطفى، ١٤٣١هـ.
٤٩ـ الدليل الثاقب على إيمان أبي طالب عليه السلام، قم، ١٤٣٢هـ.
٥٠ـ كبير الصحابة أبو طالب عليه السلام.